

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمدة لخضر الوادي



قسم العلوم الإنسانية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

مساهمة المرأة الأوربية في التجربة الاستعمارية بالجزائر 1830- 1954

أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الدكتوراه –LMD-

تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد السعيد عقيب

من إعداد الطالبة:

يمينة دهالسي

أعضاء المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
علي غنابزية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيساً
محمد السعيد عقيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مشرفاً ومقرراً
عبد القادر كركار	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الوادي	مناقشاً
عثمان زقب	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الوادي	مناقشاً
ليلى تيته	أستاذ محاضر -أ-	جامعة باتنة	مناقشاً
جمعة بن زروال	أستاذ محاضر -أ-	جامعة باتنة	مناقشاً

السنة الجامعية 1441-1442/2019-2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتِ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتِ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتِ

إهداء

إلى الوالدة الكريمة أطال الله في عمرها

إلى روح أبي طيب الله ثراه.

إلى زوجي الفاضل.

إلى إخوتي وكل أقبائني وأصدقائي.

إلى كل من علمني حرفاً أو أهدى لي نصيحة.

إلى أرواح الشهداء.

إلى الجزائر الحبيبة.

إلى فلسطين الجريئة الصامدة.

إلى هؤلاء جميعاً أهدى هذا العمل المتواضع.

شكر و عرفان

قال تعالى: { وَإِذْ تَأْتِيَنَّكُمْ لَيُن شَكَرْتُمْ لِآيَاتِنَا وَلَكِنَّ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم: الآية 7]

أشكر الله عز وجل على عظيم إحسانه أن يسر لي إنجاز هذا العمل.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف أ.د. محمد السعيد عقيب الذي أشار علي بعنوان هذا البحث

وعبد لي طريق البحث من خلال تدعيمه بالمصادر والمراجع وتتبع خطوات سيره وأغدق علي بتوجيهاته

وإرشاداته ونصائحه وملاحظاته الدقيقة.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كافة أساتذة لجنة التكوين الذين أفادونا بملاحظاتهم.

وإلى جميع الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين وافقوا على مناقشة بحثي وسهروا على متابعته وتصحيحه

وسأعتبر أحكامهم وآرائهم إثراءً يجبر الخلل أو القصور الذي فاتني.

كما لا يفوتني أن أشكر موظفي المكتبات لإمدادي بكل ما أحتاج إليه .

وشكر لكل من عرقل علي أداء فريضة طلب العلم لأنهم علموني فضيلة الصبر.

كما لا أنسى كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد ولو بكلمة تشجيع.

فجز الله الجميع خيراً والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مختصرات الدراسة

العربية:

م.و.م: المتحف الوطني للمجاهد.

م.و.د.ب.ح.ث: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

الأجنبية:

C.C.F: Commission de la Condition de la Femme.

C.I.F: Conseil International des Femmes.

C.N.F.I: Conseil National des Femmes Italiennes.

D.D.I.A: Déclaration des Droits de l'indépendance Américaine.

D.D.U.D.H: Déclaration Universelle des Droits de L'Homme.

Rev Afr: Revue Africaine.

S.F.I.O: Section Française de l'Internationale Ouvrières .

U. F. É: Union des Femmes pour les Élections.

U. N. É. F: Union Nationale pour les Élections Féminines.

U. S. P. F: Union Sociale et Politique des Femmes.

مقدمة

1/التعريف بالموضوع:

استطاعت فرنسا بعد توقيع معاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830 من الدخول إلى الجزائر، ومن أجل فرض سيطرتها على مختلف أنحاء البلاد جغرافياً وتجدها المتمكين لسياستها اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً سعت إلى توظيف إمكانياتها ووسائلها المختلفة، كما أنها جندت مختلف فئات المجتمع الفرنسي وحتى الأوربي وفتحت باب الاستيطان وشجعت وأغرت الأوربيين بذلك، ومن الفئات المستخدمة في ذلك: المرأة الأوربية.

فبعد أن تمكنت المرأة الأوربية مع حلول القرن التاسع عشر ميلادي من افتكاك حقوقها واحداً تلو الآخر واستطاعت الحصول على قدر كبير من الحرية، برزت المرأة الكاتبة والمتعلمة، السياسية إلى غير ذلك، كما ظهر لديها روح المغامرة والرحلة فجابت العديد من الأقطار كمكتشفة أو مغامرة أو باحثة إلى غير ذلك.

ولما كانت إفريقيا من أكثر القارات استقطاباً للرحالة الأوربيين بما فيهم النساء اللاتي سحرن بها وآمن بالفكرة القائلة بأنها جنة الله على أرضه، وكغيرها من البلدان المغاربية استقطبت الجزائر العديد من النساء الأوربيات - وهذا في ظل السيطرة الاستعمارية على هذا البلد - واللاقي وفدتها في بداية الاحتلال كمغامرات أو مستوطنات أو زوجات لمعمرين وعسكريين لكن ما لبث أن برز لديهن الرغبة بالمشاركة في المشروع الاستعماري بالجزائر.

وقد تمكن من القيام بالعديد من الأدوار وذلك تحت ستار نقل المبادئ الحضارية للمجتمع الجزائري والرغبة في تمدين القطر الجزائري وتحت غطاء تلك الشعارات المختلفة تمكن أيضاً من اختراق بعض الطرق الصوفية الجزائرية وتذجينها، كما لعبن على وتر المرأة الجزائرية ورافعن من أجل بعض قضاياها وذلك للتمكن من إبراز الدور الذي يمكن أن يقمن به وهذا في ظل السياسة الاستعمارية، كما أنهن ومن خلال دراساتهم ونشاطهن واكبن الحركة الأدبية والثقافية التي كانت سائدة في الجزائر فترة الغزو والاحتلال.

هذا ما جعل الإدارة الاستعمارية في الجزائر تفسح المجال واسعاً لهن وذلك للقيام بدورهن في العديد من الميادين والقضايا خاصة فيما يتعلق بمسألة الجزائرية المسلمة ومن ثمة الأسرة الجزائرية، وأمام تلك المساعي التي بادرت بعض الأوربيات لتحقيقها في الجزائر كان من الواجب الاجتهاد لإبراز وكشف ذلك الدور الذي كن يقمن به، ومما لا شك فيه أن تتبع نشاطاتها في القطر الجزائري ليس بالأمر اليسير وهذا في ظل سياسة فرنسية عرفت باعتمادها على الأسلوب العسكري.

2/أسباب اختيار الموضوع:

إن اختياري لموضوع "مساهمة المرأة الأوربية في التجربة الاستعمارية بالجزائر 1830-1954" حددته أسباب متعددة أهمها:

أ-السبب الذاتي:

المتمثل في الميل الشخصي للدراسات التي تعنى بالمرأة بصفة عامة.

ب- الأسباب الموضوعية:

1- دعم المكتبة التاريخية الجزائرية بدراسة تكشف الدور الذي كانت تقوم به بعض النساء الأوربيات في المشروع الاستعماري الفرنسي بالجزائر.

2- الرغبة في إبراز الوجه الآخر للفرنسيين والذي لطالما اعتمدوه واستفادوا منه أيما استفادة لكنهم عملوا من جانب آخر على تهميشه وعدم إبرازه لكن نتائجه بدت جلية على الجزائر.

3/الهدف من اختيار الموضوع:

1-التأكيد على صحة فرضية مشاركة المرأة الأوربية في المشروع الاستعماري الفرنسي بالجزائر وذلك عن طريق إبراز الوسائل والأساليب التي اعتمدت عليها.

2- إبراز بعض التوجهات الاستعمارية للعديد من أوربيات الجزائر خاصة اللاتي اشتغلن منهن في مجال التأليف وذلك عن طريق كشف ما يمكن كشفه في بعض أعمالهن من خلال محاولة دراستها دراسة موضوعية.

3-لفت النظر إلى الأهمية الكبيرة للمادة الروائية والدعوة لفهم العلاقة الترابطية بينها وبين الواقع الاجتماعي في الجزائر المستعمرة.

4/إطار البحث:

ينحصر موضوع البحث بين الفترة الممتدة ما بين 1830-1954 وقد ارتأيت أن تكون سنة 1830 كبداية لهذه الدراسة وهذا لكي أتمكن من تتبع التوافد النسوي الأوربي للجزائر منذ بداية الاحتلال، والتعرف على أسبابه وأهدافه، وبحكم طبيعة الموضوع والذي تطلب بأن تكون له امتدادات زمانية ومكانية فقد تجاوزت حدود الجزائر وذلك بصفتها مستعمرة فرنسية إلى دراسة وضعية المرأة في أوروبا وذلك للتمكن من مقارنتها مع مثلتها في الجزائر، وللتمكن أيضاً من معرفة مساهمتها في نقل بعض القضايا المطروحة في العالم الغربي إلى بعض مستعمراتها كالجزائر.

5/ الدراسات السابقة:

توجد دراسات علمية سابقة تطرقت للموضوع أو أجزاء منه أذكر منها:

-Claudine Robert, Les européennes d'Algérie de 1830 à 1939, Sous la direction de Geneviève Dermenjia, Pôle Humanités, sciences humaines et

sociales (autre partenaire), à Aix-Marseille1, en partenariat avec Université d'Aix Marseille, 2005.

- Christelle Taraud, Prendre femme dans les colonies, daté mars 2009 .

6/ إشكالية الموضوع:

تتلخص إشكالية البحث فيما يلي:

كيف استطاع الفرنسيون توظيف المرأة الأوربية لتحقيق مخططاتهم الاستعمارية بالجزائر؟ وما مراحل ذلك؟ وما هي الأدوار التي قامت بها المرأة الأوربية وذلك للتمكين للسياسة الاستعمارية بالجزائر؟ ويقودنا هذا السؤال المحوري إلى طرح العديد من التساؤلات الفرعية:

- 1- لماذا قام الفرنسيون باستخدام الأوربيات لتحقيق بعض مخططاتهم الاستعمارية بالجزائر؟
- 2- ما هي الأساليب والوسائل التي استخدمتها أوربية الجزائر وذلك خدمة للتوجه الكولونيالي؟
- 3- ما مدى نجاعة تأثير المرأة الأوربية في تحقيق الغزو الاجتماعي والثقافي بالجزائر؟
- 4- كيف قاوم الجزائريون السياسات الممارسة من طرف بعض أوربيات الجزائر؟

7/ المادة العلمية للموضوع:

لإنجاز هذه البحث اعتمدت على العديد من المصادر والمراجع والتي تنوعت بين الكتب والمجلات والمقالات وغيرها وقد كانت لي خير معين في تغطية الجوانب المختلفة للموضوع من أهمها:

- 1-الكتابات التي اهتمت بالجانب الديموغرافي بالجزائر فترة الاحتلال: وقد مكنتني من معرفة وتتبع نسب التوافد النسوي للجزائر ومن أهمها كتاب رني ريكو (Rene Ricoux) "la Demographie Figurée de l'Algérie: Etude Statistique des Population Européennesque Habitent ل Le Peuple Algérien Essais De Démographie Algérienne وكتاب (V. Demontes) .

- 2-كتابات بعض النساء الأوربيات حول الجزائر: والتي مكنتني من التعرف على التوجهات الكولونيالية لدى بعض أوربيات الجزائر، وكذلك مساعيهم للمشاركة في المشروع الاستعماري الفرنسي، من أهم تلك الدراسات كتاب الفرنسية هوبرتين أوكلير (Hubertin Euclert) "Les Femmes Arabes en Algérie " "النساء العربيات بالجزائر" الذي صدر بباريس باللغة الفرنسية وقد كتبت حول النساء المسلمات ولكتابها أهمية كبيرة لدراسة الموضوع كونه يتميز بالدقة والتوسع في وصف حال النساء العربيات بالجزائر لكنه من جانب آخر لا يخفي التوجه الكولونيالي

الذي كانت تدعو له الكاتبة وتناضل من أجله، ومؤلفات الرحالة إيزابيل إيرهارت (Isabelle Eberhardt) والتي قامت من خلالها بدراسة الآخر-الجزائريين- دراسة شاملة كما قامت من خلال مؤلفاتها المختلفة والمتعددة بدراسة بعض قيمه الاجتماعية وتراكيبه الثقافية بالإضافة إلى توجهاته النفسية إلى غير ذلك.

3- كتابات النخبة المثقفة العربية والأوربية: وتتمثل في مؤلفاتهم ومذكراتهم الشخصية وكذلك المقالات التي نشرها على صفحات بعض الجرائد كجرائد جمعية العلماء المسلمين "الشهاب" و"البصائر" والتي مكنتني من التعرف على مواقفهم المتباينة من أنشطة الأوربيات في الجزائر، بالإضافة إلى المجلات التي أصدرتها سلطات الاحتلال كالمجلة الإفريقية "La Revue Africaine" والتي وقفت على كتابات النخبة النسوية الأوربية فيها.

4- الأعمال المنشورة حديثاً لمؤلفين عرب وأجانب: من أهمها

أ- "Affrontements culturels dans L'Algerie coloniale : (Yvonne Turin) ecoles medecines religions 1830/1880" إيفون تورين "المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880" والذي صدر بباريس تناولت فيه مؤلفته الصراع الثقافي الذي حصل في الجزائر بداية الاحتلال بين الحضارتين الأوربية والعربية في الفترة ما بين 1830-1880 وذلك لأن هذه الفترة -من وجهة نظر الكاتبة- هي التي اصطدم فيها المستعمرون بالرفض والمقاومة من طرف الجزائريين الذين سعوا للحفاظ على حضارتهم وشخصيتهم وقد ساعدني هذا الكتاب في تغطية بعض جوانب الموضوع وخاصة ما تعلق منها بنشاط الأوربية في مجال التعليم وفتح المشاغل وللكتاب أهمية بالغة نتيجة إطلاع مؤلفته على الآلاف من الوثائق الفرنسية.

ب- يحيى مرابط مسعودة: المجتمع المسلم والجماعات الأوربية في جزائر القرن العشرين هذه الدراسة ذات طابع اجتماعي تاريخي وتكمن أهميته بالنسبة للموضوع محل الدراسة في قيام مؤلفته بدراسة العديد من الكتابات والروايات الذي كتبت حول مستعمرة الجزائر بأقلام رجالية ونسائية أوربية وجزائرية وبالتالي ساهمت في منح القارئ صورة حقيقية لمختلف المظاهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية لمختلف الأوساط في الجزائر خلال القرن العشرين.

ج- أبو القاسم سعد الله: "تاريخ الجزائر الثقافي" و"أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ج 5" حيث شكلت كتاباته مادة مهمة لهذا الموضوع، كما مكنتني من التوصل لبعض الأنشطة المختلفة التي كانت تقوم بها بعض أوربيات الجزائر وقد لحت فيها كل الجدية والموضوعية خاصة فيما يتعلق بنشاطهن داخل الطرق الصوفية واهتمامهن بقضية المرأة الجزائرية المسلمة.

8/ المنهج المتبع:

اقتضت الدراسة الاعتماد على المنهج التاريخي وذلك أثناء عرض مختلف أنشطة النساء الأوربيات بالجزائر والمواقف المختلفة منها والمنهج الوصفي الذي ساعدني في دراسة وضعية المرأة الأوربية، كما حاولت الإلمام ببعض الدراسات التي قامت بكتابتها بعض الأوربيات حول مستعمرة الجزائر ومحاوله دراستها دراسة موضوعية تبين ما تحمل بين طياتها من أبعاد وإيديولوجيات مختلفة وذلك باستخدام أداة التحليل باعتبارها الوسيلة المساعدة على معرفة التوجهات الكولونيالية للنساء الأوربيات من خلال كتاباتهن.

9/ خطة البحث:

للإجابة على الإشكالات المطروح قمت بتقسيم الموضوع إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، ففي الفصل الأول قمت بعرض الواقع الذي كانت تعيشه المرأة الأوربية خلال القرنين 19-20. في أوروبا عامة وذلك بالتركيز على دراسة حالتها الاجتماعية والثقافية والسياسية، كما عرجت على تطور الفكر النسوي لدى البلدان الأوربية، ثم قمت بعد ذلك بالتطرق لوضعية المرأة الأوربية في الجزائر وذلك على مستوى مختلف المجالات المذكورة آنفاً وهذا بغرض مقارنة وضعيتها بوضعية أختها في أوروبا، وأعرج بعدها على بعض رحلات النساء الأوربيات نحو الجزائر وذلك نتيجة لبروز هذا التوجه لدى العديد منهن.

أما الفصل الثاني فقد خصصته للنشاط السياسي للنساء الأوربيات بالجزائر وذلك من خلال إيراد بعض دراسات النساء الأوربيات حول الجزائر سواءً كانت دراسات عامة أو انثربولوجية أو اقتصادية وذلك لمعرفة مدى مساهمتها في خدمة الاستعمار الفرنسي بالجزائر، ثم قمت بعدها بالتطرق لتأثير المرأة الأوربية على القيادات المحلية والمتمثلة بالخصوص في بعض زعامات الطرق الصوفية بالجزائر.

وفي الفصل الثالث عالجت دور المرأة الأوربية في السياسة الفرنسية بالجزائر بداية بإبراز مساهمتها في تنمية الاقتصاد المحلي الفرنسي بالجزائر من خلال التركيز على مساهمتها في مختلف القطاعات الاقتصادية، ثم درست تأثير أوربية الجزائر على المرأة الجزائرية المسلمة وذلك عن طريق كشف بعض الأساليب التي انتهجتها وذلك لدمج المرأة الجزائرية في الحضارة الأوربية، وختمت هذا الفصل بالتطرق لمساهمة المرأة الأوربية في تفعيل قضية الزواج المختلط-الزواج بالأجنبيات- ودراسة تأثيره على مستوى الهوية والوطنية الجزائرية.

وخلال الفصل الرابع تناولت النشاط التنصيري والإعلامي للمرأة الأوربية بالجزائر وذلك من خلال العمل على حصر وجمع الإرساليات التنصيرية النسوية التي وصلت إلى الجزائر وإدراج مختلف الأنشطة التي كانت تمارسها في سبيل تنصير أكبر قدر من الجزائريين، كما تطرقت بعدها لبعض الأنشطة الصحفية التي كانت تقوم بها بعض النساء الأوربيات في الجزائر.

أما الفصل الخامس فخصص ل: "المواقف المختلفة من نشاط النساء الأوربيات بالجزائر" وقد قمت فيه بعرض موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من بعض أنشطة النساء الأوربيات بالجزائر وذلك لأن نشاطهن كان مركزاً على الجانبين الاجتماعي والثقافي وهاذين المجالين تركز فيهما أيضاً نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما حاولت تسليط الضوء على الجهود التي قدموها وذلك للحد من بعض السياسات -خاصة التنصيرية والتغريبية- الممارسة من طرف بعض الأوربيات، ثم ذكرت وجهة نظر بعض النخب الجزائرية بمختلف أطرافهم إصلاحيين ومفكرين، سياسيين... من أنشطة النساء الأوربيات بالجزائر، دون أن أغفل إدراج موقف النساء الجزائريات من أنشطة الأوربيات وذلك لمعرفة ما مدى نجاعة مشاريعهن ودعواتهن و ما تمكن من تحقيقه وذلك على مستوى المرأة الجزائرية.

وفي الخاتمة جمعت مجمل النتائج والاستنتاجات العامة التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، كما ألحقت هذا البحث بمجموعة من الملاحق التي لها علاقة مباشرة بالموضوع وهذا بغرض دعمه وإثرائه.

10/ صعوبات البحث:

- أ- قلة الدراسات النقدية المساعدة والتي تعرضت لبعض جوانب الموضوع خاصة ما تعلق منها بالجانب الروائي .
- ب- امتداد البحث على مساحات متعددة تاريخية، أدبية، اجتماعية وبالتالي صعوبة الجمع بين العديد من الأنشطة الممارسة من طرف بعض النساء في مجالات محددة.
- ج- صعوبة الحصول على الوثائق الأرشيفية .

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفقت إلى حد ما في الإحاطة بجوانب هذا الموضوع الهام، وعلى الرغم من اجتهادي وذلك للكشف عن الأدوار المختلفة التي كانت تلعبها المرأة الأوربية في الجزائر إلا أن الجهد البشري دائماً يعترضه النقص فالعلم أكبر من أن يحاط به، وإن هذه الدراسة لم تأتي كمحاولة لإفناع القارئ بالأفكار الواردة أو النتائج المتوصل لها بقدر ما أردتها أن تكون بداية لفسح المجال للعديد من الباحثين وهذا لإثراء هذا الموضوع وتطويره والتنقيب فيه وذلك لان المرأة الأوربية في الجزائر لا تزال تثار أسئلة هامة ومتعددة.

كما لا يفوتني في ختام هذه المقدمة توجيه الشكر والتقدير والامتنان لأستاذي الدكتور: مُجَّد السعيد عقيب على جهوده لإثراء هذا الموضوع، وأشكر جميع عمال المكتبات الذين تلقيت منهم كافة التسهيلات في الحصول على المصادر المتوفرة لديهم، كما أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث.

الفصل الأول:

واقع المرأة الأوربية خلال القرنين 19-20

- أولاً: وضعية المرأة في أوروبا
- ثانياً: وضعية المرأة الأوربية في الجزائر
- ثالثاً: المرأة الأوربية والرحلة في الجزائر

أولاً: وضعية المرأة في أوروبا

أدى ظهور حركة تحرر المرأة في العالم الغربي إلى إبراز الوضعية التي كانت تعيشها النساء في أوروبا والتي كانت تتسم في أغلب الأحيان بالتهميش، ما جعلهن يطمحن إلى تغيير ذلك الواقع ويطالبن بأن يكن عضواً فاعلاً في مجتمعاتهن وذلك في مختلف الميادين الاجتماعية، السياسية، الثقافية والاقتصادية، ومحاولات بذلك مجابهة جميع القيم والمعتقدات والسلطات التي كانت تقف حائلاً دون وصولهن إلى حريتهن ومساواتهن مع الرجل في مختلف الحقوق والواجبات.

وخلال فترة التطور التي عرفتها أوروبا في القرن التاسع عشر حدث تغيير كبير في النسيج الاجتماعي وطرح العديد من القضايا، كقضية المرأة ومسألة تحررها وذلك على اعتبار أنها كانت مهضومة الحقوق، فاقدة للشخصية، معدومة الأهلية القانونية فالقانون الروماني مصدر التشريع الفرنسي وجميع التشريعات الأوروبية كان يقضي بأن المرأة ليس لها أهلية وحكمها حكم الأطفال، كما أنه أعطى للرجل حق التصرف في أموالها، أما القانون اليوناني كان يعتبر المرأة ضمن الممتلكات الشخصية للرجل، وفي إيطاليا اعتبرت بعض القرى المرأة تابعة للرجل بل خادمتها إذا جلس مقعداً جلست هي على الأرض وإذا مشى راكباً مشت على قدميها،¹ كما نجد بعض الشرائع السائدة في أوروبا عملت على تجريد المرأة من حقوقها، كسفر الجامعة الذي لم يكن أرحم بالمرأة من غيره فقد اعتبر المرأة أمر من الموت وأن الشخص الصالح أمام الله ينجو منها.²

وخلال القرن التاسع عشر كانت المرأة في أوروبا عبارة عن متاع يباع ويشترى حيث ظلت إنجلترا تسمح ببيع الزوج لزوجته حتى سنة 1805 بل حددت ثمن الزوجة بست بنسات آنذاك،³ وقد جرى أن باع أحد الإنجليز زوجته عام 1931 بخمسمائة جنيه وأثناء محاكمته على ذلك كانت حجة محاميه في الدفاع عنه أن القانون الإنجليزي كان يبيع للزوج أن يبيع زوجته قبل مائة عام وأن القانون الإنجليزي كان قد حدد ثمن الزوجة بست بنسات عام 1801 بشرط أن يتم البيع بموافقة الزوجة، فكان رد المحكمة أن حكمت على ذلك الرجل بعد المداولة بالسجن لمدة عشرة أشهر، بدليل أن ذلك القانون قد تم إلغاؤه عام 1805،⁴ وبالتالي لو أن تلك المفاوضة تمت قبل هذه السنة لاعتبرت أمراً مشروعاً بل لن تلقى معارضة قانونية وذلك لأن القانون الإنجليزي يحميها ويؤثرها ويقدرها بحجة أنه لا يتم بيعها إلا

¹ - سالم البهنساوي، مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية، الجزائر، دار الإرشاد، 1981، ص 198-199.

² - غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ص 419.

³ - سالم البهنساوي، المرجع السابق، ص 20.

⁴ - مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، بيروت، دار الوراق، 1999، ص 7.

بموافقة صريحة منها، كما أنه حدث في إيطاليا أن قام إيطالي ببيع زوجته لآخر على أن يسدد ثمنها على أقساط فلما امتنع المشتري على سداد الأقساط الأخيرة قتل الزوج البائع.¹

أما في فرنسا فلم تكن المرأة أحسن حالاً من المرأة الإنجليزية حيث لم يكن لها الحق في التصرف في ممتلكاتها إلا بإذن زوجها ما لم تشترط في عقد الزواج بأن تكون حرة حرية كاملة في تصرفاتها المالية بعد الزواج، وقد أرجع الفرنسيون أحقية الرجل في الحجز ونفي الأهلية للعقود والمعاملات المالية للمرأة سواء كانت زوجة أو ابنة أو أخت إلى ثلاثة أسباب تتمثل في صغر السن وزوال العقل بالإضافة إلى الأنوثة وقد استمر ذلك القانون ساري المفعول لأعوام طوال.²

كما كانت الأمم الأوروبية تنكر على المرأة حق التعلم والثقافة حتى القرن 19م وحصرت مهمتها الأساسية في تربية الأولاد وتسيير شؤون المنزل والسهر على حاجة أفراد الأسرة والاقتصاد في نفقات البيت، وبالرغم من ظهور بعض الأصوات المنادية بتعليم المرأة لكنها لم تلق استجابة في معظم دول أوروبا، بل ظلت التيارات المعادية لتعليم المرأة مسيطرة على أوروبا الحديثة حتى أوائل القرن 19م، فوجد العاهل البروسي أوتو فون بسمارك (Otto von Bismarck)³ يحدد ثلاث مجالات لنشاط المرأة ولا يحق لها الخروج عنها وهي: تربية أطفالها والاهتمام بشؤون مطبخها وأداء شعائرها الدينية في الكنيسة.⁴

وبتسليط الضوء على وضعية المرأة في أوروبا في تلك الفترة يتضح لنا بأن الأوروبيون كانوا يرون بأن المرأة لم تخلق إلا لخدمة بيتها لذا حرمت من جميع حقوقها، غير أنه بظهور عصر النهضة الأوروبية في القرن 15م وبروز الفكر الرأسمالي حدث تحولاً كبيراً في أوروبا على المستوى الصناعي وأصبحت الحاجة ماسة لليد العاملة، فشاركت المرأة لاعتبارات عديدة، إلا أنها عانت منذ البداية من الفروقات والتمييز بينها وبين الرجل، حيث ظلت تحصل على نصف أجر

¹ - مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 19.

² - يوسف نور الدائم الحبر، "قضية المرأة كما أراها"، مجلة الأصالة، مج 18، ع 52، ديسمبر 1977، ص 98.

³ - أوتو فون بسمارك (1815-1898): ولد في براندنبورج من أسرة أرستقراطية من أصحاب الأرض، تخرج من جامعة بوتجن في هانوفر عام 1835، انتخب سنة 1849 عضواً في البرلمان البروسي الجديد وبعد حله عين مندوباً لبروسيا، عين عام 1859 سفيراً لبروسيا في موسكو، وفي 1862 عين سفيراً لبروسيا في باريس، ثم استدعي لتولي الوزارة، أعلن بسمارك منذ بداية حكمه عن سياسته الرامية إلى تحقيق الوحدة الألمانية والتي تمكن من تحقيقها بواسطة القوة والدبلوماسية. ينظر عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 2، 1997، ص 136.

⁴ - علي عبد الواحد وافي، "المرأة والأسرة في الإسلام"، مجلة الأصالة، مج 18، ع 51، نوفمبر 1977، ص 114.

الرجل رغم أن العمل واحد كما ظلت محرومة من التصرف في أموالها الخاصة لهذا بدأت تطالب بالمساواة في الأجور والعديد من المسائل وصولاً للمطالبة بالمساواة الكاملة بينها وبين الرجل، تلك المطالب أدت إلى بروز تيارات أو اتجاهات وقف البعض منها موقف المساند للمرأة وقضية حصولها على حقوقها، بينما وقف البعض الآخر موقف الرافض لمنحها تلك الحقوق ومن الفلاسفة الذين حملوا عداء للمرأة فرانسيس بيكون (Francis Bacon) (1626-1561)، باروخ سبينوزا (Barokh Spinoza) (1677-1633)، فرانسوا ماري أرويه (François Marie Arouet) (1778-1694)، وإيمانويل كانط (Immanuel Kant) (1724-1804)، وكذلك آرثر شوبنهايدر (Arthur Schopenhauer) (1860-1788) الذي اعتبر المرأة أساس الشر وقال: "العالم أفضل بلا نساء"، أما وليم سبنسر الإنجليزي (William Spencer) (1903-1820) فقد أكد بأن النساء مخدوعات ويضعن أوقاتهم بالمطالبة بالحقوق كما طالب بعدم السماح لهن بإدارة مصالحهن وأن يكن خاضعات لإشراف الرجال كالأباء والأولاد والأزواج أو تحت إشراف الحكومة، كما طالب بعدم اشتراكهن في التصويت في الانتخابات وذلك لأنهن لا يشتركن في الحرب ولا يعرضن حياتهن لخطر الموت في القتال.¹

كما نجد أوغست كونت (August Conte) (1857-1798) يذهب إلى القول بأن: "الرجل والمرأة يهدفان إلى غايات متباينة في الحياة فمرمى الرجل هو العمل وغاية المرأة هو الحب والحنان والواجب، يدعو الرجل إلى قيادة نشاط الأمة بينما على المرأة الانصياع وبذل النصيحة والتأثير الأخلاقي والتهديب لأنها تشخص الحب وترمز إلى قوة العاطفة والقلب وتمثل روح التجانس والتقارب فقوى الجنسين متكاملة وإذا ما تناسقت هذه القوى فيما بينها فإنها تتمخض عن السعادة المنزلية والوحدة العائلية"²، كما حذر الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه (Friedrich Nietzsche) (1900-1844) من خطر الخطاب التحرري النسوي وقال مقولته الشهيرة: "المرأة فخ نصبته الطبيعة"، أما الفيلسوف جان جاك روسو (Jean-Jacques Rousseau) (1778-1712) فقد قال مخاطباً النساء: "إن حظ جنسكن أن تتحكمن دائماً في جنسنا كزوجات وأمهات لا كمواطنات" معتبراً أن الهيمنة الذكورية على النساء سلوكات طبيعية.³

¹ - ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي حياة وآراء أعظم رجال الفلسفة في العالم، تر: المشعشع فتح الله مُجد، ط6، بيروت، منشورات مكتبة المعارف، 1988، صص 126، 445، 492.

² - عبد العزيز بنعبد الله، معطيات الحضارة المغربية، الرباط، دار الكتب العربية للنشر، ج2، 1963، ص5.

³ - عصام بن الشيخ، "جودة أداء المؤسسة التشريعية من خلال تمكين المرأة سياسياً - حالة الجزائر -"، دفاتر السياسة والقانون ع12، 2015، ص35.

أما الفلاسفة والسياسيين الذين طالبوا علناً بمنح النساء حقوقهن نجد الفيلسوف جان ستوارت مل (John Stuart Mill) (1806-1873) والسياسيين بنجامين ديزرائيلي (Benjamin Disraeli) (1804-1881) وويلم غلادستون (William Gladstone) (1809-1898) الذين وقفوا أمام مجلس النواب الإنجليزي بجانب المرأة وطالبوا بمنحها الحقوق السياسية، ما جعل مجلس النواب يقر بذلك سنة 1897 وذلك بعد حصول تلك القضية على أصوات كثيرة، وفي المقابل نجد الأديب الفرنسي فيكتور هيجو (Victor Hugo) (1802-1885) يعتبر القرن التاسع عشر قرن الإصلاحات لدى فئة النساء حيث قال عنه: "إن القرن الثامن عشر قرر حقوق الرجال وسيقرر القرن التاسع عشر حقوق النساء"،¹ كما نجد الفيلسوف أرنست رينان (Ernest Renan) يفتخر بتأثير أخته في حياته فيقول: "أن أجمل ما وضعه في مؤلفاته كان إلهاماً من أخته".²

وقد كان لتعدد الآراء الفكرية والفلسفية بل وحتى السياسية تأثير كبير في تطور الفكر النسوي في أوروبا في العصر الحديث، بل أن البعض منها قد أعطى دفعاً قوياً للمرأة وذلك للسير قدماً نحو التحرر من بعض القيود التي كانت مفروضة عليها، ففي فرنسا مثلاً نجد المرأة قد صرفت جهودها لاسترجاع مكائنها داخل المنزل كما بدأت تشاطر الرجل في الحقل الأدبي والكتابة والتأليف، دون أن تغفل تطور العلوم والذي أثر بدوره في قضية المرأة أكثر من دعوة الفلاسفة الشيء الذي ساهم في خروجها إلى معترك الحياة وذلك للمطالبة بحقوقها السياسية، الإجتماعية...³

1- الفكر النسوي وتطوره بأوروبا في العصر الحديث:

أ- الحركة النسوية بين المفهوم والمصطلح:

عرف مصطلح النسوية (féminisme) اختلافاً كبيراً لدى الكتاب والمفكرين وهذا من محور ظهوره وتحديد ماهيته، كذلك من حيث كونه حركة سياسية أو اجتماعية أو اتجاه إيديولوجي أم نظرية علمية...؟ ويعرفها معجم أكسفورد على أنها: "الاعتراف بأن للمرأة حقوق وفرص مساوية للرجل"، أما معجم ويبستير فيعرفها على أنها: النظرية التي تنادي بمساواة الجنسين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وتسعى كحركة سياسية إلى تحقيق حقوق المرأة واهتماماتها وعلى إزالة التمييز الجنسي الذي تعاني منه المرأة".⁴

¹ - قاسم أمين، المرأة الجديدة، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2011، ص ص 19-20.

² - قاسم أمين، تحرير المرأة، مصر، كلمات عربية للترجمة والنشر، 2012، ص 55.

³ - عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص 7.

⁴ - دلال بحري، "النظرية النسوية في التنمية"، مجلة الفكر، ع 11، (د،ت)، ص ص 70-71.

أما الناقد السوري حسام الخطيب فقد قرر بأن مصطلح النسوية مفهوم سياسي يدل على أن الاختلاف في الجنس هو أساس اللامساواة بين الرجل والمرأة وهذه الأخيرة ليست نتيجة لضرورة بيولوجية بل أنتجت البنية الثقافية في المجتمع والتي بسببها عانت النساء كثيراً من الظلم الاجتماعي الذي وقع عليهن،¹ بينما يرى المسرحي الكويتي نادر القنة بأن كلمة Féminisme (نسوي) تشير إلى مذهب يدافع عن حقوق النساء ويدعو إلى مساواتهن مع الرجال،² أما الكاتبة سارة جامبل فتذهب إلى أن الحركة النسوية تعني: "الاعتقاد بأن المرأة لا تعامل على قدم المساواة - لا لأي سبب سوى كونها امرأة- في المجتمع الذي تنظم شؤونه وتحدد أولوياته حسب رؤية الرجل واهتماماته".³

وبالتالي يمكن القول بأن النسوية حركة تقوم على فكرة جوهرية مفادها الاختلاف بين الجنسين أو عدم المساواة بين الرجل والمرأة، وتسعى تلك الحركة إلى تحقيق أهداف مختلفة ومتعددة سياسية، اجتماعية، اقتصادية وغيرها في مجال منح المرأة حقوقها وتحسين أوضاعها والسعي نحو إثبات ذاتها وتفعيل دورها في المجتمعات.

أما بخصوص تاريخ ظهور النسوية كحركة منظمة فقد أشارت سارة جامبل في كتابها "النسوية وما بعد النسوية" إلى أن ستيفاني هوديسون (Shivani Jodie Sion) التي ألقت دراسة بعنوان "بواكير النسوية" Le Féminisme Précoce رأت بأن مصطلح النسوية كانت له دلالة مع بداية القرن 16 و18م وكانت تعني هذه الدلالة تلك المحاولة التي تقوم بها المرأة متحدية النظام الأبوي الذي يقوم به الأب أو السلطة الأبوية من علاقات مبنية على القوة والسيطرة والفرص والتي تعني بأن مصالح المرأة كانت خاضعة لمصالح الرجل كما تعني أن المرأة قادرة على أن تغير وضعها في النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، بينما يشير ريان فوت (Ryan Foot) في كتابه "النسوية والمواطنة" Féminisme et citoyenneté إلى أن أول ظهور لمصطلح النسوية كان في القرن 19

¹ - فاطمة مختاري، الكتابة النسائية أسئلة الاختلاف وعلامات التحول مقارنة تحليلية في خصوصية الخطاب الروائي النسائي العربي المعاصر، (رسالة دكتوراه، تخصص أدب حديث ومعاصر، إشراف وذنان بوداود)، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقة 2013-2014، ص5.

² - فطيمة الزهرة بايزيد، الكتابة الروائية النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل، (رسالة دكتوراه، تخصص أدب حديث ومعاصر، إشراف بودريال الطيب)، كلية الآداب واللغات، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012، ص 67-68.

³ - رياض القرشي، النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، ط1، اليمن، دار حضرموت للطباعة والنشر، 2008 ص62.

وتحديداً في سنة 1882 وذلك حينما استخدمته هوبرتين أوكيلرت (Hubertin Auclert)¹ في "جريدة المواطنة" "La Citoyenneté"².

أما عامر رضا فقد ذهب إلى أن مصطلح النسوية أستعمل لأول مرة في مؤتمر النساء العالمي الأول الذي انعقد في باريس سنة 1892 حيث تم الاتفاق على اعتبار أن النسوية هي: "إيمان بالمرأة وتأييد لحقوقها وسيادة نفوذها"³. ومنه يمكن القول بأنه إذا كان ظهور النسوية كحركة منظمة أو فكر أيديولوجي في الثمانينات من القرن التاسع عشر، فإن إرهاباته الأولى يمكن إرجاعها إلى القرن السادس عشر هذا إذا ما سلطنا الضوء على العوامل التي ساهمت في نشأتها كالتنهضة الأوربية والثورات في أوروبا كالثورة الفرنسية ورفعها لشعار المساواة، كما يمكننا أن ندرك بأن الحركة النسوية كانت وليدة القهر والاضطهاد الذي عانت منه المرأة الأوربية طوال سنين عديدة والممارس عليها من طرف الرجل والتشريعات والقوانين الوضعية.

ب-نضال المرأة الأوربية:

أعطت الثورة الفرنسية 1789 دفعاً قويا للمرأة الأوربية في سيرها نحو افتكك حقوقها، وكانت لها مشاركة قوية ودور كبير فيها، كما تم اعتقال العديد من النساء أثناء الثورة الفرنسية، ولما كانت الشعارات التي قامت عليها الثورة الفرنسية تمثل في الحرية والإخاء والمساواة فقد بدأت تنضج فكرة المساواة بين الجنسين لدى الفئة النسوية الفرنسية خصوصاً والأوربية عموماً، كما أعطى وقوف بعض القادة السياسيين والمفكرين إبان الثورة بجانب المرأة دفعاً قوياً لتنمية مطالبها كالسياسي كوندروسيه (Condorcet)(1743-1794) عضو المجلس التشريعي الذي دافع عن

¹ - هوبرتين أوكيلرت (Hubertin Auclert): مناضلة من عائلة بورجوازية دينية في مقاطعة البوربون التحقت بدير أخوات الإحسان التابع لكنيسة القديس فينسنت ذي بول، عند بلوغها السادسة عشر من عمرها وقد طلبت منها الراهبات الرحيل عن الدير لاعتقادهن باختلالها العقلي والواقع أنها لم تكن مختلفة عقلياً بقدر ما كانت ثورية، أما والدها جان باتيست أوكيلرت Jean-Baptiste Okler فقد كان جوهياً متفانياً ملتزماً بالمبادئ السياسية غير المعلنة، رافضاً بوضوح للقوى التي تفرض وجودها على الساحة وقد كانت هوبرتين امتداداً لوالدها فقد تبنت في حياتها القضايا غير الشائعة كفضية الحرمان من الحقوق الشرعية للنساء في فرنسا. ينظر أميرة سنبل، النساء والأسرة وقوانين الطلاق في التاريخ الإسلامي، تق: رؤوف عباس، تر آمال علي مظهر وآخرون، (د،م)، المجلس الأعلى للثقافة، 1999، ص70.

² - فهد حسين المحرق، "في كتابها السرد النسائي العربي-مقاربة في المفهوم والخطاب زهور كرام تألف في أركولوجيا النقد والإبداع" فضاءات الوسط، ع2820، ماي 2010، ص8.

³ - عامر رضا، "الكتابة النسوية العربية من التأسيس إلى إشكالية المصطلح"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع15، جانفي 2016، ص4.

حقوق المرأة واعتبر أن حرمانها منها يعد نوعاً من الظلم، كما دعا إلى التعليم المشترك على قدم المساواة بين البنين والبنات وعلاوة على ذلك فقد ذكر بأنه لا يتردد في التأكيد على المساواة الكاملة بين الجنسين.¹

كما أيقظ الشعور العام بإعلان حقوق الاستقلال الأمريكي "D.D.I. A" الصادر في 4 جويلية 1774 والذي كتبه توماس جيفرسون (Thomas Jefferson) (1743-1826)² وإعلان الثورة الفرنسية لحقوق الإنسان والمواطن الصادر في جويلية 1789، والذي دعت المادة السادسة منه إلى مساواة كل المواطنين أمام القانون ولما كانت تلك المادة تعتبر كل المواطنين متساوين وبالتالي كلهم مرشحون لتقلد الرتب والوظائف العامة حسب أهليتهم وكفاءاتهم، وبناءً على ذلك يتراءى لنا أن ذلك النص الثوري قد شمل حسب التصريح جميع فئات المجتمع بما فيهم النساء، لكن في واقع الأمر حاول ذلك الإعلان تطبيق المساواة فقط في قانون العائلة بإلغاء السلطة الأبوية ولم يفعل شيئاً لتكريس المساواة بين الجنسين في الحقوق السياسية.³

وعلى الرغم من أن أهم الأسس التي نادى بها الثورة الفرنسية هي تحرير الإنسان من العبودية والمهانة إلا أن تلك المبادئ في الواقع العملي لم تشمل المرأة، حيث نجد أن القانون المدني الفرنسي نص على أنها ليست أهلاً للتعاقد دون رضا وليها إن كانت غير متزوجة بحجة أنها قاصرة، وقد تم تصنيفها حسب القانون الفرنسي إلى جانب الطفل والمجنون واستمر ذلك القانون ساري المفعول لغاية 1938، وهي السنة التي عدلت فيها تلك النصوص لمصلحة المرأة ولكنها بقيت تحمل بعض القيود خاصة فيما يتعلق بأهلية المرأة المتزوجة، فقد بقيت أهليتها مقيدة بقيود قانونية ناشئة عن نظام الأموال المشتركة بين الزوجين حيث أن المرأة الفرنسية المتزوجة لا يمكنها أن تتصرف بأموالها الخاصة إلا بموافقة زوجها وإذن المحكمة وحده لا يكفي، كما أنه بحكم ذلك القانون لا يحق للمرأة المتزوجة ممارسة أي مهنة إلا بإذن زوجها.⁴

وعلى الرغم من أن تلك القيود والقوانين كانت تشكل ضغطاً وعامل إعاقة بالنسبة للمرأة وقضية تحررها إلا أنها استمرت في حركة النضال للمطالبة بحقوقها، ففي فرنسا قامت المناضلة الفرنسية أوليمب دوغوج (Olympe De Gouges) (1748-1793) بنشر إعلان أطلق عليه إعلان حقوق المرأة "Déclaration des droits

¹ Gubin Elaine, **le Femmes-et-Revolution**, Bruxelles, Cente d'Archives pour - 1
l'Histoire des Femmes, (s,d), p11.

² - عزت قرني، الإسلام وحقوق الإنسان، الكويت، المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978، ص 13.

³ - أعمار يحيوي، الحقوق السياسية للمرأة في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2003 ص ص 25-26.

⁴ - السباعي مصطفى، المرجع السابق، ص ص 19-36.

"de la Femme" عام 1791 والذي ذكرت فيه بأن المرأة جزء لا يمكن الاستغناء عنه في أي مجتمع من المجتمعات، كما طالبت فيه بمنح المرأة جميع حقوقها، كضرورة المساواة بين الجنسين الرجل والمرأة وحق تقلد الوظائف والرتب العامة ووضع القوانين وممارسة الوظائف العليا من طرف النساء وأن تفضيل شخص على الآخر في أي منصب من المناصب أو وظيفة من الوظائف دون مراعاة الجنس لا بد أن يكون مردّه أولاً وأخيراً إلى مبدأ الكفاءة،² غير أن ذلك الإعلان لم يلق أي صدى أو تأثير وأعدمت كاتبته في 3 نوفمبر 1793.³

ونظير إعلان أولمب دوغوج كتبت أولمبيادين هوج (Olympiaden Hogg) سنة 1791 كراسة طرحت فيها مبدأ رفع مستوى الإنسانية، غير أن الجمعية العمومية قامت بإغفال قضية المرأة ولم تقم بطرحها في جدول أعمالها الشيء الذي جعل أولمبيادين تنشر منشوراً موجهاً إلى الفرنسيات واستهلتته بذكر اسم الملكة ماري أنطوانيت (Marie Antoinette) وذلك للحصول على دعمها ونتيجة لذلك تظاهرت النساء الفرنسيات في 25 مارس 1792 مطالبات بحقهن الطبيعي والتشريعي ما أدى إلى طرح قضية الحقوق السياسية للمرأة في جدول أعمال نواب الأمة الفرنسية عام 1793 وبعد التداول قرروا أن الوقت لم يحن بعد لمنح المرأة تلك الحقوق بل يجب قبل ذلك فسح المجال أمامها لتلقي العلوم.⁴

وبناء على ذلك المقترح قدمت السيدة تالين (Thales) مذكرة للجمعية الوطنية سنة 1794 مطالبة فيها النواب السماح للنساء بتعليم الأولاد والعناية بالمرضى ونوهت إلى أن المستشفيات تتحول إلى هياكل للإنسانية بواسطة النساء⁵ متحاشية المطالبة بالحقوق السياسية للمرأة، الشيء الذي لا يعبر بدوره تنازلاً عن المطالب السياسية بل تعزيراً لها وذلك عن طريق استغلال هذه الوظائف لتكوين أفكار عن مقدرة المرأة بل تفوقها على الرجل في بعض المجالات

¹ - للإطلاع على إعلان أولمب دوغوج ينظر الملحق رقم: 02، ص ص 260-261.

² Poulette Bascou Bance, **La Condition de la Femme en France son évolution**, Lyon, L'institut Pédagogique National, 1964, p14.

³ - Lacour Léopold, **Les Origines du Féminisme contemporain. Trois Femmes de la Révolution : Olympe de Gouges, Théroigne de Méricourt, Rose Lacombe**, Paris, Librairie Plon, 1900, p3.

⁴ -أعمر يجياوي، المرجع السابق، ص 27.

⁵ - Turquan Joseph, **Souveraines et grandes dames La Citoyenne Tallien**, Paris, Librairie Illustrée, 1898, p129.

وبالتالي التمكن من كسب العديد من المدافعين عن حقوقها والتمكن كذلك من تغيير العقليات والمواقف المعادية لها.¹

وظهر على الساحة النسوية الفرنسية هوبرتين أوكيلار والتي بدأت نشاطها النضالي بالطموح للفوز بحق المرأة في التصويت منذ منتصف 1870 وعندما رحلت إلى باريس ونظمت بمجهودها الذاتي حملة للمناداة بحقوق المرأة من خلال منظماتها منظمة حقوق المرأة "UN Women" ومنظمة حق المرأة في التصويت "le Droit de Vote des femmes" كما أسست ورأست تحرير أول صحيفة نسائية في فرنسا وهي صحيفة المواطنة بتمويل ذاتي سواء مالياً أو موضوعياً (كتابة المقالات).²

وعرفت فرنسا عدة حركات اشتراكية دعت إلى تحرير المرأة بيد أنها لم تحصل على نتائج ملموسة عكس الحركة البورجوازية بقيادة لبيون ريشير (Lyon Duchère) التي نالت اهتماماً نسبياً، وقد أنشأ هذا الكاتب سنة 1866 جمعية لتحسين حظ المرأة³ كما نشر عام 1871 صحيفة "حقوق المرأة" "Les Droits de la Femme"⁴ ولعل هذا المصلح قد تأثر بالسيدة تالين، التي لم تتسرع في المطالبة بالحق السياسي للمرأة وذلك على اعتبار أن المجتمع لم يقتنع بعد بالتحول المفاجئ في المركز السياسي للمرأة وأن الطريق لا زالت طويلة في هذا المجال.⁵

ووجد التحرك النسوي مكاناً له في الأراضي البريطانية منذ سبعينات القرن الثامن عشر فنجد ماري وولستونكرافت (Mary wollstonecraft) قد كتبت عريضة بعنوان "فاعاً عن حقوق المرأة" "Défense des Droits des Femmes" عام 1792 والتي ظهرت وسط الاضطرابات الاجتماعية والسياسية التي تمخضت عنها الثورة الفرنسية وقد تم ترجمة تلك العريضة إلى اللغة الفرنسية⁶ وقد سبق هذا الكتاب ظهور معالجات أخرى كانت بمثابة بدايات مبكرة للنزعة النسوية مثل "مقترح جاد للنساء" "Une Proposition Sérieuse pour les Femmes" الذي كتبه ماري أستيل (Mary Astell) سنة 1694، إلا أن كتاب

¹ - أعرم يحيوي، المرجع السابق، ص 28.

² - أميرة سنبل، المرجع السابق، ص 70.

³ - أعرم يحيوي، المرجع السابق، ص 33.

⁴ - Barreau de Poitias, **De Droit de vote des Femmes**, Poitiers, imprimerie G.Roy, 1913, p8.

⁵ - أعرم يحيوي، المرجع السابق، ص 34.

⁶ - Ferdinand Buisson, **Le Droit de vote aux Femmes**, Paris, imprimemerie de la Chamber des députes Martinet, 1910, p9.

ماري وولستويكرافت كان عبارة عن أول صرخة صريحة دعت فيه نساء الطبقة الوسطى لضم الصفوف¹، كما نادى فيه بالحق في تعليم المرأة والاعتراف بحقوقها الوطنية والسياسية واعتبرت أن الوضعية التي كانت عليها النساء سابقاً إنما مردها إلى الجهل الذي كان يسيطر عليهن، كما دعت المرأة إلى ممارسة المهن والوظائف وذلك لكي تستطيع تحقيق استقلالية مالية عن زوجها.²

وكان مما كتبه في "دفاع عن حقوق النساء": "إن الوقت قد حان للثورة على سلوكيات المرأة واستعادة كرامتها المفقودة وحققها كعنصر من عناصر المجتمع الإنساني على إصلاح شأنها حتى يمكن إصلاح حال العالم"، وعلى الرغم من أن البعض كان يعتقد بأن هذا الكتاب لم يدعوا إلى إعادة تنظيم شامل لأدوار المرأة في المجتمع لكن على ما يبدو فإن مؤلفته كانت تهدف إلى الارتقاء بالمرأة كمواطنة الأمر الذي سيمكنها من توسيع الفرص المتاحة أمامها للتأثير على المجتمع لصالحها ولصالح أطفالها، كما كانت وولستويكرافت أبعد ما يكون عن تصوير المرأة على أنها أكثر تفوقاً من الرجل بل أن جل ما كانت تسعى إليه هو الارتقاء بمستوى المكانة الأخلاقية والفكرية للمرأة لتجعلها مواطنة كما أنها لم تكن تتطلع إلى أن تقوم المرأة بهجران نطاق الحياة المنزلية ولم تكن تطالب بأشياء خارج المؤلف مثل الحق في التصويت.³

ولم تكن تلك العريضة التي نشرتها ماري وولستويكرافت المحاولة الوحيدة من طرف النساء البريطانيات في سبيل حصولهن على حقوقهن، فقد قمن أيضاً بتقديم أول طلب لمجلس النواب البريطاني وذلك للحصول على الحقوق السياسية سنة 1867، وقد لقي ذلك الطلب مساندة من بعض الأطراف السياسية كما تمكن من كسب العديد من الأصوات مما أضطر مجلس النواب البريطاني الإقرار عليه سنة 1897.⁴

كما نجد السيدة ميليسانت فاوسيت (Millicent Fawcett) قد أسست سنة 1897 "الإتحاد الوطني لاقتراع النساء" "U N É F" معتمدة على الطرق القانونية لتسييره، كما أسست إيملين قولدين باركرست (Emmeline bankhurst) "الإتحاد الاجتماعي والسياسي للنساء" "U S P F" وقد اعتمدت عكس الأولى على الطرق العنيفة للمطالبة بالحقوق النسوية من وضع القنابل، الإضراب عن الطعام، حرق البنائات العامة

¹ - سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، تر: أحمد الشامي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2002، ص 40.

² - أعمار يجياوي، المرجع السابق، ص 28-29.

³ - سارة جامبل، المرجع السابق، ص 40، 518.

⁴ - قاسم أمين، المرأة الجديدة، المرجع السابق، ص 20.

وقد طالبت منذ البداية بمنح النساء حقهن في الانتخاب وإمكانية دخولهن المعترك السياسي معتبرة إقصاؤهن منه درياً من دروب الاستبداد لكن هذا الطريق الذي سلكته إيميلين جعل مصيرها يؤول إلى السجن.

وبرز في إيطاليا نوع من الاهتمام بحركة تحرير المرأة حيث ظهر في هذا المجال "الإتحاد النسائي من أجل الإقتراع" "U. F. É" والمجلس الوطني للنساء الإيطاليات "C. N. F. I" تحت رعاية كل من أدا قوييتي (Ada Gobetti) وإما ميزاموتي (Emma Mezzamoti) وقد كان لهاتين الحركتين نشاط مؤثر في ميدان الدفاع عن المرأة لكن تقلص نشاطهما إثر مجيء الحكم الفاشي.¹

لم يكن النضال السياسي والنقابي الأسلوب الوحيد الذي اعتمدت عليه الأوربيات للمطالبة بحقوقهن بل اتخذن من الكتابة والتأليف وسيلة من الوسائل المهمة التي احتجوا من خلالها على رفضهن لوضعية المرأة السائدة في أوروبا آنذاك ومن أهم تلك المؤلفات "إرتحالات امرأة منبوذة" "Pérégrinations d'une paria" عام 1838 لمؤلفته فلورات تريستان (Flore Tristan) و"مذكرات حية ميتة" "Mémoires morts vivants" لفليكتورين بروشييه (Victorine Broche) عام 1906.²

ولما كانت بعض الأوربيات تعتقدن بان حرية المرأة لن تتحقق إلا بعد أن تتحكم هذه الأخيرة في حياتها الجنسية فقد برزت عدة وجوه نسوية عالجت هذا الجانب، في مقدمتهم الكاتبة سيمون ذي بفوار (Simon de Beauvoir) والتي تعتبر من أهم الوجوه النسوية التي كتبت حول تلك القضية بتأليفها لكتاب عام 1949 عنونته ب"الجنس الآخر" "Le deuxième Sexe" دعت فيه إلى المساواة بين الجنسين، ذلك المطلب الذي أقرت بأنه لن يتحقق إلا إذا اعترف أحدهما بأنه شبيه بالآخر³، كما أنها أعطت المرأة الحرية المطلقة، ورفضت فكرة عدم نضالها من أجل حريتها وبالأخص حريتها الجنسية وقد وافقها في هذا التوجه كل من مرجريت دوراس (Marjurit) Duras وأنيس ناين (Anais Nain) ودرويس لوسينغ (Dorise Lessing) واللاتي لم تخرج كتابتهن عن تصوير المرأة الحرة، فمثلاً نجد أن دوريس لوسينغ تقوم في كتابها المشهور "الدفتر الذهبي" "Le carnet d'or" بالمطالبة بحرية النساء وبالخصوص الجنسية منها وقد ضم كتابها 590 صفحة وقد تلقته الصحافة العالمية بترحاب

¹ - أعمار يجياوي، المرجع السابق، ص 34-35.

² - رنا عبد الحميد سلمان الضمور، الرقيب وآليات التعبير في الرواية النسوية العربية، (رسالة دكتوراه، الدراسات الأدبية، إشراف الرواشدة سامح)، عمادة الدراسات العليا، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة 2009، ص 12.

³ - Simone de Beauvoir, **Le Deuxième Sexe II**, Paris, Gallimard, 1947, p327.

عظيم إلى درجة أن تم إدراج اسم مؤلفته ضمن قائمة المرشحين لجائزة نوبل للأدب كما قورن كتابها المذكور بكتاب سيمون بفوار "الجنس الآخر".¹

ولم تكن المؤلفات التي تدافع عن المرأة مؤلفة من طرف النساء فقط بل نجد أيضاً مطالبات من بعض الرجال لتحسين وضعية المرأة، كالفيلسوف جان ستوارت ميل الذي ألف سنة 1869 كتاب "استعباد النساء" "De L'Assujettissement des Femmes" والذي عرض فيه وضعية المزرية التي كانت تعيش فيها المرأة في أوروبا وندد بها، كما دعا إلى تحريرها من القيود التي فرضتها عليها العادات والتقاليد والقوانين المجحفة وطالب بمنحها جميع حقوقها الطبيعية والتشريعية كحقوق الزواج والملكية والتعليم وتولي الوظائف العامة وممارسة المهن وحق الاقتراع والتصويت، كما أنه برهن على مقدرتها في تقلد حكم البلاد وذكر بأن بعض النساء اللاتي حكمن وبالرغم من قلة الفرص المتاحة لهن إلا أنهن أثبتن كفاءة نادرة في تسيير الحكم واستدل على ذلك من السجل التاريخي الفرنسي وذكر بأن ملكين فرنسيين تركا دفة الأمور في حكم البلاد لامرأتين طواعية ولمدة سنوات الأول شارل الثامن (Charles VIII) والقديس لويس التاسع (Louis IX)³ وقد حكمت كلتا الأميرتين (شقيقة الأول وأم الثاني) بطريقة لا يكاد يضاهيها أمير آخر من معاصريهما، كما استدل أيضاً بالإمبراطور شارلمان (Charlemagne)⁴ أفضل أمراء

¹ - كمال نور الدين خندوري، مسألة المرأة في ضوء الصراع الفكري، الجزائر، الزيتونة للإعلام والنشر، 1989، ص ص 97-98.

² - شارل الثامن (Charles VIII) (1483-1498): هو ابن لويس الحادي عشر، خاض سلسلة طويلة من الحروب ضد إيطاليا (1494-1519)، كما عمد إلى توسيع نفوذ فرنسا إلى جبال الألب، قام بتوحيد فرنسا على أساس قيام الحكومة الملكية ذات السلطة المركزية. ينظر عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1992، ص ص 77-78.

³ - لويس التاسع (Louis IX) (1226-1280): يعرف بالقديس لويس، حكم فرنسا لمدة طويلة، تولى الحكم قاصراً فتولت أمه الأرملة بلانش Blanche زوجة الملك لويس الثامن Louis VIII الوصاية عليه إلى غاية سنة 1235 وخلال فترة حكمها نجحت في السياحة الداخلية والخارجية للبلاد كما نجحت في تربية ابنها، كان لويس التاسع محارباً وسياسياً مهنكاً نجح في تسيير بلاده كما نجح في الساحة الأوروبية أيضاً ما جعله يعرف باسم القديس، قاد حملتين صليبيتين الأولى إلى مصر والثانية إلى الشام لكنه فشل في كلا الحملتين، كما قاد حملة إلى تونس لكنه توفي عند وصوله إلى تونس حيث تم نقل جثمانه إلى فرنسا فيما بعد ذلك. ينظر محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1976، ص ص 221-222.

⁴ - شارلمان (Charlemagne) (728-814): ولد سنة 742 حكم الدولة الكارولنجية بعد وفاة أخيه، كان سياسياً بارعاً في شؤون الحكم والإدارة، نجح في القضاء على مملكة اللباردين في إيطاليا وهذا للحفاظ على أراضيها، قاد عام 776 حروب ضد السكسون والتي أخذت طابع الغارات وذلك للحفاظ على حدود أرضه، قاد سنة 775 حملة ضد إقليم واستفاليا كما قاد حملة إلى سرقسطة سنة 778، وحملتين ضد الأفار سنة 789 وسنة 796، واجه جميع المؤامرات التي كانت تحاك ضده، كما استطاع خلال

عصره من الناحية السياسية والذي كان لا يفضل الأمور الشخصية على مصالح الدولة قد قام بتنصيب أميرتين من عائلته على التوالي كحاكمتين على الأراضي المنخفضة وكانت إحداهما مارغريت (Margarete) النمساوية.¹ وهاجم في كتابه إخضاع أحد الجنسين للجنس الآخر على المستوى القانوني بحجة تفوق الرجل على المرأة واشتهر عنه أنه كان يشبه الزوجات اللاتي يعانين من القمع بالعبيد وناشد بالدعوة إلى إزالة كل العوائق التي تعترض المرأة في العمل والإرتقاء.²

2- بعض مكتسبات المرأة الأوروبية من حركة التحرر النسوية:

إن حصول النساء الأوروبيات على حقوقهن تطلب منهن خوض معركة دامت زهاء قرن تقريباً وقد تمكن من الوصول إلى بعض أهدافهن منذ القرن 19 لتبلغ أقصى مستوياتها في زمننا الحالي، أما فيما يتعلق بالحقوق المدنية فقد استطاعت النساء المشاركة في القطاعات الأكثر حيوية كالاقتصاد، كما أنهن تمكن من اقتحام الحياة المدرسية والجامعية فبرزت إلى الوجود مفكرات لامعات³ وذلك بعد أن تركزت اهتمامات المرأة في القرن التاسع عشر على المطالبة بفتح أبواب العلم والتحصيل العلمي، كما أدرك البعض بأن المرأة لن تسترد مكانتها إلا بفتح أبواب العلم لها وقد كانت البداية على يد فيكتور دوروي (Victor Darwin) الذي أنشأ المدارس الابتدائية عام 1850 ليتم بعد ذلك تعميم نشرها عام 1867 ونتيجة لتلك الجهود حصلت أول امرأة على شهادة الدكتوراه في الطب عام 1870 لكنها لم تجد لها نفعاً إلا بعد صدور القانون الذي سمح للمرأة بممارسة الطب عام 1892.⁴

أما بالنسبة للحقوق السياسية والتي يمكن اعتبارها قمة الحقوق ففيما يتعلق بحقوق المواطنة والمتمثلة في الحصول على حق الترشيح والانتخاب وتقلد الوظائف العامة فقد اعتبرت النساء النيوزيلنديات فاتحات الطريق لحصول النساء على حق التصويت أو الاقتراع والذي منحه عام 1893، إلا أنهن لم يحصلن على حق الترشيح إلا في عام 1919، كما أن النساء الفنلنديات حصلن على الحق في الاقتراع الشامل وعلى حق الترشيح في المجلس النيابي عام

ثلاثين عاماً من أن يمد أطراف دولته لتشمل جانباً كبيراً من أوروبا، وأن يوحد العالم المسيحي الغربي في دولة عظيمة ينظر نفس المرجع، ص 167-167.

¹ - John Stuart Mill, **De L'assujettissement des Femmes**, Paris, Éditions Avatar, 1992, p43.

² - سارة جامبل، المرجع السابق، ص 410.

³ - جيزيل حليمي، **النساء نصف العالم نصف الحكم**، تع: ترو عبد الوهاب، بيروت، لبنان، عويدات للنشر والطباعة، 1995، ص 35.

⁴ - غازي ربابعة، "دور المرأة في المشاركة السياسية"، مجلة المفكر، العدد 5، (د، ت)، ص 173.

1906، حيث أنه أثناء الانتخاب البرلماني الأول عام 1907 في فنلندا بلغ عدد النساء المنتخبات 19 امرأة من أصل 200 نائب ما يمكن تقديره ب 9.5 بالمائة، أما النساء الايسلانديات فقد حصلن على حق التصويت في الانتخابات البلدية عام 1908 وتمكن من تأسيس أحزاب سياسية نسوية أهمها "حزب النساء السياسي" والذي تمكن من إحراز بعض النجاح فيما بين عامي (1908-1926) وقد أثمرت جهوده في الفترة المذكورة على انتخاب بعض النساء في البرلمان والمجالس البلدية، أما النساء الألمانيات فقد حصلن على حق التصويت في 19 يناير 1919 وهي السنة التي وصلت فيها نسبة النساء المنتخبات في البرلمان إلى ثمانية بالمائة، أما بالنسبة للمرأة الإنجليزية فقد حصلت على حق التصويت عام 1928.¹

وكانت فرنسا متأخرة في منح حق الانتخاب للمرأة ولم تتمكن من الحصول عليه إلا بعد الحرب العالمية الأولى في عهد الجنرال دي غول (De Gaulle) بمقتضى الأمر المؤرخ في 21 أبريل 1944²، لتتحصل بعدها النساء الإيطاليات أيضاً على حق الانتخاب عامي 1945-1946.³

بعد ذكر سنوات حصول النساء على حقوقهن في الاقتراع والترشح في بعض البلدان الأوروبية فإن ما يمكن التنويه له هو أن فرنسا كانت في مؤخرة الدول التي اعترفت للمرأة بحقها في التصويت والترشح للانتخابات بالرغم من أن النسوة الفرنسيات كن في مقدمة المطالبات بمنح النساء جميع حقوقها وعلى الأخص حقوق المواطنة ودفعن في سبيل ذلك أثماناً باهضة.

أما على المستوى العملي فقد تمكن النساء من بلورة حقوقهن السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية وغيرها على المستوى الدولي وذلك في إطار منظمات دولية غير حكومية تهتم بالدفاع عن حقوق النساء وتناضل ضد كل أشكال التمييز تجاههن ولعل أهم هذه المنظمات "المجلس الدولي للنساء" "C. I. F" الذي تأسس بواشنطن سنة 1888 والذي كان يسعى إلى ترقية حقوق الإنسان والعمل على إزالة كل تمييز عن طريق تحقيق المساواة في المسؤوليات بين الجنسين في كل الميادين، كما أنها كانت تسعى لتحقيق التفاهم بين النساء وحثهن على أن يكن واعيات بمسؤولياتهن في المجتمع وفي كل المستويات ولعل أهمية تأسيس هكذا منظمات نسوية دولية تتجلى في إمكانية استشارتها من طرف المجلسين الاقتصادي والاجتماعي لمنظمة الأمم المتحدة في مجال النشاطات التي تدخل ضمن اختصاصه.⁴

¹ - حلبي جيزيل، المرجع السابق، ص ص 139 - 265.

² - أعرم يحيوي، المرجع السابق، ص 130.

³ - جيزيل حلبي، المرجع السابق، ص 133.

⁴ - أعرم يحيوي، المرجع السابق، ص ص 36 - 39.

وحرصت الأمم المتحدة منذ منتصف القرن الماضي على إقامة المؤتمرات وإصدار الإعلانات وتوقيع الاتفاقيات التي كانت تعمل على تأمين حقوق الأعضاء والتي تلزم بموجبها الدول الأعضاء في الأمم المتحدة على التوقيع عليها وتنفيذها وذلك بمعزل عن قوانين هذه الدول وتشريعاتها المختلفة بما فيها الدينية.¹

وبدأ الاهتمام الدولي بحقوق المرأة منذ تأسيس دستور الأمم المتحدة وميثاقها الذي أبرم بتاريخ 26 جوان 1945، والذي جاء ليقر مبدأ عدم التفرقة بين الناس بسبب الجنس، فقد ورد في نصوص مادتيه الأولى والثامنة بأن للرجال والنساء حقوقاً متساوية، ليبدأ بعد ذلك الاهتمام النظري بحقوق المرأة يتحول إلى أفعال وذلك منذ عام 1946 حيث تم تأسيس "لجنة مركز المرأة" "C.C.F".²

وفي عام 1948 صدر "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" "D. U. D. H" والذي أقر بالمساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة سواءً كانت مدنية أو سياسية، اقتصادية، اجتماعية والثقافية،³ لتقوم بعد ذلك الأمم المتحدة بتخصيص مؤتمرات واتفاقيات دولية تعنى بقضايا المرأة.⁴

وهكذا فإنه من خلال المسح ولو البسيط لحالة النساء الأوربيات نلاحظ أن ثورتهم التحررية كانت وليدة الوضعية المزرية التي كن يعشن فيها لسنين عديدة، ما جعلهن يضحمن من حجم المطالب التي كن يطالبن بها حيث وصلت مطامهن إلى درجة المغالاة والمطالبة بالمساواة التامة بين الرجال والنساء في جميع الحقوق والواجبات، ذلك المطلب الذي لا يمكن الوصول إليه وذلك نظراً للاختلافات الطبيعية بين الجنسين والتي بما يميز الذكر عن الأنثى، لكن على الرغم من ذلك وبغض النظر عن تعدد المؤاخذات التي أخذت حول حركتهن ورغم اعتراضها للعديد من العوائق كمحاولة استغلالها من طرف العديد من الاتجاهات لكنها تمكنت من إخراج المرأة الأوربية من الواقع المزري والمتردى التي كانت تعيش فيه لسنين عديدة.

¹ - القاطرجي نهي، "قراءة اسلامية في اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (Cedaw) دراسة حالة لبنان"، مؤتمر أحكام الأسرة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقيات والإعلانات الدولية، مصر، من 7 إلى 9 أكتوبر 2008، ص2.

² - نفس المرجع، ص2.

³ - Nations Unies. **Déclaration universelle des droits de l'homme** : adoptée et proclamée par l'Assemblée générale des Nations Unies le 10 décembre 1948 : texte définitif. 1949, pp1-13.

⁴ - القاطرجي نهي، المرجع السابق، ص2.

ثانياً: وضعية المرأة الأوربية في الجزائر

قبل التعرض للأدوار المهمة للمرأة الأوربية في السياسة الاستعمارية الفرنسية لابد من إلقاء الضوء على الواقع الذي كانت تعيشه في الجزائر عن طريق تتبع مسيرة توافدها لهذه المستعمرة وكذلك توضيح الصورة التي كانت عليها للتمكن من معرفة الدور الذي كانت تقوم به وكيف تمكن الفرنسيون من الاستفادة من وجودها بالجزائر؟

1-الوضعية الاجتماعية والثقافية للمرأة المستعمرة بالجزائر:

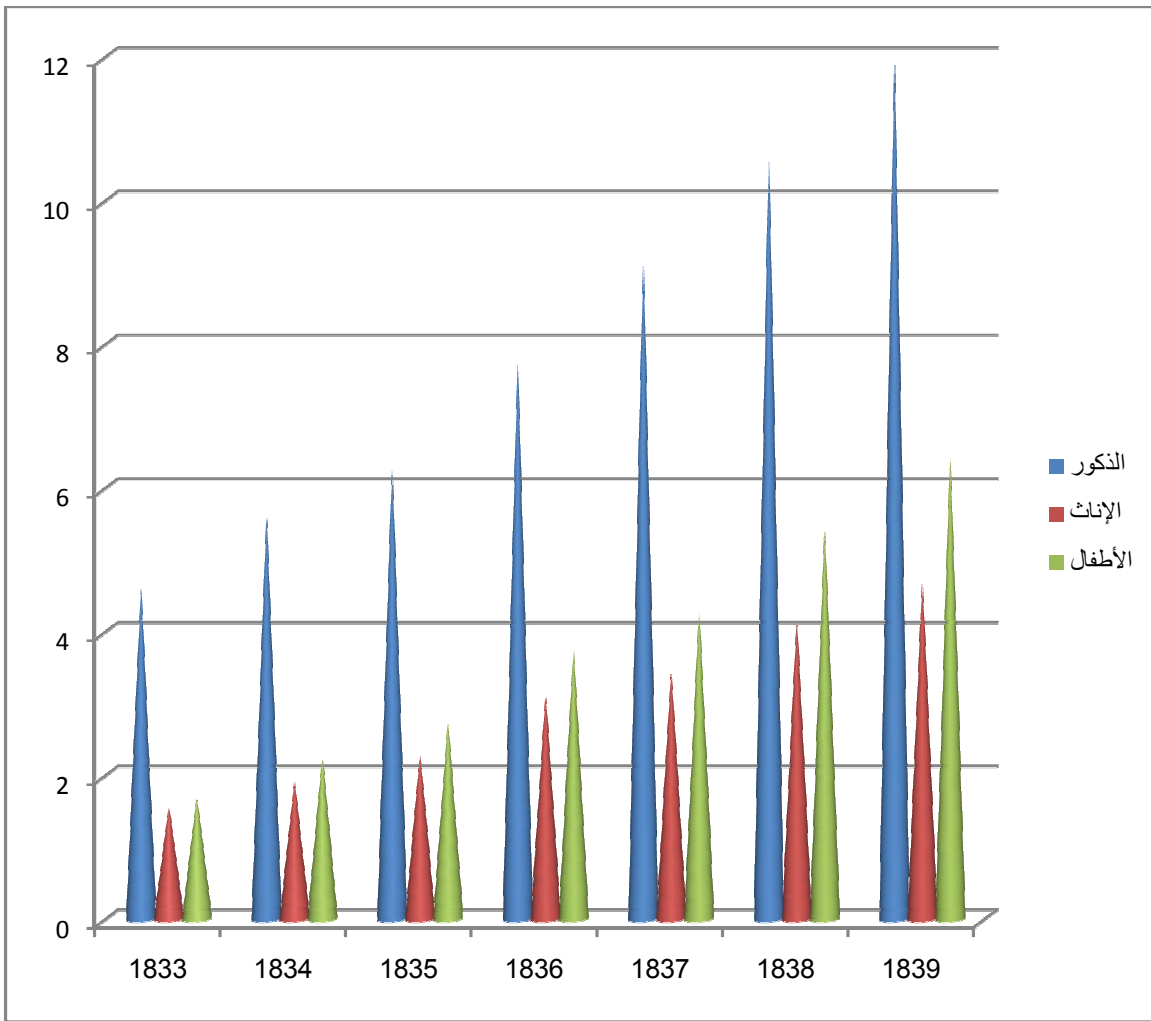
عند دخول القوات الفرنسية إلى الجزائر عام 1830 لم يكن هناك فرصة لمشاركة المرأة الأوربية في هذا المشروع لكن مع تضاعف فرص النجاح أصبح توافدها إلى الجزائر ملمحاً أبرزه قدوم العديد من الأسر الأوربية والتي تشكل النساء فيها عضواً رئيسياً، ففي سنة 1832 قدمت للجزائر سفينة تحمل 75 عائلة من أصل ألماني وسويسري تم تقسيمهم من طرف السلطات الاستعمارية إلى مجموعتين المجموعة الأولى تكونت من 50 عائلة أقامت في دالي براهيم والمجموعة الثانية تكونت من 25 عائلة أقامت في القبة.¹

وفي سنة 1871 استقرت بالجزائر 1183 عائلة من الألاس واللورين، أما في عام 1878 فقد استقر في الجزائر حوالي 5000 عائلة من الفرنسيين والأوربيين المجنسين²، ومنه يمكننا القول بأن المرأة الأوربية كانت حاضرة في الجزائر مند بدايات الاحتلال الفرنسي وقد كانت في بعض الأحيان تهاجر نحو الجزائر بمفردها وغالباً ما كانت تصاحب الرجال، أما فيما يتعلق بنسب النساء الأوربيات المهاجرات نحو الجزائر فقد كن ولفترة طويلة دائماً أقل عدداً من المهاجرين لكنهن كن أكثر استقراراً من الرجال الذين قدم أغلبهم رغبة في الإثراء أو الحصول على العمل وسرعان ما عاد معظمهم في وقت لاحق إلى مواطنهم الأصلية، أما بخصوص النساء فقد كان احتمال بقاءهن واستقرارهن في الجزائر كبيراً مقارنة مع الرجال وذلك على اعتبار أن معظمهن قدمن الجزائر رفقة أسرهن والتي كانت أغلبها تنوي الاستقرار بالجزائر.³

¹ - صالح عباد ، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870-1900، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1984، ص8.
² - كمال كاتب، أورييون أهالي ويهود بالجزائر 1830-1962 تمثيل وحقائق السكان، الجزائر، دار المعرفة، 2011، ص 238-239.

³ - Claudine Robert-Guiard, **Des Européennes En Situation Coloniale Algérie** - 1830-1939, Presses universitaires de Provence, Aix-en-Provence, 2009, pp309-315.

ولقد تعددت العوامل والأسباب التي ساهمت في انخفاض هجرة النساء الأوربيات نحو الجزائر تأتي في مقدمتها تخوف الفرنسيين من تعرضهن للخطر وعدم قدرتهن على الصمود في وجه المناخ ومقاومته¹، لكن سرعان ما شهد النمو السكاني للنساء الأوربيات ارتفاعاً مطرداً بعد أن شرعت سلطات الاحتلال في بناء قاعدة ديموغرافية وذلك عن طريق تدعيم قواتها العسكرية من خلال فتح باب الاستيطان واسعاً لمختلف العناصر الأوربية بما فيها الفئة النسوية، غير أن السمة البارزة التي أخذتها هجرتهم نحو الجزائر بداية الاحتلال هو الانخفاض فمنذ سنة 1833 كانت نسبة النساء الأوربيات لا تتناسب مع نسبة الرجال وهو الأمر الذي أوضحته إحصائيات السنوات (1833-1839) والمصنفة حسب الجنس والعمر على النحو التالي:²



Benjamin Gastineau, **Ies Femmes et les Mœurs de l'Algérie**, Paris, Ietzel -¹
librairie de Michel lévy, 1861, p6.

Boude Jean Jacques, **L'Algérie, Meline cans et Compagnie**, Bruxelles et -²
Leipzig, Meline, cans et compagnie, 1841, p110.

توضح المعطيات التالية الارتفاع المتزايد للتوافد الأوربي نحو الجزائر مع تقدم السنوات عند كل الفئات، كما نلاحظ العلاقة الطردية والمتقاربة بين نسبة كل من النساء والأطفال حيث أنه كلما ارتفعت نسبة الإناث ارتفع عدد الأطفال أو ولادات الأوربيين بالجزائر وهذا يعتبر نتيجة حتمية لتلك العلاقة، وبالتالي يمكن القول بأن الحركة الاستيطانية النسوية بالجزائر لم تخرج من الإطار العام لحركة الاستيطان بصفة عامة، حيث نلاحظ تزايد التعداد النسوي من سنة إلى أخرى وذلك نتيجة حصولهن على المساعدة المادية والتشجيع من طرف سلطات الاحتلال وهذا بغرض جذبهن نحو مستعمرة الجزائر ولا شك في أنهن استفدن -وذلك باعتبارهن جزء من النخب الاحتلالية الوافدة إلى الجزائر- من المراسيم والمشاريع المغربية التي كانت تصدرها السلطات الفرنسية من فترة إلى أخرى كالمرسوم الذي أصدره الملك لويس فيليب (Louis- Philippe) في 22 جويلية 1834 والذي أصبحت الجزائر من خلاله جزء من الممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا،¹ ذلك المرسوم الذي صاحبه حركة استيطانية كبيرة شملت الفئة النسوية أيضاً، والمشروع الذي تم إنشاؤه بتوسط من المارشال (كلوزيل Clauzel)² سنة 1836، والذي كان عبارة عن أول مركز استعماري تم تأسيسه في منطقة بوفاريك وكان يهدف إلى توزيع 173 قطعة ترابية على 100 عائلة فرنسية فقيرة، كما لا يمكن إغفال العامل الأمني والذي يعتبر من العوامل المهمة التي ساهمت في ارتفاع الاستيطان النسوي بالجزائر خاصة بداية الاحتلال، ولتحقيقه قامت سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر بتدعيم قواتها العسكرية من فترة إلى أخرى كما قامت بإدخال مراكز الاستعمار التي تستقبل عائلات المعمرين في نظام عسكري أعده الكونت غويو (Goyo).³

ويظهر التفاوت بين جنسي الذكور والإناث الأوربيين جلياً أيضاً في الإحصائيات المتعلقة بالمدن التي كانت تستقطب العناصر الأوربية القادمة للجزائر خلال الفترة المذكورة آنفاً 1833-1839:⁴

¹ - شارل روبر أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، ط1، بيروت، منشورات عويدات، 1982، ص21.

² - كلوزيل برتران (Bertrand Clauzel) (1773-1842): سياسي وضابط فرنسي تخرج من المدرسة الفرنسية برتبة ملازم سنة 1791 تم برتبة نقيب سنة 1792 وجنرالاً سنة 1807، من أنصار نابليون الأول، لجأ إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1814، عاد إلى فرنسا سنة 1820، شارك في ثورة جويلية 1830 بفرنسا، تلقى أمراً من لويس فيليب بقيادة الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر بعد الكونت دي برمون، تمكن من احتلال البلدية والمدية بتاريخ 1830/11/26، استدعي إلى فرنسا سنة 1831 عين حاكماً عاماً على الجزائر 1832-1836، وتمكن من احتلال معسكر سنة 1836 وانهمز في معركة قسنطينة في نفس السنة. ينظر عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، الجزائر، منشورات وزارة المجاهدين، 2008، ج2، ص492.

³ - كمال كاتب، المرجع السابق، صص 130-132.

⁴ - Boude Jean Jacques, op, cit, p118.

المدن	الذكور	الإناث
الجزائر	7.064	2.848
وهران	2.557	1.104
بونة	2.045	552
بجاية	130	84
مستغانم	172	67

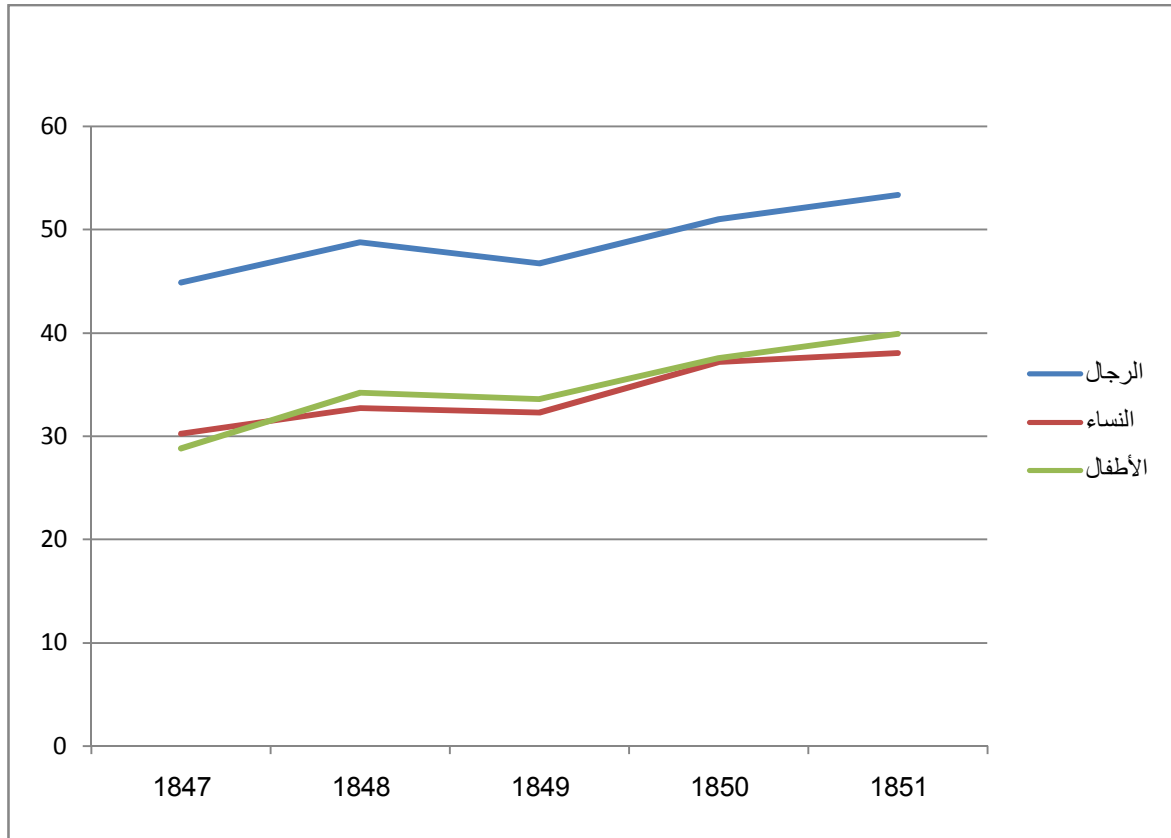
نلاحظ من خلال هذه المعطيات بأن المستوطنين الأوربيين استقروا بالمدن الكبرى أكثر من غيرها وذلك لأن الحركة الاستيطانية الأوربية بما فيها النسوية قد واكبت مرحلتين من مراحل الاحتلال: مرحلة الاحتلال الضيق حيث انحصر الاستيطان تقريباً في المناطق الشمالية، لكن تخوف فرنسا من تنامي قوة الأمير عبد القادر وإجبارها على الاعتراف بحدود نفوذه، جعلها تعيد النظر في سياستها الاستيطانية وذلك عن طريق انتهاج سياسة احتلالية جديدة وهذا من خلال إتباعها لسياسة الاحتلال الشامل والذي ساهم بشكل كبير في انتشار حركة الاستيطان في باقي المدن الجزائرية¹، كما نلاحظ بأن مدينتي بجاية وعنابة أكثر المدن استقطاباً للعنصر النسوي وذلك على اعتبارهما من المدن الساحلية الأقرب للعديد من الدول الأوربية التي عرف سكانها هجرة نحو الجزائر كالأيطاليين والمالطيين الذين كانوا يتمركزون في الساحل الشرقي أكثر من غيره.²

واستمرت العلاقة المتفاوتة بين نسبة الذكور والنساء الفرنسيين إلى أواخر القرن 19 وهو ما توضحه المعطيات بعض الإحصاءات التي قدمها طبيب في مستشفى قسنطينة وهو الدكتور رني ريكو (Ricoux Rene):³

¹ - صالح فركوس وآخرون، التشريعات المنظمة للاستيطان الاستعماري في الجزائر وآثارها على المجتمع الجزائري، مشروع بحث في إطار البرنامج الوطني للبحث (PNR)، مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية، جامعة 8 ماي 1945 بقالة، 2010، ص8.

² - كمال كاتب، المرجع السابق، ص55.

³ - Rene Ricoux, **la Demographie Figurée de l'Algérie: Etude Statistique des Population Européennes Habitent l'Algérie**, Paris, G.Masson éditeur, 1880, p18.



تظهر لنا المعطيات السابقة صفة بارزة وهو ارتفاع نسبة الذكور الأوربيين مقارنة بالنساء الأوربيات وذلك على اعتبار أن النساء كن أقل توافداً نحو الجزائر بداية الاحتلال، كما يوضح لنا الجدول ارتفاع التوافد الأوربي نحو الجزائر لدى كل الفئات سنة 1848 وذلك لأنه بعد الانتصار على الأمير عبد القادر اندلعت ثورة 1848 في فرنسا والتي كان من نتائجها سقوط لويس فيليب في نوفمبر 1948 وقيام الجمهورية الثانية وانتخاب لويس بونابرت (Louis Bonaparte) رئيساً لها في 10 ديسمبر من نفس السنة، ولما كان جمهوريو تلك الفترة من أكثر أنصار الغزو والاستيطان فقد قاموا على إثر قيام عدد كبير من العمال الباريسيين باحتجاجات على البطالة شهر جوان 1848 بإرسال عدد كبير منهم ومن المواطنين الباريسيين إلى الجزائر، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع تعداد المستوطنين والمستوطنات الفلاحية الفرنسية التي أقيمت في الجزائر¹، لكن سرعان ما انخفضت نسب توافد الأوربيين نحو مستعمرة الجزائر سنة 1849 غير أن ذلك الانخفاض قد مس فئة الذكور أكثر من فئة النساء والأطفال وقد أرجع ريني ريكو

¹ - صالح فركوس وآخرون، المرجع السابق، ص ص 39-40.

هذا الانخفاض إلى انتشار وباء الكوليرا في الجزائر والذي مس على وجه الحصر تقريباً الرجال وإلى حد أقل فئة النساء والأطفال¹.

وفي هذا نجد كل من طبيب المستشفى العسكري بالجزائر الدكتور أ. فنسنت (A. Vinicet) والطبيب المساعد بمستشفى الجزائر المدني ف. كوليردت (V. Kollardot) قد قاما بدراسة حول وباء الكوليرا في الجزائر خلال 1835-1865، نوها فيها بأن الوفاة بهذا المرض سنة 1849 قد مست فئة الذكور أكثر من الإناث وهذا في كل من المستشفى العسكري والمدني بالجزائر من خلال الإحصائيات التالية:²

الجنسية	عدد الوفيات	الجنس
الفرنسيين	111	ذكور
الأجانب	72	139
	19	
الأهالي		إناث
		65

كما يمكن اعتبار عجز السلطات الفرنسية بالجزائر في تزويد القادمين الجدد بالمساعدات المادية التي كانوا يتوقعونها عامل مهم ساهم في انخفاض وتيرة الهجرة الأوربية نحو الجزائر وذلك على الرغم من الجهود المبذولة من قبل الإدارة الفرنسية وذلك لجذب المستوطنين الأوربيين نحو مستعمرة الجزائر.³

وفي المقابل شهدت نسبة المهاجرين الأوربيين نحو الجزائر ارتفاعاً وهذا على مستوى مختلف الأجناس بداية من خمسينيات القرن 19 والذي ساهمت فيه العديد من العوامل منها تشجيع الإدارة الفرنسية للدعاية التي كانت تروج للهجرة إلى الجزائر بل وقيامها بتمويل بعض المشاريع التي كانت تدعوا لذلك على سبيل المثال ذليل قام بنشره البارون ويبر (Weber) بعنوان "الجزائر والمهاجرون" وكتب نشر في عام 1855 في ألمانيا كتبه دي بوفري (De Buvry) وهو عضو في الجمعية المركزية للهجرة والاستعمار في برلين بعنوان "الجزائر ومستقبلها تحت الحكم الفرنسي".⁴

¹ - Rene Ricoux, op, cit, p18.

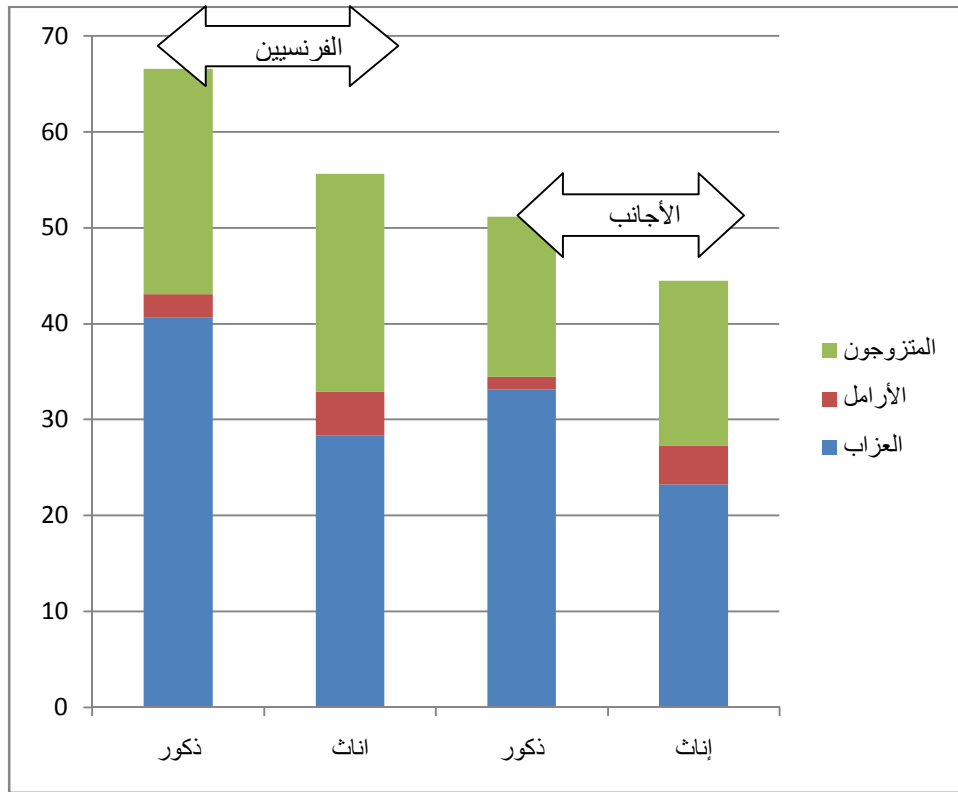
² - A. Vincent, V. collardot, **Le Choléra D'après Les Neuf Épidémies qui ont Régné À Alger, depuis 1835 jusqu'en 1865**, Paris, Librairie de la Médecine, de la Chirurgie et de la Pharmacie Militaires, 1867, p49.

³ - Temime Emile, " La migration européenne en Algérie au XIXe siècle : migration organisée ou migration tolérée", **Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée**, n°43, 1987, p33.

⁴ - Ibid, p35.

هذا بالإضافة إلى التدابير المتخذة من طرف فرنسا وذلك للحد من المناورات الاحتياالية الممارسة من قبل بعض وكالات الهجرة الخاصة وذلك في سبيل تشجيع الهجرة الأوربية نحو الجزائر خاصة من سويسرا وألمانيا منها: تحديد مبلغ الهجرة نحو مستعمرة الجزائر من طرف وزير الحرب دي كوستانزو (Costanza) بمائة فرنك سويسري للفرد الواحد وأربعمائة فرنك للأسرة مع ضمان حرية المرور بين مرسيليا والجزائر للمهاجرين وعائلاتهم على متن شركات الشحن المعتمدة من قبل الدولة الفرنسية، هذا بالإضافة إلى إصدار قانون سنة 1855 الذي وضع النظام الأساسي لوكالات الهجرة الخاصة والمتمثل في إلزامية الحصول على إذن مسبق من الحكومة الفرنسية وفرض دفع سندات تأمين مرتفعة على هذه الوكالات الأمر الذي يظهر لنا بوضوح رغبة السلطات الفرنسية في السيطرة على جميع عمليات الهجرة إلى الجزائر.¹

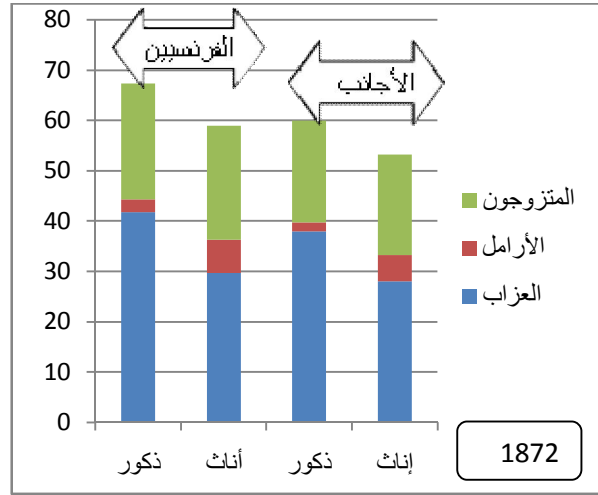
وأوضحت إحصائيات توزيع السكان الأوربيين حسب الجنس والجنسية والحالة المدنية في الفترة ما بين 1866-1872 استمرار ارتفاع نسبة الذكور مقارنة بالإناث بالرغم من ارتفاع نسبة الوفيات لدي الذكور لأسباب منها الأوبئة والحروب وهذا ما توضحه المعطيات التالية:²



1 Temime Emile, op, cit, pp34-35

V. Demontes, **Le Peuple Algérien Essais De Démographie Algérienne**, 1866

Alger, Imprimerie Algérienne, 1906, p63.



نلاحظ من خلال المعطيات الواردة تفوق فئة الذكور على فئة الإناث سواء لدى الفرنسيين أو الأجانب وفي كلا السنتين، أما بخصوص الفئة النسوية فنلاحظازدياداً طفيفاً لكل من العازبات والمتزوجات سنة 1872 مقارنة بسنة 1866 بينما تعرف نسبة الترميل لدى الفئة النسوية ارتفاعاً ملحوظاً عند كل من الفرنسيين والأجانب سنة 1872، وهذا يبدو أمراً عادياً نتيجة انتفاضة 1871-1872 -الشيخ المقراني والحداد - التي قتل فيها العديد من المستوطنين الأوروبيين¹، كما أن بعض المهاجرين خاصة القادمين من شمال أوروبا (الألمان والسويسريون) لم يعتادوا على الظروف المناخية القاسية خاصة درجات الحرارة المرتفعة في الصيف، بالإضافة إلى أنهم لم يتمتعوا بحماية كافية في الثكنات المتاحة لهم ما جعلهم عرضة للعديد من الأمراض القاتلة كمرض الملايا الأمر الذي ساهم في ارتفاع نسبة الوفيات بين أوساطهم وقد قدرت نسبة الوفيات بين السكان الألمان خلال الفترة 1853-1876 ما يقارب 40 لكل 1000 شخص وهو معدل أعلى من معدل الوفيات في أوساط الفرنسيين.²

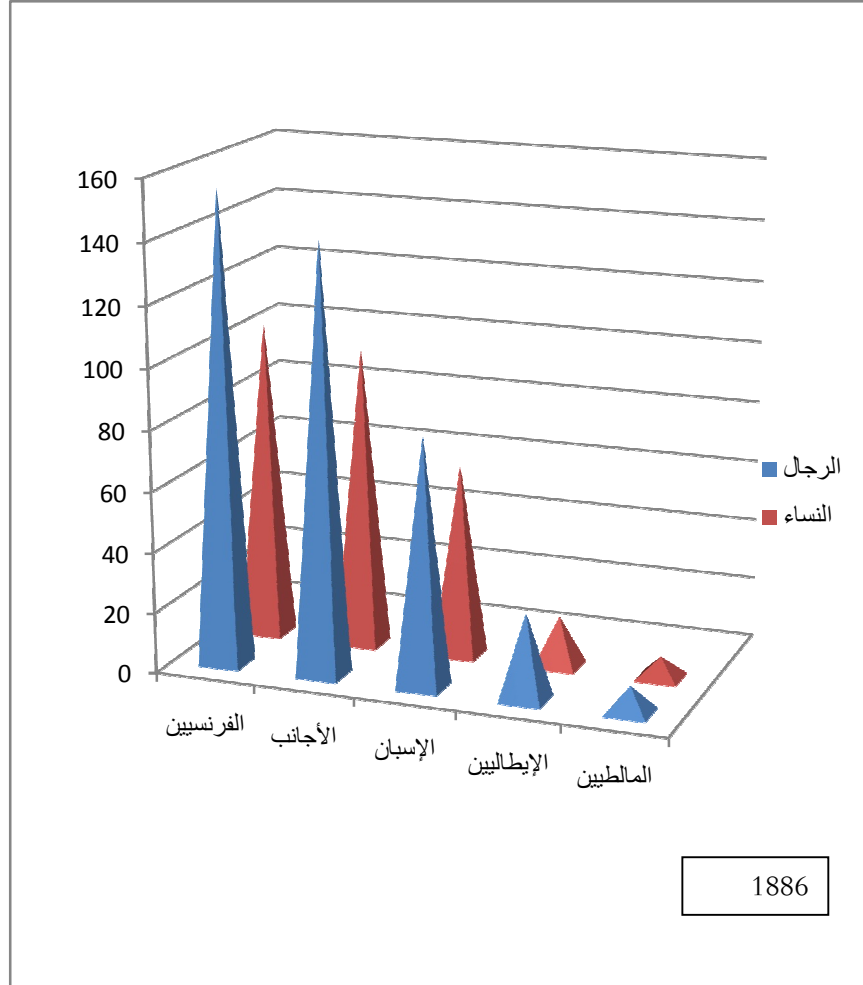
أما بخصوص الزيادة التي عرفتتها مختلف الفئات الأوروبية سنة 1872 يتم إرجاعها إلى توسع مصالح الأملاك العقارية للمستعمرين إثر انتفاضة 1871 وحجز الأراضي التابعة للعشائر التي تسببت في الانتفاضة حيث قامت سلطات الاحتلال على إثر ذلك بمنح 100000 هكتار من خيرة الأراضي إلى الوافدين من الألزاس واللورين اللذين رفضوا الاحتلال الألماني بعد هزيمة سيدان- الحرب الفرنسية البروسية التي نتج عنها إلحاق منطقة الألزاس واللورين بألمانيا- واستقروا بالجزائر، ولما كان أغلبهم من التجار والصناع والعمال فقد فشلوا في أعمالهم الفلاحية وقد بلغ

¹ V. Demontes, op, cit, p 63.

² Temime Emile, op, cit, p36.

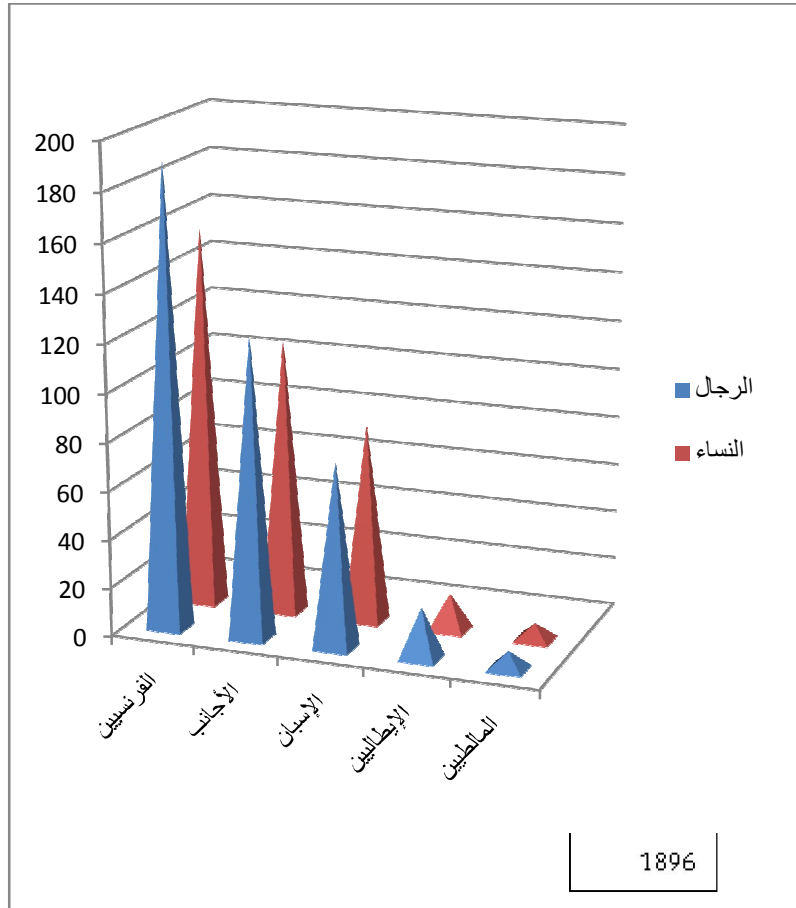
عدد 1183 عائلة لكن سرعان ما غادر معظمهم الجزائر بعد فشلهم في استثمار تلك الأراضي ولم يتبق منهم سوى 387 عائلة.¹

أما في الفترة ما بين 1886-1896 فقد بقيت التركيبة السكانية الأوربية في الجزائر على حالتها وهذا فيما يتعلق بالجنس (ذكور، إناث) والتي تميزت بتفوق نسبة الذكور على الإناث وهو ما يؤكد توزيع السكان الأوربيين في المدن الكبرى حسب الجنسية والجنس 1886-1896:²



¹ - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 31.

² - V. Demontes, op, cit, 65.



من خلال المعطيات نلاحظ أنه في عام 1886 كان عدد الرجال الفرنسيون والأجانب بمختلف جنسياتهم 296.498 ، أما في عام 1896 فيزداد عددهم إلى 313.998 وبالتالي فإن مقدار الزيادة يقدر ب 17500 أما بالنسبة لفئة الإناث فقد كان مجموع الفرنسيين منهم والأجانب بصفة عامة يقدر ب203155، أما في عام 1896 فيزداد إلى 270.010 ، وبالتالي فإن مقدار الزيادة يقدر ب1.66.855¹.

وكان الفرق بين الجنسين في عام 1886 هو 93.343، أما في سنة 1896 فقد انخفض إلى 43.983، وبالتالي ففي سنة 1886 كان في الجزائر 145 رجلا مقابل 100 امرأة وفي سنة 1896 كان 116 رجل مقابل 100 امرأة، هذا الفرق الهائل بين عدد الرجال والنساء عام 1886 والبالغ 93.343 لصالح جنس الذكور ويمكن إرجاعه في هذه السنة إلى الهجرة الأجنبية التي حدثت قبل بضع سنوات نحو الجزائر، حيث كان الرجال أكثر الوافدين الذين كانوا يعملون في مواقع البناء الكبيرة وفي المزارع، ما ساعدهم على تأسيس أسر لهم فتزوج أغلبهم في بلاده الأصلية وأحضروا زوجاتهم معهم إلى الجزائر، كما أظهرت إحصائيات 1886-1896 انخفاضاً في عدد الرجال الأجانب من مختلف الجنسيات بينما حصل العكس بالنسبة لنسب النساء الذي عرف تزايداً خاصة الفرنسيات منهن

¹ - V. Demontes, op, cit, p66.

والأجنبيات من الجنسيات الأخرى والذي كان بسبب مغادرة العديد من العمال الأجانب العزاب الجزائر عندما توقفت مختلف الأشغال العامة التي كانوا يعملون بها، بينما بقي المتزوجين من الأجانب والفرنسيين، كما أنه يوجد سبب آخر لاجتياح الجنسين نحو التساوي عددياً وهو معدل الوفيات لدى الرجال وذلك لأن هذه الفئة أكثر عرضة للموت من النساء وذلك نتيجة لطبيعة مهنتهم، كما أن الاختلاف الطفيف بين الجنسين وارتفاع نسبة الذكور راجع إلى بقاء بعض العمال العازبين في الجزائر.¹

أما فيما يتعلق بالنساء فنلاحظ ارتفاع لنسب النساء الفرنسيات والأسبانيات ما بين 1886-1896، بينما نلاحظ على العموم انخفاض في نسب النساء من مختلف الجنسيات، وإن ارتفاع نسب تزايد النساء الفرنسيات أمر طبيعي لكن الأمر الملفت هو ارتفاع نسب توافد الاسبانيات والذي ساهمت فيه بعض العوامل لعل أهمها الأزمات السياسية بالإضافة إلى الأزمات الاقتصادية التي كانت تتخبط فيها شبه الجزيرة الأيبيرية وبالخصوص سنوات 1847-1848-1857-1868-1869،² ما أضرهن مثلهم مثل الرجال إلى مغادرة إسبانيا نحو الجزائر والاستقرار بمدنها الكبرى وكان أغلبهن يقمن بالعمل في المصانع، كما أنهن احتكرن في البداية وظائف الخدم لدى العائلات البورجوازية.³

ومع بداية القرن العشرين عرفت تلك النسب تحولاً جذرياً حيث استقر بالجزائر نصف مليون أوروبي أي ما يشكل حوالي 12 بالمائة من مجموع السكان، وقد شكلت الفئة النسوية أغلبهم،⁴ كما أنه في سنة 1936 أصبح الرجال لا يشكلون الأغلبية حيث عد 97 رجلا ل 100 امرأة، وفي إحصاءات 1948 و 1954 استمرت نسبة الذكور في التناقص حيث كان 92 رجلا ل 100 امرأة.⁵

وقد تعددت العوامل التي ساهمت في ارتفاع نسبة التواجد النسوي الأوربي في الجزائر مقارنة بالذكور خلال القرن العشرين، منها انخفاض نسبة الوفيات بالنسبة للإناث الأوربيات لدى مختلف الفئات العمرية وهو الأمر الذي

¹ - V. Demontes, op, cit, p 66.

² - كمال كاتب، المرجع السابق، ص 56.

³ - V. Demontes, op, cit, p67.

⁴ - Kenneth J. Perkins, "Two Ladies of Colonial Algeria: The Lives and Times of Aurelie Picard and Isabelle Eberhardtby Ursula Kingsmill Hart", **The International Journal of African Historical Studies**, N 2, 1988 , pp345- 346.

⁵ - كمال كاتب، المرجع السابق، ص 383.

أوضحته الإحصائيات التي قام بها ه. بول بخصوص وفيات الأوربيين في المناطق الشمالية لـ 10000 ساكن من كل عمر خلال الفترة فيما بين 1911-1913:¹

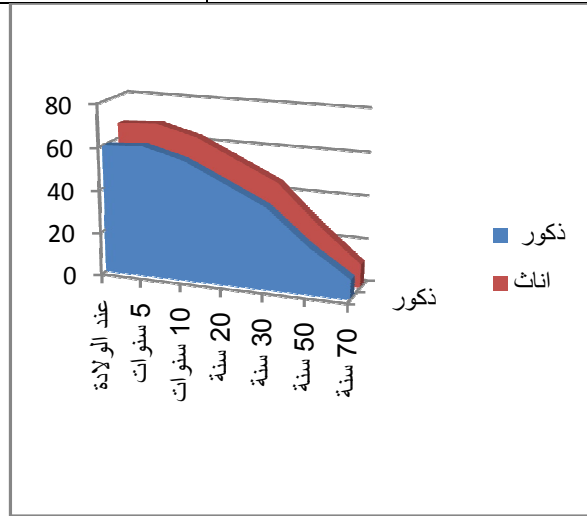
مجموع الأعمار	ذكر	أنثى
أقل من سنة	1516	1330
من 1 إلى 4 سنوات	372	242
من 5 إلى 9 سنوات	39	41
من 10 إلى 14 سنة	28	27
من 15 إلى 19 سنة	45	37
من 20 إلى 24 سنة	97	59
من 25 إلى 29 سنة	79	76
من 30 إلى 39 سنة	97	74
من 40 إلى 49 سنة	155	92
من 50 إلى 59 سنة	282	149
من 60 إلى 69 سنة	504	354
من 70 إلى 79 سنة	1010	907
من 80 إلى 89 سنة	1950	1635
من 90 إلى 99 سنة	2548	4102
100 سنة فأكثر	4167	4000

كما يمكننا إرجاع ارتفاع التواجد النسوي الأوربي بالجزائر مقارنة بالرجال لعدة عوامل لعل أهمها طول الأمل في الحياة للنساء مقارنة بالرجال وهو الأمر الذي أوضحته إحصائيات ج. بول (J.paul) حيث نجد أن طول الأمل في الحياة عند الولادة يقدر بـ 67 سنة بالنسبة للنساء و 60 سنة بالنسبة للرجال ومنه فإن الفارق بين النساء والرجال الأوربيين يقدر بـ 7 سنوات هذا الفارق الذي يتناقض مع زيادة الأعمار بالنسبة للجنسين فبعد 50 سنة تتقارب نسبة الآمال في الحياة بين الذكور والنساء الأوربيات وهو ما يوضحه جدول الأمل في الحياة عند الأوربيين عبر مختلف الأعمار في سنوات (1948-1951) التالي:²

¹ - كمال كاتب ، المرجع السابق ، ص 486.

² - نفس المرجع ، ص 394.

السن	ذكور	إناث
عند الولادة	60	67
5 سنوات	61	68
10 سنوات	56	63
20 سنة	47	54
30 سنة	38	45
50 سنة	22	27
70 سنة	9	11



ويمكننا تصنيف النساء الأوربيات اللاتي أقمن بالجزائر إلى مجموعتين فرنسيات من فرنسا وأوربيات من مختلف الجنسيات من أصول إسبانية، إيطالية، ألمانية قدمن الجزائر منذ بداية الاحتلال وقد ازداد توافدهن حين تم تعزيز سياسة الاستيطان في الجزائر، أما بالنسبة لفرنسيات الجزائر فيمكن تصنيفهن إلى فرنسيات فرنسا وهن اللاتي قدمن من فرنسا وفرنسيات الجزائر وهن نساء ولد أغلبهن بالجزائر وعاش أهلهم بالجزائر وبالتالي فهن يتميزن بالتجدر في الجزائر ولا يغادرنها إلى فرنسا إلا لأيام معدودة وقصيرة.¹

وقد رحبت الإدارة الفرنسية بالجزائر بالنساء الأوربيات على اختلاف مشاربهن وثقافتهن، فهن إما مثقفات محاميات أو صحفيات أو زوجات متصرفين إداريين أو معلمات أو قضاة أو كاتبات أو مغامرات... إلخ² وفي هذا نجد الجنرال بوجو (Bugeaud) قد أعلن سنة 1842 بأن استعمار الجزائر سيفشل بدون وجود نساء أوربيات،

¹ - مسعودة يجياوي مرابط ، المجتمع المسلم والجماعات الأوربية في جزائر القرن العشرين حقائق وإيديولوجيات وأساطير ونمطيات تر: مجّد المعراجي ، الجزائر، دار هومة، مج 2، 2010 ، ص 539.

² - نفس المرجع، مج 1، ص 62-63.

كما عمل خلفاؤه على تشجيع الهجرة العائلية وكان السبب المعلن في ذلك أن الرجال الأوربيين لا يمكنهم البقاء بلون نساء في بلد غدا فيه التواصل مع النساء المسلمات أمراً بالغ الصعوبة بسبب تعاليم الشريعة الإسلامية، في حين لا يمكن نفي الأسباب العسكرية والعنصرية التي قادت إلى هذا الاختيار حيث أن الحكومة الفرنسية في الوقت نفسه أرادت تجنب الحد من الاتصالات أو الزيجات مع النساء المسلمات.¹

واستقرت بعض النساء الأوربيات بالمدن كما عاشت بعضهن بالريف الجزائري بصفتهم زوجات لمستوطنين أو مزارعات ونادراً ما كن يرأس المزارع وقد شهدت الأجيال الأولى من المهاجرين رجالاً ونساءً ظروفًا صعبة في قرى الاستيطان، ففي سنة 1848 و 1849 وفي وقت لاحق من سنة 1871 لم يتم بناء المنازل الموعودة لهم إلا بعد أشهر، الأمر الذي اضطرهم بالسكن هم وعائلاتهم بالخيام، تم انتقلوا للسكن في منازل خشبية شملت العديد من العائلات وقد كانوا يواجهون العديد من المخاطر كهجمات القبائل الثائرة والحيوانات المفترسة، وقد اضطرت النساء أيضا إلى مواجهة التحرش الجنسي من طرف بعض الجنود المسؤولين عن إدارة قرى الاستعمار الأولى، أما عن مساهمة المرأة لأوربية الريفية في تنمية الأراضي فلم يكن معترفاً به في تقارير مفتشي مراكز الاستيطان ولا يشار إليه إلا بشكل غير مباشر.²

وطوال القرن 19 تكلفت نساء الريف بالمهام المنزلية بالكامل كالخياطة والطهي والكي والغسيل كما أن الحكومة كانت تعتمد عليهن للقيام بالعديد من الأعمال الزراعية كتنظيف الأسطبلات والاعتناء بالأبقار، ما جعلن يعشن حياة أصعب مما كانت عليه في فرنسا، وفي ذلك ذكرت زوجة أحد المستوطنين الأوربيين بالجزائر بأنها كانت منذ عام 1871 تستيقظ باكراً وتترك أطفالها في رعاية المسنين وتذهب مع زوجها للعمل بالحقل والقيام بتنقية الأرض أو زراعتها أو حصادها إلى غير ذلك من المهام التي كانت تمارسها، وفي أفضل الحالات كانت المرأة مسؤولة عن جلب الماء في أوقات الجفاف وجمع الخشب وتقطيعه.³

ومع نهاية القرن 19 عرفت الظروف المعيشية للمستوطنين تحسناً ملحوظاً وذلك نتيجةً لتحصل العديد من المستوطنين على الامتيازات وبالنسبة لنساء المستوطنين الذي ولدوا بالجزائر فقد تخلوا عن العمل في الحقول في حين واصل نساء المستوطنين الجدد العمل في الحقول، لتتوقف الأوربيات عن مساعدة آبائهن وأزواجهن في الحقول مع انتشار اليد العاملة الجزائرية الرخيصة، وفي الفترة ما بين الحربين أكدت نساء أوربيات من الجيل الثاني والثالث من

¹ - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp309-315.

² - Ibid, pp161-185.

³ - Ibid, pp161-185.

المستوطنين الذين ما زالوا يمتلكون عقارات في الأرياف الجزائرية بأن مهامهن انحصرت على الأسرة وبعض الأعمال الزراعية السهلة كعد علب الحليب بعد حلب الأبقار ومراقبة تصنيع الزبدة وعد أكياس الحبوب بعد الحصاد ويمكن لهن أيضاً تولي حسابات المزرعة، كان هذا هو الحال بالنسبة لزوجة مستوطن جيد، كزوجة أحد المستوطنين المالطين الذي أستأجر عقاراً للخضروات بالقرب من عنابة، وبالتالي يمكن القول بأن النساء الريفيات عملن على مساعدة الرجل في أكثر الظروف صعوبة وشاركن في استعمار الجزائر ليس فقط من خلال وجودهم بل من خلال عملهم حيث لعبوا دوراً هاماً في تطوير أراضي الامتياز بالجزائر.¹

وأما بخصوص نساء المدن خلال القرن 19 فقد مارس البعض منهن مهامهن المنزلية بأنفسهن فقد كن يغسلن ويصنعن ملابسهن المنزلية ويصلحنها بأنفسهن ويجلبن إذا لزم الأمر دخلاً من خبرتهن في هذا المجال وكانت الخياطة من أكثر المهن الممارسة من قبل الأوربيات وتعتبر من أكثر الأنشطة المصريح بها من قبل الزوجات في شهادات الزواج فمن بين 34 امرأة تزوجن في الجزائر العاصمة بجويلية 1845 صرحت 24 منهن عن مهنتها كانت 14 منهن تعمل خياطة كما بلغت نسبة النساء الممارسات لهذه الحرفة ستينيات القرن 19 بمدينة الجزائر العاصمة حوالي 62 بالمائة، وفي عام 1871 وبالرغم من تنوع فرص العمل بالنسبة للمرأة فقد بقيت هذه المهنة في الصدارة غير أن معظم الخياطات بداية الاستعمار كن يعملن في منازلهن ولعدد من الزبائن المتواضعين، كما أن البعض منهن يعملن بدوام كامل أو جزئي للعائلات الغنية، وقد مورست تلك الحرفة خلال القرن 19 من قبل نساء أوربيات من مختلف الجنسيات الإسبانية، الفرنسية، الإيطالية، المالطية وحتى من قبل بعض الألمانيات والسويسريات.²

وبالرغم من أن العديد من النساء كن يقمن بجميع أعمالهن المنزلية بأنفسهن بداية الاحتلال إلا أن ذلك لم يشمل جميع الأسر الأوربية حيث نجد بعض الخادومات الأوربيات كن يمارسن العمل عند بعض الأسر الأوربية البورجوازية وقد بلغ عددهن سنة 1936 حوالي 13106 أوربية ويبدو أن أصولهن الاجتماعية كانت مماثلة جداً لأصول الخادومات الريفيات بفرنسا، ففي الجزائر كانت العاملات ببيوت الأسر الأوربية البورجوازية فتيات أو نساء من أصحاب الامتيازات الصغيرة أو العاملات الزراعيات مثل الفتاة الألزاسية التي وضعت كخادمة في عائلة بالجزائر العاصمة بينما التحق والدها وإخوتها بامتيازهم بمدينة وهران سنة 1837، كما أن معظم الخادومات كن فتيات غير متزوجات وغالباً ما كن صغيرات في السن ففي الثلاثينات من القرن 19 قام مستوطن ألماني قدم الجزائر بوضع إحدى بناته البالغة من العمر 10 سنوات كخادمة في أسرة وهذا قبل أن يلتحق بامتيازهم في دالي إبراهيم، وقد كان من المرجح أن هؤلاء

¹ Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp161-185 -

² Ibid, pp161-185.-

الفتيات كن يتخلين عن هذا العمل بعد زواجهن، أما بخصوص جنسياتهم فقد كن من مختلف الجنسيات فرنسيات، نمساويات، إسبانيات، يهوديات لتستحوذ بعد ذلك الإسبانيات على ذلك النشاط، وقد تفاوتت أعدادهن في المنازل حسب المنطقة حيث كان عددهم كبيراً في وهران ليتم استبدالهن بالنساء المسلمات في وقت لاحق.¹

وبعد ازدياد التوافد الأجنبي نحو الجزائر تم منح الأوربيين بما فيهم النساء الصفة الفرنسية بناء على القوانين الفرنسية وذلك تفادياً لخطر احتمال وقوع تعقد العلاقات الدبلوماسية الفرنسية مع الدول الأوربية الأخرى مثل إسبانيا وإيطاليا، وكذلك رغبة في إيجاد توازن ديموغرافي في الجزائر وذلك للتمكن من تحقيق التفوق الأوربي على الجزائريين والذي لن يتم إلا عن طريق وضع مشروع التجنيس والذي كانت بدايته صدور قرار مجلس الشيوخ في 14 جويلية 1865² الذي منح للفرد الأجنبي الذي يثبت إقامة لمدة 3 سنوات في المستعمرة حقوق الحصول على حقوق المواطنة الفرنسية وبموجب ذلك القانون منحت البنات الأجنبيات اللاتي تتزوجن من رجال فرنسيين جنسية أزواجهن.³

وهكذا انتشر بين النساء الأوربيات الاقتتان بالرجال الفرنسيين، وقد حظي ذلك النوع من الزواج بتأييد كبير من بعض الأوساط الاستعمارية مثل الجنرال بوجو⁴ الذي عمل على تشجيعه متحاشياً جميع الفوارق العرقية التي كانت تؤمن بأن الجنس الفرنسي جنس متعال عن الأجناس الأخرى، وذلك محاولة منه جعل الاستعمار الفرنسي للجزائر مشروعاً عسكرياً ذو صفة رسمية، لذا عمل على تشجيع زواج الجنود الفرنسيين بنساء مستوردات وهو ما يسمى بزواج الطبول كما كان يمنح للجندي المتزوج بأجنبية 700 فرنك فرنسي وقطعة أرض وتسهيلات أخرى⁵ محاولاً بذلك تطبيق شكل آخر من أشكال الاستيطان وهو الاستيطان العسكري، وقد ساهمت قلة نسبة النساء الفرنسيات في الجزائر مقارنة بغيرهن من النساء الأوربيات وبالخصوص الإسبانيات اللاتي كانت أعدادهن تفوق أعداد الفرنسيات في

¹ - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp161-185.

² - قانون سيناتوس كونسولت **Senatus-Consulte**: قانون صادر عن مجلس الشيوخ في 14 جويلية 1865 متعلق بوضعية الأفراد وتجنيس الجزائريين، إهتم بتسوية الجنسية الخاصة بثلاث مقاطعات وهران، والجزائر، وقسنطينة ونصت المادة رقم 3 منه بأن: الأجنبي الذي يقدم بياناً بأنه مكث أو أقام ثلاث سنوات بالجزائر يستطيع أن يتمتع بحقوق المواطن الفرنسي ينظر مُجد الحمري: "التشريع الفرنسي في الزائر وأثره على الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية ما بين 1870-1920"، (رسالة ماجستير، تخصص انثروبولوجيا، إشراف مُجد سعدي)، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة تلمسان، 2004-2005، ص 43.

³ - كمال كاتب، المرجع السابق، ص 264-267.

⁴ - بيجو **bugeaud**: سياسي وعسكري فرنسي عينته حكومة فرنسا عام 1841 حاكماً عاماً على الجزائر. ينظر عبد الرحمان الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ط4، بيروت، دار الثقافة، ج5، 1980، ص 110-155.

⁵ - سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ط4، بيروت لبنان، دار الغرب الإسلامي، ج2، 1992 ص 22.

الجزائر¹ في ذبوع هذا الزواج، وعلى إثر لذلك فقدت العديد منهن جنسيتها الأصلية وذلك نتيجة لعملية التجنيس الآلي لسنة 1886.²

ولكن بالرغم من الامتيازات التي حظيت بها الأوربيات وهذا بخصوص الزواج غير أن ذلك لم يغير من التفاوت الهرمي العرقي الذي كلن متفشيًا بين مختلف أجناس المجتمع الأوربي بالجزائر، حيث كان الزواج من زوج أجنبي نادراً ما يسمح به للفرنسيات وكان يتلقى هذا النوع من الزيجات رفضاً من قبل العديد من الأسر الفرنسية، وتفقد المرأة الفرنسية المتزوجة من أجنبي اسباني أو إيطالي حتى سنة 1827 جنسيتها وحتى لو كان من نفس المستوى الاجتماعي، وذلك لأن الجالية الأوربية وخاصة الاسبانية تضم عدد كبير من النساء على عكس المجتمع الفرنسي الذي كان يضم عدد قليل من النساء مقارنة بالرجال لذا لم يكن من الضروري تطوير أو المساهمة في زيادة النمو السكاني للمجتمع الأجنبي من خلال زواج فرنسيات برجال أجنبي الذين لم تتقدم نسب زواجهم بالرغم من صدور قانون التجنيس الآلي للأجانب، وقد ظل ذلك الوضع قائماً حتى حرب (1914-1918) ولذلك يبدو أن المرأة كانت عاملاً رئيسياً في توازن القوى بين المجتمعات الأوربية كما يظهر بأن دمج الأجناس الأوربية أثناء الفترة الاستعمارية لم يكن سريعاً وعميقاً.³

ذكر أحد الديموغرافيين الفرنسيين بأن النساء الأوربيات في الجزائر عرفن ظاهرة العزوف عن الزواج، هذا الأخير الذي كان يعتبر في نظرهن إجراء تقليدي كما انتشرت بينهن ظاهرة الزواج الغير شرعي والدعارة واعتبروها حرية شخصية الشيء الذي كان له انعكاس سلبي على نسبة الولادة والتي عرفت انخفاضاً كبيراً كما تضاعف عدد الأبناء غير الشرعيين وفي هذا ذكر الإحصائيون الفرنسيون ومنهم جون برال (J.Paul) وبيرابان (Birben) بأن نسبة المواليد عند الأوربيين في الجزائر كانت ضعيفة بين الحربين العالميتين،⁴ كما أن الروائية الفرنسية لوسيان فابر (Lucien Febre)⁵ ذكرت بأن ظاهرة العهر كانت منتشرة بين النساء الأوربيات في القصبة بنفس عدد المسلمات وذلك

¹ - شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، تر: حاج مسعود.أ. بكلي، الجزائر، دار الرائد للكتاب، ج 1، 2007، ص 983.

² - حياة قنون، اللاجئون السياسيون الاسبان في الغرب الجزائري 1936-1962، (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، إشراف فغور دحو)، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران، 2010-2011، ص 54.

³ - Claudine Robert-Guiard, op, cit, pp309-315.

⁴ - كمال كاتب، المرجع السابق، ص 334.

⁵ - لوسيان فابر: روائية فرنسية ولدت في فرنسا عام 1896 مارست القضاء في الجزائر، كتبت العديد من الروايات التي اهتمت بحياة وأخلاق الطائفة الإسلامية بالجزائر ك"رواية المشرقي" 1930، "كل المجهول عن قصبة الجزائر" 1933، "القصبة" 1937،

بمراى ومعرفة السلطات الاستعمارية¹ لكن وبالرغم من ذلك ساهمن مساهمة فعالة في الاستعمار حيث قام البعض منهن بالدور المتوقع منهن بصفتهن زوجات وأمهات ساهمن بالنمو السريع للعنصر الأوربي بالجزائر.²

أما بخصوص نظام العمل في الجزائر المستعمرة فإنه كان مبنياً على القواعد الهرمية العرقية والجنسية حيث كان الرجال الأوربيون يشغلون المناصب الإدارية وكانت أعلى المناصب مخصصة للفرنسيين، وقبل توظيف الجزائريين في المصانع كانت النساء الأوربيات مسؤولات عن الوظائف المنخفضة الأجر أو المنخفضة المستوى، ففي نهاية القرن 19 كانت أوراق التبغ تدحرج لأول مرة من قبل النساء الأوربيات خاصة الاسبانيات، ليقوم بعد ذلك مع بداية القرن 20 الموظفون الأوربيون بمساعدة الأوربيات على أداء تلك الوظائف المنخفضة الأجر ونفس الشيء كان ينطبق على مصانع البسكويت والمعكرونة ومصانع الصندل ليتم استبدالهم تدريجياً بالموظفين المسلمين.³

وكان النظام الاجتماعي الفرنسي بالجزائر ذكورياً وبالرغم من أن الأبوية كانت لا تزال متفشية في الأسر الأوربية غير أن الفرنسيين كانوا يوظفون النساء الأوربيات بالجزائر كنموذج للتحضر ويعملون على عرضهن كمتحركات ومتعلمات رغبة منهم في إظهار تفوق الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية من جانب حضارة عملت على تكريس مبدأ المساواة بين الذكور والإناث وذلك عن طريق تقديم نفس الفرص من خلال منحهم نظام تعليمي مماثل، وحضارة أبقّت النساء في انعزال تام، ومن المؤكد أن هذا التقدير للمرأة الأوربية كان له أثر إيجابي على صورة نفسها كأوربية بالجزائر ولكنه كان مقلقاً بوجه خاص بالنسبة للمسلمين.⁴

وكانت الهوية المخصصة للمرأة الأوربية في العلاقات الاجتماعية متغيرة غير أنها غالباً ما كانت مرتبطة بالنظام الاستعماري القائم بالجزائر حيث كان على جميع الأوربيات أن يتصرفن كنساء مستعمرات وعناصر فعالة في ذلك النظام الاستعماري، أما بخصوص التسلسل الهرمي الاستعماري القائم على أساس عرقي فتحتل فيه النساء الأوربيات مرتبة أعلى من الرجال الجزائريين وكانت النساء الأوربيات وخاصة الفرنسيات يواجهن الجزائريين بصفتهن نساء يتمتعن

"الرجل وراء الجدار" 1926، "باب الوادي" 1926، "مراد" 1944، "حمام اليهود" 1939 وتصف هذه الروايات الإسرائيليين و الأحياء الشعبية والحكي الأوربي لباب الوادي والحكي الأهلي للقصة، تحصلت على جائزة الآداب الجزائرية، عادت إلى فرنسا سنة 1944-1945 وماتت سنة 1950 بباريس. ينظر عبد الحميد سرحان، الرواية والمجتمع الكولونيالي في جزائر ما بين الحربين، الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2017، ص ص 45-46.

¹ - مسعودة يجياوي مرابط، المرجع السابق، مج2، ص 593.

² - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp309-315.

³ - Ibid, pp309-315.

⁴ - Ibid, pp309-315.

بالسلطة تلك السلطة التي منحها لهم فرنسا بصفتهن مستعمرات أو مستثمرات في جزء من سلطة فرنسا بالجزائر حيث إن بعض النساء المالكات للمزارع والأعمال التجارية كانت لهن سلطة على موظفيهم الجزائريون، ومما لا شك أن هذا التحول في أدوار الجنسين الذي فرضته السلطة الاستعمارية لم يعمل سوى على الزيادة من حدة معارضة الجزائريين للاستعمار بصفتهم خاضعون لسلطة استعمارية أجنبية من جانب وكان عليهم أن يوافقوا على طاعة امرأة من جانب آخر.¹

أما فيما يتعلق بالنسبة للجانب الثقافي بالنسبة لأوربيات الجزائر فعلى الرغم من سيطرة التيار المعادي لتعلم المرأة في فرنسا ثلاثينيات القرن 19 فقد تم تأسيس مدارس لتعليم الفتيات الفرنسيات في الجزائر وقد عرفت استقراراً كبيراً وذلك نتيجة لصعوبة تنقل وسفر المرأة إلى فرنسا، ففي سنة 1836 أقامت السيدة فيلار (Velar) بتأسيس مدرسة للفتيات الأوربيات الفقيرات ويبدو أنها قد وجدت إقبالا من طرفهن حيث بلغ عدد تلميذاتها حوالي 84 تلميذة سنة تأسيسها² كما تم تأسيس مدرسة سنة 1839 تضم 1009 من الأوربيين إناث وذكور³ وعلى الرغم من تأسيس تلك المدارس فإن المجتمع الفرنسي كانت له تحفظات على تعليم المرأة عموماً سيما قبل عهد الجمهورية الثالثة (1870-1930)، أما بعد ذلك فإن الملاحظ تفوق أعداد البنات الفرنسيات في المدارس على عدد البنين في بعض الأحيان⁴ وهو الشيء الذي أوضحته إحصاءات المدارس الابتدائية العامة والخاصة:

إحصاءات لعدد التلاميذ الأوربيين المسجلين في المدارس الابتدائية العمومية للسنة الدراسية 1897-1898⁵

العمالات	الأوربيون	
	ذكور	إناث
الجزائر العاصمة	12720	10639
قسنطينة	7836	6933

1 - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp309-315.

2 - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج3، 1998، ص293.

3 - إيفون توران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880، تر: أوزغلة مجّد عبد الكريم، الجزائر، دار القصة، 2005، ص53.

4 - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج3، المرجع السابق، ص340.

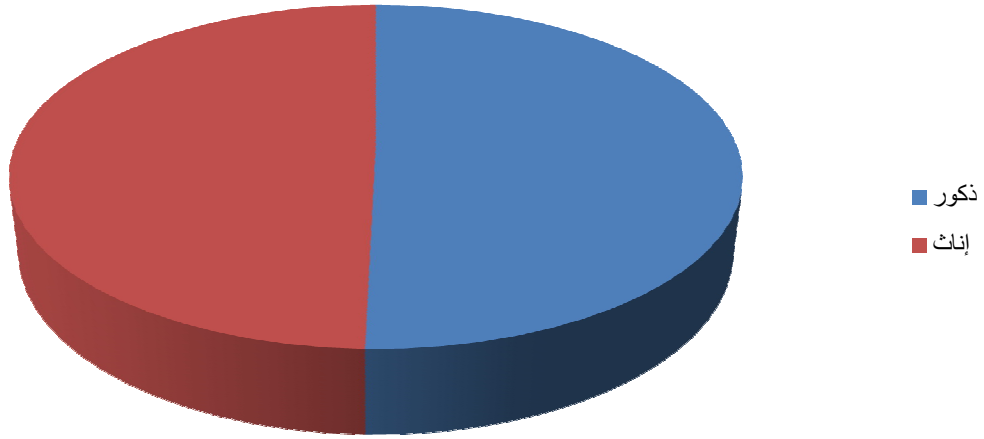
5 - رابح دبي، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها 1830-1962 دراسة نظرية تحليلية، (أطروحة دكتوراه، تخصص علوم التربية، إشراف الطيب بلعربي)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2010، ص92.

11003	12966	وهران
28575	33522	المجموع

عدد التلاميذ الأوربيين المسجلين في المدارس الابتدائية الخاصة 1897-1998¹

الأوربيون		العمالات
ذكور	إناث	
1543	3605	الجزائر العاصمة
965	2176	قسنطينة
1356	2358	وهران
3864	8239	المجموع

المدارس الابتدائية العامة والخاصة 1897-1898



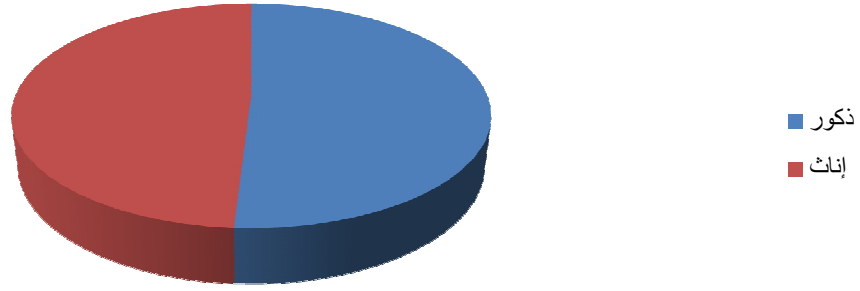
إحصاءات لعدد الفرنسيين المسجلين في المدارس الابتدائية العامة والخاصة في السنة الدراسية 1898-1899²

فرنسيون		المدن
ذكور	إناث	
8.927	9.452	الجزائر
6.70	6.444	قسنطينة
6.316	7.159	وهران
23.952	23.055	المجموع

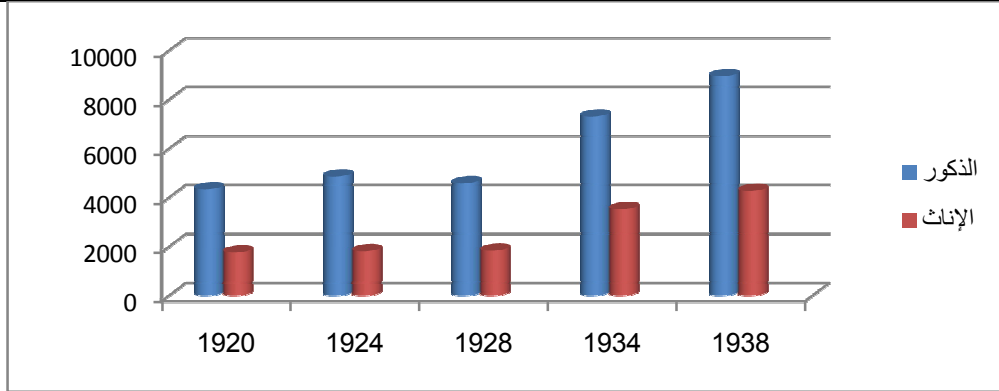
¹ - رابح دبي، المرجع السابق، ص 93.

² - نفس المرجع ص 57.

المدارس الابتدائية العامة والخاصة 1898-1899

عدد التلاميذ الأوربيين المسجلين في التعليم الثانوي بين 1920-1938.¹

السنة	ذكور	إناث
1920	4346	1764
1924	4860	1814
1928	4587	1833
1934	7316	3533
1938	8952	4277



أما بالنسبة لمهنة التدريس فقد كانت تحمل صورة سلبية لدى المجتمع الأوربي بالجزائر وقد مارسها بعض الأوربيات بداية الاحتلال إلى جانب الراهبات وذلك لكسب لقمة العيش وكان أغلبهن أرامل وعازبات وكان يشترط أن يكون لديهن حد قليل من المعرفة وذلك لممارسة التعليم وكان يتم تعيينهن في البداية من فرنسا، لكن مع نهاية القرن 19 التحقت العديد من النساء الفرنسيات بالجزائر بمهنة التدريس ما جعل الجزائر تتمكن من تغطية حاجياتها من المدرسين وفي نفس الوقت الذي تخلت فيه هيئة التدريس في المدارس الابتدائية عن تبعيتها للجمعيات التبشيرية فإنها

¹ - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931-1956) دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص150.

أصبحت تشغل أكبر عدد من النساء، ففي سنة 1896 كان عدد النساء يفوق عدد الرجال في جميع الفئات حيث أنه من مجموع 1095 معلماً ومساعداً ومدرسين كان لا يوجد سوى 910 مدرس ومساعدين ومدرسين أي بنسبة 55% نساء و 45% رجال، كما أنه في الفترة 1888-1889 ضمت المدارس العادية النسائية عدد أكبر من الطلاب مقارنة بالمدارس التي كان يشرف عليها الذكور.¹

وقد كان للمرأة الفرنسية خاصة والأوربية عامة مكانة مهمة في التعليم الابتدائي الذي كان يشمل بالإضافة إلى صفوف الابتدائية صفوف الحضانة حيث كانت بعض النساء تدير فصول الحضانة فضلاً عن المدارس الخاصة بالفتيات الأوربيات، كما كان غالباً ما يتم تكليفها بالتدريس في الصفوف الابتدائية المختلطة حيث أنه في عام 1864 تم تعيين 19 معلمة من أصل 31 مدرس في 30 مدرسة مختلطة،، في عام 1927 منحت جميع المدارس المختلطة للمعلمات باستثناء ثمان مدارس، كما أنه في فترة ما بين الحربين عهد بالمدارس الابتدائية والفصول التكميلية الابتدائية للفتيات إلى معلمات، كما شهدت فصول التعليم العالي حضوراً للمعلمات.²

كما أنه في عام 1927 عهد ب 22 وظيفة من أصل 95 وظيفة مدرسين أو مديري مدارس ابتدائية عليا للبنين للمعلمات أو مساعدات المعلمات، وبالتالي كانت المرأة مسؤولة عن جزء كبير من التعليم الابتدائي الأوربي، كما أنه منذ افتتاح المدارس الثانوية وكليات البنات في أوائل الثمانينات من القرن 19 تم تعيين النساء كمدرسات في تلك المدارس وفي عام 1917 كان في المدرسة الثانوية للذكور عدة صفوف تديرها نساء أوربيات وذلك بسبب نقص الذكور أثناء الحرب العالمية وبسبب نقص المعلمين الذكور أصبح التعليم الابتدائي والثانوي متاحاً للمعلمات.³

وفي وقت لاحق كان للقرأ الأوربية حضور قوي في مدارس تعليم الفتيات الجزائريات سواءً المدارس الابتدائية العامة أو الورشات التكميلية المرفقة بالمدارس الخاصة غير أنها وبالرغم من تمكنها من ولوج مجال التعليم إلا أنها واجهت العديد من الصعوبات أهمها الفروقات في الراتب بينها وبين الذكور والتي لم يتم إدخال المساواة بينهما في الخدمة المدنية حتى عام 1919.⁴

¹ - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp207-229.

² - Ibid, pp207-229.

³ - Ibid, pp207-229.

⁴ - Ibid, pp207-229.

2- أثر الحركة النسوية الأوربية على النساء الأوربيات بالجزائر:

بدأت الحركة النسوية تنمو غداة الحرب العالمية الأولى خاصة في فرنسا التي ثارت فيها العديد من النساء ضد عدم المساواة بين الجنسين (الذكر، الأنثى)، كما رفضن الدخول للبيوت وأن يكن مجرد زوجات وأمهات وقد وجدت هذه الحركة صدقاً كبيراً لدى بعض الأوساط النسوية الأوربية في الجزائر وهو ما عبرت عنه الحوليات الإفريقية الصادرة يوم 10 أبريل 1920 بقولها: "إن استرخاء ما بعد الحرب وتهيج الحياة، وطيش الشباب واكتشاف عالم متجدد حرك الجماهير الأوربية، فكثرت الألعاب وكثر الرقص في المراقص وفي المعارض وساحة المناورات، إن شركة تيني عرضت الأفلام الأولى لشارلي شابلن (Charles Chaplin)¹، يمكننا أن نسمع في فندق الإكسلسيور أول حفل موسيقي للجاز، ربما على الشاطئ من المتوسط، في هذه الدوامة فإن قضية الأمير خالد وما وراء هذه الشخصية وما تكشفه يبدو أنها لم تشغل إلا الاختصاصيين"² وتحت مختلف دواعي المدنية والترفيه أدخل المستعمر الممثلون والممثلات وأمثالهم من الراقصات كما شجعوا إنشاء المسارح وفرق الغناء والتمثيل والمراقص والملاهي المتنوعة، وكانت الأجنيبات هن العنصر الأساسي في هذا الغزو فشجع ذلك المرأة المسلمة على التعري والسفور.³

ولما لم يكن الأوربيات اللاتي يعشن في مستعمرة الجزائر يؤمن بالقوانين والأفكار التي كانت رائجة في فرنسا تجاه المرأة والقائمة على فكرة مفادها: "أن المرأة يجب أن تتفرغ لأشغال الأمومة والأشغال المنزلية"، فإنهن لم يقفن مكتوفات الأيدي وبادر العديد منهن إلى المطالبة بحقوقهن وخاصة حق الانتخاب⁴، وغير ذلك من الحقوق فوجد مثلاً البعض منهن قمن بالانخراط في بعض النقابات العمالية كالسيدة روجريل Rogerel عضو النقابة العمالية للقابات بمدينة وهران والتي كانت ترفع من أجل مصالح القابات بمدينة وهران وهذا فيما يتعلق بتدريبهن وضمن فتح عقود جماعية لهن متعلقة بالتبادل والتعاون بينهن وبين أطباء وهران.⁵ كما أن بعضهن نشطن في التيار اليساري ولم يقتصر دورهن

¹ - شارلي شابلن (1889-1977): ممثل كوميدي انجليزي ومخرج وملحن وكاتب ويعتبر أحد أهم الشخصيات في صناعة السينما.

ينظر شارلي شابلن، قصة حياتي، تر وتق: كميل داغر، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1994، ص 17.

² - يجياوي مرابط مسعودة، المرجع السابق، مج 2، المرجع السابق، ص525.

³ - المصري جميل عبد الله، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ط1، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ج1، 1986، ص176.

⁴ - يجياوي مرابط مسعودة، المرجع السابق، مج 2، ص535.

⁵ - A.O, Sérié AP, Carton 222-223, N 223, Rogerel, "Syndicat des Sages-femmes de l'Oranie", Bulletin officiel de L'Association Générale de Prévoyance et de Secours Mutuels et de syndicat Professionnel des Médecin de Département d'Oran, N37, 1937, pp82-83.

على مجرد الدفاع عن حق المرأة في التصويت وإنما تعداه إلى المطالبة بتسوية الأوضاع الاجتماعية وضمان الحقوق المدنية، ففي ماي 1919 وخلال فصل الربيع والصيف اهتزت مدينة وهران على أكبر عملية احتجاج ومطالبة بالحقوق قامت بها مجموعة من النساء العاملات في مصنع "باستو" للتبغ والكبريت الذي كان أغلب عماله من النساء وكان سبب الاحتجاج توقيف مناضلتين من المصنع وهو ما أدى إلى رد عنيف من طرف العاملات ضد أفراد الشرطة مصحوبين بشعارات مناهضة وعدوانية أحياناً وكنتيجة لذلك تم تنظيم أكبر تجمع للنساء العاملات في ذلك المساء.¹

لكن سرعان ما تراجع النضال السياسي للمناضلات بعد تلك الأحداث ولكن بفضلها ظهرت السيدة جون كولون (John Collin) أيقونة النضال والدفاع عن حقوق الأهالي، كما قامت المناضلات الناشطات في القسم الفرنسي لمنظمة العمال الدولية SFIO بتأسيس فرع خاص بها في مدينة وهران وذلك سنة 1930 والذي ضم الفئة النسوية فقط اللاتي اشترط في انضمامهن إليه أن يكن حائزات على عضوية في منظمة SFIO ، وبازدياد المنتسبات لذلك التجمع قمن بتأسيس ورشة خياطة من أجل خياطة القمصان والرايات لمنظمة SFIO وفروعها ، وفي 28 ديسمبر 1934 أشرفت مجموعة من معلمات SFIO على تأطير 15 تلميذة في مجال العمل النضالي في الخميس من كل أسبوع وتم تسميته "الخميس الاشتراكي" وأزداد العمل النضالي لتلك الخلية وقامت بعدة نشاطات أهمها:

-1935/05/02: انعقاد أول مؤتمر لمناقشة قضايا البطالة والتوظيف وأزمة الحرب بتاريخ

-1935/06/02: الشروع في النضال السياسي وبهذا نالت المرأة الحق في التصويت.

-تأسيس فروع خاصة ب SFIO بمعسكر وعين تموشنت وسيغ وفروع مصغرة لها في القرى تتزأسها زوجات أعضاء من منظمة SFIO أو أخواتهن لأجل التوعية سنة 1936.²

وبالإضافة إلى العمل النقابي كان للمناضلات الأوربيات أثراً بالغاً في النشاط السياسي كما طالبن أيضاً بضرورة مشاركة المرأة في المهمة الاستعمارية، وطمحن أيضاً إلى التدخل في القضايا السياسية على الساحة الجزائرية خاصة فيما يتعلق بقضايا النساء المسلمات واللائي كن يشعرن تجاههن بالمسؤولية فهن في نظرهن لا يستطعن التعبير والمطالبة بحقوقهن بأنفسهن هذه المهمة التي ستقوم بها النساء الأوربيات في الجزائر حسب تعبيرهن وقد كان لهن نشاط في هذا

¹ Claire Marynower, **A nos sœurs indigènes le meilleur de notre affection**,(s, l), -

G&C Articles, (s, d), pp200.

Ibid, pp201-205. -²

الميدان خاصة في سنوات 1920-1940 حيث قمن بإلقاء العديد من المحاضرات كما عملن على نشر المقالات وأردن أن يوصلن للرجال الفرنسيين فكرة أن للنساء امتياز الدخول إلى منازل المسلمين، وهن الوحيدات القادرات على التمكن وبسرعة من الالتصاق عن كذب بجميع الحقائق الاجتماعية للمسلمات وهو الامتياز الذي لا يمكن للرجال الأوربيون أن يحققوه.¹

ومنه يمكن القول بأن أوربية الجزائر سارت في نفس الطريق الذي سلكته نظيرتها في أوربا وهذا فيما يتعلق بالمطالب التي كانت تسعى لتحقيقها، حيث طالبن بمنح جميع النساء كل حقوقهن السياسية والاقتصادية والاجتماعية... ويعتبر هذا شيء بديهي هذا إذا ما سلمنا بالارتباط الذي كان يربط أوربية الجزائر بوطنها الأصل، لكن من جانب آخر يمكن القول بأن تحركاتها في الجزائر كانت قليلة مقارنة بالمرأة في أوربا وربما هذا راجع لحظوتها في الجزائر بالعديد من الحقوق التي كانت محرومة منها نظيرتها في أوربا عامة وفي فرنسا بالخصوص، فقد كانت في الجزائر تتعلم وتشتري وتبيع ما جعلها تركز على بعض الجوانب الأساسية كالحق في الانتخاب إلى جانب ضرورة مشاركتها في الحركة الاستعمارية في الجزائر وخاصة فيما يتعلق بقضية المرأة الجزائرية المسلمة متخذة منها الوسيلة الأساسية لبلوغ أهدافها خاصة السياسية منها.

¹ - يجاوي مرابط مسعودة، المرجع السابق، مج 1، ص 63.

ثالثاً: المرأة الأوروبية والرحلة في الجزائر

بلغت الحركة الرومانتيكية أوجها في أوروبا خلال القرن 19 وكان حب المغامرة والرغبة في الإطلاع على الشعوب الأخرى من أهم السمات التي طبعت تلك الحركة، وفي الجزائر زار العديد من الرحالة الأوروبيين بعض المدن الجزائرية وأعجبوا بها كما سجلوا انطباعاتهم حول ما شاهدوه في تلك المدن، وفي هذا المجال برزت العديد من الأوربيات اللاتي زرن الجزائر وأعجبن بها، كما أن البعض منهن عملن على نقل ما شاهدنه وقمن بتدوين تجربتهن في الجزائر.

بعد نجاح الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر أبدى العديد من الأوروبيين الرغبة في الهجرة للجزائر واكتشاف ذلك العالم المجهول ويتوافق ذلك المطلب والأهداف الاستعمارية الفرنسية في الجزائر القائمة على تشجيع سياسة الاستيطان الأوربي وخاصة في العهد الذي تولى فيه بوجو الحكومة العامة في الجزائر (1841-1847) باعتبارها الوسيلة المهمة التي ستساهم في تثبيت التواجد الاستعماري الفرنسي في أرض الجزائر، وبدورها المرأة الأوربية لم تكن غائبة عن هذا المجال فقد قدم الجزائر نساء برز لديهن حب الاطلاع والمغامرة وقد كان معظمهن يتمتعن بالشجاعة وقوة الإرادة كما أن أغلبهن كن من الأسر الميسورة وقد تباينت الأسباب التي جعلتهن يخضن غمار تلك الرحلات المحفوفة بالمخاطر، حيث قام البعض منهن بتلك الرحلات بطابع الفضول والرغبة في التغيير كما كان لدى البعض منهن الرغبة بالنهوض ببعض العلوم أما البعض الأخر منهن فقد كن تائرات ضد الرتبة التي كان يحملها هذا الوجود متعطشات ببساطة إلى التمرد،¹ وعلى اعتبار أن الرحلة جزء من الواقع الذي كانت تعيشه بعض النساء الأوربيات سنورد بعض المغامرات الأوربيات ورحلاتهن في بعض مناطق الجزائر.

أ-رحلة إيزابيل إيبهاردت في الجزائر:

تعتبر إيزابيل إيبهارت (Isabelle Eberhardt) من الأوربيات اللاتي ركنن درب المغامرة وهي بنت لأب مجهول وأم مسيحية ألمانية من أصول روسية تدعى السيدة ناتالي دوري شارلوت ابرهاردت (Charlotte Eberardt) أرستقراطية ألمانية تتبع المذهب اللوثري وهي أرملة الجنرال بفال كرلوفتش دومورد (Karlovich Domordar)، أما بخصوص ميلادها فقد ولدت بجنيف بسويسرا بتاريخ 7 فبراير 1877² وقضت حياتها إلى

¹ André Roger Voisin, **Les Femmes explorent Le Sahara**, Paris, L'Harmattam , 2009, p8.

² Patricia Bourcillier, **Isabelle Eberhart un Femme un Rout vers L'Islam**, (s,l), -2 Attilio Baghino, 2012, p15.

جانب إخوتها الأربعة نيكول (Nicole)، أغسطس (Augustin)، ناتالي (Natalie) وفولوديا (Vulodia) في فيلا نوف بميران وترعرعت وسط هذه العائلة التي عرفت بترحالها.¹

اختلفت الروايات حول والدها فهناك من ذكر بأنها مجهولة الأب، أما هي فقد ذكرت في رسالة أرسلتها إلى صديقها التونسي علي عبد الوهاب المؤرخة يوم 1 يناير 1898 بأن أمها صرحت لها بأنها ابنة طبيب مسلم كما اعترفت لها بأنها كانت تستقبل في بيتها بمدينة جنيف بعض الثوريين الهاربين من سيبيريا والشباب الأتراك المعارضين للحكم الجبروتي للسلطان عبد الحميد الثاني،² كما أكدت إيزابيل نفسها على ذلك من خلال الرسالة التي وجهتها لجريدة لايبنتيت جيروند يوم 3 أبريل 1903، والتي ذكرت فيها بأنها بنت لأب روسي اعتنق الإسلام وأنها ولدت مسلمة ولم تخرج عن دينها، كما ذكرت بأنه لما توفي أبوها في جنيف منحت اسم عائلة أمها وبقيت مع أمها في جنيف ومع عمها المسن المدعو بالكسندر تريغوموفسكي (Aleskander Trigmowski) الذي تخلى عن الكنيسة الأرثوذكسية بعد أن كان كاهناً روسيا، هذا الكاهن الذي كان له حسب العديد من الروايات صلة كبيرة بقضية ولادتها، بينما أورد آخرون بأن إيزابيل كانت ابنة أحد الأطباء الذي كان يعمل في خدمة أمها مؤكداً ذلك بالرسالة التي وجهتها إيزابيل إلى صديقها التونسي علي عبد الوهاب والتي كانت قد أرسلتها له بنفس التاريخ المذكور آنفاً في 1 جانفي 1898 والتي أخبرته فيها بأنها كانت عبارة عن نتيجة حزينة لانتهاك عرض قام به طبيب أمها وقد تم نشر تلك الرسالة في الدولية للخيال شتاء 1987-1988.³

بينما ذهب البعض الآخر إلى أنها ابنة الشاعر الفرنسي المشهور أرتور رامبو (Arthur Rimbaud) بالرغم من عدم وجود أي دليل يثبت أنه كان يعرف السيدة نتالي والدة إيزابيل⁴ كالكااتب بيار آرنو (Pierre Arnault) أحد المهتمين بسيرة إيزابيل والمعروف أيضاً بهوسه الكبير بالشاعر أرتور رامبو، حيث جعل من هذا الشاعر أباً لإيزابيل

¹ - إيزابيل إيبرهاردت، **ياسمينة وقصص أخرى**، تر: حسن دواس، مر: عثمان فضل ليلي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، 2012، ص 17.

² - حنفاوي بعلي، **أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية**، دار الغرب الإسلامي، وهران، 2004، ص 121-122.

³ - مسعودة بجاوي مرابط، المرجع السابق، مجلد 1، ص 366-367.

⁴ - A.O, Sérié A, N 5928, Marie-Odile Delacour, Jen-Ren huleu, **Sables la roman de la vie d'Isabelle Eberardt**, Paris, Liana Levi, 1986, p303.

وذلك بناء على العلاقة الروحية والوراثية المشتركة بينهما كما ذكر بأنه يوجد بينهما تشابه جسدي كما أن كلاهما لديه ميل كبير للدين الإسلامي كما أن إيزابيل صرحت بنفسها قائلة: "سأموت مسلمة مثل والدي".¹

ورجح العديد من الباحثين الرأي الذي يذهب إلى أن إيزابيل إيرهارت هي ابنة الراهب تريغموفسكي الذي فر مع أمها لكن هذا الأخير رفض الاعتراف بأبوته لها وذلك لأن الإقرار بذلك يتعارض مع شخصيته المعروفة بالمحافظة خاصة وأنه كان راهباً، لكن على الرغم من نكران الكسندر لبنوة إيزابيل فإن العديد من المهتمين بحياة إيزابيل أقر بذلك نظراً لتوفر العديد من الأدلة والقرائن وتعتبر إدموند شارل رو (Edmund Charles Rowe) رئيس أكاديمية جونكور الفرنسية والمهتمة بحياة إيزابيل إيرهارت من المؤكدين على إرجاع أصول إيزابيل إلى ذلك الراهب الذي كان يدعى فافا (ألكسندر تريغموفسكي).²

بناء على الرسائل التي أوردتها إيزابيل إيرهارت يتضح لنا بأنها ربما لم تكن لها معرفة حقيقية بنسبها، أو إنها تعمدت إخفاء نسبها لكي تستطيع أن تجعل لنفسها النسب الذي تريده في كل فترة من فترات حياتها وحسب المخاطر التي كانت تواجهها أثناء رحلتها.

في ظل الأصول المختلطة لإيزابيل لم يكن مستغرباً أن ترث ذخيرة واسعة كاللغات الإيطالية والفرنسية والروسية إلى جانب لغات أخرى تعلمتها فيما بعد كالعربية والتركية، كما كانت لها ثقافة واسعة ويعود الفضل الكبير في ذلك إلى معلمها الأب ألكسندر الذي كثيراً ما كانت تذكره في رواياتها.³

هذا الأخير الذي بالرغم من أنه لم يدخلها المدرسة في بداية تعليمها لكنه تولى تعليمها تعليماً جيداً فقد عمل على تدريسها اللغات كما درسها العديد من العلوم كالفلسفة والتاريخ والجغرافيا والكيمياء وقليلاً من الطب، كما استفادت من المكتبة الكبيرة التي كان يحويها البيت الذي كانت تقطنه (فيلا نوف) والذي كان يزخر بالمعاجم والكتب المختلفة اللغات والتي نهل منها إيزابيل الكثير كما أنه لم يقتصر على تعليمها العلوم الإنسانية واللغوية بل كان يدرها على كل مناحي الحياة حيث نجده اشترى لها حصاناً وعلمها ركوب الخيل.⁴

¹ - Ali -khodja Djamel, "Isabelle Eberhardt: regards, désirs et création d'un mystique", -

Revue Sciences Humain, N13, 2000, p16.

² - Déjeux Jean, "Isabelle Eberhardt Oeuvres Complètes Ecrites sur le Sable - (Récits, Notes et Journaliers)", **Hommes et Migrations**, N1121, avril 1989, p44.

³ - يزن الحاج، "الجمل أعادتها إلى الضاد إيزابيل إيرهارت عاشقة الصحراء"، جريدة الأخبار، عدد 2176، 12/14، 2013، ص13.

⁴ - إيزابيل إيرهارت، ياسمينة وقصص أخرى، المرجع السابق، ص17.

وكانت إيزابيل تحب المغامرة وارتداء زي الرجال وكذلك انتحال أسماءهم مستفيدة من نحافة جسمها وقد استعارت العديد من الأسماء منها نيكولا بودنسكي (Nicola Bodenski) وغيرها من الأسماء، أما عن أول اهتمام لها بالجزائر فقد بدأ منذ التحاق أخيها بالجيش الفرنسي بالجزائر الذي طلبت منه أن يدون مذكراته عن الجزائر كجندي وذلك بعد استقراره بها، وعكفت منذ رحيله على تعلم اللغة العربية والقبائلية والرسم وذلك لكي تتمكن من إعداد الرسوم التخطيطية في رحلاتها، كما أنها بدأت تفكر في السفر للجزائر والتي كتبت عنها قبل أن تزورها في المجلة الباريسية الجديدة قصة "رؤية المغرب" تلك القصة التي وصفت فيها الجزائر قبل رؤيتها لها.¹

أما فيما يتعلق برحلتها إلى الجزائر² فقد هاجرت لها رفقة أمها في شهر ماي من سنة 1897 وعمرها عشرون سنة وقد استقرتا في البداية بمدينة عنابة بالحي العربي لتعتنقا فيه الإسلام بعد مدة قصيرة.³

تركت إيزابيل أمها لتتجه إلى العاصمة أين ربطت علاقة مع رئيس تحرير "جريدة الأخبار" الفرنسية "L'Akhbar" فيكتور باروكان (Victor Barukan) هذا الأخير الذي أصبح من أصدقائها وأحد ناشري أثرها بعد موتها⁴. لتعود بعدها إلى عنابة وأثناء فترة تواجدها بها رفقة أمها أصيبت هذه الأخيرة بمرض أودى بحياتها في 28 نوفمبر 1898 مما تسبب في دخول ابنتها إيزابيل في حالة نفسية متدهورة سافرت على إثرها إلى تونس لقضاء فترة نقاهة على حساب السلطات الاستعمارية.⁵

في عام 1898 نشر الجهاز الإعلامي "النادي الثقافي" "L'Athénéé" بعض قصصها ومقالاتها لكنه سرعان ما توقف عن ذلك بسبب خلاف وقع بينها وبين المدير حول قضية دريفيس⁶ وأفكار أخرى معادية للسامية مما

¹ - إيزابيل إيبهارت، **ياسمينة وقصص أخرى**، المرجع السابق، ص 17 - 18.

² - لتتبع رحلة إيزابيل بالجزائر ينظر الملحق رقم: 03، ص 262.

³ - F. Guillermet, "Isabelle Eberhardt De La Légende A La Vérité", Les **Marges**, N51, 15/07/1914, p93.

⁴ - سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، الجزائر، دار الرائد، عالم المعرفة، ج 5، 2009، ص 124.

⁵ - إيزابيل إيبهارت، **ياسمينة وقصص أخرى**، المرجع السابق، ص 19.

⁶ - **قضية دريفوس**: إرتبطت هذه القضية بالضابط اليهودي ألفريد دريفوس (Alfred Dreyfus) المدان سنة 1894 بالخيانة الوطنية والعمالة للعدو الألماني وقد أحدثت هذه القضية شرخاً عميقاً في الأوساط السياسية والثقافية وداخل المجتمع الفرنسي بعد أن أصبح كل من ينتسب إلى اليهودية بالأصل أو بالثقافة أو بالعقيدة موضع تشكيك ينظر بلينيل إيدوي، **من أجل المسلمين**، تر: القرشي عبد اللطيف، ط 2، باريس، منشورات لاديكوفيرت، 2015، ص 18.

جعلها تفقد مصدر رزقها لكنها في تلك الآونة تمكنت من بداية كتابة قصتها "راحيل" وهي القصة التي رافقتها أينما ذهبت ولم تستطع إكمالها.¹

وفي 14 مارس 1899 اضطرت إيزابيل إيبرهات للعودة إلى جنيف لتكون حاضرة أثناء وفاة الراهب تريغومفسكي بمرض السرطان والذي كان لوفاته بالإضافة إلى وفاة والدتها أثر كبير عليها من الناحيتين النفسية والمادية فبعد موتها أصبح لزاماً عليها أن تعتمد على نفسها في الحياة فعادت إلى تونس لفترة وجيزة لكنها غادرتها لتلتحق بأخيها أوغسطين بفرنسا والذي وجدته هو الآخر غارق في صعوبات مالية حمة ما اضطرها لزيارة العديد من المدن الباريسية للوصول إلى مصدر مالي ولكن دون جدوى لتتعرف بعدها على السيدة مور تلك الفرنسية التي تم اغتيال زوجها المغامر الماركيز ذي موريس (de Moraes)² في ظروف غامضة وقد كانت السيدة تريد التعرف على حيثيات هذا الحادث، كما كانت تود معرفة قاتلي زوجها وقد أعجبت بشخصية إيزابيل ورأت فيها الشخص المناسب للخوض في هذه القضية فكلفتها بهذه المهمة، فانتقلت إيزابيل إثر ذلك رفقة أخيها إلى تونس للتحقيق في تلك القضية ومن تونس تابعت رحلتها إلى الجزائر العاصمة³ ومنها توجهت نحو بسكرة ثم تقرت ونزلت بعدها فندق الواحات سنة 1899 وكان عمرها عندئذ 22 سنة، لتتوجه بعد ذلك إلى وادي سوف بالرغم من حرارة الصيف الشديدة بتاريخ 21 جويلية 1899 ثم بتاريخ آخر في 31 جويلية 1900.⁴

وذكرت إيزابيل في رسالة لها إلى جريدة "البرقية الجزائرية" "La Dépêche Algérienne" بتاريخ 22 يناير 1901 والتي نشرت في 4 جوان 1901 بأنها اعتنقت الإسلام، وقد زارت الوادي لأول مرة في صيف 1899

¹ - إيزابيل إيبرهات ، ياسمينة وقصص أخرى، المرجع السابق، ص 20

² - الماركيز ذي موريس "Marquis de Morris": هو رحالة فرنسي اسمه الأصلي "انطوان فالمبروزا" Antoine Valmbroza، ولد عام 1858 وينتسب إلى أسرة أرستقراطية، وقد جمع ثروة مالية وذلك للقيام بمغامرة يرفع بها اسمه في عالم الاستكشاف، فبدأ رحلته من منتصف شهر ماي 1986 من جنوب تونس، غير أنه وجد معارضة لرحلته من طرف السلطات الفرنسية بتونس وبالخصوص من ناحية الطريق الذي سيسلكه، كما أن الولاية العامة بالجزائر أرسلت تعليمات إلى الجنوب الجزائري تحرض على منعه، تم اغتياله في ظروف غامضة حيث استقبله بتاريخ 9 جوان 1986 سبعة من الشعابنة بوابل من الرصاص فقتل في الوطية على بعد 560 كلم من مدينة غدامس الليبية، وكان لحادث مقتله ردود فعل قوية في الصحافة التونسية والدولية. ينظر علي غنابزينة، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300-1374 هـ / 1882-1954، (رسالة دكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، إشراف بن خروف عمر)، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 32.

³ - إيزابيل إيبرهات ، ياسمينة وقصص أخرى، المرجع السابق، ص 19-21.

⁴ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 ، ج 6، المرجع السابق، ص 385.

وذلك بعد أن جابت صحراء الجنوب الشرقي وبعد زيارتها لمدينة قسنطينة نزلت الوادي مرة أخرى سنة 1900 للاستقرار فيه وقد سمته بلاد الكتبان الرملية والنخيل الظليل،¹ وقد تنقلت فيه تحت اسم مستعار هو "محمود السعدي" كما قامت بالعديد من الزيارات إلى القرى المجاورة، أحببت إيزابيل أهل سوف ولباس الوبر وانطبعت بطبيعة المنطقة وجمال عمراتها، واشترت حصاناً بتلك المنطقة أطلقت عليه اسم سوف واشترت قطعة أرض وبدأت تفلحها، كما أنها اتصلت بالطرق الصوفية عن طريق الطيب النايب مُجَّد² وسي الحسين³ ورجال دين آخرين مشهورين في المنطقة مثل سي الهاشمي⁴ وسي مُجَّد الإمام⁵ كما تعرفت بسوف على سليمان هني أحد فرسان الصبايحية والذي أصبح فيما بعد زوجاً لها.⁶

وبينما كانت إيزابيل تعمل على تتبع أخبار قتلة ذي موريس وتمارس نشاطها كمريدة قادية وقع عليها اعتداء في البهيمة⁷ من قبل أحد أتباع التيجانية بتاريخ 29 يناير 1901 فانعقدت حيال تلك القضية المحكمة العسكرية في قسنطينة والتي حكمت على الجاني بالأعمال الشاقة بينما حكمت على إيزابيل بالنفي باعتبارها شخص أجنبي وقد

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج6، المرجع السابق، ص385.

² - مُجَّد الطيب النايب بن ابراهيم: مؤسس زاوية الرويسات القادية في ضواحي ورقلة كما كان له العديد من الأتباع في الاغواط وغرداية والشعابنة. ينظر عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2007، ص104.

³ - سي الحسين: هو أخ الشيخ الهاشمي، وهو شيخ زاوية قمار بوادي سوف. نفس المرجع، ص104.

⁴ - الهاشمي بن ابراهيم: مؤسس زاوية عميش بوادي سوف، عمل على تجنيد الأتباع ونشر الطريقة القادية في أقصى الجنوب، كما ربط علاقات مع السودان وغات، كان موقفه متقلباً تجاه السلطات الفرنسية بالجزائر حيث وقف إلى جانب فرنسا عند إعلان الحرب العالمية الأولى ثم تحول عنها في مظاهرة معادية لها عام 1918 عندما كانت تجند العمال للخدمة في فرنسا، وهذا حين انطلقت الإشاعات على أن هؤلاء المجددون سيلحقون بالجيش فور وصولهم إلى فرنسا، وكانت المظاهرة أمام مكتب القائد الفرنسي بالوادي، وكان الشيخ الهاشمي على رأسها شخصياً، ما أدى إلى نفيه إلى تونس لبعض الوقت، توفي عام 1923 وخلفه ابنه عبد العزيز على مشيخة زاوية عميش القادية. ينظر نفس المرجع، ص ص104-105.

⁵ - مُجَّد الإمام بن ابراهيم: مؤسس زاوية صحن الشعابنة القادية بوادي سوف. نفس المرجع ص104.

⁶ - حنفاوي بعلي، المرجع السابق، ص125.

⁷ - البهيمة: قرية تدعى حساني عبد الكريم حالياً، تبعد عن الوادي ب 15 كلم من الشرق تقع غرب مدينة الرقم، وتوجد بها زاوية زاوية سيدي مُجَّد الشريف. ينظر عثمان زقب، "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا"، (مذكرة ماجستير، تاريخ حديث ومعاصر، إشراف يوسف مناصرية)، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005-2006، ص28. ابراهيم العوامر، تع: الجيلالي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، الجزائر، منشورات ثالة، 2007، ص402.

تأكدت إيزابيل أن مدبري الجريمة من عملاء الإدارة "بيرو عرب"¹ لتعود بانتهاء مدة النفي إلى مدينة عنابة، ثم تلتحق بعد ذلك رفقة زوجها سليمان هني بتنس والتي كان مكلفاً في بلديتها المختلطة من طرف الإدارة الفرنسية بدور المترجم.²

وعملت إيزابيل على استغلال العلاقات الشخصية التي تمكنت من تكوينها أثناء تواجدها بالجزائر وظلت تنتقل بين مدينة الجزائر والواحات وباريس³ كما أنها تمكنت من زيارة لالة زينب⁴ شيخة الطريقة الرحمانية في بوسعادة وكتبت وكتبت عنها⁵، وشقت طريقها أيضاً نحو جنوب الغرب الوهراني "عين الصفراء" كمراسلة صحفية منتحلة اسم مستعار "سي محمود" مرتدية بدلة الفارس العربي وخلال تلك الفترة تمكنت من تتبع الأحداث رغم خطورة الوضع، كما أنها تمكنت من وصف هذه المنطقة وذلك بعد أن تعرفت على الجنرال ليوتي (Lyautey) الذي عين في الفاتح من أكتوبر 1903 كقائد لإقليم عين الصفراء.⁶

ونزلت إيزابيل بعد ذلك ضيفة على زاوية الشيخ بوعمامة بقصر فقيق والتقت بالشيخ بوعمامة وهو الشيء الذي لم تشر له في رسائلها باعتبارها كانت موجهة للقراء الفرنسيين، ولكنها أوحى لقربها من مكان تواجد بوعمامة فقد ذكرت بأنها تمكنت من خوض طريقها إلى قنادسة بعد أن حضرت ليلة أحياء المولد النبوي في بني ونيف لتغادر هذه الأخيرة في نهاية شهر ماي إلى بشار.⁷ وقد صاحبها على طريق بشار الجليلي ولد البختي المخازني وكانت بوعماماش المنطقة الأولى التي نزلها بعد بني ونيف ومنها عبرا مضايق بن زيرق ممر الجوالين المتربصين وقد عبرت إيزابيل عن

¹ - بيرو عرب (المكاتب العربية): مركز الحكم في الأقاليم التي تخضع للحكم العسكري، يتأسسه ضابط مكلف بشؤون الأهالي، وقد كان لها دور كبير في إحصاء القبائل والتعريف بها. ينظر Jacques Frémeaux, **Les Bureaux Arabes dans Algérie de la Conquête**, Paris, Denoel aventure Coloniale de France 1993, P 310.

² - حنفاوي بعلي، المرجع السابق، ص ص 125 - 127.

³ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 125..

⁴ - لالة زينب (1872-1905): ولدت في بلدية الهامل، حفظت القرآن وتفقهت على يد والدها، تولت إدارة الزاوية بعد وفاة مؤسسها، فأحسنّت تسييرها، كتب عنها بعض المستشرقين الذين رأوا فيها مثلاً للمرأة العربية المسلمة التي أثبتت جدارتها في حسن الإدارة والسياسة، توفيت في الزاوية ودفنت بجنب والدها. ينظر نور الدين أبو لحية، **جميع العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما دراسة علمية**، ط 2، (د، م)، دار الأنوار للنشر والتوزيع، 2016، ص 93.

⁵ - Isabelle Eberhardt, **Notes de Route Maroc-Algérie-Tunisie**, Paris, Eugène fasquelle éditeur, 1908, p292.

⁶ - حنفاوي بعلي، المرجع السابق، ص ص 127 - 128.

⁷ - عبد الله حمادي الإدريسي، **الإستبصار في تاريخ بشار وما جاورها من الأمصار**، ط 1، (د، م)، إبتكار للنشر والتوزيع، ج 3، 2013، ص 318.

وحشة هذه المنطقة بقولها "تشبه بن زيرق الأماكن المشثومة التي نراها في الكوايس" وبعد تلك المنطقة مرا بمركز بالهوارى الذي كان بيد مخازنية بدو من قبيلة "رززين" من دائرة سعيدة ليصلا بعدها إلى بشار والتي قالت فيها "بشار تعاقدة كولومب تختلط هذه الأسماء كلها في الحقيقة بشار اسم المنطقة واسم الجبل الذي يسد الأفق، تعاقدة هو القصر وغابة النخيل العليا التي تشرف على واقدة أما كولومب فيشير إلى الحي الذي مازال في طور البناء".¹

ومن بشار اتجهت ايزابيل صوب قنادسة رفقه عبد أسود خصصه لها قدور أو بركة يدعى الخرطاني مبارك وقد وصلت لها على صفة سي محمود الشاب التونسي الذي يسافر من زاوية لأخرى لطلب العلم حاملة معها رسالة توصية من مقدم الطريقة القندوسية بعين الصفراء إلى شيخ الزاوية الزيانية بالقنادسة سيدي إبراهيم، واللذان لم يعلما بأنها امرأة كما صحبت معها توصية من الجنرال ليوتي إلى الضباط الفرنسيين ببشار وذلك باعتبارها صحفية تعمل لصالح السلطات الفرنسية وقد استقرت بالقنادسة لمدة سبعة أسابيع لتغادرها بعد ان أصيبت بحمى من أنواع الملاريا Paludisme لتقرر بعدها العودة إلى عين الصفراء للعلاج وذلك بعد أن تزايدت عليها حمى هذا المرض وقد كانت تنوي زيارة تافيلالت نزولا عند رغبة أحد أصدقائها التيفياليين من طلبة العلم بزواية القنادسة ولكن المرض حال دون ذلك.²

كما أنها كانت تنوي الذهاب لتوات بعد زيارتها للقنادسة وفي هذا الصدد قالت: "انوي التوغل حينها حتى واحات توات ليست هذه البقاع مجهولة تماماً ولكن لا أحد كتب عنها شيئاً ذا قيمة ولا رصد الحياة والعيش فيها".³

غير أنها ونتيجة لمرضها بقيت بعين الصفراء ودخلت المستشفى للعلاج لكنها غادرته رغم إلحاح الطبيب ببقائها فيه لتعود إلى منزلها بمدينة عين الصفراء والذي كان يقع على حافة الوادي أين تلقى حتفها على إثر فيضان الوادي الذي جرفت مياهه بيتها في 21 أكتوبر 1904، ولم تستطع إنقاذ نفسها وذلك لأن زوجها لم يكن معها وهي لا تمتلك القوة لفعل ذلك.⁴

¹ - Isabelle Eberhardt et Victor Barrucand, **Dams L'ombre Chaude de L'slam** , - 1
Parise, Librairie Charpentier et Fasouelle, 1921, pp34- 53.

² - عبد الله حمادي الإدريسي، الإستبصار في تاريخ بشار وما جاورها من الأمصار، المرجع السابق، ص 318- 331.

³ - Isabelle Eberhardt et Victor Barrucand, **Dams L'ombre Chaude de L'slam**, - 3
op,cit, p197.

⁴ - Robert Randau, "Un témoignage sur la mort d'Isabelle Eberhard", **Annales africaines (Alger)**, N13, 01/07/1936, pp210-211

وتم العثور على جثتها المدفونة في الوحل بعد يومين من الحادث من قبل رجال الجنرال ليوتي¹ ليقوم السكان بعد ذلك بدفنها في مقبرة سيدي بوجمعة بعين الصفراء.²

وذهب البعض إلى أن إيزابيل ابرهارتم تمت قضاءً وقدرًا بحجة أن سليمان هني كان موجوداً أثناء وقوع الفيضان وكان بإمكانه إنقاذها من الغرق تحت الوحل لكنه لم يفعل ذلك، ومعنى هذا أنه قتلها لكن السؤال الذي بقي مطروح لماذا تركها تموت وهو يعرف أنها كانت على أي حال في طريقها إلى الموت؟ إيزابيل في شهورها الأخيرة أضحت مجرد جسد نحيل لا يكاد يقوى على الحركة، غير أن هذا لم يكن السؤال الوحيد حول إيزابيل فقد كانت الأسئلة كثيرة خاصة حول ما كانت تفعله؟ وما هي علاقتها الحقيقية بالماريшал ليوتي حاكم منطقة المغرب العسكري من قبل السلطات الفرنسية والذي حصلت منه على حماية بعد عودتها إلى الجزائر والذي يظهر كما ورد سابقاً أنه كلفها بمهمات دعوية واستخبار في المناطق الجزائرية النائية؟ وهل كانت تعمل لحساب المخابرات الفرنسية كما كان العرب والألمان يقولون؟ أم أنها كانت تعمل قبل الثقتها بليوتي لحساب المخابرات الألمانية كما كان يقول الفرنسيون؟ هذا الاحتمال الذي فندته بمقولتها التي كتبتها في يومياتها بخط يدها بقولها: "لقد اهتمت دائماً بأن أقدم لأصدقائي من أهل المنطقة الأصليين، أفكاراً صحيحة ومعقولة وبأن أشرح لهم أن الهيمنة الفرنسية أفضل لهم بكثير من الحكم التركي أو غيره" لذا سيكون اتهامها بالعمل ضد المصالح الفرنسية يحتاج إلى تمحص كبير.³

ب- بلوسي ماردريس ورحلتها نحو بشار:

بلوسي ماردريس (Plussi Mardris) صحفية، كاتبة، أديبة وشاعرة رحالة ولدت بفرنسا بمسقط رأسها بمدينة أنفلور "Honfleur" بتاريخ 7 نوفمبر 1847 خلفت العديد من الأعمال الأدبية تراوحت بين الشعر والنصوص الأدبية والرحلات، زارت العديد من البلدان العربية الإسلامية كتونس ومصر وتركيا والجزائر، كما عملت على تدوين رحلاتها في كتب مطبوعة منها كتابها "le cheval" والذي دونت فيه بعض رحلاتها ومنها رحلتها إلى بشار، كما لها كتاب آخر دونت فيه رحلاتها إلى بعض البلدان العربية بعنوان "المشرق العربي الذي أعرفه" "El Arab L'orient que j'ai connue" وفي هذا المؤلف سردت طريقها إلى القنادة وبشار وني ونيق وفاق والعين الصفراء، وقد رافقها في رحلتها نحو الجنوب الوهراني ومنها بشار والقنادة زوجها الدكتور الأديب السيد

¹ - A.O, Sérié A, N 5928, Marie-Odile Delacour, Jen-Ren huleu, op,cit, p302.

² - حنفاوي بعلي، المرجع السابق، ص 131.

³ - ابراهيم العريس، "إيزابيل إبرهات: غرقت، أغرقت أم انتحرت"، فضاءات الوسط، ع 2421، 23/4/2009، ص 14.

J.C.Mardrus المترجم الاول لكتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع إلى اللغة الفرنسية، توفيت هذه الأديبة الرحالة المغامرة بتاريخ 26 أبريل 1945 بفرنسا.¹

وأما بخصوص رحلتها في الجزائر فقد سارت رفقة زوجها إلى الجنوب الوهراني في الغرب الجزائري في شهر أكتوبر 1905 راكبين على الخيل وقد تمكنت من زيارة قبر إيزابيل إيراهاارت الصحفية السويسرية السالفة الذكر بعد أن كان قد مر على وفاتها سنة كاملة، واستفادت من خط المسير الذي سارت عليه تلك المغامرة في بلاد بشار إلا أنها لم تتنكر في زيها بل رافقها زوجها مرتدية لباس الرجل الأوربي السروال في البداية فقط وذلك لتسهيل الحركة وعند وصولها إلى بشار قامت بارتداء الزي الأنثوي فبمجرد نزولها القنادسة ارتدت لباس المرأة الأوربية الفستان الطويل، وقد التقت بقائد منطقة عين الصفراء الجنرال ليوتي في بشار وفي غيرها من القرى التي قامت بزيارتها وقد عمل هذا الأخير على تسهيل رحلتها في تلك المنطقة.²

أما عن خط سيرها فقد ذكرت بأنها سارت من بشار نحو قنادسة رفقة زوجها وبعض العسكر كما أنها نزلت هي ووفدها عند شيخ الزاوية الزيانية بالقنادسة سيدي إبراهيم بدار الزاوية، وقد أشادت بحسن الضيافة التي لاقتها هي وأتباعها من هذا الشيخ وذكرت في ذلك بأنه قدم لهم اللحم المشوي اللذيذ وبعض الطعام ثم وفد عليهم بعد الأكل ثلاث عبيد من الزاوية يضعون بأذانهم أقرط مزخرفة كعلامة على أنهم عبيد وليسو أحرار فأداروا عليهم طاس الغسيل الفضي ومنديل التجفيف والمبخرة.³

وصفت بلوسي سيدي إبراهيم شيخ الزاوية كما ذكرت بأنه عند قدومها إلى زاويته أمر أحد شباب المرابطين بأن يأخذها إلى منزله لتتعرف على زوجته وعائلته وقد كان بمنزل هذا الشيخ مجلس للنساء فدخلت عليهن وأقعدتها زوجة الشيخ إلى جانبها وقد ذكرت هذه الرحالة بأن هذه الأخيرة وجهت لها بعض الأسئلة حيث سألتها عن أحوالها وهل لها أولاد وعن سفرها وكيف لم تخف من صعوبة هذه الرحلة ومن قطاع الطرق فأجابتها أن لها زوج وليس لها أولاد وأنها سافرت دون خوف طالما أن مقصدها كان القنادسة ففرحت النساء بما بل إن منهن من أطلقن زغاريد.⁴

تذكرت بلوسي من خلال زيارتها لهذا المجلس من وصفه ابتداءً من ألوان النساء فقد أشارت بأن منهن البيضاوات والسمرات، كما وصفت نوع الفراش الذي جلست عليه وذكرت أنها أول أوربية رأيتها هؤلاء النسوة بالقنادسة وهذا

¹ - عبد الله حمادي الإدريسي، الإستبصار في تاريخ بشار وما جاورها من الأمصار، المرجع السابق، ص 332.

² - نفس المرجع، ص 333.

³ - نفس المرجع، ص 333 - 334.

⁴ - نفس المرجع، ص 334.

بالطبع خلافاً لإيزابيل إبيرهات التي لم يتعرف عليها، وذلك لأنها قدمت القنادسة متكرة بزي وشخصية طالب تونسي يدعى محمود ولد علي.¹

وتنقلت بلوسي بعد زيارتها مدينة القنادسة إلى بشار واصفة شارعها الرئيسي الذي ذكرت بأنه يحوي مجموعة محلات على جانبي الطريق، كما تحدثت عن واحة بشار التي وصفتها بأنها واحة جميلة المنظر وتحدثت عن فندق ديلزول وهو الفندق الذي أقامت به في بشار، كما تحدثت عن عزومة من طرف السلطات الاستعمارية دعيت لها رفقة زوجها وكان يحضرها الأعيان من رجال الجيش الفرنسي، كما عزمها أيضاً أحد أعيان بشار من العرب المسلمين، ثم سافرت بعد بشار نحو بني ونيف فتحدثت عن مكتب العرب بها وعن بعض الأخبار القصيرة ومنها رحلت نحو فقيف المغربية المحاذية لبني ونيف فوصفت بعض قصورها وواحاتها.²

ح- رحلة لويس ريجيس بالجزائر:

لويس ريجيس (Louis Régis) كاتبة ورحالة فرنسية زارت الجزائر سنة 1879 ظهرت للقراء في نفس السنة وهذا عندما نشرت أول عمل لها "رحلة إلى بسكرة" "Un Voyage à Biskra" في مجلة العالمين بتوقيع مثقف سياسي وقد انتحلت هي الأخرى شخصية رجل لكنها سرعان ما كشفت عن شخصيتها الأثوية في عملها الثاني حول قسنطينة التي ألفت حولها كتابا عنوانته ب: "قسنطينة، سفر وإقامة" "Constantina: voyages et séjours".³

وقد بدأت الرحالة لويس رحلتها مند نزولها في ميناء سكيكدة حيث ذكرت بأن مدينة سكيكدة أسسها الفرنسيون منذ الاحتلال، كما رأت بأنها لا تحوي أي خصوصية هندسية لتصل بعد ثلاث أيام إلى مدينة قسنطينة، والتي عبرت عن إعجابها الكبير بمعالمها منذ البداية وقالت فيها "قسنطينة منذ النظرة الأولى تتجاوز بكثير من الأصالة ما كنا ننتظره وكل يوم فيها يحمل للغريب موضوعات مهمة أكثر حيوية وجدة" كما ذكرت بأن هذه المدينة دخلت تحت السيطرة الفرنسية منذ سنة 1837 وعبرت عن تأسفها لما طرأ على هذه المدينة الجميلة من تغيرات قام بها الفرنسيون والتي عملت على طمس المعالم العربية ذات الطابع المحلي، كما تحدثت عن الفرنسيين في هذه المنطقة وطريقة تعاملهم مع الجزائريين، وتحدثت عن الموقع الذي قامت منه السلطات الفرنسية بالهجوم الثاني على المدينة

¹ - عبد الله حمادي الإدريسي، الإستبصار في تاريخ بشار وما جاورها من الأمصار، المرجع السابق، ص 335.

² - نفس المرجع، ص 335.

³ - الواعر صبرينة، "يهود مدينة قسنطينة من خلال رحلات الفرنسيين إبان القرن 19م"، مجلة عصور الجديدة، ع خاص بقسنطينة عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2015/10/18، ص 181.

والمعروف بكدية عاتي، كما وصفت هذه الرحالة سهول الحامة الجميلة المتصلة بجبال جرجرة والتي غرست منذ عهد الدايات وأقام بها العرب مساكنهم وأنشئوا بها حدائقهم التي كانت تنتج لهم البرتقال والرمان والتين والزيتون ونوهت كذلك إلى أنه إلى غاية تلك الفترة التي زارت فيها قسنطينة كانت لا تزال تلك السهول بأيدي العائلات الكبيرة، كما وصفت سكان قسنطينة بما فيهم البرانية أو سكان الجنوب الذين كانوا يقدمون إلى قسنطينة في فصل الصيف لمدة شهر أو شهرين.¹

قضت ريجيس حوالي ثلاثة أشهر في مدينة قسنطينة في الفترة الممتدة بين 15 ماي 1879 إلى غاية بدايات شهر سبتمبر حيث سافرت إلى باتنة ومنها إلى بسكرة لتخرج منها بتاريخ 26 سبتمبر عائدة إلى الجزائر ومن ثم إلى فرنسا وأثناء تواجدها بقسنطينة كانت تزور بين الفينة والأخرى ضواحيها والمدن القريبة منها كمدينة ميله والبليدة والمدية.² إن المتتبع لرحلة لويس ريجيس يلحظ بأنها اهتمت بتاريخ المدن التي زارتها حيث نجدها تذكر بأن ميله مدينة رومانية جميلة وتوقفت أمام نافورتها الجميلة كما أنها اهتمت بالجانب الديني للجزائريين حيث وقفت على تصرفات بعض المرابطين وبعض الفرق في الجزائر كفرقة العيساوة.³

أما بخصوص الجانب الجمالي فنجدها تعبر عن إعجابها الشديد بالمناطق التي زارتها ومن المعالم التي جذبت لويس ريجيس جامع قسنطينة الكبير المسمى بمسجد صالح باي وقد ذكرت بأن هذا الجامع يقع في المكان الذي يسمى اليوم ساحة قصر العدالة وقد بهرت هذه الرحالة بنظافة مسجد صالح باي، كما أنه سحرت ببرودته التي قالت بأنها تخفف من حرارة الجو في الخارج، كما تحدثت عن المرأة القسنطينية ولباسها وقدرت بأنها تمتلك ذوقاً رقيقاً شأنها شأن نساء كل مناطق الجزائر، أما بخصوص عدم تعلم المرأة فترجعه ريجيس إلى خصوصية المجتمع الجزائري.⁴

وتحدثت الرحالة عن المقابر الإسلامية العربية التي رأت بأنها كانت تختلف كثيراً عن المقابر الغربية وذلك لما تحويه من أجواء روحانية ورهبة وخشوع وكذلك لما فيها من خيال وهيام في عالم الذكريات مع أصحاب القبور، كما وصفت مقبرة قسنطينة وقالت بأن بعض قبورها مغطاة بالأجر والبعض الآخر بالرخام الأبيض والأزرق، كما تحدثت عن

¹ - Louis Régis, **Constantine. Voyages et Séjours**, Paris, Libraire Nouvelle, -

1880, pp1-8.

² - صبرينة الواعر، المرجع السابق، ص ص 181-182.

³ - Louis Régis, op, cit, pp14- 99.

⁴ - Ibid, pp60, 157.

عادات الجزائر الممارسة أثناء دفنهم للموتى ونوهت كذلك إلى أن الجزائريين كانوا يسمحون لزوجاتهم بزيارة المقابر كما تحدثت عن التحية لدى الأهالي الجزائريين وغيرها من العادات الممارسة من طرف الجزائريين في حياتهم اليومية¹.

لم تكن كل من ايزابيل أيرهارت وبلوسي مادريس ولويس جويس الأوربيات الوحيدات اللاتي استهوتن الرحلة في الجزائر وكشف مكنوناتها بل ظهرت العديد من النساء الأوربيات اللاتي برز لديهن هذا التوجه مثل أودان كون (oden kon) التي قامت برحلة إلى الأوراس وقد حاولت هذه الأخيرة أن تخطوا خطى إيزابيل إيرهارت كما عملت على وصف طبيعة تلك المنطقة من وديان وغابات وجبال وقلاع كما نجد أنها كانت تحمل موجة غضب كبيرة ضد تصرفات الجيش الفرنسي في تلك المنطقة²، كما قامت السيدة دو باركي (Du Parquet) برحلة إلى الجزائر سنة 1879 والتي زارت خلالها مدينة بسكرة ووصفتها في نص جميل نشرته مجلة العالمين³.

من الملاحظ أن بعض هؤلاء النساء استهوتن المغامرة فركبن درب المخاطرة لكشف النقاب عن المجهول، أو بحثاً عن الذات والهروب من واقع غير مستحب لأنفسهن والالتجاء إلى مكان يمكنهن أن يقطن فيه دون مخاطر بعيدا عن كل التعقيدات الحضارية والمبادئ والقيم الأوربية، وبعضهن الآخر لم تكن كشوفهن واستطلاعتهن سوى امتداد للاستعمار بمختلف أنواعه السياسي والفكري والاقتصادي بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

¹ - Louis Régis, op, cit, pp39- 71.

² - Ausseur Jean, "Dans L'Aurès, Inconnu, par Odette Keun, Société Française - D'Edition Littéraires et Techniques, 1930", **La Quinzaine Critique**, des Livres et des Revues, N°33, Mai 1931, p484.

³ - اتيان برنو ، "الجزائر 1930-1962 فقدان الذاكرة، العفو العام، الذكرى: مرارة الجزائر"، نع: بوغفالة ودان، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع7، ديسمبر 2012، ص241.

خلاصة الفصل:

بعد التطرق لوضعية المرأة الأوروبية في أوروبا والجزائر خلصت إلى نتائج أهمها:

- عانت المرأة في أوروبا من اضطهاد الكنيسة والقوانين الوضعية الأوروبية التي كانت تنظر لها نظرة دونية ما جعلتها تعيش منبوذة مهمشة داخل مجتمعها محرومة من جميع حقوقها.
- أدت سياسة الظلم والقهر والتهميش الممارسة على النساء في أوروبا إلى ثورتهم مطالبات بمنحهن حقوقهن، وقد أعطى وقوف العديد من المفكرين والمتقنين إلى جانبهن دفعا قويا لهن في سيرهن نحو افتكك حقوقهن دون إغفال العديد من العوامل التي ساهمت هي الأخرى في زيادة الحراك النسوي على المستوى الأوروبي، كالثورة الفرنسية التي استلهمت منها النساء أفكار الحرية والعدالة والمساواة.
- تمكنت النساء الأوروبيات من الوصول لأهدافهن كما تمكن من الحصول على حقوقهن التي ناضلن من أجلها بكل ما أوتين من قوة و بمختلف الأساليب وذلك بعد معاناتهن من الظلم لسنين عديدة ومن ثم فإن تميزت بعض مطالبهن بنوع من الكلف والمغلاة وإنما مرده أولاً وأخيراً إلى سياسة التهميش والازدراء التي مورست عليهن من طرف مجتمعاتهن.
- وفد إلى الجزائر كغيرها من المستعمرات الفرنسية العديد من النساء الأوروبيات واللاتي تم استخدامهن في البداية كوسيلة لتوطيد سياسة الاستيطان بالجزائر وإن قدومهن الجزائر وغيرها من المستعمرات لم يكن إلا نتيجة من النتائج التي تمكنت من تحقيقها حركتهن التي قدنما في أوروبا والتي أعطتهن الحرية المطلقة فبرز لدى بعضهن حب المغامرة والترحال خاصة نحو إفريقيا والتي تعد الجزائر جزءاً منها.
- حظيت الأوروبيات في الجزائر على بعض الحقوق حيث سمح لهن بالتعلم كما أن بعضهن تمكن من الولوج إلى الميدان السياسي والمشاركة في المشروع الامبريالي الاستعماري بالجزائر .
- لم تتخل أوروبية الجزائر عن حركة التحرر التي بدأتها في بلدها فقد عملت على نقلها للجزائر والأخوة النسوي وذلك للوصول إلى أهدافها.

الفصل الثاني:

النشاط السياسي للمرأة الأوربية بالجزائر

● أولاً: مساهمة المرأة الأوربية في الدراسات

الاستعمارية بالجزائر

● ثانياً: تأثير المرأة الأوربية على القيادات المحلية

بالجزائر

أولاً: مساهمة المرأة الأوروبية في الدراسات الاستعمارية بالجزائر (دراسات المرأة الأوروبية حول الجزائر)

قام الفرنسيون منذ أنوطت أقدامهم الجزائر بدراسات عديدة ومختلفة سواءً كانت انثربولوجية وتاريخية، ثقافية وحتى اقتصادية وغيرها وذلك للتمكن من إخضاع الجزائر وإدارتها حسب المعطيات المتوصل إليها والعمل كذلك على تسهيل توغل الحملات العسكرية في جميع نواحي المستعمرة وغيرها من الأهداف المنشودة ولتحقيق ذلك غالباً ما كانت السلطات الاستعمارية تقوم بإرسال أخصائيين وعلماء لإعطاء بيانات وتقارير عن مختلف المناطق في الجزائر، بنوءً على ما سبق سيتم التركيز على الدور الذي كانت تقوم به المرأة الأوروبية في هذا المجال.

1-الكتابات العامة للمرأة الأوروبية عن الجزائر:

حظيت الجزائر بالعديد من الكتابات من طرف الفرنسيين والتي شكلت مادة مرجعية مهمة ومادة علمية ثمينة قدمت معطيات قيمة عن وضعية الجزائر في العديد من المستويات خاصة الجانبين الاجتماعي والاقتصادي، وذلك على اعتبار أن معظم من كتبوها كانوا عبارة عن رحالة جابوا الجزائر ودونوا انطباعاتهم عن مختلف المناطق التي زاروها ومن أهم النساء الأوربيات اللاتي كتبن عن بعض المناطق الجزائرية الكاتبة لويس ريجيس التي ألقت كتاباً حول مدينة قسنطينة عنونته ب: "قسنطينة: رحلة وإقامة" "Constantina: voyages et séjours" والذي صدر سنة 1880 وقدم له عضو الأكاديمية الفرنسية "مزيريس" (Mezeres) ولعل المتمعن لهذا الكتاب يرى أن مؤلفته كتبته على شكل يوميات وبالرغم من أنها عنونته هذا بعنوان "قسنطينة: رحلة وإقامة" إلا تحدثت فيه عن بعض المدن الجزائرية التي زارتها أثناء رحلتها كبسكرة وميلة وباتنة والقنطرة، ويتميز كتابها هذا بالدقة الكبيرة حيث تمكنت من وصف السكان وعاداتهم وتقاليدهم وملابسهم وأطعمتهم ومساجدهم بالإضافة إلى الأتھج والمقابر، كما وصفت الكولون وأسوار وأبواب المدن والجسور التي مرت عليها وغير ذلك من الأمور.

أبدت لويس ريجيس نوعاً من التعاطف مع الجزائريين حيث لاحظت منذ نزولها الجزائر إلى الحالة البائسة التي كان يعيش فيها الجزائريون ونوهت لذلك في كتابها، كما أنها تأسفت على ما قام به الفرنسيون من تغييرات على مدينة قسنطينة الجميلة تلك التغييرات التي عملت -من وجهة نظرها- على طمس المعالم العربية ذات الطابع المحلي والخصوصية العربية¹ وهو الأمر الذي جعل كاتب مقدمة الكتاب ينتقد دراسة لويس ريجيس وتمنى لو أنها دافعت عن الكولون كما دافعت عن الجزائريين قائلاً في ذلك: "هل تسمح لنا لويس ريجيس باعتراف واحد وملاحظة واحدة؟ ألم يكن حكمها قاسياً عن الكولون الفرنسيون إننا نصدق بكل حرية كل الجميل الذي تقوله عن العرب ولكننا كنا نأمل

¹ - Louis Régis, op, cit, p6.

لو كان لها رأي أفضل عن مواطنينا إننا نرغب أحياناً في الدفاع عنهم ضدها"، فنجدها تذكر بأن على الرغم من أن مدينة قسنطينة تتميز بالجمال والذي يلحظه كل زائر لها لأول وهلة ويستمر في ملاحظة جمالها كلما تجول في المدينة يوماً آخر غير أنه سيصاب بالصدمة عندما يرى هذه المدينة الجميلة تتلاشى بكل ما فيها من جمال عربي رغم كونها دخلت تحت السيطرة الفرنسية سنة 1837 لكن على الرغم من ذلك فإن لويس ريجيس لم تطالب بتغيير السياسة الفرنسية في الجزائر ولا بتحسين حالة الجزائريين كما أنها حاولت في مؤلفها تبرير بعض التجاوزات التي كان يقوم بها الفرنسيون فنجدها مثلاً تقول: "إننا مرغمون على تهديم منازل هي ملك لأكبر العائلات الأهلية، ومن ثم ننزع منهم طعم إمكانية البقاء".¹

كما أنها أشادت بالتعايش ما بين الجزائريين والفرنسيين وذلك عند ذكرها لبعض قادة الصحراء الذين كانوا يفدون قسنطينة خلال فترة الحر، وكانوا يكونون علاقات مع السلطة الفرنسية هناك واعتبرت ذلك النوع من التواصل توأماً تآلفياً ودكياً من طرف قادة الصحراء والذي سيمكنهم من تعلم مبادئ التحضر ولغة المنتصر، كما يجعلهم يسعون إلى تربية أبنائهم على الطريقة الفرنسية وبالتالي نجدها تدعو وبطريقة غير مباشرة لسياسة الاندماج بين الجزائريين والفرنسيين وعلى نقيض من ذلك نجدها تذكر الفائدة الكبيرة التي ستتوصل لها السلطات العسكرية الفرنسية في الجزائر من خلال تكوينها علاقات مع بعض قادة العرب وذلك لكسب مولايتهم من ناحية والتعرف على ما يفكرون به تجاه الفرنسيين من ناحية أخرى.²

بالإضافة إلى أن لويس ريجيس قامت باقتراح بعض المقترحات وذلك لتأمين الوضع الاقتصادي للفرنسيين في الجزائر وفي فرنسا كذلك، حيث نوهت في كتابها إلى كميات القمح الكبيرة التي كانت تنتجها مدينة قسنطينة وغيرها من المدن الجزائرية وذكرت بأن إنتاج الحبوب عندما يكون غزيراً في الجزائر فإن ذلك يظهر جلياً في فرنسا وذلك لأن السلطات الفرنسية في الجزائر كانت تصدر الكثير من كميات الحبوب إلى فرنسا التي كان يتم إرسالها من ميناء سكيكدة "فيليب فيل" إلى فرنسا وبعض الدول الأوربية كإسبانيا وتمنت لو أن الحكومة الفرنسية في الجزائر اتبعت سياسة رشيدة لاستهلاك هذا المحصول الذي كلما كان إنتاجه غزيراً في الجزائر كان متوفراً كذلك في فرنسا، ورأت أنه من الأجدر على الحكومة الفرنسية بالجزائر أن تقوم بملاء المخازن بالحبوب وذلك تحفظاً للسنوات العجاف والتي غالباً

Louis Régis, op, cit, pp6-7. -¹

Ibid, p6. -²

ما تكون مرعبة وتتميز بالقساوة في الجزائر كنتلك المجاعة التي حلت سنة 1866 والتي أهلكت العديد من السكان العرب.¹

كما أنها على الرغم من وصفها للمعمرين أصحاب الأراضي بعدم الإنتاجية من جانب ومطالبتها بتحسين أجور الجزائريين العاملين بأراضيهم من جانب آخر إلا أن مطلبها هذا لم يكن رغبة منها في تحسين أوضاع الجزائريين بقدر ما كانت تفكر في الحفاظ على تلك اليد العاملة الرخيصة التي كانت هي الوحيدة القادرة على زراعة الأرض الجزائرية وذلك لأن الكولون كانوا يقومون بالإشراف على الأراضي الزراعية وشراء المعدات وتعليم العمال الجزائريين كيفية استخدامها فقط ولا يقومون بخدمة الأرض، لهذا نجدها تحث على منح أولئك العمال الأجور التي يريدونها حتى لو وصلت إلى المطالبة بالمساواة في الأجور مع العمال الأوربيين وذلك لأنه من الصعب إيجاد عدد كاف من الأوربيين النشطين القادرين على ممارسة الزراعة في الجزائر وفي مناخها الحار.²

ويجوي هذا الكتاب معلومات قيمة ودقيقة مست تاريخ وثقافة المناطق التي زارتها بالخصوص مدينة قسنطينة بالإضافة إلى عاداتها ودينها والحياة اليومية للجزائريين وسياسة المعمرين فيها ما جعله يبدو كأنه موجهاً للقارئ الفرنسي أكثر من غيره، كما أنه لم يترك جانباً إلا وتحديث عنه ما جعله يبدو في النهاية وكأنه تقرير عن الوضع العام لمدينة قسنطينة والمدن التي قامت بزيارتها، كما يوحي كذلك إلى أن كاتبته كانت عضوة في البرلمان الفرنسي وان زيارتها تلك كانت سياسية أكثر منها سياحية.³

ومن المغامرات اللاتي تركن العديد من الأعمال حول الجزائر الرحالة إيزابيل إيبهرارت والتي يمكن تصنيف كتاباتها حسب طبيعتها إلى قصص قصيرة والتي تتعلق في مجملها بالحياة اليومية للأهالي بسوف والجنوب الوهراني، بالإضافة إلى المذكرات اليومية وكذلك المراسلات الشخصية والتي تتمثل في أكثر من 30 رسالة مع صديقها التونسي عبد الوهاب ورسائل أخرى قامت بنشرها في بعض الصحف في تلك الفترة، بالإضافة إلى التحقيقات العسكرية سواء ما

¹ - Louis Régis, op, cit, p115.

² Ibid, pp78-79.

³ - جروة علاوة وهي، "قسنطينة رحلة وإقامة"، صوت الأحرار، 2013/11/10، Https: WWW. Djazairess. Com/ Alahrar ، تاريخ الإطلاع 2017/11/17.

تعلق منها بمقاومة تاغيت أو الحملة الفرنسية على المغرب الأقصى وآخر تصنيف يتمثل في الروايات وقد خلفت هذه الرحالة رواية واحدة غير منتهية "المتشرد" "Le Trimardeur"¹ وهناك من قام بترتيب أعمالها كالتالي :
 أولاً: "في ظلال الإسلام الدافئة" "Dans L'Ombre Chaude de L'Islam": وهو عبارة عن مجموعة من النصوص التي تكلمت فيها الكاتبة عن رحلتها إلى زاوية فنادسة كما تحدثت فيه عن شاعرية الإسلام وكذلك حينها إلى الصحراء وقد جمعه ونظمه ونشره بعد وفاتها السيد فيكتور باركاند بمطبعة "Fasquelle" سنة 1921 وقد أضيف إلى هذه الطبعة جزئين آخرين تحت عنوان "أشياء من الصحراء" "Choses du Désert" و"ساعات تونسية" "Heures du Tunisie" ومن العبارات الجميلة التي عبرت فيها عن إحساسها تجاه الإسلام قولها: " أن نكون في صحة جيدة أنقياء من كل دنس بعد حمام من الماء البارد أن نكون بسطاء ونمتلك عقيدة لا ريب ولاشك فيها أن ننتظر بلا خشية وبصبر الساعة المحتومة ساعة الدخول إلى الأبدية -تلك هي الطمأنينة تلك هي سعادة المسلم -ومن يدري ربما هي الحكمة نفسها....."² وقد تأثر بهذا الكتاب العديد من القراء منهم المفكر مالك بن نبي³ الذي قال فيه "هذا الكتاب ترك فينا بسبب خصائصه الخيالية تأثيراً عجبياً فالكتاب وضع أمامي إسلاماً شاعرياً ولكنه إسلام غير مبال يبحث عن النسيان في المخدرات".⁴

ثانياً: أوراق من الإسلام "Pages L'Islam" قام بجمعها وتنظيمها فيكتور باريكون (Victor Barrucand) وطبعت بمطبعة Fasquelle سنة 1920 وهي عبارة عن مجموعة من القصص القصيرة.⁵

¹ - محمد ناصر لزهري، "أعمال إيليزابيت هاربرت والأعمال الأدبية المكتوبة عنها" ملتقى إيزابيل أبرهات، دار الثقافة، الوادي، 6-7 ماي 1998، ص ص 14 - 15.

² - Isabelle Eberhardt et Victor Barrucand, **Dams L'Ombre Chaude de L'Islam**, op, cit, p189.

³ - مالك بن نبي (1905-1973): كاتب ومفكر إسلامي، ولد بقسنطينة ودرس القضاء في المعهد الإسلامي المختلط وتخرج في الثلاثينيات مهندساً ميكانيكياً من معهد الهندسة العالي بباريس، زار مكة وبعض الأقطار العربية، وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره باللغة الفرنسية، تولى إدارة التعليم العالي بوزارة الثقافة والإرشاد القومي سنة 1964، وكان عضواً في مجمع البحوث الإسلامية، من آثاره "الطاهرة القرآنية"، مشكلة الثقافة". ينظر عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، بيروت، لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية، 1980، ص 282.

⁴ - مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، ط2، دمشق، دار الفكر، 1984، ص 87.

⁵ - Isabelle Eberhardt, **Page d'Islam**, Parise, Librairie Charpentrier Et Fasquelle, 1920, p3.

ثالثاً: مذكرات طريق "Notes de Rout" (1920) وقد رتبها باريكون وطبعت مطبعة Fasquelle سنة 1908 تكلمت فيه إيزابيل ايبهارت عن يومياتها بعد مغادرتها الجزائر إلى عين الصفراء كما كتبت فيه بعض المقالات عن بعض المدن التي زارتها ككفريق وني ونيف ودونت فيه ملاحظاتها حول الساحل التونسي وعودتها للجنوب الجزائري وزيارتها لبعض المدن الجزائرية كبوسعادة والمسيلة وكذلك زيارتها للاله زينب شيخة الزاوية الرحمانية وذكرياتها في مدينة الوادي،¹ وقد كانت هذه المذكرات بمثابة الجزء الثاني للأعمال الأدبية المتعلقة بالجنوب الوهراني.

رابعاً: "في بلد الرمال" "au pay des sables" (1920) وقد حضرها السيد كلوي بوليود (Chloé bulliod) بمطبعة طوماس "Thomas" بيون ألمانيا.²

خامساً: "les Trimadeur" (المتشرد) وهي الرواية الوحيدة التي خلفتها إيزابيل ايبهارت كتبها سنة 1904 وقد قدم لها وأنهاها السيد باريكون بمطبعة Fasquelle ونشرها عام 1922³ البطل في هذه القصة هو ديمتري Dimitri شاب روسي أرستقراطي أمه مسلمة، كان في البداية ذو توجه ثوري رافض لسياسة التسلط والاضطهاد الذي كان يعاني منه الشعب الروسي، لكنه سرعان ما تحول إلى الاتجاه المثالي الذي كان يدعو إلى حرية الفرد والتي رأى بأنها لن تتحقق إلا باتجاهه نحو التشرد الشيء الذي جعله يرتبط بعلاقة مع بعض العاهرات وذلك لأنه كان يرى بأن حياته يجب أن تكون مع اللقطاء والمتشردين وقد غادر روسيا نحو سويسرا ففرنسا، لينزل بمدينة مرسيليا التي سمع فيها نداءات إفريقيا من خلال الآفاق البعيدة، ولما كان يعتقد بأن تحقيق أحلامه المتمثلة في تخليص الآلام والأحزان في إفريقيا لن تتم إلا بسفح دم أحد رجال البوليس الفرنسيين قام ديمتري بقتل أحد البوليس في أحد المظاهرات، ولكي يتخلص من متابعة العدالة له يقوم بالانضمام إلى صفوف الفرقة الأجنبية الفرنسية بالجزائر، ليتجه بعدها إلى وهران ومنها إلى سعيدة التي وقف على هضابها متفكراً وتوصل إلى أن السعادة تكمن في تحقيق اللذة في الآلام والأحزان كما اختلط بالأهالي وتعلم العربية وارتاد المقاهي العربية، كما أنه اشتغل عند أحد المعمرين يدعى موري (Mori) وأقام علاقة مع إحدى خادمتها سيدة وتدعى طاطاني هذه الأخيرة التي يتقدم إليها جزائري يدعى بن بوزيان

¹ - Isabelle Eberhardt, *Notes de Route Maroc-Algérie-Tunisi*, op, cit, pp18-352.

² - محمد ناصر لزهري، المرجع السابق، ص 14-15.

³ - محمد الأمين الزاوي، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بحث في تطور علاقة الانتاج الروائي بالأيديولوجيا من 1830-1982 (مذكرة ماجستير، إشراف الخطيب حسام)، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1983-1984، ص 63.

فيخطبها ويتزوجها لتبدأ بعد ذلك فصول الخيانة الزوجية ما بين طاطاني وديميتري فيكتشف بن بوزيان ذلك فيقتل زوجته أما ديميتري فيعود مرة أخرى ليتطوع في الجيش الفرنسي.¹

سادساً: الأيام أو أيامي: وهي عبارة عن مذكرات شخصية جمعها السيد رينيه لويس (Rene-Louis Doyon) بمطبعة La Connaissance سنة 1923 وقد أعيد نشرها سنة 1985 بمطبعة "Les Introuvables"² وقد كانت هذه اليوميات بمثابة دفتر شخصي وأدبي كتبه إيزابيل ايرهات في خلال السنوات الأربع من حياتها، أبرزت فيها إعجابها ببير ليوتي والإخوة جونكور "Goncourt" وعشقها للمطلق وميلها للصوفي وحالات الإحساس بالوحدة وحزنها بموت الأقرباء وحبها لزوجها سليمان وكذلك محاولة اغتيالها في البهيمية وغير ذلك.³

سابعاً: مجموعة قصص قصيرة: وقد طبعت بمطبعة فريدريك بيار "Frédéric Pierre" سنة 1923 وتم التقديم لها من طرف (Rene-Louis Doyon).⁴

ثامناً: حكايات ومناظر التي طبعت بمطبعة المعرفة سنة 1923 بتقديم Rene-Louis Doyon وقد ضمت قصص قصيرة أهمها ياسمينية وحكايات جزائرية أخرى قدمها كل من ماري ديلي دياكور هالن (Marie Daule) (Jean Paule Hulen) وجان بول (Délacour).

تاسعاً: رسائل غير منشورة: في مجلة "دار ثقافات العالم".⁵

عاشراً: "كتابات على الرمل" "Ecrits sur le Sable" مذكرات طريق وملاحظات مختلفة تقديم وطبع (Marie Daule Délacour) و (Jean Paule Hulen) سنة 1988.⁶

خلفت إيزابيل ايرهات ورائها العديد من الأعمال الأدبية كما أن قلمها وأدبها لا غبار عليه كما أن تأثير الجزائر عليها قد بدا جلياً خاصة فيما يتعلق بتأثرها الملحوظ بالأجواء الدينية والاجتماعية في الواحات الجزائرية، لكن لم يتم الفصل نفياً أو تأكيداً الجدلية القائمة حول مسألة العمالة والجوسسة أو حب المغامرة لدى هذه الأوربية، كما أن

¹ - A.O, Sérié A, N7694, Isabelle Eberhardt, **Trimadeur**, Tunisie, Cérés Editions, 1997, pp5-180.

² - مُجَّد ناصر لزهري، المرجع السابق، ص 14-15.

³ - إيزابيل ايرهات، **ياسمينية وقصص أخرى**، المرجع السابق، ص 28.

⁴ - مُجَّد ناصر لزهري، المرجع السابق، ص 15.

⁵ - نفس المرجع، ص 15.

⁶ - نفس المرجع، ص 15.

الاختلاف حول قضية إسلامها وتأثرها بالدين الإسلامي لم يزل قائماً، ضف إلى ذلك اختلاف النقاد حول طبيعة أعمالها-أدبها- وهذا الاختلاف في حد ذاته يعكس وجهاً من أوجه الخطر الذي يمثله هذا الأدب إذ عدها بعضهم واحدة من كتاب التيار الجزائرياني²، بينما اعتبر بعضهم الآخر أدبها "أدباً جزائرياً وطنياً" ولعل مرد ذلك لاعتناقها الإسلام بينما وضعها آخرون في خانة الأدباء المعادون للاستعمار في حين تناولها فريق آخر على أنها واحدة من الروائيين الكولونيليين.³

وعلى الرغم من أن إيزابيل إبيرهاردت أفصحت في العديد من كتاباتها عن حبها وتعاطفها مع الأوساط الأهلية وهو ما أبدته في بعض كتابها فنجدها مثلاً كتبت في يومياتها "المجتمع العربي مختل النظام شوهه الاحتكاك بالأجنبي"⁴، إلا أن ذلك لم يخفي الإحساس بالغربة والوحدة والضيق الذي كان يسيطر عليها وهو نفس الإحساس الذي كان يسيطر على الفرنسيين الذين كانوا يعيشون في الجزائر، فقد كانوا يقومون في كتاباتهم بعملية البحث عن أنفسهم داخل هذا المجتمع وحالة إيزابيل شبيهة بحالتهم فهي لم تكن تفكر في الأهالي بقدر ما كانت تفكر بذاتها، كما أنها حين تفكر في الأهالي تكون في نفس الوقت تفكر في ذاتها، وكأن ما يهمها أولاً وأخيراً مصيرها مما يجعل التعاطف الذي تعلنه تجاه الأهالي لا يعدو أن يكون تعاطفاً ذو بعد سياحي⁵ وهو ما عبرت عنه بين سطور كتاباتها فنجدها مثلاً كتبت في يومياتها: "ربما كل الغرابة في طبعي تتلخص في خاصة واحدة: البحث مهما كان الثمن، عن أحداث جديدة والهروب من الكسل والجمود"، كما كتبت أيضاً "مادمت بين أحضان هذه الصحراء الفسيحة فإنني سأجد دائماً المأوى لروحي المضطربة أن ترتاح من تفاهة الحياة العصرية".⁶

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص390.

² - التيار الجزائرياني: ظهر هذا التيار بداية القرن 20 مواكباً لتطور السياسة الاستيطانية بالصحراء الجزائرية، ركز هذا التيار على تقديس الأرض والمعمر والبحث عن مبررات تاريخية للتواجد الاستعماري ومحاولة تكوين هوية جديدة في الأرض الجزائرية، مثل هذا التيار العديد من الأسماء مثل لويس برتراند، روندو لوكوك، شارل هاكل وغيرهم الذين شكلوا جيلاً من الروائيين الكولونيليين الذين بدأوا يبحثون عن خصوصيتهم التاريخية والمحلية من خلال إبراز الجزائر على أنها "أرض الميعاد" أو "أرض الأجداد". ينظر عيسى شرايطية، الريف الجزائري في السنما الاستعمارية الصورة والإيديولوجيا دراسة سيولوجية، (مذكرة ماجستير، تخصص علوم الاعلام والاتصال، إشراف زهير إحدادن)، معهد علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر، ديسمبر 1993، ص149.

³ - مُجَّد الأمين الزاوي، المرجع السابق، ص63.

⁴ - إيزابيل إبيرهاردت، عودة العاشق المنفي كتابات إيزابيل إبيرهاردت عن سوف، تر: ميهي عبد القادر، الجزائر، الوليد للطباعة، 2006، ص31.

⁵ - مُجَّد الأمين الزاوي، المرجع السابق، ص67.

⁶ - إيزابيل إبيرهاردت، عودة العاشق المنفي، المرجع السابق، ص40-56.

كما أن إيزابيل إبيرهات لم تبد أي موقف أو اعتراض على الممارسات القمعية للجيش الفرنسي في الجزائر وهو ما أقر به رئيس المكتب العربي في الوادي ج. كوفي (J. Covi) مسؤول ملحقة الوادي الذي كان مكلفاً بمراقبة تحركات إيزابيل بقوله: "ليس لها أي مأخذ ضد الجيش"¹ فهل موقفها ذاك كان ناتجاً عن قناعات كانت تتبناها أو كان تعبيراً عن تخوفها من ردود فعل السلطات الفرنسية في الجزائر خاصة وأنها تعرضت مرة للنفي من الجزائر لسبب سوف تأتي على ذكره لاحقاً.

وتعتبر رواية المتشرد من الأعمال التي بدأت تثير فضول النقاد في الآونة الأخيرة، وذلك لاعتقاد بعضهم بأن موقف إيزابيل من المعمرين الفرنسيين في هذه الرواية موقف سطحي، ومتعاطف، يتناقض مع تعاطفها مع الأهالي الفقراء فهي مثلاً تقوم بتقديم زوجة السيد موري بأنها سامية جداً ونبيلة على الرغم من أنها كانت تعتبر الأهالي الجزائريين بشراً من درجة منحطة وقالت عنها في روايتها "إنها ليست شرسة، لكنها تعتبر وبإخلاص أن الأهالي عرق حقير" وهذا ما يجعل من التعاطف الذي كانت تكنه إيزابيل تجاه الأهالي تعاطفاً سياحياً أكثر منه إنسانياً بالدرجة الأولى.²

كما أن حبها للأجواء المحلية لا يعدوا عن كونه جزء من شغف الأوربي بالشرق الذي كان يصبو إلى إشباع رغبته السياحية ويطمح إلى اكتشاف الإنسان الفلكلوري البدائي، ضف إلى ذلك فإن إيزابيل قدمت الجيش الفرنسي في روايتها على أنه جيش متناسق ومتجانس وذا معنويات مرتفعة، كما أنه يشكل وحدة متعايشة مع بعضها في سلام وبذلك فقد أسقطت عنه كل همجيته وممارساته القمعية تجاه الجزائريين.³

كما أن التناقضات التي يعيشها ديمتري بين تفكيره وطموحه من جهة وممارساته من جهة أخرى هي نفس التناقضات التي كانت تعيشها إبيرهات نفسها إذ أن البطل يحلم بالحرية المطلقة المتحررة من كل أشكال القيود -وهو الشيء الذي كانت تطمح له الكاتبة- إلا أننا نجد أنه يلتزم مع أكبر جهاز قمعي في الجزائر وهو الجيش الفرنسي، حيث يبدو في هذه القصة كأنه المنجي الوحيد له، حيث كان يلتجأ إليه كلما نزلت به طائلة وكأنه "الخلاص" وقد التجأ إليه مرتين المرة الأولى فراراً من العدالة عند قتله لأحد رجال الجيش الفرنسي، والثانية عندما اكتشف في حالة خيانة مع زوجة بن بوزيان وكان الجيش هو الحامي والمدافع عن أمثاله.⁴

¹ - إيزابيل إبيرهات، عودة العاشق المنفي، المرجع السابق، ص 101.

² - محمد الأمين الزاوي، المرجع السابق، ص 65-66.

³ - نفس المرجع، ص 66.

⁴ - نفس المرجع، ص 67.

وعلى نقيض من الرأي الذي اعتبر كتابات إيزابيل إيبرهات مجرد استمرارية للكتابات الاستعمارية ذهب اتجاه آخر إلى أن كتاباتها ومراسلاتها كانت تستمد مواضيعها من واقع الجزائر، حتى لو ظهر عليها نوعاً من التحريف أو كما يقول البعض بأنها ملوثة إلا أنها تخفي روحاً متعطشة للعدل والأخوة، كما تبرز مواقفها المؤازرة للمظلومين وتمكنها من كشف الأساليب الشنيعة التي كان يمارسها الاحتلال لإخضاع الشعب الجزائري بالقهر والرعب وفي هذا كتبت في المجلة الحديثة الجديدة "la Nouvelle Revue Moderne" مقالا بعنوان رؤية المغرب عن المجرة التي قامت بها فصائل الجيش الفرنسي من القبعات البيض والترابور ضد أهالي أولاد نايل وفي القصص التي كتبتها ما بين 1900-1904 والتي نشرت وأدت إلى إحراج الأوساط الاستعمارية فقصة الفلاح تصور وضعية الفلاحين التي تنتزع منهم أراضيهم بالقوة كما في قصة مجرم التي جاءت كمرافعة لصالح عصاة نزع الملكية بتاريخ 26 أبريل 1901 بمدينة مليانة هذا الحدث الدولي المعروف بثورة "مارغريت"¹ والذي انتهى بحكم قضائي في فبراير 1903 بمدينة مونتبولي "Montpoli" بفرنسا.²

وعبرت أيضاً بقلمها الجريء في "جريدة الأخبار" "la Dépêche Algérienne" عن استنكارها للأفعال التي كان يمارسها الاستعمار الفرنسي في الجزائر والذي كان يتناقض وشعارات الثقافة الغربية التي ينتمي لها الاحتلال فكتبت: "لماذا أتو بمضارتهم الفاسدة وأدخلوها لهذا البلد؟ أين هي حضارة الذوق والفن والفكر التي ولدت لدى النخبة الأوربية" كما أنها في سنة 1904 قامت بدعوة الحركة الفرنسية المناهضة لسياسة الحكم الفرنسي الاستعماري وذلك للتخفيف من السياسة الاستعمارية الغاشمة المسلطة على سكان الجنوب الوهراني من قبل الجيش الفرنسي تحت قيادة الجنرال ليوتي نتيجة المعارك التي قادها البطل الشيخ بوعمامة وبالفعل جاء رئيس الحركة المناهضة في الوقت الذي ماتت فيه إيزابيل عن عمر ناهز 27 عاماً.³

¹ - ثورة عين التركي (مارغريت): ثورة قام بها سكان عين التركي سنة 1901 ضد الفرنسيين بقيادة ابن الحاج وأعلنوا الجهاد والانضمام إلى بوعمامة وقد أسر الثوار قائد المنطقة، كما أنهم بدءوا بإرهاب الفرنسيين في المنطقة وانضم إليهم العديد من القرويين واتجهوا نحو مليانة مواصلين هجومهم لكن الفرنسيين تمكنوا من القضاء على هذه الثورة في النهاية بعد نجدة قوية، ربط الفرنسيين هذه الثورة بعوامل اقتصادية، اجتماعية وأخلاقية وأغفلوا العوامل السياسية والوطنية المتسببة في نشوبها، من نتائج هذه الانتفاضة إنشاء نظام جديد خاض بالجزائر يعرف بالمحاكم الرادعة. ينظر سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، المرجع السابق، صص 100-103.

² - حنفاوي بعلي، المرجع السابق، صص 116.

³ - نفس المرجع، صص 116-133.

وإن حب إيزابيل للجزائر وقيمه الاجتماعية جعل العديد من الدارسين الجزائريين لسيرتها وأعمالها يعتبرونها من الكتاب الذين تفخر بهم الجزائر، منهم مالك حداد الذي قال فيها "إن الشيء الذي لفت انتباهي عند هذه المرأة - زيادة على عبقريتها المشرفة هو كرم النفس وهي صفة أعظمها من صفة، وهذه الصفة لا نعثر عليها عند الروائي الفرنسي ألبير كامو (Albert Camus) حيث نجدها قد ربطت مصيرها بمصير الجزائر إن كل شيء بما في ذلك الطريقة التي ماتت بها كل شيء يربطها بتلك الأرض أرض العنف والسلام. وقد أحببت هذا الوطن حباً كاملاً غير منقوص أحبته بالفطرة وبصورة عفوية محبة الابن البار لإبنه لأنها كانت متجاوبة معه كل التجاوب".¹

كما أقر بفضلها كذلك الديبلوماسي الجزائري محمد الصالح دميري في جريدة الجزائر الأحداث سنة 1980 بقوله: "كصحافية شغوفة وجزائرية متحمسة انغمست في تحليل الحياة الإنسانية في الجزائر في تلك الفترة متهممة التمييز الذي تفرضه الشؤون السياسية الاقتصادية الجديدة، والسلب المخزي والفاضح للسكان الأصليين، أدانت عصر القواد والموظفين ذوي النفوذ المكلفين بتعمير الجزائر. لقد كانت متأكدة من إفلاس الاحتلال فقد كان لويس برتراند وأنصاره - تحت تأثير نزعة رومانية - يستحضرون كل ما هو لاتيني أو مسيحي بينما كانت هي تعيد وبقوة القيم العربية الإسلامية والتحام العالم العربي البربري".²

وبالتالي يمكن القول بأن كتابات إيزابيل إيبرهات تكشف لنا سبب استمرارية الجدلية القائمة حول طبيعة الأعمال التي كتبتها والتي تحكمت فيها العديد من العوامل كشخصية هذه الرحلة المتصفة بالغموض، وكذلك تأثرها بالمحيط الذي نهلته منه علمها والذي أبرزته في بعض كتاباتها على الرغم من أنها كانت تكتب عن محيط مغاير تماماً للمحيط الذي كانت تعيش فيه بالإضافة إلى تأثرها بالجزائر وما فيها من جانب روحي وصوفي وغير ذلك من الجوانب، كما أنه وبالرغم من اختلاف العديد من الدارسين والباحثين حول طبيعة كتاباتها لكن هذا لا يجعلنا نتغافل عن تمكن هذه الكاتبة من تقديم صورة دقيقة وقيمة عن المناطق التي مرت بها وخاصة ما تعلق منها بالجانب الاجتماعي وذلك على اعتبار أن هذه الأخيرة تمكنت من معايشة المجتمع الجزائري وملاسته متجاهلة جميع الفوارق التي كانت تفرضها الإدارة الفرنسية بالجزائر.

ومن الرحلة الأوربيات اللواتي تركز أعمالاً حول مستعمرة الجزائر السيدة دفروليير (Douvreleur) التي زارت مدينة قسنطينة سنة 1931، وجمعت كل ما لاحظته في رحلتها وكل ما لفت انتباهها من جسور ومساجد وقصور وبنائات وأسواق وعادات وتقاليد إلى غير ذلك في كتابها "قسنطينة في 25 لوحة" Constantine en 25

¹ - حنفاوي بعلي، المرجع السابق، ص 142.

² - إيبرهات إيزابيل، نجيب اللوز، تر: حسن دواس، الجزائر، مزدوج للنشر والتوزيع، (د،ت)، ص 14.

"tableaux" والذي تحدث فيه عن جسور مدينة قسنطينة وحاولت معرفة مشيديها، حيث توصلت إلى أن جسر القنطرة وهو من أكبر الجسور وأقدمها بمدينة قسنطينة قد بني أو رمم في أيام الملك الروماني "أنطونيو لوبيو" (Antonio Lobo) خلال أواسط القرن الثاني ميلادي، أما جسر سيدي راشد فقد رأت بأنه حديث العهد، كما أنها حاولت معرفة بانيه من أجدادها الرومان لكنها لم تفلح في ذلك، وذكرت بأن هذا الجسر أقيم عند أقدم الحديقة العامة وألحقت به ساحة فسيحة كانت محبوبة من طرف الناس وهذا قبل التعديلات التي طرأت على المدينة.¹

وقامت بوصف بعض المساجد الموجودة بمدينة قسنطينة والتي تمكنت من زيارتها، وقد بررت عدم زيارتها لكل مساجد قسنطينة كون هذه المدينة عامرة بالمساجد من جهة، وكونها مرتبطة بدين يختلف عن ديانتها من جهة أخرى وذكرت بأنها كانت تشعر بشعور غريب ومعقد أثناء زيارتها للمساجد.²

ومن المساجد التي كتبت عنها هو المسجد الكبير والذي ذكرت بأنه أول مسجد قامت بزيارته بهذه المدينة وكان دخولها له يعتبر أول اتصال لها مع الإسلام خلف لها ذكرى لا تمحى، وقد وصفت هذا الجامع بالرائع أما بناؤه فقد اعتبرته عادياً وهذا من ناحية هندسته وثرأ معماره، كما وصفت المسلمين الذين كانوا يصلون الصلوات بالمسجد ب"أشكال بيضاء"، وانتقدت طريقة بناء الأعمدة التي كانت تتواجد بباحة المسجد حين رأت عدم وجود شبه ولو بين عمودين من الأعمدة المتواجدة بالمسجد وذكرت بأن الذي شيد هذا البناء إما هاو يعشق الاختلاف أو رجل غير مبال بما يفعل، وكتبت أيضاً عن مسجد سيدي الكتاني الذي بناه صالح باي ونوهت إلى أنه سخر كل الوسائل لتشييده منها أنه أحضر له بنائين ذوي خبرة من إيطاليا وعبرت عن إعجابها بمنارة المسجد التي يمكن من خلالها التقاط منظر عام لمدينة قسنطينة، لكنها تساءلت عن الخدمة التي قدمها الشيخ الكتاني أو الشرف الذي قام به حتى سمي هذا الجامع بإسمه.³

وعند وصفها للمنطقة التي يسكنها عرب قسنطينة ذكرت بأنها جميلة بأحيائها الشعبية لأنها تبدو كما هي طبيعية -وسخة شيئاً ما-، كما تحولت في الطريق العام لمدينة قسنطينة ولحقت إلى تقصير السلطات الفرنسية في السيطرة على تلك المنطقة بتهمكم وهذا عن طريق مقولة موجهة للزوار جاء فيها: "أيها الرحالة يا من لا تعرفون إلى الآن أن ليس لفرنسا ضرورة لبقائها بالجزائر، تعالوا سأقودكم في متاهات هذه المنطقة التي لم تستطيعوا الخروج منها من

¹ - عبد الحفيظ بورايو، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، (رسالة ماجستير، أدب الرحلات، إشراف عبد الله حمادي)، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، ص170.

² - نفس المرجع، ص172.

³ - نفس المرجع، ص172.

دون مساعدة، ثم لا يجب أن تصدموا نهائياً لأنكم ستشعرون بشيء من الخوف إذا كنتم لوحدهم. أعلم أنكم شجعان وأنه لا يخشى عليكم غير أنكم تشعرون بالحاجة إلى الذود عن أنفسكم لما تجدون أنفسكم أمام كل هذه البرانس والعمامات ستشعرون ب... لا، لا داعي لتوظيف هذه الكلمة الجارحة جداً... سترون".¹

ووصفت الحوانيت وشبهت التجار الميزابيون المتميزون بتجار منطقة أوفيرنا "Auvergnat" الفرنسية وحذرت الرحالة الأوربيين من الباعة بالمدينة والتي رأت بأنهم يستخدمون جميع الطرق وذلك لبيع منتجاتهم وخاصة التجار الميزابيين، كما عبرت في كتابها عن إعجابها بوادي الرمال تلك التحفة الطبيعية التي كانت تتمتع بها مدينة قسنطينة كما أعجبت بالصخر العتيق والوادي الذي يحيط به، واختتمت مشاهداتها بأحد مظاهر الحياة الاجتماعية بمنطقة قسنطينة وهو حفل زفاف قسنطيني حيث وقفت هذا المشهد الاحتفالي واعتبرته أحد مظاهر السعادة العربية الآتية من الشرق.²

نستنتج مما سبق بأن معظم تلك الدراسات تميزت بالتركيز على الغرائبية والعجائبية، كما أنها عبرت عن رغبة تلك النساء الأوربيات في اكتشاف ذلك العالم الذي كان من وجهة نظرهن عالم مجهول أما مشاكل الجزائريين وقضاياهم المصرية فيمكن القول بأنها كانت مغيبة وحتى لو تطرقن إليها فإنهن يذكرنها بصفة عارضة، كما أن كتاباتهن تميزت بالدقة على الرغم من أنها كانت مجرد رحلات ولعل ذلك راجعاً إلى تمكنهن من التعايش مع المجتمع الجزائري بصفة مباشرة ودون أي مانع سواء من طرف الجزائريين أنفسهم أو الإدارة الفرنسية التي أعطتهن الحرية التامة لزيارة العديد من المناطق، كما أن تلك الدراسات بالرغم من انتقادها لبعض التصرفات الاستعمارية لكنها لم تعارض المد الاستعماري بل كانت تختلف معه في الشكل الذي كان يجب أن يكون عليه.

2-الكتابات المتخصصة:

أ-المرأة الأوروبية والدراسات الاقتصادية الفرنسية بالجزائر:

انتهجت فرنسا العديد من السياسات الاقتصادية في الجزائر رغبة منها في توجيه الاقتصاد لخدمة المصالح الاستعمارية ولتحقيق ذلك قامت بالعديد من الدراسات وأرسلت العديد من البعثات لتقصي حقائق الاقتصاد الجزائري وقد كان لبعض النساء الأوربيات دور كبير في لفت أنظار السلطات الاستعمارية إلى الخيرات التي كانت تزخر بها الجزائر كما عملت أيضاً على نقل الوضعية الاقتصادية السيئة للجزائريين والتي أدركن خطورتها على مستقبل الفرنسيين في الجزائر وطالبن بتحسينها، ويعتبر مشروع البلجيكية غاتي دي غامون (Gattie de Gammon)

¹ - عبد الحفيظ بورايو، المرجع السابق، ص 173-174.

² - نفس المرجع، ص 174-175.

في عام 1838 من أوائل المشاريع التي أبرزت العلاقة الثنائية بين السياسة الاستعمارية الاستيطانية والسياسة الاستعمارية الاقتصادية.¹

أصدرت غاتي دي غامون كتاباً خصصت منه عدة صفحات تناولت فيها موضوع الاستيطان في الجزائر وقد اعتبرت الجزائر البلد المثالي وذلك لاختبار مكبر لمشروع "الانسجام" الذي يدعو إلى خصخصة الإنتاج وتعميم الاستهلاك وصرحت في هذا الصدد: "أن النظام التشاركي يستبدل المدن بمزارع صناعية كبيرة تضم كل منها من ثلاثة إلى أربعمئة عائلة يتم بناءها على المسافة نفسها تقريباً (مزرعة في كل ميل مربع)" وبالسيطرة عليها بهذه الطريقة تصبح الجزائر من أبرز التجارب المعبرة عن إمكانية تحويل بلد همجي إلى بلد خصب ومزدهر.²

وبعد مرور سبع سنوات على صدور منشورات غاتي دي غامون تم تحويل تلك الأفكار النظرية إلى تجارب وذلك عن طريق تطبيقها في بعض مناطق الجزائر من قبل نقيب المدفعية "هنري غوتيه" (Henri Gautier) الذي قام بإنشاء لجنة فالنستيرية بمدينة ليون عام 1845، والتي طرحت مشروعها على وزير الحرب في الفاتح من أكتوبر 1845 وطلبت منه منحها 2000 أو 2500 هكتار من الأراضي الجزائرية.³

وبعد أخذ ورد حول هذا المشروع ونتيجة لدعم الجنرال لامورسيار (Lamoricière) لهذا المشروع تم إصدار مرسوم ملكي في 8 نوفمبر 1846 نص على إقامة مجتمع مدني مستعمر يمكن لجنة ليون من تأسيس المدينة شرط أن يتم تعميرها بثلاث مائة أسرة أوربية يكون ثلثها على الأقل من أصل فرنسي وتوفير المباني اللازمة لتلك الأسر، وتم على إثر ذلك تخصيص 3000 هكتار من أراضي "منطقة السيق" بالغرب الجزائري لتحقيق ذلك الغرض وأطلق على تلك المدينة الجديدة اسم "الإتحادية الزراعية لإفريقيا" وقد تم تأسيسها وفقاً للمبادئ الفالنستيرية القائمة على مبدأ الجمع بين رؤوس الأموال والعمل وجعل وسائل الإنتاج وسائل مشتركة، وقد كانت تلك الإتحادية تمثل شركة ذات أسهم مقامة على شكل مدينة مكونة من أراضي موحدة غير قابلة للتقسيم.⁴

وتعتبر الآنسة لالوي (La loui) إحدى النساء الفرنسيات أيضاً اللاتي اشتغلن على قطاع من القطاعات الاقتصادية وهو قطاع الخدمات والمتعلق منه بالأنشطة الممارسة من قبل النساء الجزائريات في الجزائر العاصمة حيث تم

¹ - سعيد علمي، الاستعمار والعمران السياسات الاستيطانية والعمران في الجزائر، تر: نسرين لولي، محمد رضا بوخالفة، الجزائر،

دار خطاب، ج1، 2013، ص153.

² - نفس المرجع، ص153.

³ - نفس المرجع، ص154.

⁴ - نفس المرجع، ص154-155.

تكليفها من قبل الحاكم العام (1909-1910) بالقيام ببحث عن عمل النساء الأهليات في الجزائر (القصبة وبلكور)، وذلك لمعرفة الظروف المعيشية لهؤلاء النساء وقد تمكنت من صياغة تقرير شامل قدمته للحاكم العام عنونته ب"شغل النساء الأهليات في مدينة الجزائر (1910)" ومن خلال ذلك التقرير تمكنت من منح الحاكم العام صورة قد تكون مستوفية عن وضعية عمل النساء الجزائريات حيث قالت فيهن: " يبدو أنهن يبحثن كلهن عن عمل مدفوع الأجر دون أن يهملن أعمال منازلهن والمحافظة على صيانة أبنائهن نحن نعرف أن وضعية الأهالي زهيدة وان الأجر الذي تحصل عليه المرأة يقدم إضافة إلى موارد العائلة".¹

وعملت على تصنيف أشغالهن إلى مجموعات وذكرت بأن هناك عاملات يعملن على تكوير خيط الحرير وذكرت بأنظروف عملهن في المنزل سيئة جداً وذلك نظراً لقلة الوسائل كما أن أرباح مكورات الحرير زهيدة جداً (فرنك واحد لكل كور و10 ساعات عمل لكل كورة)، ضف إلى ذلك المنافسة التي تتعرض لها نسوة القصبة وبلكور من طرف النساء القبائليات، اللاتي يعملن على بيع المكورات الحريرية بأجر أقل.²

وعرجت الباحثة على مجموعات أخرى من العاملات الجزائريات اللاتي كان بعضهن يشتغل في زخرفة (الكتان) وعاملات خياطة الأزرار والمحازم والطارزات على جلد البلغات وحافظات النقود والأوراق، وذكرت بأنهن هن الأخريات يتقاضين أجراً زهيداً يصل في المتوسط إلى 0.14 فرنك على الساعة الواحدة وهناك أيضاً ملصقات الأكياس (لبيع التبغ) والإسكافيات (خياطة البلغات) وناسجات خاصة لمنتوج البرانس ومركبات عقود الجواهر، وبالتالي توصلت الباحثة إلى أن تلك المهنة لا تتطلب إلا تعليماً بسيطاً وقالت بأن وضعية هؤلاء النساء سيئة وذلك لأن أغلب تلك المهنة تتعرض للمنافسة وإلى عدم استقرار الطلب، كما أنهن يتم استغلالهن من طرف الوسيطات اليهوديات اللاتي يقمن بدور الوسيط بين نساء مدينة الجزائر اللاتي لا يخرجن والتاجر قد يستولين أحياناً حتى على 70 بالمائة من الأرباح.³

وقامت الأنسة لالوي بتقديم اقتراح بحجة تحسين وضعية هؤلاء العاملات وذلك عن طريق استغلال مقدراتهن في أشغال تلقى رواجاً في السوق الفرنسية كتوظيفهن في صناعة التآييث والزخرفة وصناعة الألبسة الخفيفة والراقية وذكرت بأن هذا سيسمح لهن بتجنب الأجور الزهيدة، كما سيمنع استغلالهن من طرف الوسيطات، كما تحدثت كذلك عن النساء الجزائريات اللاتي كن يشتغلن كخدمات عند العائلات الأوروبية المتوسطة الضعيفة، وخاصة اللاتي كن يقمن

¹ - مسعودة بجاوي مرابط، المرجع السابق، مج 1، ص 246-247.

² - نفس المرجع، ص 247.

³ - نفس المرجع، ص 247.

بغسل المدرج سواء كن عربيات أو قبائليات وأعطت مثلاً عن 56 منزلاً قامت بإحصائهم حيث توصلت إلى أن 6 من مدرجها كانت تنظفها المرأة الأوروبية بنفسها، و10 منها كانت تنظفها خادمت أوربيات و30 منها كانت تنظف بواسطة خادمت جزائريات وقد كن في غالب الأمر صغيرات السن أو كان لدى بعضهن أبناء صغار، لذا اقترحت إحداث حضانات للصغار وذلك للتخفيف على هؤلاء النسوة.¹

وأشارت كذلك لبعض العاملات اللاتي كن يقمن بأعمال منفردة كجمع الأعشاب والثياب القديمة، وقد كانت نسبة 25% منهن مسنات وقد تمكنت من معرفة أرباعهن والتي كانت تقدر غالباً ب0.75 إلى 1.25 وذلك بعد سؤالهن، وهناك نوع آخر من العاملات اللاتي أوردتهن الآنسة لالوي وهن اللاتي يعملن في الصناعة، كصناعة الزرابي والعاملات في صناعة أعواد الثقب بمدينة الجزائر بشركة كوسميل وشركاؤه فقد ذكرت بأن هذا المعمل كان سنة 1909 يوظف حوالي 334 امرأة عاملة 83 منهن نساء جزائريات إلا أن الشيء الذي تمكنت من ملاحظته بأن الجزائريات كان يتم توظيفهن في الأشغال التي كانت لا تتطلب إلا تعليماً قليلاً.²

وطالبت الآنسة لالوي بتحسين وضعية العاملات الجزائريات وذلك مراعاة لظروفهن ورغبة منها في الحد من استغلالهن، إلا أننا نجدها من جانب آخر وبصفة غير مباشرة تدعو إلى استغلال تلك الكفاءات البشرية في الأعمال التي تجدها لها رواجاً في فرنسا وكان هذا ما اقترحت على الإدارة الاستعمارية بالجزائر ولكن دون جدوى.³

من النسوة اللاتي تم تكليفهن من طرف السلطات الاستعمارية بالجزائر لدراسة الوضعية الاقتصادية في الجزائر الباحثة جيرمين تيلون (Germaine Tillion)⁴ التي أرسلت من طرف فرانسوا ميتران (François

¹ - مسعودة بجياوي مرابط، المرجع السابق، مج1، ص248.

² - نفس المرجع، ص248.

³ -- نفس المرجع، ص249.

⁴ - جيرمين تيلون (Tillion Germaine) (1907-2008): باحثة انثربولوجية ولدت في بلدة بوسط بفرنسا، درست في جامعة السوربون التاريخ القديم والأنثربولوجيا والآثار، تلميذة الباحث الكبير مارسيل ماوس أب الانثربولوجيا الفرنسية والمستشرق لوي ماسينيون Louis Massignon ، زارت منطقة الأوراس بالجزائر عام 1934 لكنها غادرتها لتعود لها مرة أخرى في مهمة كلفها بها الحاكم الفرنسي، وانطلاقاً من اهتمامها بالأنثربولوجيا أسندت لها أولى المهمات من طرف المؤسسة الإفريقية العالمية في ما بين سنتي 1934-1937، كما أسندت لها مهمات لاحقة سنوات 1939-1940 وسنوات 1964-1965-1966 من طرف المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا. لها العديد من المؤلفات منها "الأعداء المتكاملون"، شاركت في لجنة التحقيق حول ممارسة التعذيب في السجون الجزائرية، نالت العديد من الأوسمة الشرفية لنضالها في المقاومة والعمل الإنساني. ينظر رشيد خطاب ، أصدقاء الخاوة الدعم العالمي لثورة التحرير الوطنية الجزائرية قاموس بيوغرافي، الجزائر، دار خطاب، 2013، ص ص 139 - 140 . Germaine Tillion, *le Harem et le Cousins*, Paris, Edition du Seuil, 1966, p30.

(Mitterrand)¹ فور عودتها من نيويورك بعدما كانت في مهمة رسمية تتعلق بجرائم الحرب الروسية الألمانية إلى الجزائر حيث طلب منها التوجه إلى الأوراس وتقديم تقرير عاجل عن الأوضاع الاقتصادية هناك باعتبارها أفضل فرنسية تعرف المنطقة² على اعتبار أنها سافرت إلى الأوراس عام 1934 وزارت قراها الفقيرة كما أنها سجلت العديد من الملاحظات عن وضعية الفلاحين الفقراء وتمكنت من خوض أربع رحلات إلى جبال أحمر خدو.³

ونظراً لخبرة جيرمين تيلون بمنطقة الأوراس تم تعيينها من طرف ميتران عضواً في لجنة خاصة بتقصي الأوضاع الاقتصادية بالجزائر وتوجهت نحو منطقة "أريس" بالأوراس وقد صدمت للوهلة الأولى صدمة عنيفة حين اكتشفت مدى الانحطاط الذي وصل إليه مستوى المعيشة منذ أربعة عشر عاماً مضت وقدمت هذه الباحثة عرضاً وافياً عما لاحظته، ومن أهم ما ذكر في تقريرها: إن مليون جزائري مسلم عاطلون عن العمل كلياً أو جزئياً بينما مليونان آخرون دون مستوى العمل المطلوب، كذلك إن مما لاحظته جيرمين في ذلك الشتاء فيما يتعلق بالفلاحين الأوراسيين ما قالت: "كانوا يشاهدون قطعان ماشيتهم وهي تموت لقلة المرعى وكان العمال الزراعيون الجوعى يضطرون لأكل بذور حبوهم التي كان من المفروض أن يزرعوها لتنتج لهم السنابل في العام المقبل" ونتيجة لما جاء في ذلك التقرير فقد ذهب أليستير هورن (Alistair Horne) في كتابه المعنون بـ "حرب وحشية من أجل السلام" إلى أن جيرمين تيلون أرجعت أسباب قيام الثورة التحريرية في الجزائر إلى عوامل اقتصادية من فقر وجوع ولم تشر في تقريرها هذا إلى أن سكان الأوراس مثلهم مثل الشعب الجزائري كانت نفوسهم تنزع إلى الاستقلال والحرية.⁴

ومنه فالملاحظ أن السمة البارزة والمشاركة في تلك الدراسات والمشاريع التي اهتمت بالجانب الاقتصادي هو محاولتها تقديم صورة وافية عن الجوانب التي اهتمت بدراستها، كما أنها عملت على لفت أنظار الفرنسيين في الجزائر إلى الواقع موضوع الدراسة بكل سلبياته وإيجابياته وهو الأمر الذي استفادت منه الإدارة الفرنسية أيما استفادة كما أنها جاءت في مجملها خادمة لصالح الاقتصاد الفرنسي بالجزائر.

¹ - فرانسوا ميتران **François Mitterrand** (1915-1966): وزير الداخلية الفرنسي، مكلف بالعمليات الفرنسية بالجزائر عام 1954، عين وزيراً للعدالة في حكومة غي مولي بين فيفري 1956 وجوان 1957، ارتبط اسمه بالإعدامات دون محاكمة خلال معركة الجزائر والتي من بينها اغتيال الشهيد العربي بن مهيدي. ينظر يزيد بوهناف، مشاريع التهذئة الفرنسية إبان الثورة التحريرية وانعكاساتها على المسلمين الجزائريين 1954-1962، (مذكرة ماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف سليمان قريبي)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014، ص 22.

² - عبد الله ركيبي، الهوية بين الثقافة والديموغرافية دراسات ومقالات، الجزائر، دار هومة، 1994، ص 197-198.

³ - رشيد خطاب، أصدقاء الخاوة، المرجع السابق، ص 139-140.

⁴ - عبد الله ركيبي، المرجع السابق، ص 197-198.

ب-مساهمة المرأة الأوروبية في الدراسات الأنثروبولوجية والاثنولوجية الإستعمارية بالجزائر:

دخلت فرنسا خريطة البحث الأنثروبولوجي من خلال مجموعة من الأسماء العالمية أمثال كلود ليفي ستراوس (Claude Lévi Strauss)¹، جورج دوميزيل (Georges Dumézil)²، مارسيل موس (Marcel Mauss)³ إلا أن غايات الأنثروبولوجيا وأهدافها في فرنسا كانت تختلف عما هو موجود في بعض الأقطار كأمریکا فالهدف الرئيسي والاستراتيجي للأنثروبولوجيا الفرنسية هو معرفة الآخر وذلك من خلال التعرف على ثقافته وطريقة تفكيره وقيمه من أجل امتلاكه واستغلاله أو بالأحرى استعمارها وقد ساعد الأنثروبولوجيون ساسة فرنسا في استعمار العديد من الدول في مقدمتها الجزائر.⁴

¹ - كلود ليفي ستراوس Claude Lévi- Strauss (1908-2009): عالم اجتماع واثنولوجي فرنسي، وهو ابن فنان وحفيد حاخام، ولد في بلجيكا ثم انتقل مع أبواه للإقامة في فرساي عام 1914، درس القانون في جامعة باريس، وحصل على إجازة الفلسفة عام 1932، عمل في البداية مدرساً في المدرسة ليرتحل بعدها إلى البرازيل بعد أن عرض عليه منصب أستاذ الأنثروبولوجيا هناك ما أعطاه فرصة لممارسة البحث الميداني، قام في البرازيل بدراسة عدد من القبائل البدائية فكانت تلك الدراسة مهاداً لأفكاره التي تطورت فيما بعد، سافر إلى نيويورك واشتغل فيها بالتدريس بالمدرسة الجديدة للبحث واتصل فيها برومان ياكو بس الذي قاده إلى الاهتمام بعلم اللغة البنيوي، عاد إلى باريس بعد الحرب العالمية 2، خلف العديد من المؤلفات كما انه نشر العديد من المقالات في المجلات العالمية. ينظر إديت كروزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، ط1، الكويت، دار سعاد الصباح، 1993، ص ص35، 36.

² - جورج دوميزيل Georges Dumézil (1898-1986): فيولوجي ومؤرخ وعالم اجتماع فرنسي، تجاوزت مؤلفاته الخمسين كتاباً والتي أحدثت طفرة في مجال فهم التاريخ القديم خصوصاً التاريخ الهندو-أوربي، فاتحاً بذلك آفاقاً جديدة لدراسة ذهنية الإنسان بناءً على مقارباته التي مزجت الفيولوجيا والتاريخ وعلم الاجتماع الديني. ينظر ياسين اليحيوي، " البنية الذهنية ونظرية الوظائف الثلاث عند جورج دوميزيل"، عمران للعلوم الاجتماعية والانسانية، ع19، 2007، ص ص121-122.

³ - مارسيل موس Marcel Mauss (1872-1950): انثروبولوجي فرنسي، ولد في إينال بإقليم اللورين في أسرة يهودية، درس في مدينة بوردو مع خاله دوركايم عالم الاجتماع المشهور، كان موس فيلسوفاً من الناحية العلمية، درس موس تاريخ الدين في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا وقد تمكن خلال الفترة 1847-1898 من القيام برحلات دراسية إلى بعض المدن كمدينة أكسفورد التي عمل فيها مع إدوارد تايلور، عمل موس بقرب شديد مع دوركايم واتفق معه في الكثير من الأفكار وقد ألفا كتاباً مشتركاً تحت عنوان "أنماط التصنيف البدائي"، أما في الجانب الأنثروبولوجي فإنه قام بكتابة العديد من الأعمال منها "موجز لنظرية عامة من السحر"، كان موس من ناحية أخرى نشطاً في المجال السياسي ومؤرخاً كذلك في المجال الديني. ينظر عبد الله عبد الرحمان يتيم، "المدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية: مارسيل ماوس نموذجاً"، الثقافة الشعبية، ع7، 2009، ص ص94-98.

⁴ - مصطفى تيلوين، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، بيروت-لبنان، ط1، دار الفارابي، 2011، ص ص9 - 10.

ولما كان علماء الأنثروبولوجيا بحاجة ماسة لعلم الأنثولوجيا وهذا لتحقيق أهدافهم والمتمثلة في النتائج العلمية الدقيقة فنجد أن السلطات الاستعمارية بالجزائر قد سمحت لبعض الباحثين بدراسة الأصول العرقية للمجتمع الجزائري وهذا بغرض فهمه وإعادة بناءه.¹

ومن الفرنسيات اللاتي تم تكليفهن بالقيام بدراسات الأنثرواوجية حول بعض المناطق الجزائرية الأنثروبولوجية الباحثة الإثنوغرافية تيريز ريفير (Thérèse Rivière)² و الإثنولوجية جيرمين تيليون وذلك بعد أن قرر "المعهد الدولي للغات والثقافات الأفريقية ومقره لندن القيام بمهمة في أريس سنة 1934 باقتراح من هنري لابوريت (Henri Laborit) المسؤول عن قسم علم الأعراق وأستاذ اللغات السودانية في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحديثة والحضارة الإفريقية بالمدرسة الاستعمارية بباريس وذلك بالاشتراك مع اللغوي الألماني ديدريش. ه. فيسترومان (Diedrich. H. Westermann) من جامعة برلين.³

قدم هنري لابوريت بتاريخ ماي 1934 تقريراً إلى المعهد حول "برنامج البحث في المستعمرات الفرنسية" دافع فيه عن ضرورة القيام ب "تحقيق واسع على الصعيد الاجتماعي والإثنولوجي على الأوراس وسكانها" وذلك من أجل المساهمة الفعالة في أساليب الاستعمار، ومعرفة العادات والقوانين والمعتقدات والتقنيات الخاصة لممتلكات السكان الأصليين ما يسهل التعامل معهم ويؤدي كذلك إلى الاستغلال الرشيد والأمثل للموارد الطبيعية، وفي ختام اقتراح هنري لابوريت ونظراً لوظائفه المتعددة في المتحف، والمعرفة التي اكتسبها عن الثقافة المادية لمجتمعات شمال إفريقيا تم

¹ - الإثنولوجيا **Ethnologie**: أول من استخدم هذا المصطلح السويسري شافان Chavannes وكان ذلك عام 1787 في كتابه "محاولة حول التربية الفكرية مع مشروع علم جديد"، وتعني مجموعة العلوم الاجتماعية التي تدرس المجتمعات البدائية أو ما يسمى بإنسان المستحاثات. ينظر مصطفى تيلوين، المرجع السابق، ص 120.

² - تيريز ريفير **Thérèse Rivière (1901-1970)**: درست في مدرسة اللوفر والمدرسة التطبيقية للدراسات العليا ومعهد الإثنولوجيا الذي تخرجت منه عام 1931، وقد درست مثلها مثل جيرمين تيليون ما يتعلق بعصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان وعلم الأجناس وكذا الجغرافيا كما أنها كانت تحضر لدروس أب الأنثروبولوجيا الفرنسية مارسيل ماوس، شاركت في العديد من المعارض كما تقلدت العديد من المهام فقد عينت كمساعد تقني في متحف بروكادير للإثنوغرافيا ومسؤولة عن إدارة فرع "إفريقيا والشرق الاوسط" ينظر **Michèle Coquet, Un destin contrarié La mission Rivière-Tillion dans l'Aurès (1935-1936)**, (s,l), Série « Missions, enquêtes et terrains - Années 1930 » coordonnée par Christine Laurière Lahic / Ministère de la Culture et de la Communication, Direction générale des patrimoines, Département du pilotage de la recherche et de la politique scientifique, 1964, pp7-8.

³ - Ibid, p10.

اختيار تيريز ريفير من قبل ثلاث مدراء من معهد علم الأعراق في باريس وهم: ليفي برون (Lévy- Bruhl) ومارسيل ماوس وب. ريفت (P. Revit) وذلك لتكون رئيساً للبعثة، ثم أوصى السيد ماوس واحدة من تلاميذه وهي جيرمين تيليون بمرافقتها في تلك البعثة.¹

وقد شرح هنري لابوريت في مذكرته سبب اختيار المعهد للمهمة في منطقة الأوراس وذلك لأنها لم تدرس إلا قليلاً، كما أنها لا تتطلب تكاليف كبيرة، بالإضافة إلى أنها تساهم من ناحية أخرى في جلب معلومات مفيدة تساعد في تطوير العلاقات الاجتماعية والاقتصادية العادية بين الأوراسيين والأوروبيين.²

ويعمل برنامج البحث الأول الذي وضعته تيريز ريفير رفقة سيمون ل. هنري (Henry Simon) وذلك لتحقيق ذلك المشروع على دراسة الانتروبولوجيا المادية والتكنولوجية لمنطقة الأوراس بالإضافة إلى الجغرافيا البشرية والأساطير والتاريخ والتقنيات النسائية وتأثيرات الاستعمار على وضع المرأة، كما يولي اهتمام خاص إلى التأثير الأوربي على مبادئ الشعوب الأصلية لملكية الأرض وعلى التنمية الاقتصادية، والآثار المترتبة عن استخدام القوى العاملة المحلية من قبل الإدارة والمستوطنين والمصانع في أوربا، وتمثيل السكان الأصليين في المجالس الحكومية الاستعمارية وتأثير الخدمة العسكرية، كما كان تعليم الفتيان والفتيات أيضاً جزءاً من الأسئلة المتضمنة في المشروع، أما بخصوص الجزء الأخير من المشروع فقد اهتمت به الباحثة جيرمين تيليون والتي عملت بعد انطلاق المشروع على تحليل العلاقات بين الدولة المستعمرة والسكان الأصليين وهو ما يتناسب مع أهداف المعهد الدولي للغات والحضارات الإفريقية كما حددها هنري لابوريت.³

وصلت بعثة تيريز ريفير وجيرمين تيليون في 11 جانفي 1935 إلى مدينة أريس وهي بلدة مختارة من قبل الإدارة الاستعمارية لتكون عاصمة لمقاطعة الأوراس الكبير وفقاً لتعداد سكاني يصل إلى 57623 نسمة، أي حوالي 14000 أسرة من السكان الأهالي و30 أسرة من الأوروبيين، وبناءً على نصيحة من الجيولوجي روبرت ليفيت (Robert Levet) الذي نشر في عام 1939 "دراسة جيولوجية عن الأوراس"⁴ اختارتا الشابتين الاستقرار في الجانب الجنوبي لأحر خدو حيث قامت كل واحدة منهما بدراسة أو تحقيق منفصل حول الأوراس، خاصة قبيلة أولاد

¹ Michèle Coquet, **Un destin contrarié La mission Rivière-Tillion dans l'Aurès (1935-1936)**, op, cit, p10.

² Ibid, p11.

³ Michèle Coquet, **Un destin contrarié La mission Rivière-Tillion dans l'Aurès (1935-1936)**, op, cit, pp10-11.

⁴ Ibid, p11.

سيدي عبد الرحمان إذ انصب اهتمام جيرمين تيلون بدراسة التنظيم الاجتماعي لسكان الأوراس،¹ وكانت تنتقل على الحصان وتزور القرى وتنصب خيمتها في هذه القرى الفقيرة كما كانت تعمل أثناء رحلتها على تسجيل أحوال الفلاحين الفقراء وقد تمكنت هذه الباحثة من خوض أربع رحلات في منطقة جبال أحمر خدو،² أما تيريز ريفير فقد كلفت بدراسة الطقوس معتمدة على تقنية التصوير الفتوغرافي وقد دعمت هذه الأخيرة دراستها بمجموعة من الرسومات التوضيحية الخاصة بمنطقة آيت عبد الرحمان والتي قامت بجمعها في ألبوم وذلك أثناء بعثتها إلى أريس.³

ولعبت الباحثة الأنثروبولوجية الفرنسية كاميل لاکوست جاردان (Camille Lacoste –Dujardin) هي الأخرى دوراً بارزاً في تدعيم الدراسات الأنثروبولوجية حول الجزائر خاصة فيما يتعلق بثقافة القبائلية وقد تعرفت على الشمال الإفريقي لأول مرة أثناء الحرب العالمية الأولى وذلك أثناء فرار والدها من فرنسا المحتلة من طرف ألمانيا النازية وكان عمرها آنذاك اثنتي عشرة عام وقد انتقلت من مدينة مرسيليا إلى مدينة وهران ومنها إلى مدينة الدار البيضاء المغربية لتعود بعدها إلى الجزائر سنة 1952 مع زوجها إيف لاکوست (Yves lacoste) ليزاولا فيها مهنة التعليم.⁴

وتزامن مجيئها إلى الجزائر مع صدور رواية "الربوة المنسية" لمولود معمري⁵ والتي فتحت لها الشهية للتعرف على بلاد القبائل لتقوم بعدها بفتح علاقات مع بعض العائلات القبائلية والتي قامت بزيارتها سنة 1955 فكانت تلك هي

1- Michèle Coquet, "l'Album de Indigènes Thérèse Rivère chez les Ath Abderahman-kebèche de L'Aurès(Algérie)", **Gradhive**, N°9, Editeur Musée du quai Branly, 2009, p192.

2- رشيد خطاب ، المرجع السابق، ص ص139 - 140.

3- Michèle Coquet, "l'Album de Indigènes Thérèse Rivère chez les Ath - Abderahman kebèche de L'Aurès(Algérie) ", op, cit,p193.

4- مُجّد أرزقي فراد، قراءة الباحثة Camille Lacoste–Dujardin للثقافة القبائلية، www.djazairiss.com ، تاريخ الاطلاع 2017/10/21.

5- مولود معمري(1917-1989): ولد بقرية تاويرت بمنطقة القبائل الكبرى من عائلة ثرية، تحصل على بكالوريا الآداب الكلاسيكية، واصل دراسته للأدب بفرنسا، شارك في الح، ع، 2، بصفته مجنّداً في الجيش الفرنسي، عمل أستاذاً للأدب بالجزائر، كان من أشد المنبهين بالمستعمر الفرنسي كما عبر عن احتقاره لثقافته وتقاليدته في دراسة بعنوان "المجتمع البربري"، لكنه سرعان ما عاد إلى هويته وثقافته فبذل بعد ذلك كل جهده لإحيائها والدفاع عنها، أنتقل مولود معمري أثناء الثورة إلى المغرب الأقصى وبعد استرجاع الاستقلال تم تعيينه أستاذاً في جامعة الجزائر، كما كانت له مساهمات علمية عديدة، توفي بعد حادث سيارة قام به أثناء عودته من المغرب الأقصى نحو الجزائر بعدما شارك في ملتقى علمي هناك. ينظر بوعلام بلقاسمي وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، 2007، ص ص33-36.

بداياتها الأولى للتعرف على المجتمع القبائلي، لتقوم بعد ذلك بتركيز جهودها العلمية على دراسة ثقافة ذلك المجتمع دراسة أنثروبولوجية وإثنولوجية بالدرجة الأولى خاصة بعد استقلال الجزائر.¹

وعلى الرغم من أن السلطات الفرنسية قامت بطردها وزوجها من الجزائر سنة 1955 غير أن ذلك لم يحل دون دراستها لـ "سلاح إفليس لبحار"، المنسوب إلى عرش إفليس لبحار إحدى عروش منطقة ثقزيت بتيزي وزو والذي كان يصنع بها وأكدت على أصالته والأهمية الكبيرة التي كان يحظى بها في المعارك وذلك قبل اكتشاف الأسلحة النارية علماً أنه كان سلاحاً من الأسلحة التي اعتمد عليها سكان القبائل وذلك لمجابهة الاستعمار الفرنسي في الجزائر.²

¹ - محمد أرزقي فراد، الموقع السابق.

² - وساهمت أيضاً جهودها العلمية في إنقاذ ما يقارب 700 صفحة من الحكايات الخيالية وإنتاج حوالي 150 مقالا علمياً وما يربو عن 10 كتب وهذا فيما يتعلق بمنطقة القبائل، وقد تمكنت من تحقيق كل ذلك نتيجة لقدرتها على تحمل متاعب البحث العلمي بدءاً بتعلمها للغة الأمازيغة وكذلك ربطها علاقات مع عائلات قبائلية مقيمة في فرنسا منها عائلة من منطقة إفليس لبحار (دائرة ثقزيت ولاية تيزي وزو)، ولجلدير بالذكر أنها أجرت حواراً مع صديقتها القبائلية والتي كانت فرداً من تلك العائلة مدونة إياه ليصدر سنة 1977 بعنوان "Dailogue de Femme Ethnologie" لتقوم بعدها في تسعينات القرن العشرين 1992 بجولة في مناطق آت هشام (عين الحمام) وتيزي وزو والجزائر ومن الأعمال الكبيرة التي ألفتها هذه الباحثة حول منطقة القبائل هو القاموس الموسوم بـ "قاموس الثقافة القبائلية" "Dictionnaire de la Culture Berbréen Cabylie" الصادر سنة 2005 والمؤلف من 395 صفحة والذي كان بمثابة خلاصة الجهود العلمية لتلك الباحثة التي استطاعت أن تجمع فيه كما هائلا من المعلومات (أكثر من ألف مادة) حول الثقافة القبائلية الغنية بقيمتها وأعرافها وقواعدها الاجتماعية ومصطلحاتها وعمرائها وتضاريسها ومحاصيلها الزراعية وصناعاتها وحرفها المتنوعة وإبداعاتها الأدبية.²

ويعد تأليف هذا القاموس خطوة جد إيجابية وذلك لمساهمته الفعالة في حفظ التراث القبائلي الذي بات معرضاً للاندثار والنسيان، غير أنه لا يخلو من نقائص مردها إلى تأثر مؤلفته بالمدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية للقرن 19، والتي وظفت لخدمة الاستعمار وقد بدا ذلك جلياً من خلال عرضها المتسم بتفتيت وتفكيك الحياة الاجتماعية مع قيامها بتغييب المكنون الإسلامي البارز في الثقافة القبائلية، كما أنها تأثرت بالسياسة الفرنسية القبائلية التي أنجبت مصطلح الشعب القبائلي الهادف إلى تحقيق سياسة فرق تسد وقد كررته في مقدمة كتابها هذا حوالي ستة مرات واستخدمت مصطلح إسلام القبائل وذلك لتكريس تمايز بلاد الزواوة عن باقي الجزائر ينظر محمد أرزقي فراد، قراءة الباحثة Camille lacoste –dujardin للثقافة القبائلية، www.echoroukonline تاريخ الإطلاع 2017/10/31.

وتعتبر الباحثة الاثنولوجية "دومنيك شومبو" (Dominik Chapoman) من الفرنسيات المهتمات بالجانب الاثنولوجي للمجتمع الجزائري. ولدت هذه السيدة بفرنسا بتاريخ 18 أكتوبر 1927 وتوفيت عام 2001، تحصلت على شهادة الليسانس في علم الاثنولوجيا عام 1947 ثم تخرجت من مركز التدريب على البحوث الاثنولوجية في باريس عام 1948، أجرت أول مهمة بحثية لها مع زوجها برنارد شامبو (Bernard Shaw) في الصحراء الشمالية الغربية الجزائر (بشار، تاغيت، بني عباس، تبلباله) في الفترة ما بين ديسمبر 1948 وجوان 1949، تم تجنيدها كمتدربة بحثية في المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا عام 1949 ثم مساعد أبحاث في 1951¹. وقامت دومنيك شامبو بأول مهمة بحثية لها في الصحراء الشمالية الغربية بالجزائر والتي تمكنت من زيارتها عدة مرات، غير أن اهتمامها كان منصباً حول منطقة تبلباله² وتاريخها ما جعلها تفرد لها كتاباً ضخماً يتكون من 486 صفحة جمعت فيه كل كبير وصغير عن هذه المدينة (تبلباله)، كما أتحفته بالصور والخرائط والمخططات وقد عنوان "Une Oasis du Sahara nord-occidental, Tabelbala"³.

أقامت هذه السدة في تبلباله بنفسها وأحياناً مع زوجها أما عن رحلتها لهذه المنطقة فقد ذكرت الكاتبة كل ما صادفها خلال رحلتها في هذه المنطقة وذلك خلال فترات زمنية متفرقة وهي كالتالي :

من شهر ديسمبر 1948 إلى جوان 1949

من شهر ديسمبر 1950 إلى جوان 1951

من شهر جانفي 1954 إلى نوفمبر 1954

من شهر جانفي 1961 إلى ماي 1961⁴

¹ - Gast Marceau, Jean Lambert, "Francine D, Champault", **Journal des Africanistes**, T 72, 2002. p263.

² - تبلباله: واحة صحراوية في الجهة الجنوبية الغربية من الجزائر، تقع تحديداً على سفح جبل الراوي بمدينة بشار تم أنشاؤها في القرن 11م وذلك للربط بين أقاليم الساورة وتوات وتافيلالت. ينظر. Gast Marceau Francine, " Dominique. Champault, Une oasis du Sahara nord-occidental, Tabelbala", **Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée**, N°8, 1970, p175.

³ - عبد الله حمادي الإدريسي، مختصر المقالة من تاريخ الحاضرة تبلباله، ط1، الجزائر، دار الكتاب الملكي، 2013، ص 50، 51.

⁴ - عبد الله حمادي الإدريسي، مختصر المقالة من تاريخ الحاضرة تبلباله، المرجع السابق، ص 51.

و جمعت في مؤلفها كل ما يخص مدينة تلبالة فقد تطرقت في حديثها على سبيل المثال للمجال والموقع الجغرافي لتلك المنطقة، المناخ، الماضي من تاريخ تلبالة وتأسيس قصورها وأخبار صلاحها، اللهجة التلبالية، المسكن وهندسة القصر، الماء وتقنيات الري القديمة من فقارات وقطارات وآبار عادية ، البساتين، المنتوجات الفلاحية، الأعياد والمناسبات والأفراح والعادات في تجهيز الموتى ودفنهم وفي الأعراس والعقيقة، الطعام والأطباق التلبالية ، الحيوان البري والأهلي المتوحش، اللباس، الحلي، تصفيف الشعر والمكياج، الرقصات الشعبية والغناء المحلي، الألعاب الشعبية، العمل، الحرف التقليدية ومنتوجاتها، الصيد، تقنيات عامة، الإقتصاد، المعاملات، التقاضي، النزاعات، العلاقات، أحوال المجتمع والأسر، الجماعة، الحياة الدينية، التطبيب، التداوي بالأعشاب، إحتلال فرنسا لتلبالة وأحوالها بعد الإستعمار إلى الإستقلال، نظرة حول مستقبل تلبالة....الخ¹

وذكرت في كتابها هذا أيضاً صلاح تلبالة ومواقع أضرحتهم كالتالي:

سيدي زكري، سيدي العربي، سيدي ابراهيم، سيدي صالح، سيدي سالم، سيدي عباد، سيدي عبد الجبار، سيدي عبد العزيز، لالة ستينة، سيدي أمبارك، سيدي عبد القادر، أحمد بن بلقاسم، محمد بوزكري، لالة تارة بنت يحيى، بلزنة سالم سيدي عيسى، مخلوف مؤسس قصر مخلوف، مقام سبعة رجال.²

كما ذكرت أيضاً أضرحة صلاح مجهولين الهوية والتي لم تعرف أسمائهم بل تعرفت على قبورهم برشها بالجير أو منحها هذه الصفة بناءً على الكشف أو إشارات من رأى في المنام وقد خلصت دومنيك شومبو من خلال رحلتها بأن تلبالة بلد العلم والصلاح كما لقبت بالمدينة الكبيرة وذلك لكثرة الصلاح بها³.

واستنتاجاً لما سبق يمكن القول بان معظم تلك الدراسات التي قام بها بعض النساء الأوربيات حول الجزائر لا يمكن إعطائها صفة الموضوعية وذلك لأن معظم الكاتبات كان لديهن العديد من المعلومات حول الجزائر ولم يقدمنها وليس لديهن أفكار مسبقة حولها وبالتالي فإن بعض من تلك الأحكام المسبقة التي كانوا يمتلكونها كانت توجه النتائج التي وصلن لها والتي غالباً ما كانت تتماشى والأهداف الاستعمارية في الجزائر، كما أن معظمها كانت تعمل بطريقة أو بأخرى على تيسير السيطرة الاستعمارية على الجزائر وذلك لأنها قامت بتقديم معلومات عن الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية... وخدمت السلطات الفرنسية بالجزائر خدمة فعالة حيث وظفت تلك الكتابات توظيفاً سياسياً وعسكرياً وذلك على اعتبار أن أي توسع سياسي عسكري كانت تقوم به فرنسا في الجزائر كانت تسبقه

¹ - نفس المرجع، ص ص 51-53 .

² - نفس المرجع، ص 53.

³ - نفس المرجع، ص ص 54-56.

دراسات حول المناطق المراد التوسع فيها، لكن على الرغم من كل ذلك فإن الشيء الذي لا يمكننا نكرانه هو أن تلك الدراسات ساهمت مساهمة معتبرة في كتابة تاريخ بعض المناطق خاصة ما تعلق منها بالجانب الاجتماعي في فترة انصرف فيها الجزائريون عن الكتابة والتأليف لأسباب مختلفة.

ثانياً: تأثير المرأة الأوربية على القيادات المحلية في الجزائر

استخدمت بعض النساء الأوربيات من طرف السلطة الاستعمارية في الجزائر للتأثير على مجموعة من القيادات المحلية كوعاء الطرق الصوفية وذلك نظراً للخطر الكبير الذي كانوا يشكلونه ونتيجة للمكانة الكبيرة التي كانوا يحضون بها عند الجزائريين، ولاتقاء خطرهم انتهج الفرنسيون العديد من الأساليب أبرزها: إتباع سياسة "فرق تسد" بين بعض الطرق الصوفية مستغلين التنافس بينها قصد إضعافها والحيلولة دون وحدتها المؤدية إلى قوتها، والعمل على تسريب بعض الفتيات الفرنسيات داخل بعض الطرق الصوفية كزوجات لبعض المشايخ ومقدمي الطرق وذلك للاستفادة من خدماتهن بصفة مباشرة أو غير مباشرة.

1- أوريلي بيكار (Auréli Picard) والزواية التيجانية:

استعمل الاستعمار الفرنسي العديد من الأسلحة لإحكام قبضته على الجزائر ومن أفتك تلك الأسلحة السيطرة على الطرق الصوفية وفي ذلك قال قائد عسكري فرنسي كلمة أحاطت بالمعنى من جميع أطرافه: "إن كسب شيخ طريقة صوفية أنفع لنا من تجهيز جيش كامل وقد يكونون ملايين ولو اعتمدنا في إخضاعهم على الأموال والجيش لما أفادتنا ما تفيده تلك الكلمة الواحدة من الشيخ، على أن الخضوع لقوتنا لا تؤمن عواقبه لأنه ليس من القلب، أما كلمة الشيخ فإنها تجلب لنا القلوب والأبدان والأموال أيضاً".¹

ولما عرف الفرنسيون الدور والخدمات التي يمكن أن تقدمها الطرق الصوفية في الجزائر وعلى رأسها الطريقة التيجانية حاولوا كسب مشايخها والتقرب منهم عن طريق العديد من الوسائل، كإتباع سياسة الإغراء بمنحهم الجاه وظلوظ والمال تقديراً وعرفاناً للخدمات التي يقدمونها لهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى استخدموا طرقاً غير مباشرة بغرض التجسس وفرض قبضتهم عليهم وذلك عن طريق تسريب بعض الفتيات الأوربيات ليكن زوجات لبعض مشايخ الصوفية كالآنسة أوريلي بيكار التي قامت بدور خاص داخل المجتمع الجزائري والمركز على الجانب الصوفي في الجزائر ونقصد بذلك الطريقة التيجانية، وقد برز نشاط هذه المرأة في عهد شيخ الطريقة التيجانية أحمد التيجاني²

¹ - يوسف القرضاوي ، "مقومات الفكر الإصلاحية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، الملتقى الدولي للإمام محمد البشير الإبراهيمي بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته، الجزائر، 22-23 ماي 2005، ص ص 60-61.

² - أحمد التيجاني (1850-1897): ولد بقالة ، أبوه هو محمد الحبيب وأمه السيدة العافية، استخلف والده على الزواية التيجانية بمدينة عين ماضي بعد بلوغه، عاصر أحداث ثورة سيدي الشيخ بقيادة سي قدور بن حمزة وعمه سي لعل، فرضت عليه السلطات الاستعمارية بالجزائر الإقامة الجبرية هو وأخوه البشير بمدينة بوردو عام 1868 لكن سرعان ما أطلقت سراحهما، توفي بقمار ثم أعيد

والمعروف بأحمد عمار وذلك تمييزاً له عن أحمد الكبير¹ مؤسس الزاوية التيجانية.² ولم يكن قدوم هذه الفرنسية للجزائر فاتحة للعلاقات التيجانية الفرنسية بل نجد أن تلك الطريقة كانت لها علاقات خاصة مع الفرنسيين منذ الخلافات التي نشبت بينها وبين الأمير عبد القادر الجزائري، وقد كانت بلدة عين ماضي³ بالاغواط هي مقر الزاوية ومركز نشاطها بالرغم من وجود فرع آخر هو فرع تماسين والذي كان بيد عائلة علي الينبوعي⁴ وقد كان نشاط هذا الفرع ونفوذه في بعض الأحيان يتعدى نشاط ونفوذ الأصل، وفي الفترة التي قدمت فيها أوريلي الجزائر وقبلها من 1870-1897 كان مركز التيجانية في فرع تماسين⁵ وليس في عين ماضي، وذلك لأن أحمد التيجاني كان في نظر السلطات الفرنسية غير مؤهل لحمل البركة الصوفية لعدة أسباب منها: عدم وضوح أصله إذ تذهب بعض المصادر الفرنسية إلى أن أحمد التيجاني وأخوه لم يكونا من صلب أحمد الكبير مؤسس الزاوية

نقله إلى عين ماضي أين دفن بقبره بقر كوردان. ينظر السعيد ديدي، دليل الحائر صور ومواقف من جهاد التيجانيين في الجزائر، ط1، الوادي، مطبعة الأوراس، 2010، ص46.

¹ - أحمد الكبير (المؤسس) (1738-1815): ولد سنة 1738 بقرية عين ماضي وفيها نشأ وترعرع، حفظ القرآن على يد مُجّد التجاني ثم اشتغل بعد ذلك بطلب العلوم الشرعية والأدبية، مال بعد ذلك إلى الاهتمام بالتصوف، وكان لرحلاته الكثيرة أثر في سلوكه هذا الطريق حيث التقى في رحلته إلى فاس وفي رحلته إلى الحج بكثير من أرباب هذا الشأن، وأخذ عنهم طرقهم في السلوك والتصوف إلى أن استقل أخيراً بطريقته الخاصة التي عرفت فيما بعد بالتيجانية نسبة إليه، توفي سنة 1815 عن عمر ناهز الثمانين سنة. ينظر علي بن مُجّد آل دخيل الله، التيجانية دراسة لأهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسنة، ط1، السعودية، دار العاصمة للنشر والتوزيع، 2002، ص5.

² - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص119.

³ - عين ماضي: مدينة تبعد عن الأغواط بحوالي 75 كلم، وهي منطقة منبسطة الأرض محاطة بجبال، تحدها من الناحية الشمالية مدينة أفلو، ومن الناحية الجنوبية الغربية الأغواط، أما من الناحية الشرقية فتحدها الجلفة، وتشتهر هذه المنطقة بأراضيها الرعوية وبعض الممارسات الفلاحية حيث يعتمد سكانها على تربية الماشية بالدرجة الأولى. ينظر الغالي بن لباد، الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية دراسة أنثروبولوجية، (أطروحة دكتوراه، تخصص أنثروبولوجيا، إشراف مُجّد سعدي)، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقائد، تلمسان، 2008-2009، ص38.

⁴ علي الينبوعي التماسيني (1766-1844): ولد في تماسين ونشأ على التصوف، زار الشيخ أحمد التجاني في عين ماضي ثم في فاس وأخذ الوصية منه لكي يكون هو حامل البركة من بعده، وراعي ابنه حيث جاء بهما من فاس إلى عين ماضي بعد وفاة والدهما، بنى زاوية تماسين عام 1798 في ضاحية تعرف بتملاحت وكان يجذب الفلاحة فشجعها، مما أدى إلى عمارة تماسين بالنخيل والأشجار المثمرة، توفي بعد بلوغه ما يناهز الثمانين سنة ليرث عنه البركة التيجانية مُجّد الصغير بن الشيخ أحمد التجاني المؤسس. ينظر عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص ص140-142.

⁵ - تماسين: واحة من واحات مدينة تقرت بوادي ريغ وهي على بعد 14 كلم منها، توجد بها الزاوية التيجانية المشهورة. ينظر نفس المرجع، ص140.

لكن نتيجة لرغبة السلطات الفرنسية في إحكام سيطرتها على هذه الزاوية ونظراً لاشتداد ثورة أولاد سيدي الشيخ في غرب وجنوب الجزائر واتخاذها عين ماضي متنفساً لها توصلت السلطة إلى ضرورة التغلغل داخل هذه الطريقة لمعرفة أسرارها وكان إدخال المرأة الفرنسية - أوريلي بيكار - لتلك الطريقة الضمان الذي تم تجريبه لمعرفة تلك الأسرار فمن هي أوريلي بيكار.¹

أوريلي بيكار فتاة طموحة ولدت في 12 جوان 1848 بمدينة مونتاني لوروا في عائلة كبيرة ومتواضعة وهي ابنة أحد ضباط الدرك الفرنسي الذين عايشوا المقاومة الشعبية للأمير عبد القادر، عملت كرفيقة شرف لإحدى سيدات المجتمع الفرنسي الراقى السيدة ستيناكرز (Stinaker) زوجة وزير البريد النائب ستيناكرز الذي تعلمت منه ومن زوجته الكثير من الأشياء،² وقد رافقته وعائلته إلى مدينة بوردو واستقروا بأحد فنادقها في الفترة التي كان تشهد فيها فرنسا شتاءً قاسياً خلال 1870-1871 حين تعرضت الحكومة الفرنسية لهجوم البروسيين، وقد كلفت أوريلي بيكار في تلك الأثناء من طرف وزير البريد بمهمة إرسال المراسلات الخاصة بين الحكومة والجيش عن طريق الحمام الزاجل، وخلال إقامتها بمدينة بوردو تعرفت على شيخ الطريقة التيجانية بالأغواط³ وذلك أثناء نفيه لهذه المدينة من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي وهو مجرد شاب يافع لا يتجاوز عمره العشرين سنة⁴ وهو الأمر الذي أشار له الرحالة الإنجليزي أسكوت أكنور (Ascot Acnor) بقوله: " وشيخ الطريقة كان فتى جميل الحيا في سن الثامنة عشر أيام زار مدينة بوردو واستقبله أسقف المدينة وقائدها بينما مدافع روسيا تدق بوابات باريس عام 1870، وقد تعرفت إليه فتاة فرنسية جميلة هي ابنة أحد رجال الدرك وسيطرت على مجامع قلبه فتزوجها وعندما عاد إلى مسقط رأسه طلق جميع زوجاته"⁵ لكن السؤال الذي يبقى مطروحاً كيف تعرفت تلك الفتاة الفرنسية على أحمد التجاني؟

¹ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص 119-120.

² - Soumeya Bader, "La Question de la rencontre, de L'échange et de L'enrichissement dans Djebel Amour de Roger Frison - Roche", (Mémoire de Magister, Spécialisation en Langues Étrangères, sous la Supervision de Rachid RAISSI), Université Kasdi Merbah-Ouargla, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, 2008-2009, pp 4, 22.

³ - Roger Frison-Roche, **Djebel Amour**, France, Arthaud, 2006, pp21-22.

⁴ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص121.

⁵ - عبد الكريم الفيلاي، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ط1، القاهرة، شركة ناس للطباعة، ج9، 2006، ص57.

وضعت السلطات الفرنسية تخطيطاً محكماً لتسهيل دخول أوريلي للزاوية التيجانية وزواجها من شيخ هذه الطريقة حيث قامت في البداية باتهام أحمد التيجاني والذي كان عمره آنذاك لا يفوق 20¹ ببعض التهم وذلك لكي تستطيع امتلاك الشرعية لاعتقاله هو وأخوه البشير، وقد تعددت الآراء حول أسباب ذلك، فنجد بعض الروايات تذهب إلى أن ذلك الاعتقال راجع إلى تهاون أحمد التيجاني قائد عين ماضي في غلق أبواب البلدة في وجه ثوار الأمير عبد القادر وبعضها الآخر ذهب إلى أن الاعتقال كان لشبهة انضمام التيجانيين للثورة، بينما ذهب رأي آخر إلى أن ذلك الاعتقال كان تخويفاً لأتباع الطريقة التيجانية من أولاد زياد التيجانيون الذين حاربوا الفرنسيين.²

وذكر لويس رين (Louis Rinn) بأن أولاد زياد انضموا إلى ثوار أولاد سيدي الشيخ وحاربوا معهم ضد المستعمر الفرنسي لكنهم سرعان ما طلبوا من أحمد التيجاني التفاوض مع قادة أولاد سيدي الشيخ وذلك ليطالب بفصلهم عن ثوار أولاد سيد الشيخ ويتوسط لهم لكي يتمكنوا من العودة لأراضيهم بعين ماضي، ونتيجة للهيبة الدينية التي كان يحظى بها أحمد التيجاني وللعلاقات الوثيقة التي كانت بين جده وجد رئيس أولاد سيد الشيخ فقد تمكن من الدخول في مفاوضات مع أولاد سيد الشيخ لفصل أولاد زياد عن الثورة وتمكنوا من العودة إلى الأغواط، لكن على ما يبدو وحسب رواية رين كان قد قدم معهم بعض أولاد سيد الشيخ فانتشر بشأن ذلك بأن أولاد التيجاني قد انضموا إلى الثورة ولمنع ذلك الاحتمال قام العقيد دونيس (Donis) باعتقال أحمد التيجاني وأخوه البشير في أول فيفري 1869.³

وبعد اتهام الشيخ التيجاني بتهاونه في أداء واجبه حين لم يقم برد الثوار عن عين ماضي سنة 1864 تم استدعاؤه من طرف السلطات الفرنسية إلى الجزائر حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية وذلك لإبعاده عن مقر الزاوية لتقوم أخيراً بنقله مع أخيه البشير إلى مدينه بوردو،⁴ وقد رأى أثناء إقامته الجبرية في مدينة بوردو الأنسة أوريلي بيكار وذلك عندما كانت تقوم بجمع الرسائل في أروقة فندق بوردو الذي كان في تلك الفترة نزلاً للعديد من الوزراء المسؤولين الكبار والضباط مرتدية فستان أهدته لها زوجة وزير البريد فأعجب بها.⁵

¹ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، صص 120-121.

² - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، صص 205-212.

³ - Louis Rinn, *Mrabous et khouan étude sur L'Islam en Algérie*, Alger,

Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, 1848, pp 431- 432.

⁴ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، صص 120-121.

⁵ - Roger Frison-Roche, op, cit, p22.-

بينما يذهب رأي آخر إلى أن مقدم الزاوية التيجانية وأخوه كانا تحت حراسة الضابط بيكار (Picard) هذا الأخير الذي كان يصطحب معه ابنته أوريلي في بعض الأحيان إلى مقر عمله وكان عمرها 20 سنة تقريباً فتمكنت من التعرف على أحمد التيجاني واستفسرت منه عن أسباب اعتقاله كما كانت تسأله عن الإسلام والعادات والتقاليد الجزائرية،¹ فأعجب بها وطلب يدها للزواج قائلاً: "اسمعي يا ابنتي إنني أقيم في وسط الرمال في بقعة عن المدن ومساكن الناس تتسلط عليها أشعة الشمس المحرقة وتهب عليها رياح السموم من كل جانب فلا شيء هناك مما يحيط بك هنا من أسباب الراحة والتسلية واللهو والمرح ولكن الشعب الذي يخضع لي شعب شجاع شهيم طيب القلب، وقد أحببتك فهل ترغبين في اللحاق بي إلى هناك حيث تعيشين بين أبناء قومي تحت الخيام التي لا تستغر أطناهما في كل مكان" فكان جوابها نعم.²

وقد سرد الصحفي المصري حبيب جماتي قصة تعرف أحمد التيجاني بأوريلي بيكار وزواجه منها في كتابه تحت سماء المغرب، تلك الرواية التي لاقت نقداً لاذعاً من طرف عبد القادر الفيلاي الذي قال فيها: "إن التاريخ لم يهمل تلك القصة -زواج أوريلي بأحمد التيجاني- وإن كان الخيال عند بعضهم قد شطح بها شطحات غير مقبولة في الظلام" قاصداً بذلك الرواية التي قام بسردها الصحفي المصري حبيب جماتي، ليقوم بعدها بالتنوية إلى أن أحمد التيجاني أقام علاقة غير شرعية مع السيدة أوريلي بيكار لمدة في مدينة بوردو ونتيجة لذلك فرضت عليه السلطات الفرنسية الزواج منها زواجاً مشروطاً وذلك على أن يكون زواجهما أمام كاتدرائية الفرنسيين بالجزائر وفعلاً أقيم ذلك الزواج، كما تم قبول جميع الشروط من قبل أحمد التيجاني الذي امتثل أمام الكاردينال لافيغيري (Lavigiri)³ وأقسم أمام الهيكل المسيحي على أن يحتفظ بزواجه مدى الحياة وأن لا يتخذ لنفسه امرأة سواها، كما أقسمت السيدة أوريلي بيكار على أن تكن لزوجها طائعة وفعالاً بر كل منهما بقسمه وبقيت أوريلي بيكار زوجة لأحمد التيجاني إلى أن توفي ليتزوجها من بعده صنوه الشيخ البشير ولم تعد إلى مسقط رأسها بمقاطعة اللورين إلا عندما اشتعلت الحرب العالمية سنة 1914.⁴

¹ - السعيد ديدي ، دليل الحائر صور ومواقف من جهاد التيجانيين في الجزائر، ط1، الوادي، مطبعة الأوراس، 2010، ص52.

² - حبيب جماتي ، تحت سماء المغرب، الإسكندرية، الدار القومية للطباعة والنشر ، (د،ت)، ص171.

³ - لافيغيري(1825-1882): واضع سياسة التنصير بالجزائر والمشرق على تنفيذها، استمر على منصب الأسقفية بالجزائر لمدة أربعين عام حاول خلالها تنصير العديد من الجزائريين، أسس مشروع مدارس الشرق، وجمعية الآباء البيض، ينظر مصطفى خالدي، عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، ط5، بيروت، المكتبة العصرية، 1973، ص126.

⁴ - عبد الكريم الفيلاي ، المرجع السابق، ص57.

وكتبت المجلة الفرنسية الناطقة باسم الدوائر الاستعمارية في أمر ذلك الزواج وهي "مجلة إفريقيا الفرنسية" "Franco-Africain" بأن زواج الشيخ أحمد التيجاني من أوريلي كان تكفيراً عن ذنبه وذلك ل: "أن يمحوا ما قد علق في أذهان الحكام الفرنسيين من انحرافه" وقد علق أبو القاسم سعد الله على هذه المقولة بقوله: "يمكننا متابعة هذه المقولة فنقول إن تزويجه من أوريلي كان عقاباً له على أنه لم يفهم دوره بالضبط".¹

بينما ذهب البعض وعلى رأسهم أتباع الطريقة التيجانية إلى أن ذلك الزواج كان نتاج الصدفة، أما فيما يتعلق بالآنسة أوريلي بيكار فقد وافقت على ذلك الزواج لما رأت من أخلاق التيجاني وتمسكه بدينه فقبلت به وذلك بعد أن تقدم لها وحصل على موافقة والدها على ذلك الزواج.²

في حين يبدو أن تعرف أوريلي بيكار على شيخ الطريقة التيجانية كان مخططاً له من طرف السلطات الفرنسية التي عملت على تسريب تلك الفتاة البوردية لمقدم الطريقة التيجانية عام 1870 ومن ثم تسهيل أمر زواجهما على الرغم من أنه كان في مقدور الفرنسيين منع هذا الزواج لو أرادوا ذلك، وذلك لأنه في نظرهم يتجاوز الحدود الاجتماعية المعروفة خاصة إذا ما علمنا بأن الشاب التيجاني كان له مرافق ومترجم فرنسي لا يغادره³ وبالتالي كانت السلطات الفرنسية على علم بكل تحركاته ومن الأكيد أنهم لو شاءوا عدم زواجه منها لمنعه أو منعوها كما فعلوا مع قاضي قسنطينة محمد الشاذلي⁴ الذي كان يرغب ذات مره في الزواج من فرنسية ولكن السلطات في الجزائر سارعت لمنع ذلك

¹ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص122.

² - السعيد ديدي، المرجع السابق، ص13.

³ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص121.

⁴ - محمد الشاذلي (1807-1877): أديب وقاضي ولد في فترة كانت فيها قسنطينة تشهد أزهي عصورها الثقافية بفضل العلماء والطلبة الذين كانت تزخر بهم المساجد والزوايا في أنحاء البلاد، قام بثلاث رحلات إلى فرنسا وأوربا، وقد حملته ثاني رحلة إلى إنجلترا وبلجيكا وترك عدة انطباعات حول مشاهداته هناك، وعندما دعا الدوق دومال حاكم إقليم قسنطينة بعض أعيان الإقليم لزيارة فرنسا، كان الشاذلي أحد الثمانية الذي سافروا إلى فرنسا واستقبلهم الملك الفرنسي لويس فيليب ووزع عليهم الأوسمة وخلال تلك الزيارة ألقى الشاذلي قصيدة في مدح باريس، أما الرحلة الثالثة (1849-1850) فكان الهدف منها مؤانسة الأمير عبد القادر أثناء سجنه في فرنسا.

يقول أبو القاسم الحفناوي في ترجمة الشاذلي: "نبغ في فنون الأدب وكانت له قدم راسخة فيها وحسه تلك الأشعار التي ساجل فيها الأمير عبد القادر الجزائري حال اجتماعهما بعاصمة باريس لدى ضيافة فخامة نابليون الثالث وهي مشهورة تضمن بعضها ديوان الأمير" ينظر حنيفي هلايلي، "إقليم قسنطينة في كتابات الجزائريين خلال الفترة الفرنسية في ضوء المجلة الإفريقية"، عصور الجديدة، ع 18، 2015، ص ص 148-149. أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، مطبعة بيبير فونتانة، 1906، ص386.

الزواج حرصاً على مصالحها، ولما كان مقام أحمد التيجاني أكبر من مقام مُجد الشاذلي في نظر السلطات الفرنسية، كما أنه عندما كان هذا الزواج سيخدم المخططات الفرنسية البعيدة فقد وافقت عليه كما باركه الكاردينال لافجيري أسقف مدينته الجزائر وحظي بمباركة كنيسة بوردو.¹

وبعد حوالي سنة من زواج مقدم الطريقة التيجانية قامت السلطات الفرنسية بإعادته إلى الجزائر ومعه زوجته أوريلي بيكار، كما أقامت له حفلة خاصة دعت إليها رجال الدين والتصوف ليعلنوا أمام الناس أن الزواج قد تم على سنة الله ورسوله وكتبوا العقد الشرعي والذي يبدو أنه لم يكتب فيه بأن أوريلي قد اعتنقت الإسلام ولكن الأمر الذي تم إعلانه هو أن التيجاني قد طلق زوجاته الأخريات إرضاء لزوجته الجديدة وإرضاء للقانون الفرنسي الذي لا يبيح تعدد الزوجات،² أما بخصوص الحفلة فقد كانت ذات طابع غربي لم تشهد البلاد مثلها.³

أقامت أوريلي بيكار أعواماً قليلة بعين ماضي ولأن الزاوية كانت تعج بالناس قررت بناء قصر كوردان بعين ماضي ونزلت به بعد أن اكتمل البناء سنة 1888.⁴ وقد كان ذلك القصر يبعد عن عين ماضي حوالي 10 كلم وقيل بأنه كان يجمع في أثنائه ومأكله ومشربه بين طراز الشرق وطراز الغرب مضافاً إليه الملمح العربي والروحانية الإسلامية، مما جعله يصبح نواة الحضارة الفرنسية في الصحراء وقد كان الضيوف الفرنسيون ينزلون فيه كما ينزلون في أي قصر أوربي من حيث الأثاث والمأكول والمشرب والمتنزهات.⁵

ومما جاء في وصف ذلك القصر ما أورده المؤرخ الفرنسي جون ميليا في كتابه "الأغواط والمنازل المحاطة بالبساتين" قوله: " قصر كوردان كريم بضيافته لعابري السبيل ويعرف بقاعاته الخصوصية، وعرف الطابق السفلي بجدرانها المغطاة بالزرابي الرائعة أين يمكننا أن ننام تحت خرير الماء الرنان دون أن ننسى القاعة الشرقية وقاعة الأكل في الطابق الأول الذي يضاهاه فخامته القصور الملكية"⁶

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، صص 213-215.

² - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، صص 221.

³ - حبيب جاماتي، المرجع السابق، صص 172.

⁴ - مصطفى بن عمر، الطريق الشاق إلى الحرية، الجزائر، دار هومة، 2003، صص 83-84.

⁵ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، صص 214.

⁶ - Jean Melia, **Laghouat ou les Maisons entourees de Jardins**, Paris, Librairie

Plon, (s.d), p238.

كما أشاد المستشرق ادmond دوتي (Edmond Douuté) في كتابه الصلحاء بالدور الكبير الذي لعبته هذه الفرنسية في تحويل كوردان من صحراء قاحلة إلى إقامة خضراء.¹

ومما يذكر أن السيدة أوريلي بيكار قررت بناء هذا المنزل بمنطقة كوردان كي تستريح فيه بعد أن أحست بأنها حاملاً وقد غمرتها وزوجها السعادة بعد أن علما بقدوم ذلك المولود لكن لسوء حظهما أن إحدى زوجات أحمد التيجاني السابقة زهرة وأمها قامتا وتواطؤ مع خادمة السيدة أوريلي بتسميمها فوضعت طفلها.²

عملت أوريلي بيكار على كسب قلوب التيجانيين وواجهت جميع العقبات فأحبها البعض وأطلقوا عليها اسم لالة يمينية كما تعلمت العربية لكي تستطيع الاتصال والتكيف تماماً مع التيجانيين في الجزائر كما عملت على بناء المدارس وفتح الورشات والعيادات،³ حفرت الآبار وزادت المناطق المزروعة كما أنها اعتنت بالفقراء ورعت المرضى ونظمت رحلات مع أحمد التيجاني في جميع أنحاء البلاد وذلك لزيارة الطرق الصوفية الأخرى، كما حاولت استئناف التجارة مع جنوب غاو وتمبكتو،⁴ أما بالنسبة للفرنسيين فقد كانوا على ثقة تامة بأن أوريلي قادرة على تلبية رغبتهم في إبعاد التيجانية عن ثوار الجنوب الوهراني وكسر علاقات التآزر التي نشأت فيما بينهم إبان فترة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي فعولوا على الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه الفرنسية في المنطقة.⁵

وأدارت أوريلي بيكار الزاوية التيجانية بطريقة غير مباشرة بما يتماشى والمصالح الفرنسية في هذه المنطقة بفضلها أصبح الشيخ التيجاني يستقبل في قصره بكوردان جنرالات فرنسا والسياح والشخصيات الفرنسية بدل أن يستقبل في زاويته مريديه وأحبابه وأتباع طريقته،⁶ فقد قدم العديد من الفرنسيين للزاوية وعلى رأسهم الكولونيل سكوني (Skone) الذي ترأس بعثة من الضباط كانوا يقومون بنزهة استطلاعية في الجنوب الجزائري تلك البعثة التي نزلت في مدينة الأغواط لتغادرها متوجهة نحو عين ماضي مقر الزاوية التيجانية تلبية لدعوة رئيس هذه الطريقة الشيخ محمد

1 - Edmond Douuté, **Notes sur L'Islam Maghribin Marabouts**, Paris, Ernest - Leraux E'diteur, 1900, p86.

2 - Soumeya Bader, op, cit, p25.

3 - Maidi Kasse Nora, " Djebel Amour de Frison-Roche entre le Roman et L'Oubli, **la Nouvelle République**, N° 5453, 24 /1/ 2016, p13.

4 - Soumeya Bader,op, cit, p24.

5 - مصطفى بن عمر، المرجع السابق، ص83.

6 - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص122.

الكبير¹ وبعدها طافوا بالمدينة وزاروا الزاوية ذهبوا إلى القصر العظيم الذي شيد بإيعاز من السيدة أوريلي بيكار وفيه أقيمت مأدبة فخمة لأولئك الضباط ولنواب الحكومة العسكرية الفرنسية بالأغواط وعين ماضي، كما تمكن الفرنسيون من استعمال إسم أحمد التيجاني واسم طريقته لتحقيق أغراضهم بإفريقيا جنوب الصحراء بالرغم من تجرده من البركة التيجانية.²

وجلبت أوريلي بيكار معها الروح الديكارتية التي تركت مجالاً للقدرية³ فأصاب الطريقة التيجانية فتور الوعي الوطني كما أنها تراجعت عن مقاومة الاحتلال ووقفت في وجه الجهاد الجزائري بما فيه جهاد الأمير عبد القادر الجزائري 1807-1883 الذي وجد الزاوية التيجانية بعين ماضي بالأغواط خصماً مناوئاً له.⁴

بوفاته أحمد التيجاني عام 1897 أقام له الفرنسيون تأبيناً رسمياً في الجزائر دعوا له رجال الدين وشيوخ الطرق الصوفية وكبار المسؤولين يتقدمهم الحاكم العام جون كامبون (Jean Cambon)⁵ الذي ألقى كلمة نوه فيها بدور الطريقة ودور أحمد التيجاني، كما ذكر بأنه كان عازماً على إنشاء مستشفى لژائري زاويته تكون إدارته بيد الآباء البيض كدليل على تحرره وتقبله المدنية وخدمة الحضارة.⁶

وعلى إثر المراسيم أمر كامبون البشير التيجاني أن يتزوج أوريلي زوج أخيه البشير ولم يسع هذا الأخير إلا الإذعان لذلك الأمر⁷ وهكذا بقي قصر كوردان عامراً خاصة بعد أن عمل الفرنسيون على إعادة البركة إلى زاوية عين ماضي

¹ محمد الكبير (1866-1931): ابن محمد البشير التيجاني، تولى الإشراف على الزاوية التيجانية بالأغواط بعد ابن عمه سيدي علال سنة 1919، زار مدينة فاس سنة 1918، توفي بعين ماضي ودفن بها. ينظر السعيد ديدي، المرجع السابق، ص 77.

² - محمد الخضر الجكني الشنقيطي، مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، ط2، عمان-الأردن، دار البشير للنشر والتوزيع، 1993، ص 616.

³ - - Tessa Ahmed, "Si Aurélie Tijani et Kourdane n'étaient Contés", **le Soir** - D'Algerie, N° 6958, Edition d'Algerie, 27/8/ 2013, p6.

⁴ - عمر بن قينة، المشكلة الثقافية في الجزائر التفاعلات والنتائج، ط1، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2000، ص 32.

⁵ - جون كامبون (John Cambon) (1845-1935) بعين حاكماً عاماً على الجزائر في الفترة (1891-1897)، حاول أن يطبق سياسة معتدلة تجاه الأهالي، لكن سياسته I رفضت من قبل المستوطنين وتمكنوا من تجميد جميع مشاريعه الإصلاحية بوزارة الداخلية أو اللجان المعنية بشؤون الجزائر، ولم يحقق سوى إصدار قانون الملاحقات، وتعزيز سلطة الحاكم العام وذلك في 1896/11/31. ينظر يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، المرجع السابق، ص 30-31.

⁶ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 217.

⁷ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص 122.

ممثلة في شخص السيد البشير¹ كما منحوه زعامة التيجانيين وذلك لأنهم لم يكونوا مرتاحين لحاملها آنذاك الشيخ مُجَدَّ العيد التماسيني²، كما أنهم رأوا أنه من مصلحتهم في الصحراء وإفريقيا أن ينتقل مركز التيجانية لمدينة الاغواط فاعترف الأتباع في الاغواط والمناطق المجاورة بالشيخ البشير زعيماً روحياً للطريقة وشيخاً لزاوية عين ماضي وحاملاً للبركة التيجانية إلى وفاته عام 1912 أثناء تفقده لزوايا التيجانية بقسنطينة والصحراء الغربية.³

عاشت أوريلي حياة طويلة وعاصرت العديد من الأحداث التي تدخلت فيها الطريقة لصالح فرنسا سيما مرحلة البعثات الاستكشافية في إفريقيا والمغرب وعلى الرغم من أنها كانت قليلة الظهور في الأوساط الإسلامية إلا أنها كانت تقوم بمهمتها في الخفاء خاصة بعد أن آلت البركة الصوفية إلى زوجها الثاني البشير،⁴ هذا الأخير الذي غادرت إثر وفاته بلدة عين ماضي إلى مدينة الجزائر⁵ حيث كانت تملك فيلا رائعة مبنية على سفوح الجبال في منطقة سانت أوجين (بولوغين) وذلك بغرض الإقامة بها.⁶

ثم عادت مرة أخرى إلى الصحراء سنة 1914 وذلك خدمة للمصالح الفرنسية إذ قامت أثناء زيارتها تلك بدعوة القبائل في عين ماضي لنجدة وطنها فرنسا وقد قبلت القبائل دعوتها وحملت البوارج الفرنسية من سواحل الجزائر إلى مرسيليا وطولون كتائب الفرسان الجزائريين الذين التحقوا بالجيش الفرنسي إجابة لرغبة أوريلي وعندما وضعت الحرب أوزارها كانت أوريلي مقيمة في اللورين وذلك بعد أن بقيت عشرات السنين مقيمة بعين ماضي بعيدة عن وطنها⁷ لكنها أمرت بالعودة إلى مدينة عين ماضي وذلك لكي تكون بالقرب من حقها في الزاوية كميراث بالرغم من عدم إسلامها على حد تعبير البعض.⁸

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص218.

² - مُجَدَّ العيد التماسيني (1815-1875): هو الخليفة الأول للإمام التماسيني، ولد بمدينة تماسين، حفظ القرآن وأخذ علوم الفقه والتوحيد واللغة عن العلماء والمدرسين الوافدين إلى الزاوية التيجانية بتماسين، تولى خلافة والده في مارس 1844، عاصر دخول القوات الفرنسية للجزائر، كما عاصر وفاة نجل الشيخ الأكبر مُجَدَّ الحبيب، اتخذ موقف الحياد من قضية احتلال تقرت. ينظر السعيد ديدي، المرجع السابق، صص40-43.

³ - عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص146.

⁴ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص123.

⁵ - مصطفى بن عمر، المرجع السابق، ص84.

⁶ - Paul Soleillet, **L'Afrique Occident Alealgrle, Mzab, Tildikelt**, Avignon, Imprimerie de f. Seguinainé, 1877, p62.

⁷ - جاماتي حبيب، المرجع السابق، ص172.

⁸ - عبد الكريم الفيلاي، المرجع السابق، ص58.

كما استمرت في إدارة تلك الزاوية بطريقة غير مباشرة حيث تم استدعاؤها من طرف التجانيين وذلك بعد أن وقع خلاف بين أفراد الأسرة حول الزعيم الذي يحل محل الشيخ البشير بعد وفاته وذلك للفصل في تلك القضية وكان عمرها آنذاك 80 سنة فقفلت راجعة إلى الصحراء بالرغم من كبر سنها وما أن وصلت إلى الصحراء التف حولها أفراد الأسرة وتعهدوا بقبول الحل الذي تقترحه.¹

وبقيت أوريلي بقرية عين ماضي إلى أن وافتها المنية صيف 1933 ودفنت بجوار ضريح بعلمها الأول تلبية لوصيتها ولا يزال قبرها موجوداً بالمقبرة الصغيرة المحاذية لقصر كوردان² وقد أشاد الفرنسيون بالدور الجسيم الذي قدمته للسلطات الفرنسية ومن المستشرقين الذين اعترفوا بدورها المستشرق إميل دير منغام (Emil.Dermengham) الذي قال عنها أنها ماتت فرنسية وحملت معها أسرارها إلى قبرها، كما أشادت بدورها أيضاً مجلة فرنسية اللسان وهي "المجلة الأهلية" في عدد نوفمبر-ديسمبر 1927م بقلم صحافي كان ينشر بها تحقيقات هو ج.هبروسبت بيرابيس (J. Hebruspt Perabis) والذي كتب مقال بعنوان "الشيخ سي أحمد بن عليوة⁴ المرابط العصري وصديق فرنسا" وبالرغم من أن هذا المقال خصص للإشادة بزعيم الطريقة العلوية بمستغانم إلا أنه أشاد أيضاً في مقدمته بالخدمات الجليلة التي قدمتها أوريلي بيكار للفرنسيين بالجزائر فيما جاء نصه: "كنا طلبنا- في محادثة سابقة أن تقلد المدام أوريلي التجاني وسام الشرف فهي أيم الأخوين رئيسي الطريقة التيجانية الموالية لفرنسا، تلك الطريقة التي جندت لفرنسا زمن الحرب جيوشاً متطوعين. وهي المرأة التي أعطت للاستعمار المئات هكتارات من الأرض وأدارت أعمال رئيسي الطريقة) ومن جاء بعدهم إدارة تعود بالنفع الجسيم على الدولة".⁵

¹ - حبيب جاماتي ، المرجع السابق، ص173.

² - مصطفى بن عمر ، المرجع السابق، ص84.

³ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص123.

⁴ - أحمد بن عليوة(1874-1934): أخذ الشيخ بن عليوة المبادئ العلمية والتصوف على الشيخ محمد البوزيدي وتصدر زاويته الدرقاوية من بعده في مستغانم، قام بتأسيس زاوية خاصة به عام 1910، وأسس فروع لها في معسكر وغلزيان ووهران وزواوة والجزائر، استخدم بن عليوة وسائل حديثة لنشر أفكاره وتعاليمها وأنشأ صحفاً كانت تنشر نشاطه منها "لسان الدين" و"البلاغ الجزائري" ولجأ أيضاً إلى الرسائل لنشر آرائه وهي تتضمن قضايا التصوف عرف عن الشيخ بن عليوة مساندته للحركة الإصلاحية وتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في البداية لكنه سرعان ما انضم إلى حركة معادية لها وهي جمعية علماء السنة عام 1932 توفي سنة 1934 وخلفه على الزاوية العلوية صهره عدة بن يونس. ينظر عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص156.

⁵ - أحمد حماني ، صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، الجزائر، دار البعث، البعث، ج1، 1984، ص286.

وما يذكر أن أوريلي ألقت كتاباً أسمته "أميرة الرمال" "Princesse des sables" تعني نفسها وقد ملأته بالمثالب والمطاعن على الزاوية التيجانية ومسلمي الجزائر وذكرت فيه أن أحمد التيجاني تزوجها على يد الكاردينال لافيغيري على حسب الطقوس المسيحية وأنها بقيت على ديانتها الكاثوليكية ولما توفي عنها زوجها تزوجت بأخيه فأطلق عليها لقب زوجة السيدين.¹

وقد كافأها السلطات الفرنسية مقابل ما قدمته من خدمات بوسام الشرف وقالت في أسباب منح هذا الوسام: "إن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التيجانية إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى وكسبت للفرنسيين مزارع خصبة ومزارع كثيرة لولاها ما خرجت من أيدي العرب الجزائريين لتيجانيين ولأنها سافت إلينا جنوداً مجندة من أحباب هذه الطريقة ومريديها يجاهدون في سبيل فرنسا كأنهم بنيان مرصوص" وقد ساعد أتباع الطريقة التيجانية الجيوش الفرنسية بمختلف الوسائل فكانوا يتحسسون لهم ويرسلون معهم الأدلاء ويقاتلون إلى جانبهم وذهب مشايخهم إلى أن ذلك واجباً يمليه الشرف ويغون الإحتساب من الله تعالى، بل إن شيخهم أحمد التيجاني الخليفة ألقى خطبة أمام رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في عين ماضي سنة 1931.²

والتي نوهت إلى الدور الكولونيالي الكبير الذي كانت تقوم به تلك الفرنسية، كما ذكرت بأنها بقيت على كاثولوكيتها بالرغم من طول المدة التي قضتها داخل الزاوية بين المسلمين والمقدرة بإحدى وستين سنة من 1870-1930 ومع ذلك بقي التيجانيين يتركون بتلك السيدة ويتمسكون بآثارها ويتممون لصلواتهم على التراب الذي تمشي فيه، وقد ذكر البعض بأن تلك الخطبة قام بإلقائها الشيخ أحمد التيجاني أمام رئيس البعثة العسكرية أما التيجانيون فقد أطلقوا عليها تسمية الخطبة المزعومة، بينما نسبها البعض إلى محمد الكبير بن مولاي البشير³ وقد أقيمت تلك الخطبة عندما قامت بعثة عسكرية في سنة 1931 بزيارة منطقة الأغواط دعاها الشيخ التيجاني حينها وهو محمد الكبير لزيارة عين ماضي مقر التيجانيين وهناك قام حسني سي أحمد بن طالب بإلقائها باسم شيخ الطريقة آنذاك وقد ذكر فيها بعض الخدمات التي قدمتها الطريقة للفرنسيين ومما جاء فيها بشأن ذلك: "إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا مادياً ومعنوياً وسياسياً ولهذا فيني أقول لا على سبيل المن والافتخار ولكن على

¹ - علي بن بحيث الزهراني ، الإنحرافات العقديّة والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة، تق: قطب محمد، مكة، دار الرسالة للنشر والتوزيع، 1998، ص540.

² - إدريس محمود إدريس، مظاهر الإنحرافات العقديّة عند الصوفية وأثرها السئ على الأمة الإسلامية، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، مج3، 2005، صص 909-910 .

³ - السعيد ديدني ، المرجع السابق، ص81.

سبيل الاحتساب والشرف بالقيام بالواجب: إن أجدادي قد أحسنوا صنعاً في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا".¹

وذهب صاحب كتاب الانتصاف في رد الافتراء على السادة التيجانية بأن كل ما قيل عن "أوريلي بيكار" هو مجرد إدعاء أما بالنسبة للكتاب الذي نسب إليها كتابته فقد ذكر بأن مؤلفه رجل وليس امرأة، كما ذكر بأن أوريلي أسلمت وحسن إسلامها وقد أعلنت ذلك أمام الفرنسيين والمسلمين وثبت ذلك عند السلطات الفرنسية، وأوصت ألا يحضرها عند موتها القساوسة وأمرت بأن تدفن في مقابر المسلمين ولما توفيت صلي عليها ودفنت في مقابر المسلمين بالفعل، أما بالنسبة لمسألة الدفاع عن الجزائر فقد ذكر بأن التيجانيين لم يتأخروا عن الجهاد بأموالهم وأنفسهم مع الأمير عبد القادر حتى بعد أن هاجمهم، أما فيما يتعلق برفعهم السلاح في وجهه فلم يكن سوى دفاعاً عن أنفسهم.²

وعلى الرغم من الاختلاف بين الدارسين والمؤرخين حول بعض القضايا المتعلقة بأوريلي بيكار كقضية إسلامها إلا أن المتتبع لنشاط الزواية التيجانية منذ قدوم هذه البوردية يلاحظ تحولاً كبيراً في مسارها الذي اتسم في معظمه بالممالة للفرنسيين والحرص على خدمة مصالحهم داخل الجزائر وخارجها ففي سنة 1881 توجه أحد مقدمي التيجانية وهو عبد القادر بن حميدة صحبة العقيد فلاتير (Vlatir) دليلاً³ لبعثته ومعانواً له على احتلال بعض المناطق الصحراوية، كما أن أحمد التيجاني قام بإرسال الرسائل إلى توات وعين صالح وبورنو وسقوطو وغيرها طالباً منها تقديم المساعدات للنفوذ الفرنسي ونفس الشيء قامت به زاوية تماسين.⁴

وهو ما تم التنويه له في تلك الخطبة التي تم ذكرها آنفاً حيث ورد فيها: "في سنة 1893 طلب منا جون كامبون ووالي الجزائر العام يومئذ أن نكتب رسائل توصية فكتبنا عدة رسائل وأصدرنا عدة أوامر إلى أحباب طريقتنا في بلاد

¹ - علي بن محمد الدخيل الله السويلم ، التيجانية دراسة لأهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسنة، ط3، الرياض ، دار العاصمة للنشر والتوزيع، 2011، ص ص68-69.

² - محمد الحافظ التجاني ، الإنتصاف في رد الافتراء على السادة التيجانية، (د،م)، (د،ن)، 1956، ص16.

³ - فلاتير **Flatters (1832-1881)**: ضابط فرنسي قدم الجزائر منذ سنة 1880، عين قائد عسكري للأغواط، ولي قيادة الفريق الاكتشافي لمشروع السكة الحديدية لستناداً إلى رغبته، غير أنه أثناء رحلته الثانية قتل الطوارق في 16 فبراير 1881. ينظر جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994، ص144.

⁴ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص ص216-217.

المقار (التوارق) والسودان نخبرهم بأن حملة فورو (Foureau) ولامي (Lamy)¹ الفرنسية هاجمة على بلادهم ونأمرهم بأن لا يقبلوها إلا بالسمع والطاعة وأن يعاونوها على احتلال تلك البلاد وعلى نشر العافية فيها".²

وأشارت تلك الخطبة أيضاً إلى الدور الذي لعبه الشيخ البشير في تسهيل مهمة تغلغل الفرنسيين في المغرب الأقصى وذلك بطلب من الحاكم العام الفرنسي جونار (Jonnart)³ الذي أرسل له في الفترة ما بين 1906-1908 ضابطه المترجم مدير الشؤون الأهلية بالولاية العامة السيد ميرانت فاستقبله في قصره بـكوردان لمدة شهر كامل وذلك لأداء مهمة سياسية ولتحرير رسائل قام بإمضائها الشيخ البشير باعتباره مقدماً للزاوية التجانية، وقد وجهت تلك الرسائل إلى كبراء مراكش والمغرب الأقصى وأعيانها وأكثرهم تيجانيون وذلك لتبشيرهم بالاستعمار وأمرهم بأن يتقبلوه بالطاعة والسمع والاستسلام والخضوع التام وان يحملوا الأمة على ذلك وأن يسهلوا مهمة فرنسا في تلك الأراضي.⁴

وهو ما أشار له كذلك روم لاندو (Rom Lando) وذلك عند إيراده لبعض الوثائق الذي تحدثت عن الدور الذي كانت تلعبه الطريقة التجانية لصالح الفرنسيين قائلًا: "ووثيقتنا الثانية تلقي ضوءاً على طريقة الإقناع إننا إعلان بعث به الخليفة التجاني الذي تلقى رسالة المارشال بوجو إلى أتباعه بمناسبة الحرب بين فرنسا والأمير عبد الكريم سنة 1925م يدعوا فيه إخوانه إلى مؤازرة الدولة المسيحية ضد مواطنيهم من المسلمين"،⁵ كما أنه أثناء الحرب العالمية قام

¹ بعثة فورو لامي "Foureau-Lamy": إنطلقت هذه البعثة بقيادة القائد العسكري فورو ولامي قائد منطقة المنيعية من مدينة ورقلة يوم 2 أكتوبر 1898 لتقطع حوالي ألفين كيلومتر عبر صحراء قاحلة وموحشة لتصل إلى تشاد بعد سنة كاملة، وتعتبر هذه الرحلة أول عبور من الجنوب الجزائري إلى تشاد وقد ضمت حوالي 296 عسكري و1000 جمل ومجموعة من الأدلاء وكمية كبيرة من المؤن والأغذية. ينظر ابراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، 1881-1912، الجزائر، منشورات متحف المجاهد، 1996، ص 65. أمحيدة عميراي وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، الجزائر، دار الهدى، 2009، ص 51.

² - محمد الخضر الجكني الشنقيطي، المرجع السابق، ص 619.

³ - جونار Jonnart: الحاكم العام للجزائر خلال (1903-1911)، تميزت سياسته بقمع إداري شديد تمثلت في إنشائه للمحاكم الرادعة سنة 1902 وأصداره لمنشور اضطهادي عام 1906، وقراره القاضي بمنع الجزائريين من أداء فريضة الحج سنة 1908، إلا أنه دعا من جهة أخرى إلى الانفتاح الحضاري على الجزائريين من خلال احترام التقاليد الجزائرية، والسماح بتعليم اللغة العربية، والتخفيف من فداحة الضرائب وجور القوانين ونشر التراث الجزائري، وتقليد أعيان الجزائر مناصب محترمة وإشراكهم في الحكم، ومساهمتهم في إنشاء الجامعة الجزائرية وتشديد المباني وفق أسلوب العمارة الإسلامية وغير ذلك. ينظر بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989، الجزائر، دار المعرفة، ج 1، 2006، ص 227.

⁴ - محمد الخضر الجكني الشنقيطي، المرجع السابق، ص 619-620.

⁵ - علي بن محمد آل دخيل الله، المرجع السابق، ص 10.

التيجانيون بتوزيع منشورات تلغرافية وبريدية إلى كافة أقطار الشمال الإفريقي مستنكرين تدخل الأتراك في الحرب ضد فرنسا واتفق جميع مرديها بأن يبقوا على عهد فرنسا ومودتها.¹

وعموماً فإن السلطات الاستعمارية بالجزائر استغلت النفوذ الديني للزاوية التجانية لتحقيق مآربها في الجزائر وإفريقيا وكانت أوريلي بيكار الوسيلة الناجعة لتحقيق ذلك والتي تمكنت في البداية من مجاهدة جميع المعايير والقيم السائدة لدى الفرنسيين الراضة لزواج فتاة فرنسية من رجل أهلي، أما بالنسبة للإدارة الفرنسية بالجزائر ولما كانت المصلحة تقتضي نجاح هكذا زواج فقد عملت من جانبها على تسريب تلك الفتاة لأحمد التيجاني كما ساهمت في تيسير جميع المراسيم الخاصة بذلك الزواج وكانت أوريلي بيكار بدورها على قدر المسؤولية المتاحة لها وذلك بعد أن مهد لها الفرنسيون الطريق بعد فتحهم لعلاقات مع التيجانين خاصة أثناء نزاعهم مع الأمير عبد القادر حيث عملت وبصفتها زوجة لمقدمي الزاوية التجانية على توطيد العلاقة بينهم وبين الفرنسيين تلك العلاقة التي أعطاهما بعض المؤرخين صفة التبعية والولاء للمستعمر الغاشم.

2- إيزابيل إيرهات والطريقة القادرية:

تعتبر إيزابيل إيرهات من الأوربيات اللاتي زرن العديد من المناطق الجزائرية وتمكن أيضاً من زيارة على العديد من الطرق والزوايا، كما أنها من الأوربيات اللاتي أبدين تأثرهن بالأجواء الصوفية تأثراً كبيراً لدرجة أنها أصبحت مريداً من مردي الطريقة القادرية، هذا ما جعل بعض المهتمين بدراسة سيرتها يقرون باعتمادها للدين الإسلامي، لكن الشيء الذي لا يمكننا نكرانه هو أن تبنيتها لتلك الطريقة في بداية الأمر لم يكن نابعاً من فراغ أو من رغبة ذاتية، وتعتبر قضية الماركيز دي موريس أحد الأسباب التي جعلتها تتبع تلك الطريقة، حيث كان قدومها الجزائر في البداية لصالح اتجاه فرنسي وهو الاتجاه المحافظ المتشدد الذين كونوا "لجنة أصدقاء دي موريس" والتي كانت تعمل على كشف أغوار قضية مقتل الماركيز دي موريس وهو ما توصل له رئيس المكتب العربي في الوادي غستون كوفي (Gaston Couvet) ذلك المسؤول الفرنسي الذي كان يتابع كل تحركاتها في تلك المنطقة من خلال رسالة وجهها إلى الجنرال قائد المنطقة رداً على البرقية التي أرسلها له بتاريخ 17 نوفمبر 1900 والمتعلقة بإيزابيل وتحركاتها، حيث صرف بدوره كل التهم التي كانت موجهة ضد إيزابيل وقضية قدومها الجزائر وأكد على الفرضية القائلة بأن قدومها للجزائر كان لحساب عائلة ذي موريس وذلك لجمع معلومات حول مقتل الماركيز "ذي موريس" واستدل على فرضيته ببعض الأدلة من أهمها: انضمام إيزابيل للطريقة القادرية وربطها لعلاقة مع مقدمها الشيخ الهاشمي وصديقه المدعو بعبد القادر بن سعيد واستناداً إلى

¹ - محمد الخضر الجكني الشنقيطي، المرجع السابق، ص 619-620.

تلك الأدلة طالب الضابط كوفي إعطائها الحرية حتى تتمكن من الوقوف بنفسها وبدون أي مضايقة على مدى صحة الاتهامات الموجهة ضد "مُجد العروسي التيجاني"¹ زعيم زاوية قمار.²

كانت إيزابيل على دراية فيما يظهر بأن السلطات الفرنسية تتهم الطريقة التيجانية بقضية مقتل ذي موريس ولكنها تسترت على الأمر لكي تتمكن من المحافظة على الهدوء في المنطقة، وكذلك حاجتها لخدمات الطريقة التيجانية، وبناءً على معرفة إيزابيل للتنافس الذي كان قائماً بين الطريقتين التيجانية والقادرية في المنطقة سارعت بالدخول في الطريقة القادرية بمنطقة وادي سوف على يد شيخها الهاشمي بن إبراهيم وحملت السبحة وحضرت الحضرة ورددت الأوراد الصوفية كما أنها صامت رمضان وشاركت في استقبال وتوديع الشيخ وسط جمهور الأتباع.³

وبالتالي يمكن القول بأن إيزابيل تمكنت في البداية من استغلال الطريقة القادرية وبعض مقدميها وأتباعها لخدمة بعض الأطراف الفرنسية هذا إذا ما صرفنا النظر عن تحلي هذه الأخيرة عن ذلك المبدأ الذي جاءت في البداية من أجله وهو ما صرحت به في رسالة لها وجهتها إلى عبد القادر بن سعيد ذلك الصديق الحميم الذي قاسمها قضية ذي موريس ومن الواضح أنها كتبتها بعد محاولة الاغتيال التي تعرضت لها والتي دفعت فيها أكثر من اللازم وكان هذا - حسب وجهة نظرها - بسبب طبيعتها وقصر بصيرتها السياسية.⁴

كما أن إيزابيل إبرهاردت استخدمت من طرف السلطات الاستعمارية في الجزائر كوسيلة لزيادة شرح العلاقات بين الطريقتين التيجانية والقادرية وذلك عن طريق افتعالهم لحادثة أطلق عليها حادثة البهيمه والتي كانت فيها إيزابيل الحجر المستهدف باعتبارها أحد مريدي الطريقة القادرية، وقد وقعت تلك الحادثة حينما كانت تعمل على تتبع أخبار قتلة الماركيز ذي موريس وأثناء قيامها بجميع نشاطاتها كمريدة قادرية وقع عليها اعتداء كاد يؤدي بحياتها بتاريخ 29

¹ - مُجد العروسي: أبوه مُجد الصغير بن الحاج علي الينبوعي ، تولى زعامة الزاوية التيجانية بقمار على إثر وفاة جده وتولي والده مشيخة الطريقة التيجانية بتماسين، تعلم القرءان على يد مُجد الطالب الشنقيطي، والفقهاء على قاضي قمار الأخضر بن احمد، والتصوف على والده، وكان عالماً ورعاً، لعب دور قيادي فجعل من زاوية قمار مدرسة لتدريس العلوم، ومحط أنظار زاويتي تماسين وعين ماضي وكذلك السلطة الفرنسية وذلك لتأثيره الكبير في النواحي الجنوبية، فقد كان له علاقات مع الأتباع البعيدين سواء في الصحراء أو السودان، توفي سنة 1920. ينظر عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص148.

² - إيزابيل إبرهاردت ، عودة العاشق المنفي كتابات إيزابيل إبرهاردت عن سوف، المرجع السابق، ص 101-114.

³ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص 124-125.

⁴ - إيزابيل إبرهاردت ، عودة العاشق المنفي كتابات إيزابيل إبرهاردت عن سوف، المرجع السابق، ص114.

يناير 1901 في منطقة البهيمية قرب الوادي من طرف شاب تيجاني يدعى عبد الله بن مُجَّد بن الأخضر¹ وذلك محاولة من التيجانيين الحيلولة دون وصولها لحقيقة مقتل الماركيز الفرنسي والتي كما يبدو أن هؤلاء دخل كبير فيها.²

أما عن حيثيات الحادث فقد نشرت إيزابيل وقائع ذلك الاغتيال في جريدة "البرقية الجزائرية" "La Dépêche Algérienne" بتاريخ 6 جوان 1901 والذي عرف بحادثة البهيمية والذي حدث بتاريخ 29-1-1901 على الساعة الثالثة بعد الزوال بمنزل سي إبراهيم بن العربي بقرية البهيمية التي كانت قد وصلتها بعد أن خرجت رفقة الشيخ الهاشمي الذي كان ينوي التوجه نحو "نقطة" لزيارة قبر أبيه سيدي إبراهيم، أما إيزابيل فقد كانت تنوي صحبتته ولكن لم تتمكن من ذلك لظروف خاصة وأثناء تواجدها بقاعة فسيحة من ذلك المنزل بالبهيمية رفقة خادمها وخمسة أو ستة أعيان من منطقة البهيمية وما جاورها وبينما هي جالسة بين شخصين صاحب البيت وتاجر من قمار يدعى أحمد بن بلقاسم والذي طلب منها أن تترجم له ثلاث رسائل تجارية وأثناء انهماكها في ترجمة تلك الرسائل تلقت ضربة شديدة على رأسها فحاولت التوجه نحو الحائط المقابل للإمسك بسيف الشيخ الهاشمي وذلك للدفاع عن نفسها لكن تلك الضربة أصابتها بالدوار فسقطت على صندوق أدى إلى إصابتها بوجع عنيف في ذراعها الأيسر وقد تمكن الجاني من الفرار بعد تجريده من أسلحته.³

وقد صرحت إيزابيل في الرسالة ذاتها بأن الأشخاص الذين تعرفوا على المجرم ذكروا بأنه من أتباع التيجانية المنافسة للقادرية وقد عولجت إيزابيل في المستشفى العسكري بالوادي لمدة شهر إلى غاية 25 فيفري 1901 من طرف الطبيب ساست (Saste)، أما فيما يتعلق بالمعتدي فقد تم نقله إلى قسنطينة وتمت محاكمته أمام المجلس الحربي لكن على الرغم من ذلك فقد أرجعت إيزابيل تلك المحاولة الإجرامية إلى كراهية التيجانية للقادرية وأقرت بأن عبد الله لم يكن سوى مجرد أداة في أيدي مجهولة، هذا الأخير الذي رفض الاعتراف بمن حرضه على محاولة القتل، كما أنه أنكر تبعيته للطريقة التيجانية كما نوهت في الرسالة ذاتها إلى تواطؤ بيرو عرب في هذه القضية وعلى رأسهم شيخ

¹ - عبد الله بن مُجَّد بن الأخضر: شاب تيجاني استخدم كأداة لأطراف مجهولة لاغتيال الرحالة إيزابيل ابرهاردت في البهيمية مستغلين فاقته وحاجته لتسديد ديونه وهو ما اعترف به والده مُجَّد بن الأخضر للشيخ الهاشمي و أمام شهود حيث أقر بأن ابنه قبض ثمن جريمته ولكنه لا يعرف الذين حرضوه، كما أن إيزابيل سمعت في أوساط الأهالي وهذا قبل مغادرتها بأن عبد الله الذي كان تحت وطأة الديون قد ذهب إلى قمار بأيام قليلة قبل الحادثة، ليقوم بعد ذلك بتسديد ديونه واشترى أيضاً حديقة نخل. ينظر إيزابيل إبرهاردت، عودة العاشق المنفي كتابات إيزابيل إبرهاردت عن سوف، المرجع السابق، ص 197.

² - نفس المرجع، ص 195.

³ - نفس المرجع، ص 196.

البهيمية التيجاني والذي رفض في البداية إلقاء القبض على المجرم مدعياً أن القاتل لم يكن في كامل قواه العقلية لولا تهديد الشيخ الهاشمي له بأنه سيتهمه بالتواطؤ في القضية لدى السلطات الفرنسية.¹

وبعد هذه الحادثة حكمت المحكمة على الجاني بالأشغال الشاقة بعد محاكمته بمحكمة قسنطينة والتي وقفت فيها إيزابيل إلى جانبه طالبة الصفح عنة²، وهو ما صرحت به في يومياتها بقولها: "تم تحويل عبد الله بن مُجَّد إلى زنزانة في السجن رأيته وهو قادم ونظرت إليه في حين القناصة يفتشونه إحساس شديد بالرأفة حيال هذا الرجل الذي هو أداة عمياء في يد قدر هو نفسه يجهل معناه" واسترسلت قائلة: "بحثت كثيراً في طيات قلبي عن حقد نحو هذا الرجل فلم أعر على، ... أعتقد أن عبد الله لم يكن سوى أداة بين أيدي مجهولة والحكم عليه فقط لن يرضيني ولا يرضي أيضاً كل محبي الحقيقة والعدالة، ليس عبد الله وحده من أريد أن أراه على مقعد الاتهام ولكن أولئك الذين حرضوه أي المجرمين الحقيقيين مهما كانت هويتهم".³

أما هي فقد أجبرت في مايو 1901 على مغادرة الجزائر باسم مستعار متكررة في بدلة العمال الزرقاء وذلك لكي تستطيع السفر في الدرجة الرابعة الممنوعة عن النساء⁴ وعلى الرغم من إجبارها على مغادرة الجزائر فقد أثبت الحكم تواطؤ السلطات المحلية (بيرو عرب) والتيجانية في قضية ذي موريس أو على الأقل كان هذا ما توصلت له إيزابيل وشيخها الهاشمي⁵، وهو ما صرحت به أيضاً عند التحقيق بقولها: "إنني اسند هذه المحاولة الإجرامية إلى كراهية التيجانية للقادرية وأفترض أن الإخوان التيجانية هم الذين اتفقوا على التخلص مني لأني محبوبة من طرف أعدائهم".⁶

وبالتالي فإن إيزابيل إبرهاردت تمكنت من زيارة العديد من الزوايا كما أنها دونت كل ما كانت تراه في مختلف تلك الطرق أو الزوايا التي تمكنت من زيارتها وبالخصوص الطريقة القادرية، التي غدت مريداً من مريديها ومنه يمكن القول بأنها كانت عين الفرنسيين في المناطق التي كانت تزورها ولو بصفة غير مباشرة وذلك لأن كتاباتها كانت موجهة للفرنسيين بالدرجة الأولى، كما أنها كانت مراقبة من طرف السلطات الاستعمارية التي كانت تتابع كل تحركاتها وكذلك كتاباتها ورسائلها، ولما كانت تلك الرحالة قد جالت العديد من المناطق وتمكنت من الدخول إلى العديد من الطرق الصوفية كالطريقة القادرية والرحمانية وزاوية الزيانية بالقنادسة وتعرفت على مقدميها وأتباعها وأوردت أسمائهم في العديد

¹ - إيزابيل إبرهاردت، عودة العاشق المنفي كتابات إيزابيل إبرهاردت عن سوف، المرجع السابق، ص 196-197.

² - إيزابيل إبرهاردت، ياسمينة وقصص أخرى، المرجع السابق، ص 21.

³ - إيزابيل إبرهاردت، عودة العاشق المنفي كتابات إيزابيل إبرهاردت عن سوف، المرجع السابق، ص 39، 198.

⁴ - إيزابيل إبرهاردت، ياسمينة وقصص أخرى، المرجع السابق، ص 22.

⁵ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 5، المرجع السابق، ص 125.

⁶ - إيزابيل إبرهاردت، عودة العاشق المنفي كتابات إيزابيل إبرهاردت عن سوف، المرجع السابق، ص 198.

من مؤلفاتها فقد قدمت معلومات قيمة ودقيقة عن مختلف المناطق التي زارتها، تلك المعلومات التي يمكن القول بأن السلطات الفرنسية في الجزائر استفادت منها إما استفادة ولعل هذا أيضاً ما جعلها محل شكوك بعض الزوايا الصوفية الأخرى كزاوية بوجمليين بمدينة بوسعادة والتي لم يفلح دليل إيزابيل إيبرهات أثناء رحلتها إلى هذه المدينة سنة 1903 والمسمى بـ "بوبكر" من إقناع مجلسها المشكل آنذاك من عائلات بن قنة، بن رمان، شارف، بن حميدوش، قاضي، بن صديق، بن محمد، بوجمليين بالسماح لها بدخول الزاوية وهذا لإنجاز ريبورتاج عنها وإجراء حوارات مع مسيريهما مثل ما قامت به مع لالة زينب مقدمة زاوية الهامل.¹

والمعروف أن زاوية بوجمليين لم يحدث بينها وبين الإدارة الاستعمارية أي تقارب أو تواصل بشكل مباشر أو غير مباشر طيلة تواجد الاحتلال الفرنسي بالجزائر وقد تعرضت بسبب ذلك للعديد من المضايقات كما أنها حرمت من العديد من الإمدادات، غير أننا نجد إيزابيل إيبرهات قد التمسّت العذر لتلك الزاوية وأخذت منها موقفاً إيجابياً وهو ما عبرت عنه عند تسلمها هدية من قبل الطالب الذي كان ممثلاً للزاوية أمام مسجد النخلة بحي العرقوب حالياً وذلك أثناء توديعها وقد كانت الهدية تشمل فرس أبيض وبغلة وبعض الأمتعة بقولها: "مرة أخرى لذة حقيقية للمكان والزمان تحل لتتراكم بذكراياتي.. هي تداعيات وعلاوة على ذلك هذه المناطق التي أجوبها حالياً تبدو كونها عاكسة لشحوب... سكان المسيلة بتسامحهم الغريب وجاذبيتهم".²

لم تكن أوريلي بيكار وإيزابيل إيبرهات المرأتان الوحيدتان اللتان تم تسخيرهما أو توظيفها للتأثير والجوسسة على الطرق الصوفية بالجزائر وخاصة تلك التي كانت لها نشاطات معتبرة أثناء الفترة الاستعمارية بل طالت يد الفرنسيين لبعض الطرق الصوفية الأخرى كالطريقة الطيبية³ التي عرفت بتأييدها وعلاقتها الطيبة مع السلطات الفرنسية في الجزائر والتي ازدادت متانة بتسريب امرأة فرنسية لتلك الطريقة عام 1912 وهي ابنة مدير الضرائب بسانت إيتان بفرنسا وقد تزوجت المقدم ابراهيم بن عبد الجليل شيخ الزاوية الطيبية في دلبول بالجنوب الوهراني وذلك أثناء زيارة له لسانت

¹ - إيزابيل إيبرهات، الأعمال الكاملة، ج1، تر وتحر: جمال غلاب، (د، م)، (د، ن)، (د، ت)، ص ص 79-80.

² - نفس المرجع، ص 80.

³ - الطيبية: منشؤها وزان بالمغرب، مؤسسها عبد الله بن الشريف درس بتطوان ثم بفاس ثم أسس زاويته التي تولاهم أبناؤه وأخوه الطيب، واشتهرت في هذه الفترة فسميت بالطيبية وتستمد أصولها من الشاذلية، وتعتبر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أساس الذكر وتكثير الصلاة عليه في اليوم ألف ومائة وأربعة وعشرون ونشاط الزاوية يقوم على إطعام الفقراء والعناية بالغرباء والأيتام، مركزها بالجزائر يوجد بمدينة وهران ولها فروع في بعض المدن، ويمتد تأثيرها بالخصوص في صحراء توات جنوب الجزائر. ينظر محمد بن سليمان المستغامي، دساتير الهبة رسائل صوفية للشيخ العارف محمد بن سليمان المستغامي، تق وتحر: بومدين بوزيد، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، 1971، ص 21.

إيتيان بفرنسا،¹ والطريقة الشيخية² التي تزوج أحد أقطابها بامرأة فرنسية أيضاً وهي الآنسة فيري (Ferry) ونعني بذلك حمزة بن بوبكر أغا جبل عمور وهي بنت لقائد مشاة فرنسي كان في حالة تقاعد³، كما تزوج محمد الشرقي العطافي تلميذ الشيخ المذكور من امرأة فرنسية كان يسميها البعض بلغة القدماء جارية علجية رومية، وعلى الرغم من أنه من النادر أن يتزوج صالح أو شيخ طريقة بمسيحية إلا أن مثل هذه الزيجات والارتباطات لم تقلل من حظوة الشيخ.

وفي نفس الاتجاه حاولت السلطات الاستعمارية بالجزائر استخدام بعض قادة أولاد سيدي الشيخ لخدمة مصالحها لكنها فشلت في ذلك مثل إبراهيم العنابي أحد أفراد قبيلة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني والذي حاولت السلطات الفرنسية في الفترة التي كان فيها على خلاف مع أسرته استمالته إليهم بشتى الوسائل وكانوا يعتقدون أنه بوسعهم التأثير عليه بواسطة زوجته الفرنسية كليمانين يورجوا (Clémentine Yorgua) ولكن ذلك الرجل الذي وهب قلبه لامرأة فرنسية لم يبع نفسه لقومها.⁴

كما أن زوجته رفضت أن تكون أداة طيعة في أيدي الفرنسيين، وبالرغم من ابتعاد سي إبراهيم عن أسرته غير أنه لم يبتعد عن قضية وطنه وقام بإيواء ثلاث شباب جزائريين فروا من القوات الفرنسية في بيته ورفض تسليمهم لفرقة فرنسية كان من ضمنها الضابطان جان فرديه (Jean Ferdih) وجاك فرديه (Jacque Ferdih) ودارت معركة في منزله قتل فيها الشبان الثلاثة وكل أفراد أسرته ماعدا ابنته حليلة التي تمكنت من الفرار وذلك بعد أن قتلت جان فرديه، وقد حاول أخاه جاك اللحاق بها لكنها أفلتت منه وتوارت في أزقة مدينة وهران ثم ابتعدت متجهة إلى قومها من قبيلة أولاد سيدي الشيخ بجنوب إقليم وهران، ليقوم بعد ذلك جاك وجنوده بحمل جثث قتلاهم من الفرنسيين وأحرقوا منزل سي إبراهيم العنابي وحولوه إلى مقبرة لأولئك الشهداء، أما حليلة فقد حملت على عاتقها قضية الثأر

¹ - Edmond Douuté, op, cit, p86.

² - الشيخية: تنتسب إلى الشيخ عبد القادر بوسماحة دفين الأبيض سيدي الشيخ الذي كان مقدماً من مقدمي الشاذلية على يد محمد بن عبد الرحمان السهيلي، أوصى الشيخ عبد القادر بوسماحة أولاده عند وفاته بإتباع تعاليم الشاذلية، أنقسم أولاده بعد وفاته عام 1615 إلى ثلاثة أقسام قسم استقروا في قصر الأبيض سيدي الشيخ حول قبر أبيهم، واستقر الفرع الثاني بزعامة الابن الأكبر الحاج أبي حفص في شرق قصر الأبيض سيدي الشيخ، وأسسوا لأنفسهم زاوية وسموا بأولاد سيدي الشيخ الشراقة، واستقر الفرع الثالث بزعامة الابن الثالث الحاج عبد الكريم في غرب القصر الأبيض وأنشأوا لأنفسهم زاوية خاصة بهم وسموا بأولاد سيدي الشيخ الغرابية. ينظر عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص119.

³ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص ص103، 312.

⁴ - حبيب جماتي، المرجع السابق، ص150.

لمقتل والديها وأخوها سليمان والثلاث شباب الجزائريين الذين تم قتلهم من طرف الفرنسيين وعلى رأسهم جاك فرديه ووجدت السند من طرف ابني عمها حس وقاسم ابني سي عمر.¹

وخلاصة لما سبق يمكن القول بأن الاستعمار الفرنسي تعرف على المكانة الكبيرة التي كانت تحظى بها الزوايا والطرق الصوفية في نفوس الجزائريين لذا عمل على استخدام العديد من الوسائل لكسبها إلى صفه، وكانت المرأة إحدى الأساليب الخفية التي تمكنت من خلالها من تحقيق بعض المآرب التي كان يسعى لتحقيقها سواءً بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

¹ - حبيب جماتي، المرجع السابق، ص ص 150-151.

خلاصة الفصل:

مما سبق عرضه في هذا الفصل خلصت إلى النتائج التالية:

- حظيت الجزائر خلال القرن 19 بالعديد من الدراسات التي شملت العديد من المجالات الجغرافية، التاريخية-الانثروبولوجية وغيرها والتي سلطت الضوء على بعض مظاهر الحياة الثقافية والحضارية والاجتماعية للجزائر وبدورها شاركت المرأة الأوروبية في هذا المجال حيث برزت لها العديد من الكتابات حول الجزائر والتي اختلفت باختلاف التوجهات الفكرية والأيدولوجية من باحثة إلى أخرى.

- إن أغلب الدراسات التي قامت بها النساء الأوربيات حول الجزائر عامة ومتخصصة كانت تعمل على خدمة المصالح الفرنسية بالجزائر_ هذا إذا ما صرفنا النظر عن البعض منها والتي حاولت أحيانا رصد بعض مظاهر المجتمع من منظور موضوعي نوعاً ما_ وذلك عن طريق تقديم معلومات مهمة تساهم مساهمة فعالة في السياسة الاستعمارية، أما بعضها الآخر فقد كانت تعمل على مساندة النزعة الاستعمارية عن طريق تعزيز النزعة الانقسامية في المجتمع الجزائري وتبرير التواجد الاستعماري بالجزائر وذلك عن طريق إبراز الوضعية السيئة للمجتمع الجزائري، هذا فيما يتعلق بالدراسات المتخصصة أما بخصوص الدراسات العامة التي قامت بها بعض الأوربيات فقد ركزت أغلبها على الغرائبية والعجائبية أما مشاكل الجزائريين والسياسة الاستعمارية المحقفة المسلطة عليهم فيمكن القول بأنها كانت مغيبة.

- لم تنحصر المشاركة السياسية للمرأة الأوروبية في المشروع الاستعماري بالجزائر على حمل القلم بل تم تكليفهن واستغلال قدراتهن للتأثير على بعض القيادات المحلية كمقدمي الطرق الصوفية الذين تم تسريب البعض منهن كزوجات لهم يعملن على توجيه أفكار أزواجهن بما يتماشى ومصالح فرنسا بالجزائر وبفضلهن حادت بعض الطرق عن مسارها وقضيتها وفضلت الوقوف مع الطرف الفرنسي.

- قامت فرنسا باستغلال كل الفرص السانحة وذلك لتفكيك أو اصر المجتمع الجزائري وفي هذا فسحت المجال واسعاً لبعض نساءها واللاتي كن يتمتعن بحس المغامرة والترحال كالرحالة إيبهات و قدمت لهن يد المساعدة للتنقل في بين بعض أطراف المجتمع الجزائري لكنها من جانب آخر كانت تراقب تحركاتهم وتطلع على رسائلهم، بل قامت بتوظيفهم وبطريقة غير مباشرة لشرح العلاقة بين بعض أطراف المجتمع الجزائري.

- عرفت فرنسا الدور الذي يمكن أن تساهم به المرأة الأوروبية وخاصة فيما يتعلق بمجال الجوسسة وذلك لأنه يصعب اتهامها بالجوسسة والعمالة لأي طرف من الأطراف.

الفصل الثالث:

النشاط الاقتصادي والاجتماعي للمرأة الأوربية بالجزائر

● أولاً: دور المرأة الأوربية في تنمية الاقتصاد

المحلي الفرنسي بالجزائر

● ثانياً: المرأة الأوربية ومسألة المرأة الجزائرية المسلمة

● ثالثاً: دور المرأة الأوربية في تفعيل قضية الزواج

المختلط- الزواج بالأجنبيات - بالجزائر

أولاً: دور المرأة الأوروبية في تنمية الاقتصاد المحلي الفرنسي بالجزائر

حاولت السلطات الاستعمارية في الجزائر اتخاذ منحى آخر لتحقيق السيطرة والتغلغل في المجتمع الجزائري لعل أهمها استغلال المقدرات الاقتصادية للجزائر بواسطة فتح المجال واسعاً وذلك لاستغلال الأراضي وفتح المصانع وإنشاء المشاغل هذه الأخيرة التي كلفت به بعض الأوربيات في الجزائر خاصة فيما يتعلق بقطاع الصناعات التقليدية الجزائرية، والتي كانت قد عرفت رواجاً في بعض البلدان الإسلامية قبل احتلال الجزائر الذي ساهم في تدني بعضها واختفاء البعض الآخر، وعلى الرغم من أن المساهمة الاقتصادية النسوية الأوروبية قد تركزت في المجالات التي تخص المرأة كالحياطة والحياكة والتطريز إلا أنها توسعت لتشمل مختلف القطاعات الاقتصادية كالزراعة والتجارة... كما أن بعضها اتصف بالجدية، وتمكن من تحقيق بعض الأرباح الاقتصادية كما أنها حظيت بتأييد بعض الأوساط الاستعمارية في الجزائر.

1- معدل نشاط المرأة الأوروبية بالجزائر

نشطت العديد من النساء الأوربيات في مختلف المجالات بالمدن الكبرى حيث أظهرت سجلات الحالة المدنية بأن نسبة نشاط النساء الأوربيات اللاتي تزوجن في الجزائر سنة 1845 وفي قسنطينة سنة 1844 حوالي 70 بالمائة، أما في منطقة عنابة والبليدة فقد بلغت نسبة النشاط النسائي حوالي 30 بالمائة باستثناء ربات البيوت لتعرف ارتفاعاً ملحوظاً مع نهاية القرن 19، وبخصوص مدينة سوق أهراس فقد بلغت نسبة نشاط النساء المتزوجات بها حوالي 5 بالمائة نفس نهاية القرن، وفي وهران ومستغانم أظهرت سجلات الزواج انخفاضاً في نشاط الإناث حتى الصفر أواخر القرن 19 حيث لم تعمل أي من النساء اللاتي تزوجن في جانفي 1894 وجانفي 1894 في مدينة وهران، وفي مستغانم شملت شهادات زواج الأوربيات أوائل سنة 1885 عبارة "بدون مهنة".¹

وبشكل عام يبدو أن الأوربيات غير المتزوجات كن أكثر ممارسة للعمل في المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة منه في المدن الصغرى وذلك لأنها غالباً ما كانت تتاح لهن فرص عمل كثيرة ومتعددة ويمكن ربط الزيادة في معدل نشاط الشابات المتزوجات في عنابة وقسنطينة والبليدة والجزائر العاصمة بالمشاريع والأنشطة الإنمائية التي تمت إتاحتها من قبل الإدارة الاستعمارية في القرن 19، وتفسير قلة وجود النساء العاملات أثناء زواجهن بمدينة وهران يرجع إلى طبيعة السكان الذين كانوا يقطنون بتلك المدينة والذين كان أغلبهم من الأسبان الذين كان معظمهم يؤمن بأن ضمان الحاجيات المادية للعائلة يقع على عاتق الرجال.²

¹ - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp151-159.

² Ibid, pp151-159.

أما فيما يتعلق بنشاط النساء الأوربيات وقت وفاتهن في بعض المدن الكبرى (الجزائر العاصمة، عنابة، وهران) وهذا فيما يتعلق بـ 281 شهادة وفاة، فإن معدلاته عند الزواج والوفاة بالجزائر العاصمة وعنابة كانت متقاربة جداً حيث بلغت نسبة نشاطهن أثناء وفاتهن عام 1841 و 1850 أكثر من 65 بالمائة، وفي عنابة عرفت نسبة نشاطهن ارتفاعاً مع تقدم القرن 19 والتي بلغت حوالي 43 بالمائة سنة 1895، وبالنسبة لوهران فإن المهنة المعلن عنها سنة 1871 بالنسبة للنساء المتزوجات هي "ربة منزل" والتي كانت تمثل نسبة 75 بالمائة من الأنشطة المعلن عنها، ويبدو أن مصطلح ربة منزل بالنسبة للإسبان المقيمين بمدينة وهران كان يشير إلى امرأة متزوجة تحافظ على أسرته، غير أن هذه المهنة اختفت في سجلات وفاة مدينة وهران لعام 1894 حيث أصبحت المرأة التي تبقى في بيتها غير عاملة وبدون مهنة.¹

وتقدم الحوليات الإحصائية للقرن العشرين معلومات عن أنشطة الرجال والنساء الأوربيات وقت زواجهم وذلك لسنوات 1906-1910-1911، والتي نوهت إلى أن نسبة النساء اللاتي أبلغن عن عملهن وقت الزواج كانت ضئيلة حيث بلغت نسبتهن 8 بالمائة سنة 1906، 6 بالمائة سنة 1910 و 5 بالمائة سنة 1911 وإن هذا الانخفاض الذي عرفه القرن العشرين والذي عرف بدوره حركة استيطانية واسعة يمكن إرجاعه إلى تمكن العديد من الفتيات الأوربيات في تلك الفترة من تلقي الدعم من أسرهن حتى زواجهن.²

واعتباراً من سنة 1911 قدمت الحولية الإحصائية لعام 1948 جميع الأرقام المتعلقة بالسكان الأوربيين العاملين بالجزائر المسجلين في تعدادات 1911، 1936 و 1948 في كل من الجزائر وفرنسا وهو ما يتيح معرفة نسب نشاط النساء الأوربيات في تلك الفترات في كل من الجزائر وفرنسا والموضحة في الجدول التالي:³

الوصف	1911	1936	1948
نسبة النساء العاملات فوق سن 14 في الجزائر	%9.8	%22.25	%19.6
نسبة النساء العاملات فوق سن 15 في فرنسا	%55.1	%46.04	%48
النسبة المؤيعة للنساء العاملات من مجموع القوى العاملة الأوربية بالجزائر	%9.12	%22.70	%21.86
النسبة المؤيعة للنساء العاملات من مجموع القوى العاملة بفرنسا	%32.3	%30.6	%36.2

¹ Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp151-159.-

² Ibid, pp151-159.-

³ Ibid, pp151-159.-

يشير الجدول التالي إلى ملاحظتين: الأولى تتمثل في الارتفاع الكبير لنسبة النساء العاملات بالجزائر من سنة 1911 و1936 والملاحظة الثانية هي انخفاض نسب نشاط المرأة الأوربية بالجزائر مقارنة بنظيرتها في فرنسا. وتقدر الزيادة في نسبة النساء العاملات بالجزائر بين 1911 و1936 بثلاثة أضعاف وقد يرجع ذلك الاختلاف الكبير في النسب بين التعدادين إلى تغير معايير تعداد القوى العاملة الزراعية، وذلك لأنه في عام 1936 وعام 1948 في الجزائر وفرنسا يعتبر جميع أفراد أسرة المزارع الذين وصلوا لسن العمل من النشطاء في القطاع الزراعي وكان هذا هو الحال في عام 1911 بالنسبة لفرنسا وليس في الجزائر، ومن ناحية أخرى فإن انخفاض معدل مشاركة المرأة الأوربية في الجزائر مقارنة بالمرأة الفرنسية في فرنسا في نفس الفترات لا يمكن إنكاره حتى وإن كانت مقومة بأقل من قيمتها في عام 1911 ومرتفعة عام 1948 لكن حالة العمالة في الجزائر لا تكاد تكون مماثلة لحالة فرنسا، كما عرف توزيع النشاط بين القطاعات الثلاثة اختلافاً كبيراً بين الجزائر وفرنسا خلال القرن 20، ففي سنة 1936 كان الهيكل الاقتصادي للسكان العاملين في فرنسا متوازياً بين القطاعات الثلاثة (الصناعة، التجارة، الزراعة)، وفي الجزائر في نفس العام كان القطاع الثالث يشغل أكثر من نصف القوى العاملة الأوربية العاملة (45.60%) في حين يوجد 23.78% عاملة في القطاع الأول و30.62% عاملة في القطاع الثاني.¹

2- قطاعات العمالة الرئيسية للمرأة الأوربية بالجزائر:

كانت الجزائر في القرن 19 مستعمرة زراعية بشكل شبه حصري لكن ذلك لم يمنع من تواجد بعض الصناعات غير أنها بقيت حكراً على الرجال دون النساء اللاتي اقتصر عملهن على بعض الحرف الصغيرة، كما كان عدد النساء اللاتي يعملن للتكفل بمصاريف منازلهن ضئيلاً جداً وذلك لأن أغلب المهاجرين كانوا يمتلكون أموالاً تمكنهم من الإنفاق على أسرهم، وبالرغم من شح وظائف النساء وتركزها في المدن الكبرى فالبعض منهن تمكن من فتح متاجر للبقالة أو مقاهي أو فنادق كما قام البعض الآخر منهن بمساعدة أزواجهن على استغلال أراضي امتيازهم، وفي المراحل الأولى من الاستيطان كان لا يمكن للمرأة أن تمارس نشاطاً من اختصاص رب الأسرة كما كان يحظر على زوجات المستوطنين ممارسة التجارة وكان على المستوطنين الذين مارسوا نساءهم التجارة والتي غالباً مما كانت تقتصر على محل بقالة أن يعيدوا معظم أراضيهم والبذور والماشية والأدوات التي أعطيت لهم رسمياً كما أن العمل الذي كانت تمارسه الزوجة ينسب إلى الزوج.²

¹ - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp151-159.

² - Ibid, pp151-159.

ومع مطلع القرن 20 مارست النساء الأوربيات العديد من المهن إلى جانب الزراعة أهمها : نسج الأقمشة والعمل في المنازل هذا بالإضافة إلى الخدمة المنزلية وقد شملت هذه القطاعات الثلاثة سنة 1936 حوالي 13000 امرأة، يعمل في أعمال الأقمشة والرعاية المنزلية والزراعة ما مجموعه 41446 امرأة أوربية أي أكثر من نصف النساء المسجلات كعاملات سنة 1936 والمقدر بـ 53.52 بالمائة وإذا أضيف لهذه المهن التجارة والفندقة فإن 73 بالمائة من النساء الأوربيات العاملات كن يشتغلن في هذه المجموعات الأربع من العمالة، وبالتالي فإن الأمر الذي يمكن ملاحظته هو أن المهن المتاحة للمرأة كانت قليلة ومع ذلك أتيح لها مطلع القرن 20 فرص عمل جديدة فانفتحت على المجال الزراعي والتجاري والصناعي والإدارة والعمل في البنوك والمصارف.¹

أ- الزراعة:

بدخول القوات الاستعمارية إلى الجزائر عملت على مصادرة الأراضي وذلك عن طريق تحديد المناطق الخصبة من الأراضي ونزع ملكيتها اغتصاباً ونقل سكانها منها بالقوة قصد إفقارهم ثم منحها للأوربيين ولقد أولت السلطات الاستعمارية اهتماماً خاصاً لسياسة الاستيطان بعد ثورة 1848، إذ قررت رفع عدد المعمرين في الجزائر فشجعت عملية الهجرة بتخصيص مبلغ مالي قدره 50 مليون فرنك لهذا الغرض ولقد صادق المجلس الوطني الفرنسي على المبلغ وأصدر رئيس الجمهورية الفرنسية مرسوماً بذلك في 19 سبتمبر 1848 ويذكر الماريشال ماكهمون (Mc-Mahon)² أن الهدف من تلك الأموال هو إنشاء مجموعة من المستوطنات، ولقد شرع في تنفيذ ذلك فعلاً إذ تقرر إنشاء 12 مستوطنة في عمالة الجزائر و 19 مستوطنة في عمالة وهران و 8 مستوطنات في عمالات قسنطينة.³

ومن الملاحظ أن تلك المستوطنات كانت تنشأ بقرارات رسمية صادرة من طرف الحكومة الفرنسية في باريس وذلك بطلب من الحكومة العامة الفرنسية بالجزائر وهو ما نوه له الرحالة الألماني "هاينرش فون مالستان (Heinrich von Malestan) الذي زار الجزائر في ستينات القرن 19 عندما ذكر بأن كل المستوطنات أنشئت في الجزائر

¹ - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp151-159.

² - ماكهمون (Mac-Mahon) (1808-1893): ماريشال وثالث رئيس للجمهورية الفرنسية ، من أصل إيرلاندي، تخرج من مدرسة سان سير سنة 1827، شارك في حملة الجزائر 1830 وشارك في حصار قسنطينة عام 1837 بقي في الجزائر حتى سنة 1855، خاض حرب القرم سنة 1855، ثم عين عضواً في مجلس الشيوخ الفرنسي، عين حاكماً عاماً على الجزائر سنة 1864، في عهده دشن ميناء وهران سنة 1864 وصدر القرار المشيخي لسنة 1865 و 1867 الخاص بمنح الجنسية الفرنسية للأهالي. ينظر عدة بن داهة، المرجع السابق، ج2، ص501.

³ - إبراهيم لونيبي، " الاستعمار الاستيطاني في الجزائر خلال القرن 19 منطقة سيدي بلعباس نموذجاً"، مجلة عصور، ع 6-7، 2005، ص ص66-67.

بطريقة رسمية متشابهة¹، ومن الملفت للانتباه أن المرأة الأوربية لم تكن غائبة عن هذا المجال فلقد استطاعت امرأة أوربية تدعى شوبوليف (Chauboulive) إقامة مستوطنة أشبه بالقرية تأوي 200 مزارع من أصل أوربي.² وتدعيماً لمشروع إنشاء المستوطنات قام المارشال "بيجو" باستجلاب يتييمات من تولون وقام بإعطائهن مهر الزوجة وقطعة أرض وزيهن بعساكر مزارعين وذلك على أن يسيروا جماعيا النشاط الزراعي في تلك الأراضي لمدة خمس سنوات، وكان الهدف الرئيسي الذي يسعى لتحقيقه من خلال طرحه لذلك المشروع سنة 1838، هو محاولة فرض النظام المسمى بالاستعمار الرسمي والذي تحقق سنة 1841 كشكل واضح لاحتلال جميع الفضاءات من طرف الأوربيين وكذلك استثمارهم للأراضي الزراعية.³

وفي ثلاثينيات القرن 20 وبعد تمكن العديد من الأوربيين من الحصول على أراضي الامتياز اشتغل فيها بعض النساء الأوربيات بصفتهم زوجات لملاك تلك الأراضي وقد بلغ عددهن عام 1936 ما يقارب 8776 مقابل 38152 من الذكور أي أقل بخمس مرات تقريباً من عدد الرجال، وعلى الرغم من مواجهة النساء صعوبات كبيرة بالنسبة للعمل في ذلك الميدان غير أننا نجد نماذج لنساء أوربيات اشغلن في هذا المجال كزوجة السيد الإسباني خوسيه كامبوس (José Campos) الذي قدم الجزائر عام 1846 واشتغل كبستاني، أما زوجته فقد اشتغلت كمديرة منزل بمدينة وهران، غير أنها كثيراً ما كانت تقوم بالحصاد في وهران، ووضعها لا يختلف عن وضع امرأة أخرى من أصول مالطية قدمت الجزائر مع زوجها وكانت تساعده في العمل في مزرعة خضروات استأجروها في بداية القرن 20 بمدينة عنابة وهذا بعد أن تنتهي من واجباتها المنزلية، ولم تكن تلك المرأة الوحيدة التي تشتغل في ذلك المجال في منطقة عنابة بل كان معها العديد من الأسر المالطية والإسبانية التي كانت تمتلك حدائق اشتغلت بها نساؤهم بالزراعة ورعاية الماعز.⁴

وبالرغم من استحواذ الرجال المزارعين على النصيب الأكبر من امتيازات الأراضي غير أن بعض النساء الأوربيات تمكن من الحصول على امتيازات زراعية بصفة شخصية حيث بلغ عددهن بالجزائر عام 1936 حوالي 4070 امرأة من مجموع 25411 من الأوربيين رؤساء المزارع،⁵ كما كان يوجد نساء امتلكن امتيازاً على أساس شخصي تم

¹ - هاييريش فون مالستان، ثلاث سنوات في غربي شمال افريقيا، تر: أبو العيد دودو، الجزائر، دار الأمة، ج1، 2009، ص22.

² - عدة بن داهة، المرجع السابق، ج1، ص76.

³ - كمال كاتب، المرجع السابق، ص131.

⁴ - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp161-185.

⁵ - Ibid, pp161-185.

توثيقها في سجلات أصحاب الامتيازات الزراعية فمن بين أصحاب الامتيازات الزراعية البالغ عددهم 235 في بلدة ستديا بمستغانم هناك 16 امرأة، وتضم قائمة أصحاب الامتيازات الأوائل في سوق أهراس 33 امرأة من بين 317 من أصحاب الامتيازات، ومن بين 96 صاحب امتياز حصلوا على الأراضي في منطقة سور الغزلان بالبويرة في الفترة 1857-1858 كان منهم ست نساء.¹

كما كان يمكن للفتيات وأخوات المعمرين أن يرثن الامتيازات الزراعية من أسرهن، فمن بين 16 فرد من أصحاب الامتيازات في بدة ستديا بمستغانم كان هناك 11 أرملة وثلاث زوجات وعازبتين من أصحاب الامتياز، ومن بين 33 امرأة من أصحاب الامتيازات في مدينة سوق أهراس في الفترة 1859-1862 كان هناك 9 أرامل و16 متزوجة و8 نساء عازبات.²

و في وقت كانت فيه نسبة وفيات الذكور مرتفعة كان يمكن أن ترث بعض النساء امتيازاً ليس فقط من زوجها بل يمكنها أن ترثه في حالة غياب وريث من الذكور كالسيدتين الفرنسيتين اللتين كانتا تشغلان عام 1860 امتيازاً لأخيها في منطقة عنابة لمدة 20 سنة، كما تم تقديم امتيازات بصفة استثنائية لبعض النساء كزوجة أحد رجال الدرك التي حصلت على امتياز صغير في منطقة سوق أهراس عام 1861 بصفة شخصية في حياة زوجها وقد حصلت على ذلك الامتياز بحجة عدم تمكن زوجها من الاستفادة بسبب وظيفته التابعة للدولة.³

أما عن الشروط التي يمكن أن تتحصل بها المرأة الأوربية على امتياز فمتعددة نذكر منها: أن لا يكون لدى المرأة أكثر من طفلين، و أن تكون أرملة قاضي أو عسكري في الجيش كالسيدة الفرنسية التي حصلت على امتياز لأنها كانت زوجة ضابط فرسي توفي في حرب الفيتنام عام 1908.⁴

وبالرغم من تخلى العديد من النساء الأوربيات عن أراضيهم التي ورثتها أو امتلكنها بصفة شخصية أو عهدن بها إلى مزارعين آخرين فإن أن البعض منهن قررن إدارة مزارعهن بأنفسهن كما تمكن البعض منهن من تحقيق أرباح كثيرة منهن ثلاث أرامل نجحن في إدارة مزارعهن واحدة منهن وجدت نفسها عند وفاة زوجها عام 1886 على رأس ملكية دمرت جزئياً بسبب حشرات فيليكسرا فاستبدلت الكروم بالحبوب وأعادت بناء مزرعة عنب مساحتها 25 هكتار ومنه يمكن القول بان النساء وفي أكثر الظروف صعوبة وافقوا على مشاركة الرجال أو حتى استبدالهم في خدمة الأرض

¹ - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp161-185.

² - Ibid, pp161-185.

³ - Ibid, 161-185.

⁴ - Ibid, 161-185.

كما لعبوا دوراً هاماً في استغلال أراضي الامتياز من خلال عملهم.¹ كما شارك في السياسة الاستعمارية الهادفة للاستحواذ على الأراضي الزراعية الخصبة والسيطرة عليها، وذلك عن طريق شرائهن الأراضي العقارية من الجزائريين أو عن طريق منحهن الأراضي من طرف السلطات الاستعمارية بغرض إقامة مستوطنات بصفة فردية أو مشتركة مع أزواجهن، وعلى الرغم من أن الهدف الأساسي من منح المستوطنين الفرنسيين رجالاً ونساء تلك الأراضي سياسي يتمثل في عزل الشعب عن المقاومات الشعبية التي كانت منتشرة في بعض المناطق كمقاومة الأمير عبد القادر وتفتيت الملكيات المشاعة إلا أنه لا يمكننا إغفال العامل الاقتصادي الربحي الذي كانت تسعى فرنسا لتحقيقه من خلال منحها لآلاف الهكتارات الخصبة للمعمرين الذين هاجروا للجزائر.²

ب-التجارة:

ساهمت النساء الأوربيات مساهمة معتبرة في حركة التجارة الداخلية بالجزائر وعلى الرغم من أن أسمائهن لم يتم إدراجها في سجلات التجار بداية الاحتلال غير أنهن شاركن على الأرجح في تجارة أزواجهن، ففي الجزائر العاصمة كانت النساء موجودات على نطاق واسع في العديد من أنواع التجارة فقد اشتغل أغلبهن سنة 1871 في متاجر كانت مسجلة على أسماء أزواجهن، كما أن البعض منهن تمكن من فتح متاجر خاصة بهن كجدة المستوطن أندريه مونتيريو (André Monteiro) التي فتحت سنة 1880 محل بقالة في إحدى غرف منزلها كانت تبيع فيه الخضروات والدقيق والتين المجفف والتمور وحجر الملح والقهوة والخرد والملايس والأحذية.³

وواصلت بعض النساء الأوربيات خلال فترة ما بين الحربين وحتى بعد الاستقلال إدارة بعض الأعمال التجارية بالجزائر ففي عام 1936 تم توظيف 12797 امرأة أوربية رسمياً في وظائف تتعلق بالتجارة والفنادق، كما كانت معظم المحلات التي كانت تمتلكها الأوربيات مرتبطة بثلاث أنواع من الأنشطة التجارية: تجارة الأغذية و الملابس والتبغ هذا الأخير الذي منحت أفضلية بيعه لأرامل موظفي الخدمة المدنية الذين لا يحق لهم الحصول على معاش التقاعد ومن الأوربيات اللاتي مارسن هذه التجارة في الجزائر السيدة ماريوس (Marius) التي كانت تقطن ببلدة الصّدوق

¹ - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp161-185.

² - أمحيدة عميراوي وآخرون، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954)، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر، 2007، ص42.

³ - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp161-185.

بمدينة بجاية وكانت تتقن اللهجة القبائلية وقد امتلكت هذه السيدة سنة 1945 محلاً لبيع المشروبات الكحولية الموجهة للاستهلاك الخارجي واستمرت في بيعها إلى أن استقلت الجزائر على الرغم من معارضة السكان لذلك.¹ كما أن بعض الأوربيات كانت لهن مساهمة في المعاملات العقارية في الجزائر حيث كن متواجدات في السوق العقاري المخصص لبيع و شراء الأراضي في بداية العشرينات من القرن 20، وخلال الفترة ما بين 1910-1938 كان مجموع المعاملات في سوق بيع الأراضي بمدينة قسنطينة حوالي 662 معاملة، وكان عدد المعاملات التي قامت بها النساء سواء أوربيات أو جزائريات 51 معاملة وهو ما يمثل نسبة 8 بالمائة من المعاملات في هذا الميدان، ومن بين تلك 51 المعاملة المذكورة آنفاً هناك ثلاث معاملات قامت بها نساء أوربيات أي بنسبة 1 بالمائة وعلى الرغم من قلة تلك النسبة إلا إنها تعتبر دليل واضح على مساهمة النساء الأوربيات في السياسة العقارية الفرنسية في الجزائر.² وفي بعض المعاملات العقارية التي كان النساء الأوربيات يقمن بها في قسنطينة تمكّن من شراء 195 هكتار من الأراضي بتكلفة قدرها 145162 فرنك في 12 صفقة أو معاملة عقارية، كما تمكّن من بيع 130 هكتار بالسوق العقارية بمبلغ 44150 فرنك.³

ومن الأوربيات كان لهن حضور في السوق العقارية بالجزائر المستعمرة السيدة بنبلدجاوي (Beneldjaoui) والسيدة ألبرتيني أنطوانيت (Albert Antoinette) اللتان كانت تقطنان بمدينة قسنطينة، وقد باعت الأولى عام 1935 حوالي 51 هكتار من الأراضي، بينما باعت الثانية عام 1920 حقلًا ريفياً بسعة 37 هكتار بسعر 13000 فرنك واشترت في نفس السنة عقاراً يبلع 16 هكتار بسعر 3.150 فرنك من السيدة "سيرات أنيس"، أما بخصوص طبيعة المعاملات العقارية التي كانت تقوم بها المرأة الأوربية والمعاملات التي كانت تمارسها المرأة الجزائرية فإن هذه الأخيرة غالباً ما تكون من الباعين للأرض في المقابل أو على النقيض من ذلك فيما يتعلق بالأوربية كانت تعمل في الغالب على شراء الأراضي بدلاً من بيعها في سوق الأراضي وذلك لأن الاستثمار في الأراضي في نظر الأوربية يعتبر استثمار مضمون يعمل على توفير أرباح وإيرادات كبيرة في شكل مبالغ سنوية.⁴

¹ - رشيد أجمود ، الشاهد الاخير، تر: بوحبيب حميد، الجزائر، (د،ن)، 2012، ص ص62، 63.

² - Zahia Soudani, "Femmes et Marché Foncier dans L'Algérie Colonail", **Revue** - **Sciences Humaines**, N° 28, Universite Mentouri, Costantine, Algérie, December 2007, p18.

³ - Ibid, p19.

⁴ - Ibid, pp19- 24.

كما لا يمكننا إغفال الدور الكبير الذي لعبه الكاردينال لافيغيري بمعية الجمعيات التبشيرية الوافدة إلى الجزائر بما فيها النسوية، في العمل على تفتيت الملكية العقارية والسيطرة على المساحات الشاسعة من أراضي الجزائريين عن طريق تخصيصها للنشاط التنصيري بالجزائر، إذ لم يقتصر هذا الأخير على منح الأراضي والعقارات للرهبان فقط بل شمل بذلك حتى الراهبات حيث منح ما مساحته 60 هكتار للأخوات الثالوثيات في وهران، و 11 هكتار لأخوات العقيدة المسيحية في عنابة.¹

ج- الصناعة:

واجهت النساء صعوبات كثيرة لولوج القطاع الصناعي وكانت وظائفهن فيه قليلة حيث نجد أن هذا القطاع استخدم عام 1936 حوالي 21813 امرأة أوربية و 2725 امرأة مسلمة وبذلك مثلت الأوربيات الغالبية العظمى للنساء العاملات بهذا المجال أما بخصوص المجالات الصناعية التي تمكن من الاشتغال بها هي: صناعة التبغ وصناعة النسيج و الملابس و قطاع الغذاء الذي لم تتمكن من الاشتغال به إلا بعد الحرب العالمية الأولى 1814-1818، وفي ثلاثينيات القرن 20 كانت صناعة المنسوجات والتبغ والأغذية القطاعات الثلاثة الوحيدة التي فسحت المجال لاشتغال أكثر من ألف امرأة أوربية.²

وقد كان مجال النسيج والغزل أكبر قطاع ثانوي ساهم في عمالة النساء حيث تمكن عام 1936 من توظيف حوالي 1200 امرأة أوربية وقد كانت معظم النساء العاملات بهذا المجال يصنعن الملابس في المنازل وبعض ورشات صنع الملابس والأقمشة، وقد شكلت الإسبانيات غالبية النساء العاملات في هذا الورش مع وجود نساء إيطاليات وباريسيات اهتممن بهذا المجال.³

ولما كانت الجزائر قد اشتهرت بجودة العديد من الصناعات مثل نسيج الزرابي والثياب الصوفية وتطريز الملابس فقد عرف البعض منها كصناعة السجاد المحلي انتشاراً كبيراً في العديد من المناطق الجزائرية بين الفترة 1830-1860

¹ -مزيان سعيدي، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغيري في الجزائر 1867-1892، ط1، الجزائر، دار الشروق، 2001، ص166.

² - Claudine Robert-Guiard, op.cit, pp161-185-

³ - Ibid, pp161-185-

كأفلو، بسكرة، باتنة، بوسعادة، الشلالة، الواد، القلعة، سطيف، تيارت...¹ لكن تلك الصناعات لم تستطع القوف طويلاً أمام طوفان الإنتاج الذي تدفقت به فرنسا على الجزائر بل لم تقو هذه الصناعات اليدوية على منافسة الآلة والمعامل الكبرى، ونتيجة للتغيرات التي شهدتها العالم بعد الحرب العالمية الأولى راح البعض يطالب الحكومة الفرنسية بأن تولي اهتماماً بالصناعة الأهلية التي باتت مهددة بالانقراض، ذلك المطلب الذي لقي اهتماماً كبيراً من بعض الأوربيات اللاتي بادرن وبصفة خاصة إلى العمل على الاهتمام ببعض الصناعات والحرف التقليدية.²

ومن هذا القبيل ساهمت بعض النساء الأوربيات بإحياء بعض الحرف، وذلك عن طريق الإشراف على بعض المشاريع التي كان لها مردود اقتصادي على الرغم من طابعها الاجتماعي أو الثقافي، ومن هذه المشاريع "المدرسة البلدية للزراي بسكيكدة" التي كانت تحت إشراف السيدة أندريان روش (Andre Roche) وبالرغم من تسميتها بالمدرسة إلا أنها كانت تحمل طابعاً مهنيّاً منذ تأسيسها عام 1832 وكانت هذه المدرسة تعمل على منح فتيات سكيكدة إمكانية تعلم حرفة من الحرف، وقد ارتاد على هذه المدرسة بصفة منتظمة نحو 30 فتاة أهلية بين عاملات ومتمرنات تتراوح أعمارهن بين 10 إلى 15 سنة، كما أتاحت تلك الورشة تشغيل ما يقارب 25 إلى 30 فتاة أهلية من الأسر الفقيرة، كما أنها كانت تقوم بتدريب الفتيات المبتدئات فن الزراي وتعمل كذلك على تحسين مستوى أخريات في هذا المجال وقدرت منحة التمهين فيها حوالي 3 فرنك للفتاة الواحدة عام 1932 وكانت تقوم بمهنة التعليم في تلك الورشة بعض النساء الأوربيات من بينهن السيدة كيطولي (Kytoli).³

وبالرغم من أن تلك المدرسة لم تكن تحوي سوى قسم واحد للفتيات الأهليات إلا أنها عرفت نشاطاً ملحوظاً خاصة خلال سنة 1936 حيث أعدت في تلك السنة مساحة 180م² من الزراي ذات الطراز العربي والبربري

¹ - Jean Mirante, **la France et le Oeuvres Indigènes en Algérie**, Algérie, Publications du Comité National Métropolitain du Centenaire de l'Algérie, (s.d), p39.

² - مُجد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها-تطورها-أعلامها من 1903 إلى 1931، الجزائر، وزارة الثقافة، ج2، 2007، ص91.

³ - توفيق صالح، المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة خلال الحقبة الكولونالية 1838-1962، (مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص تاريخ وحضارات البحر المتوسط، إشراف قشي فاطمة الزهراء)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009، ص167.

وكذلك الطراز العصري، وقد عرفت هذه المدرسة في وقت من الأوقات وضعية صعبة نتيجة فقدان الصوف ما جعلها تحول نشاطها نحو صنع الأغذية والصبغة والنسيج.¹

وعلى الرغم من استقلالية تلك الورشة منذ نشأتها سنة 1932 إلا أنها تمكنت من إحياء العديد من الصناعات والحرف التي كادت أن تندثر كما قامت بتدريب الفتيات بعض الحرف التي يمكنهم مزاولتها في المنزل كما أنها من جانب آخر كانت تجني أرباحاً معتبرة، خاصة إذا ما علمنا بأنها كانت تقوم ببيع منتوجاتها التي كانت تصنعها كما أنها كانت تعمل على تموين سكان المقاطعة بمتطلباتهم من الزرابي والأغذية وغيرها، وقد استمرت هذه المدرسة في ممارسة نشاطاتها إلى سنة 1943 أين عرفت نوعاً من عدم الاستقرار وذلك نتيجة احتلال قوات الحلفاء لمقرها مما أعاق من نشاطها وقلص وظيفتها وأدى أيضاً إلى توقفها عن استقبال الخراط الفتيات.²

وغير بعيد عن مشروع روش نذكر مشروع السيدة لوس الليكس (Luce Allix) أو الأنسة "يوجين بيرلو" (Eugene Pirlo)³ والتي ذاع صيتها في الجزائر بين عامي 1845-1855 وكانت الكتابة بالنسبة إليها سهلة ويسيرة وقد كانت تفضل الكتابة للملكة ماري أنطوانيت (Marie Antoinette) أو الوزير بدل الكتابة للسلطات الاستعمارية في الجزائر، وكانت تصف نفسها بأنها حوارية التربية النسوية، وفي إطار الصفة التي منحها

¹ - توفيق صالح، المرجع السابق، ص 167.

² - نفس المرجع، ص 167-168.

³ لوس الليكس **Luce Allix**: ولدت في فرنسا عام 1804 وكان والدها يعمل كاتباً لبلدية تورين وقد توفي عام 1837 أما عن تعليمها فقد كان تعليماً مضطرباً وقد تمكنت من الاستفادة كثيراً من مكتبة والدها، تزوجت من رئيس فرقة للموسيقى العسكرية وأنجبت منه بنتاً، بعد شيوع وانتشار الحركة الرومانتكية في فرنسا والتي وجدت قبولا لدى العديد من المغامرين هاجرت لوس إلى الجزائر تاركة ابنتها عند أمها هاربة من زوجها، في حين ذهبت الباحثة إيفون تورين إلى القول بأن رئيس الفرقة العسكرية كان مجرد رفيق قبل أن يصبح زوجاً لها وقالت بأن الجميع اعتقد بأنه زوجها إلى أن سافرت هذه الأخيرة إلى باريس وعادت متسرلة بثياب الحداد وفي تلك الأثناء تم اكتشاف أن سفرها ذلك كان بغرض دفن زوجها والذي كان يدعى الليكس والمطالبة بالميراث لتتزوج بعد وفاته من رئيس الفرقة العسكرية ومنذئذ أصبحت تدعى بالسيدة لوس، سافرت إلى الجزائر منذ عام 1832 والتي أوصى بها الأب دوبوش Dupuch، كما كانت لديها حظوة لدى الكونت غويو Goyo والمفتش لوبيشو Lobicho وعلى الرغم من أن حياتها كانت في البداية صعبة في الجزائر، حيث اشتغلت بالعديد من الأعمال من غسالة في المستشفى العسكري إلى الخياطة، إلا أنها وفي ظل تلك الظروف القاسية تمكنت من تعلم اللغة العربية والتعرف على أحوال المرأة العربية عن طريق دخولها إلى بيوت الجزائريين. ينظر سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص 117. إيفون تورين، المرجع السابق، ص 59.

لنفسها عملت على نشر كتيب من خمسة وعشرين صفحة وجهته إلى أعضاء المجلس الأعلى للإدارة في الجزائر بغية الدفاع عن فكرتها أو مشروعها.¹

وشرعت السيدة "لوس" في الإعداد لمشروعها منذ عام 1845 وذلك في عهد الجنرال "بوجو" حيث تحولت في عدة مناطق ودخلت بيوت الجزائريين وبينت لهم غايتها من المشروع وكانت تأخذ معها في كل زيارة للجزائريين هدايا وصدقات وإكراميات ووعدتهم باحترام ديانتهم، وبأنها ستخصص للبنات نفس الأجرة التي كانت تقدم للذكور والمقدرة بفرنكين، كما أنها وعدت بمنح تلميذاتها وجبة يومية وذلك عن طريق تشغيل خادمة زنجية للقيام بشؤون المطبخ لأنها كانت ترى أنه من الصعب تعريض فتيات بالغات أربع مرات في اليوم لمخاطر الشارع، كما أنه قامت بتوظيف مساعدة لها لتعليم القرآن للفتيات المسلمات، وعملت على جمع التبرعات وفي هذا الإطار اتصلت بالملكة ماري أنطوانيت وذلك في سبيل الحصول على المساعدات لتحقيق مشروعها، كما تمكنت من إقناع كل من الكونت "غويو (Guyot) والمفتش لوبيشو (Lobicho) بعملها بعد أن أطلعتهما على ما تقوم به، بالإضافة إلى أنها أصدرت مذكرة للمجلس الأعلى للإدارة عام 1846² وذلك عن طريق إرسالها لتقرير إلى الجنرال بوجو تطلب منه المساعدة.³

وكانت السيدة "أليكس" ترمي إلى جمع مائتين إلى خمسمائة فتاة صغيرة، وكان ينبغي عليها ضمان إطعامهن بفضل الدعم الذي يمكن القول بأنه كلما ازداد عددهن تضاعفت قيمته، لكنها ذهبت إلى أنه سيكون لهذه المصاريف ما يقابلها في المستقبل حيث ستسمح بتوفير موارد أخرى، فوجدتها تتكهن بأنه وفي ظرف عشر سنوات سيصبح من عشرة إلى عشرين بالمائة من تعداد الجيش الفرنسي عديم النفع حيث قالت للوزير في مذكرتها: "كما تعلمون سيدي الوزير إن أقوى عنصر مؤثر في إفريقيا وكما هو الحال عليه أوربا هو المرأة فإذا تمكنتم من استقطاب 100.000 من بنات الأهالي وإشباعهن بمبادئ حضارتنا بحيث يؤخذن من مختلف فئات المجتمع وأعراف الإيالة ستصبح الفتيات بحكم الظروف الزوجات المفضلات للرجال ذوي المكانة المرموقة ضمن الفئة التي ينتمين إليها في المجتمع ومن ثم نضمن خضوع البلد إلى الأبد وتكون بالتالي الرهينة المتعذر استردادها لاستيعابه مستقبلا ويتطلب الأمر لتحقيق هذه الغاية الباهرة 200.000 فرنك لا أكثر".⁴

¹ - إيفون تورين، المرجع السابق، ص 59.

² - نفس المرجع، ص ص 60 - 61.

³ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص 442.

⁴ - إيفون تورين، المرجع السابق، ص 59.

وفي تنمة مذكرتها ساقطت العوامل التي ستساهم في نجاح مشروعها بقولها: "إنه لمن الجهل القول أن رغبة العرب في التعلم هي وحدها التي قادتني للنجاح الذي حققته إن البؤس والجوع هما مساعداي الحقيقيان، إن الجزائر العاصمة مليئة بالعائلات البائسة والمعدمة التي تعاني من أقصى الحرمان وبإعطائي منحة بفرنكين شهرياً على سبيل المساعدة لهذه العائلات بددت الوسوس التي تخامرهم" كما ذكرت أيضاً بأن صفة التصلب والتقتير والشح التي يتسم بها الجزائريين ستكون أيضاً من العوامل التي ستساعدتها في إنجاح مشروعها وذلك عن طريق الإفادة من السخاء الذي ستبديه عن طريق تقديم وجبة يومية للفتيات لجذب أهاليهن مع الأخذ بعين الاعتبار بأنها الوجبة الوحيدة التي يحصلن عليها طوال اليوم.¹

تمكنت "لوس" من الحصول على الموافقة في مواصلة مشروعها بالرغم من وصف الكونت "غويو" لهذا المشروع بأنه أقرب ما يكون إلى مؤسسة خيرية منها إلى مدرسة _ حيث يتم توزيع الثياب والخبز والفرش على الأهالي _ وقيام كل من بلونديل (Blondel) مدير المالية، والجنرال بيجو بإبداء تحفظهما تجاه الأمر في البداية، ليصرح بلونديل بعدها ب: "أن السيدة أليكس تحدوها رغبة في أن تضمن لها مكانة في المجتمع أكثر مما كان يحدوها الإحسان" وبالرغم من ذلك إلا أن الوزير لم يرفض المشروع وذكر بأن نجاحه مرهون طبعاً بتقديم الوزارة الدعم اللازم له وقال: "على الرغم من المبالغة التي ينضوي عليها حديث السيدة أليكس إلا أنه لا مانع من أن يكون في الأمر شيء من الحقيقة".²

وعلى الرغم من الدعم الذي كانت تتمتع به المديرية لوس فقد استقر الأمر بالمجلس الأعلى ومن خلال طلبات منح المساعدات المالية التي قدمتها على فرض تحقيق يخص أخلاقية العمل في هذا الموضوع حيث أخذوا بعين الاعتبار بأن الأهالي الجزائريين لن يقوموا بإرسال أبنائهم لامرأة يراودهم نفور من ماضيها، وبالتالي لقد انتهى الأمر بالمجلس إلى وجوب البحث عن معلمة أخرى وأخطر المفتش العام بقراره هذا لكنه وبعد أشهر قليلة علم لويشو بأنه من غير الممكن العثور على المرشحة المثالية للمهمة ومن هنا ظلت أليكس التي عرفت كيف تستفيد من تعاطف الرجال معها على رأس المشروع الذي اقترحته.³

وتمكنت السيدة "لوس" بعد كل تلك الجهود من فتح مدرستها وذلك بعد منحها الجنرال "بوجو" ترخيصاً في يناير 1847 في الجزائر العاصمة بعد أن كانت هذه الأخيرة تنشط بصفة غير رسمية سنة 1846⁴، وقد تمكنت في

¹ - إيفون تورين، المرجع السابق، ص 59-61.

² - نفس المرجع، ص 61.

³ - نفس المرجع، ص 61-62.

⁴ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص 442.

البداية من استقطاب أربع فتيات ثم أصبحت ثلاثة عشر فتاة ل يبقى العدد قابلا للارتفاع في السنوات المقبلة أما بالنسبة لمستواهن فقد كانت اثنتان منهن فقط ميسورتي الحال أما الأخريات فقد كانت حالهن تنبئ عن فقرهن المدقع.¹

لكن سرعان ماتم تحويل المدرسة إلى ورشة للتكوين في الخياطة وأنواع الطرز سنة 1961² وذلك بعد أن وضعت ورشتها تحت تحقيق أمر به المجلس الأعلى بالجزائر والذي كلفت به كل من السيدة برانسويي (Pranssouliè) وكونغو (Congo) اللتان قامتا بالاستطلاع في عين المكان كما عملتا على المقارنة بين مدرسة لوس ومدرسة أخرى كانت تديرها الأنسة باروال (Baroile) والتي كانت هي الأخرى تقوم بتشغيل ورشة تضم حوالي 20 فتاة تتراوح أعمارهن ما بين 12 سنة و16 سنة وكانت هذه المديرية لا تتلقى أي مساعدات وكل أسعار البيع كانت محددة لديها كما أن تلك الورشة كانت تعيش من عملها، بينما السيدة لوس كانت ورشتها تضم حوالي 17 تلميذة قادرة على الطرز من بين مجموع تلميذاتها كما أن أسعارها لم تكن محددة.³

وعندما كانت المحققتان تسعيان لمعرفة قيمة مبيعاتها أجابتهن بأنها تدير مؤسستها كربة بيت كما لاحظتا بأنها طلبت مجددا مبلغاً يقدر بـ 10.000 فرنك لتتوصل المفتشتان في الأخير إلى أن جميع أجوبتها كانت غامضة وناقصة فمن بين 1035 تلميذة في مدرستها ذكرت بأن 25 منهن قادرات على الطرز، كما خلصت اللجنة في مداولاتها على 11800 فرنك من القروض التي كانت محل خلاف والتي رجحت بأنها استخدمت بصفة فردية من قبل السيدة لوس، كما خلصت كذلك إلى أن هذه المدرسة لم تحقق النتائج المرجوة منها رغم استفادتها من العديد من المساعدات مما جعلها تطالب بإلغاء هذه المدرسة وهو ما تم سنة 1861 واقترحت على الأكثر تحويلها إلى مشغل تعينه الدولة مالياً.⁴

أما بالنسبة لمقر الورشة فقد كان عبارة عن بيت مورسكي حصلت عليه بالتبرعات والذي أخذت تعلم فيه البنات اللغة الفرنسية والحساب والتطريز والخياطة، أما برنامج تلك الورشة فلم يكن يؤهل التلميذات لمراحل التعليم المختلفة ولكنه كان يكفل لهن تعلم حرفة من الحرف⁵ وبالخصوص حرفة الطرز، وذلك نظراً لأن الأوربيين كانوا يقبلون على

¹ - إيفون تورين، المرجع السابق، ص 60.

² - جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1944، الجزائر، دار هومة، (د، ت)، ص 47.

³ - إيفون تورين، المرجع السابق، ص 276.

⁴ - نفس المرجع، ص 277.

⁵ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 5، المرجع السابق، ص 118.

اقتناء المطروزات الجزائرية ولاسيما السياح الإنكليز، وقد شمل الطرز على المناديل والستائر بالذهب والحريز وبمختلف الألوان والأشكال كالملابس والصدريات.¹

وقد تمكنت "لوس" من تحقيق أرباح اقتصادية معتبرة من هذه الورشة فقد كانت تباع أشغالهن وكان نظام الورشة يسير بأمر جيد وذلك لأن 150 بنت استطعن أن يوفرن للمعلمة المنحة الشهرية، كما أن 25 من المتعلمات كن يعملن في المشاغل والتي كانت تباع منتجاتها لكن أسعار بيعها لم تكن مسجلة.²

كما أن مشروعها تمكن من تحقيق سمعة أو مكانة عالمية حيث لقيت بعض منتجات هذه الورشة إعجاباً كبيراً من بعض الأوربيين السياح، خاصة فيما يتعلق بالمصنوعات المطرزة والتي كانوا يقتنونها معهم كتذكار للصناعة الإفريقية كما أن السيدة لوس تمكنت من بيع منتجاتها في المعارض الفرنسية والأمريكية³ كذلك المعارض الإنجليزية التي شاركت في إحداها سنة 1862 بمنتجات الورشة وقد ظهر وصف لأعمال لوس في إحدى المجلات البريطانية إسمها مجلة المرأة الإنكليزية بقلم السيدة بوديشون (Beudechon).⁴

كما أشارت الإنجليزية روجرز (Rogers) والتي تعرفت شخصياً على لوس في الجزائر وزارت ورشتها وشاهدت أيضاً معرضها في لندن عام 1862 بأن المطروزات قد عرفت تدهوراً كبيراً في الجزائر سنة 1845 ولكن عادت إلى الازدهار وذلك بفضل ورشة لوس التي كان السياح الإنجليز يشترون منتجاتها بأثمان باهظة فقد وصلت القطعة منها إلى 150 جنيه إسترليني، وقد تمكنت تلك الورشة من تخريج بعض الجزائريات ومنهن السيدة "نفيسة بنت علي" التي حصلت على بروفي أو دبلوم قي الطرز سنة 1856 لكن هذه المرأة لم تعمر طويلاً إذ توفيت سنة 1861 ومن تلميذات تلك المدرسة أيضاً السيدة "إبن عابن" التي تابعت أعمال لوس، حيث فتحت إبن عابن مدرستها في العاصمة حوالي سنة 1850 وأعلنت أيضاً أنها مدرسة لتعليم البنات الجزائريات اللغة الفرنسية والحساب وأشغال الإبرة وإدارة المنزل، لتظهر بعد ذلك مدارس عديدة مشابهة لمدرسة لوس مخصصة للطرز وغيره من الأشغال اليدوية

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص 443-444.

² - إيفون تورين، المرجع السابق، ص 273.

³ - Hubertin Auclert: **Les Femmes Arabes en Algérie**, Paris, Societé D'édition - L'tteraires 1900, p126.

⁴ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص 444.

النسائية وذلك في عهد جول كامبون، وقد كان الغرض منها التجارة من جهة والمحافظة على الصناعات التقليدية الأهلية من جهة أخرى.¹

وعلى الرغم من اعتبار بعض الفرنسيين ورشة السيدة لوس مجرد مشروع ذو طابع خاص حاولت من خلاله تحقيق المنفعة الشخصية إلا أن ورشتها تلك لعبت دوراً كبيراً في تنشيط الصناعات المحلية التي عرفت ركوداً بعد احتلال فرنسا للجزائر وقيامها بتهديم الأسواق التجارية التي كانت تحوي المصنوعات التقليدية، وبالتالي عملت لوس على تنشيط الحركة التجارية المحلية في الجزائر والتي كان يعود نفعها بالدرجة الأولى على الفرنسيين الذين كانوا يستفيدون من تلك المصنوعات التي صنعت بأيادي جزائرية عن طريق اقتنائها هذا من جانب، أما الجانب الآخر فيتمثل في مساهمة ورشتها في إعطاء المصنوعات الفرنسية قيمة ورواجاً وذلك على اعتبار أن تلك المنتجات والتي تميزت بالدقة والإتقان كان يتم عرضها في الأسواق الأوربية على أنها منتجات فرنسية.²

وبالتوازي مع مشروع لوس فتحت في قسنطينة ورشة مشاهجة لورشتها قبي سنة 1851 من قبل السيدة إغيري (Aguiré) والتي واجهت هي الأخرى في البداية بعض الصعوبات حيث لم تتمكن من العثور في مدينة قسنطينة بطولها وعرضها على معلمة مساعدة عربية، والتي كان يعد تواجدها ضرورياً بالنسبة للأهالي وكذلك الإدارة الفرنسية ولتجاوز هذه المشكلة قامت إغيري باستدعاء تلميذة للسيدة لوس والتي كانت المؤسسة تنشط بفضلها لمدة خمس سنوات، أما بالنسبة للسيدة إغيري فقد تم استبدالها بعد فترة وجيزة بالسيدة بارنت (Parent) وقد عرفت تلك الورشة هي الأخرى نوعاً من الازدهار حيث توافدت عليها الفتيات الجزائريات وهذا ما توضحه الأرقام التالية:³

السنوات	عدد الفتيات في الورشة
1851	20 تلميذة
1853	10 إلى 25 تلميذة
1854	64 إلى 95 تلميذة
1855	65 تلميذة تحضر 40 في المعدل، منهن 15 صغيرات السن
1856	62 تلميذة
1858	46 تلميذة

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، المرجع السابق، ص 367.

² - إيفون تورين، المرجع السابق، ص 274.

³ - نفس المرجع، ص 275.

وتمكنت السيدة باروال (Barual) أيضا من الإشراف على ورشة وقد شاركها في تسيير تلك المؤسسة لجنة مكونة من ست سيدات اثنتين منهن مسلمات، وقد كانت تلك الورشة تستقبل البنات اللاتي تتراوح أعمارهن بين العاشرة والسادسة عشر سنة يتم تكوينهن لمدة سنتين وبعدها يمكن لبعضهن البقاء في الورشة كعاملات أجيرات.¹

وإلى جانب السيدة باروال عرفت السيدة دولف (Dolph) بتمسكها هي الأخرى بمشروع تجديد صناعة الزرابي ولتحقيق ذلك فتحت سنة 1895 مدرسة لتعليم صناعة الزرابي لعاملات عربيات وقبائليات كما أنها وفقت أيضاً في إقامة مناسج في مختلف المدارس الأهلية كبسكرة وقسنطينة، كما قامت بتأسيس ورشة لصناعة الزرابي في باب الواد، وإذا كانت السيدة دولف اهتمت بصناعة الزرابي فقد وضعت السيدة إميلي فيلار (Emily de vialar) صناعة الخزف القبائلي صوب اهتمامها.²

ولما تمكنت بعض الورشات المهمة من تحقيق نجاح معتبر قام "شارل جونار" بفتح العديد من الورشات الصناعات التقليدية وقام بتعميمها في العديد من مناطق الجزائر، وكان يتم فيها البحث عن استعادة التقاليد القديمة في الطرز العربي وصبغة الزرابي والسجاد والأغطية وكذلك أشغال الإبرة وقد عرفت العاصمة وقسنطينة وبجاية ووهران وتبسة هذا النوع من هذه الورشات كما عرفت أيضاً شرشال والقلعة والمدية وتلمسان وتنس وبسكرة والأغواط وغرداية وعدة مراكز في زواوة نماذج لهذه الورشات.³

أما بخصوص الورشات التي فتحت في العاصمة ووهران وقسنطينة فقد حوت بنفسها سبعة مراكز في الفترة ما بين 1895-1910 وكانت تضم حوالي 539 تلميذة، أما فيما يتعلق بإقليم وهران فقد حوى سبعة مراكز خلال الفترة من 1906-1910، أما بالنسبة لإقليم العاصمة فقد شمل ستة مراكز بين 1903-1909 وكانت تضم حوالي 526 تلميذ وقد اقتصرت تلك المراكز بأنواع معينة من الزرابي الإيرانية والتركية والمغربية والتونسية بالإضافة إلى الأنواع المحلية مثل زرابي جبل عمور والقلعة والطرز العربي والبربري.⁴

وعشبة الحرب العالمية الأولى كانت مدارس الطرز والنسيج التقليدي موجودة في العديد من مناطق الجزائر من ذلك ورشة العاصمة التي كانت تديرها سنة 1913 السيدة قيتفيل (Qatfil) التي تعلمت فن الصناعات التقليدية

¹ - جمال قنان ، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1944، المرجع السابق، ص48.

² - شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، تر: بلعربي حاج مسعود، الجزائر، ج2، 2007 ص394.

³ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، المرجع السابق، ص ص367، 368.

⁴ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص348.

بالقيروان، ثم قامت بعد ذلك بتأسيس ورشة بمدينة وهران وقد عرف مشروعها تقدماً ملحوظاً، ما شجعها على تأسيس ورشة أخرى بالعاصمة في نواحي القصبة والتي عرفت هي الأخرى نوعاً من الازدهار وكانت تضم حوالي مائة وسبعين تلميذة ستة عشر بنتاً منهن تتراوح أعمارهن ما بين العاشرة والثالثة عشر كن تتلقين تعليماً بصفة دائمة، وكانت تلك المدرسة متخصصة في صنع الزرابي والسجاد القديم بالأسلوب الفارسي والقبطي، وهو الشيء الذي يعبر إذا ما صح على تحويل الصناعات الجزائرية عن وجهتها وذلك عن طريق إدخال تأثيرات أخرى جديدة مستوردة، كما كانت تلك المدرسة تنتج أيضاً المخدات (الوسائد) والمطروزات التركية والجزائرية والمغربية، بالإضافة إلى أشغال الإبرة أو الدنتال، وقد كانت منتوجاتها مطلوبة بكثرة لدى بعض الأوساط الأوربية.¹

كما تأسست مدرسة آيت هشام بزواوة (آيت ميشلي) سنة 1890 وقد كانت المشرفة على تلك المدرسة سنة 1913 السيدة بيرين (Perrin) والتي كانت تحظى بمساعدة زوجها في هذه المهمة، أما بالنسبة لعدد التلميذات المتواجداً بهذه المدرسة فقد كن حوالي 34 تلميذة، وقد تمكنت هذه المدرسة سنة 1900 من الحصول على جائزة المعرض الدولي في الخياطة والطرز، وغير بعيد عن منطقة الزواوة فتحت مدرسة مشابهة لمدرسة آيت هشام بالشلف أشرفت على إدارتها السيدة شوبير (Shobier) وقد بلغ عدد تلميذاتها سنة 1913 حوالي 146 تلميذة.²

ووقعت نفس المحاولات على يد نساء أخريات منهن السيدة سوسروت (Susrot) والتي أنشأت بدورها مدرسة خاصة للطرز ونسج الزرابي، واستعملت طرق الصباغة التقليدية الشائعة عند الأعراس والبوادي، كما أنشأت السيدات "ديلنو (Delno) وأتانو (Atano) وباري (Paris) ورشات وقد تظافت جهودهن مع جهود الأخوات البيضاوات كما انتشرت الورشات من الشمال إلى الجنوب والتي لا يمكن إعطاؤها طابع التعليم الابتدائي وذلك لأنها ورشات خاصة تعمل بالإضافة إلى نشر التأثير الفرنسي واللغة الفرنسية على الطرز ونسج الزرابي والمضفورات والرسومات الشعبية والألوان حسب المناطق كالتابع الونشريسي والمزابي والزواوي القبائلي والأوراسي والعربي والبربري.³

وأما الأخوات البيض فقد أنشأن أيضاً ورشات فنجدهن في منطقة القبائل قد قمن بفتح مراكز لتعليم المسلمات فن الخياطة والكبي والغسل والطهي، كما أقاموا مراكز للتدريب المهني تتعلم فيه النساء المسلمات كيفية صنع السجاد والدانتيل وفتح حلقات عمل في كل من غرداية، الأغواط، المنبعا، عين الصفراء، البيض وقد كانت أماكن العمل تلك تتلقى منح من مديرية الأقاليم الجنوبية أما في منطقة الأغواط فقد فتحن ورشة عام 1900 تم توسيعها عام

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، المرجع السابق، ص368.

² - نفس المرجع، ص 369.

³ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص446.

1928، وقد كانت تستقبل حوالي 75 فتاة يتعلمن نسج السجاد الطوارقي والستائر المزايية، كما يتعلمن نسج البطانيات وغيرها¹.

وفي ورقة قام الأخوات بفتح ورشة تضم 200 تلميذة وذلك لنسج الزرابي من الصوف والوبر وقد كان لهذه الزرابي سمعة تجارية رائدة حتى خارج حدود الجزائر، كما كانت لديهن أيضاً ورشة نسوية تعمل على صناعة المخدات والبرانيس² وأشرفن على العديد من الورشات التي ظهرت في كل من تبسة وشرشال والقلية وتلمسان وغرداية³ أين أقام الأخوات مركزاً للتكوين الحرفي للبنات وقد وصف أحد الباحثين هذا المركز بالقول: "واستطاع معمل غرداية للحرفيين أن يستقطب أكثر من 50 فتاة ميزاوية يتعلمن الخياطة والطرز وبلغ الاحتكاك أن أصبحت الأخوات البيض يزرن الأهليات في بيوتهن، وفي سنة 1924 أنشأ قسم أهلي بمعمل غرداية خاض بالمرأة الأهلية بهدف نشر الحضارة الفرنسية في الأوساط المغلقة بميزاب"⁴.

بالإضافة إلى أنهن قمن بفتح مشغل بمدينة الوادي 1942 الذي كان بمثابة مركز للتكوين الحرفي والتدبير المنزلي وقد تمكن هذا المركز من استقطاب عدد معتبر من البنات اللاتي كن يتلقين تكويناً ميدانياً ليشرعن بعد ذلك في القيام بصناعة الستائر والوسائد والأفرشة والزرابي والطاولات وغيرها من المنتجات التي استوحت شكلها من الموروث المحلي⁵.

وبالتالي فإن الهدف العام من إنشاء هذه الورشات وإشراف نساء أورييات ليس تثقيف المرأة المسلمة وإخراجها من جهلها كما يزعم الفرنسيون ولكن جعلها وسيلة إنتاج تجارية لتبادل المنسوجات والمطروقات التقليدية مع أوروبا وعرضها في المعارض على أنها منتجات فرنسية هذا وقد أصبح فن الطرز لا ينسب إلى العائلات والأفراد الجزائريين الذين اشتهروا به وتخصصوا في صنعه مثل محمد بن الحاج ولكن أصبح يذكر على أنه إنتاج مدرسة لوس وابن عابن

¹ Zénaide Tsourikoff, **L'enseignement des Filles en Afrique du Nord**, Paris, Edition A.Pedone, 1935, p82.

² - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص130.

³ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص446.

⁴ - عبد الرؤوف قرناوب، "جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير ابان الاحتلال الفرنسي 1830-1962"، (رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص مقارنة الأديان، إشراف بلغيث محمد الأمين بلغيث)، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1، بن يوسف بن خدة، 2014-2015، ص138.

⁵ - غنابزية علي، المرجع السابق، ص109، 201.

وغيرهما فبعض الفرنسيين نسوا دور الجزائريين المباشر في إنجاح عمل هذه الورشات وأصبحوا يتحدثون عن الورشات التي تأسست بجهود فرنسية وما أخرجته من تلميذات جيلاً بعد جيل.¹

ولم تقتصر مساهمة المرأة الأوربية في المجال الصناعي على النسيج والطرز بل شاركت على نطاق واسع في العديد من الصناعات الأخرى كصناعة الأغذية وصناعة التبغ حيث ساهم أول مصنع للتبغ تم إنشاؤه بمدينة وهران عام 1838 من قبل جان باستوس (Jean Bastos) في توظيف العديد من الفتيات الاسبانيات وفي عام 1925 كان يوجد بالجزائر حوالي 50 مصنعا للتبغ قامت بتوظيف ما يقارب 2862 امرأة.²

ومنه يمكن القول بلأ المرأة الأوربية قد لعبت دوراً هاماً في المجال الاقتصادي بالرغم من عدم بروز مساهمتها بداية الاحتلال لأسباب منها القوانين السائدة آنذاك غير أن نشاطها كان بارزاً منذ أربعينيات القرن 19 خاصة في القطاع الزراعي وبعض القطاعات الثانوية المرتبطة بالصناعة وقد ساهم نشاطها في سيورة العجلة الاقتصادية بالجزائر سواء من خلال اشتغالها ببعض المجالات التي تخلى عنها الرجال لأسباب متعددة أو مشاركتهم العمل وهذا فيما يتعلق بالمجال الزراعي، كما لا يمكن إخفاء الجانب الربحي الذي تمكنت بعض الأوربيات من تحقيقه من خلال نشاطهن على المستوى الاقتصادي.

¹ - سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص 360-385.

² Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp161-185-

ثانياً: المرأة الأوربية ومسألة المرأة الجزائرية المسلمة

تعد المرأة من المنظور الديموغرافي من أهم ركائز المجتمع ويعتبر صلاحها من أكبر الحجج الدامغة على صلاحه وترديها دلالة واضحة على سقمه وترديه لذلك ظلت محكاً تتجاذبه الأطراف ولم تكن المرأة الجزائرية بمعزل عن ذلك فقد كانت تمثل مركز الثقل الكبير في المجتمع الجزائري قبل وبعد استعمار فرنسا للجزائر و لما كانت البلدان الاستعمارية بما فيها فرنسا تستغل النقاط الحساسة في البلدان المستعمرة لتحقيق السيطرة والتغلغل فقد أدرجت المرأة الجزائرية كجزء من تلك السياسة حيث تم التركيز عليها ومحاوله اختراقها، ذلك المطلب الذي ظل مطمحاً كبيراً سعى العديد من الساسة الفرنسيين للوصول إليه وبقي تحفظ هذه الأخيرة وتمسكها بدينها وتقاليدها حائلاً دون تحقيقهم لذلك الهدف ما جعلهم يلجئون إلى فسح المجال واسعاً للمرأة الأوربية للتمكن من التأثير على المرأة الجزائرية المسلمة.

شغلت قضية المرأة في المجتمع الجزائري حيزاً كبيراً في المناقشات والكتابات الفرنسية والتي أكد العديد منها بأن المرأة الجزائرية شقية جاهلة ومجرد خادمة بيت وحاضنة أطفال، بالإضافة إلى أنها قدرية غارقة في البدع والخرافات وهي ضحية للتخلف والامية، كما أنها راضية بحكم القضاء الذي قدره الله عليها وهي كذلك مجرد لعبة بيد الرجل يشترها بنقوده، كما يشترى بنقوده البضائع والبهائم، كما أنها كانت في نظرهم ضحية لأحكام الدين الإسلامي القاسية الذي أباح تعدد الزوجات ومنح الرجال القوامة على النساء وجعل الطلاق بيد الرجل وحده وفرض الحجاب والعفاف على المرأة كما رأوا بأنها كانت مجرد خادمة بيت، كما أنها محرومة من كل نعم الحياة حيث لا يمكنها حضور المراقص والأفراح والمليقات.¹

بل أن بعضهم ذهب إلى القول بأن الجزائر فيها كل شيء عدا المرأة فهي لا توجد في هذا البلد وهو ما أشار إليه بنيامين غاستينو (Benjamin Gastineau) حين ذكر بأن: "الجزائر لها الصحراء، الواحات، البحر والجبال، لها سماء رائعة على الدوام أرض حصبة وغابات من البلوط الآهلة بالأسود والفهود منابع باردة ومياه معدنية حارة، خيول تحسدها عليها كل أوربا محاجر من الرخام ومناجم من الذهب والفضة والحديد والرصاص، الجزائر لها كل هذه الفضاءات، وهذه الثروات، كل هذا الجمال ولكن ليس لها المرأة"²، بينما أشار جون بومرول (Jean Pommerol) إلى أن المرأة كانت منبوذة من طرف الجزائريين منذ ولادتها وأن حدث ولادتها لا يصاحبه أي فرح.³

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص337.

² - Gastineau Benjamine, op, cit, p5.

³ - Jean Pommerol, **Un Femme chez les Sahariennes**, Paris, Ernest Flammarion, Éditeur, 1900, p215.

أما يوجين دوماس (Eugène Daumas)¹ فقد أشار إلى أن وضع المرأة العربية مرتبط بإحدى الأمرين فهي مجرد لعبة ومتاع بيد الرجل وكائن حسي ممل مسجون في قفص الحریم أو هي مجرد عبد أو خادم محكوم عليه بالعمل الإجباري². وبالتالي فإن أغلب تلك الدراسات توصلت إلى أن المجتمع الجزائري مجتمع رجالي وليس فيه دور للنساء . ومنه يمكن القول بأن العنصر الذكوري الاستعماري كان أول من أثار قضية المرأة المسلمة في الجزائر في كتاباته شبه الرسمية ليدخل حلبة النقاش في أواخر القرن 19 الكتاب غير الرسميين والأوربيين من خارج النظام الاستعماري وقد ساعد انتشار الأمية الذي كانت تعيشه المرأة الجزائرية في إفساح المجال لمناقشة قضاياها من قبل الكاتبات الغربيات وأعطى لهن الفرصة لإبداء الرأي على المستوى غير الرسمي، ومع حلول عام 1900 لعبت تلك الأصوات غير الرسمية دوراً أكبر في تشكيل الخطط والاستراتيجيات الاستعمارية المتعلقة بالمرأة.³

وذكر أوكتاف دوبون (Octave Dupont) المفتش العام للبلديات المختلطة بأن المرأة الجزائرية هي في الواقع الحارسة المخلصة التي لا تتغير لبيتها وتقاليدها، وهي التي كانت تعمل على وقاية الجنس والمحافظة عليه وقد دعا إلى اختراقها بقوله: "يجب أن نخرجها من الظل الذي تجر فيه نفسها وهي جاهلة ومنبوذة ومعارضة لحضارتنا"⁴ وللوصول إلى ذلك سعت السلطات الفرنسية لدراسة وضعية المرأة من جميع النواحي الاجتماعية والثقافية الدينية.... ولم يكن وصف الكتاب الأوربيين لوضع المرأة المسلمة كافياً لتغييرها، بل رأت أنه لابد من إرسال النساء الأوربيات إليها وذلك للإطلاع على أحوالها ومعرفة رغباتها ونمط تفكيرها محاولين بذلك العمل على إخراجها من وضعها الذي وصفوه بالمتزدي ولتحقيق ذلك انتهجت بعض الأوربيات العديد من الطرق والوسائل لغزو المرأة الجزائرية فمنهن من حملت القلم ومنهن من حملت الصليب، كما أن بعضهن قمن بفتح ورشات للمسلمات وغيرها من الأساليب وذلك محاولة

¹ - يوجين دوماس Eugène Daumas (1803-1871): جنرال وكاتب فرنسي ولد بسويسرا، انخرط متطوعاً سنة 1822 كملازم، غادر إلى الجزائر سنة 1835 وعين سنة 1837 قنصلاً في دولة الأمير عبد القادر بمعسكر، تميز في مهامه الصعبة التي كلفه بها الجنرال لاموريسير مدير الشؤون العربية بقسنطينة، عهد له الجنرال بيجو سنة 1841 باكتشاف كل الأراضي الجزائرية المحتلة من قبل القوات الفرنسية، رافق الأمير عبد القادر سنة 1847 بعد استسلامه إلى فرنسا، شارك في الحملات الموجهة ضد القبائل المتمردة، عين في سنة 1850 مدير شؤون الجزائر في وزارة التربية، ارتقى إلى رتبة لواء سنة 1853 ثم عين كمستشار دولة، وفي سنة 1857 أصبح عضواً في البرلمان. ينظر Narcisse Faucon, **Le Livre D'Or de L'Algérie**, Paris, Éditeurs Librairie Algérienne et Coloniale, 1889, p197.

² Eugène Daumas, "La femme arabe", **Rev. Afr**, N284, V 56, 1912, pp 1-155-

³ - أميرة الأزهري سنبل، المرجع السابق، ص ص 64-65.

⁴ - يجاوي مرابط مسعودة، المرجع السابق، مج2، ص 211.

منهن التعرف على الجزائريات ودمجهن في حركة التحرر التي كن ينادين بها وذلك باعتبارهن النسوة المتحررات المتقدّمات.¹

ولقد تم في فترة ما بين الحربين 1919 - 1939 إحصاء العديد من الأعمال الأدبية المتعلقة بالمرأة لأدبيات فرنسيات ومن جنسيات أخرى وصلت إلى حوالي 60 رواية 22 رواية منها كانت متعلقة بالجزائرية المسلمة² وقد استطاعت تلك الأعمال التي أنجزتها بعض الأوربيات تقديم صورة يمكن القول بأنها شاملة ودقيقة عن الأوضاع التي كانت تعيشها الجزائريات وجميع عاداتهن وتقاليدهن مستغلين مقدرتهن على دخول منازل الجزائريين، وهو الامتياز الذي عجز الرجال عن الوصول إليه ومن الأوربيات اللاتي تمكن من الدخول في الحياة العربية، المغامرة والرحالة إيزابيل ايبهرات والتي استطاعت أن تقدم تحليلاً معمقاً لحياة المرأة الجزائرية وقضاياها كظاهرة الدعارة والزواج المختلط وعلاقة المستعمر بالمرأة المستعمرة-الجزائرية- التي صورتها في العديد من القصص كقصة ياسمين التي كانت عبارة عن قصة رمزية اختزلت فيها إيزابيل اضطراب العلاقة بين المجتمع الجزائري ونمط الحياة الفرنسي، كما كشفت فيها كذلك بأن المستعمر لم يكن يعطي قيمة للمرأة الجزائرية.³

وكتبت إيزابيل العديد من القصص التي تحدثت فيها عن المرأة الجزائرية وعلاقتها بالمستعمر وفي هذا السياق قامت بإدراج العديد من النساء الجزائريات في قصصها كمليك في "قصة العسكري" وراخيل في "قصة راخيل، وامباركة في "قصة النقيب" وتاسعديث في "قصة تحت النير" وعاشورة في "قصة بورترية أولاد نايل" وتاعليث وسعدية وحببية في "قصة بكاء شجر اللوز" محاولة نقل الوضعية التي كانت تعيشها المرأة المسلمة في الجزائر وإن إبداع الكاتبة في كتابة تلك القصص وسرد أحداثها لا غبار عليه، لكن معظم تلك القصص جاءت لتدعم النظرة الاستعمارية والخطاب الاستعماري الذي كان سائداً آنذاك والذي يركز على جسد المرأة العربية وممارساتها الجنسية وأنوثتها⁴ فتقول مثلاً: ياسمين: "نفس متوحدة لطيفة مثل البركات الصغيرة الصافية كل شئ فيها تطبعه فتنة تكاد تكون روحانية، وجه أسمر بيضوي الشكل"⁵.

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص338.

² - jean Dejeux, "Elissa Rahais, Conteuse Algérienne (1876-1940)", **Revue de L'occident Muslman et de la Méditerranée**, N19, 1984, p73.

³ - A.O, Sérié A, N8107, Isabelle Eberhardt, **Yasmina et Autres Nouvelles Algériennes**, France, Liana Levi, 1986, pp43-73.

⁴ - إيزابيل إيبهرات، تاعليث، تر: ميهي عبد القادر، ط1، الوادي، مطبعة مزوار، 2009، ص ص8-120.

⁵ - نفس المرجع، ص ص 29-31.

راخيل: "ممشوقة القد هيفاء، جميلة بذلك الجمال الغريب الذي يدخل الاضطراب للنفوس".¹

أمباركة: "استندت إلى الحائط برشاقة. جميلة جداً كتمثال آلهة، السحر يحوم حولها، عذاب لذيد إلى الأبد".²

تاسعديث: ".عيونها واسعة كأعين الغزال ، فريدة فاتنة".³

عاشورة: "وجه مؤثر يشبه آلهة من الشرق العتيق".⁴

تاعليث: "هي عين الغزال. مستقيمة في ضوء القمر كأنها آلهة فضية، جثة أنارت شمس المساء المحتشمة".⁵

مريامة: "وجهها الجميل الغامض. جسمها الملكي".⁶

كما نجدها وبحكم زيارتها للعديد من مناطق الجزائر قد عملت على إدراج نماذج مختلفة لنساء جزائريات في قصصها فنجد مثلا مليكة امرأة من الغرب الجزائري، وراخيل من عنابة، أما تاسعديث فمن مدينة الوادي، وعاشورة من منطقة الأوراس، أما فيما يتعلق بتاعليث فقد جرت أحداث قصتها في مدينة الجزائر، ولعل السمة الغالبة على بطولات تلك القصص أنهن فتيات امتهن مهنة الدعارة كمهرب من الفقر أو استخدمته كوسيلة للتخلص من الزواج من شخص لا يرغب به، وقد تمكنت هذه الروائية من نقل الواقع الذي كانت تعيشه بعض الفتيات الجزائريات إلا أن ذكرها لنماذج مختلفة لنساء جزائريات يبرر موقفها الذي يحمل الطابع التعميمي وذلك بأن جعلت منهن رمزا لطبقة كاملة من المجتمع الجزائري وهي المرأة الجزائرية وهو ما عبرت عنه في قصة عاشورة حين قالت: "تعتبر عاشورة مثل كل بنات جنسها أن يبيع جسدها هو الضمان الوحيد المتاح لحريتها كأمراة".⁷

كما أن طرحها يبدو بأنه لا يختلف عن الطرح الاستعماري السائد في تلك الفترة والذي كان يركز على الحياة الشخصية للمرأة الجزائرية كالزواج والطلاق ويقوم بتغييب العديد من المشاكل المهمة التي كانت تعاني منها الجزائريات - كالتعليم والتي يعتبر الوصول لحلها حلاً لمعظم تلك المشاكل التي كن ينادين بتغييرها.

وتحتمست العديد من النساء الأوربيات اللاتي زرن الجزائر لدراسة وضعية المرأة الجزائرية المسلمة، منهن الصحفية والناشطة النسوية "هويرتين أوكالار" التي قدمت إلى الجزائر وعاشت مع الأهالي الجزائريين حوالي أربع سنوات قبل عام

¹ - إيزابيل إيبهارت، تاعليث، المرجع السابق ، ص 56.

² - نفس المرجع ، ص ص 70-71.

³ - نفس المرجع، ص 100.

⁴ - نفس المرجع، ص 119.

⁵ - نفس المرجع، ص 126.

⁶ - نفس المرجع، ص 141.

⁷ - نفس المرجع، ص ص 8-120.

1900، كما أنها أقامت في الجنوب الجزائري بالأغواط والجهة الوهرانية ومدينة الجزائر¹، أما بخصوص قدومها للجزائر فقد كان بالمصادفة وذلك بعد أن حصل صديقها أنتونين ليقرية (Antonin Liquryih) على وظيفة قاضي في وهران وقد كان مريضاً وأغلب الظن أنه كان يعاني من مرض السل الذي كان من المفترض أن يساعده الجو الجاف في الجزائر على استعادة صحته ، وفي عام 1888 وصلت أوكلير إلى الجزائر وقامت بعقد قرانها مع صديقها في نفس السنة.²

أمضت هوبرتين أوكلار أربع سنوات بالجزائر، أقامت أولاً في غرب الجزائر ثم في واحة الأغواط لتستقر أخيراً في مدينة الجزائر وذلك بعد أن شغل زوجها منصب في هيئة تحرير صحيفة "الراديكالية الجزائرية" "Le Radical Algerien"، وخلال تلك الأربع سنوات بدأت في دراسة وضعية المرأة العربية أي منذ سنة 1888 وقد كانت تنوي القيام بهذه الدراسة قبل انتقالها إلى شمال إفريقيا، وفي عام 1892 عادت إلى باريس وهي أرملة وذلك بعد وفاة زوجها لتقوم بعد ثمان سنوات من عودتها لباريس بنشر كتابها الذي عنوانته ب: "النساء العربيات في الجزائر" "Les Femmes Arabes En Algérie" الصادر عن دار المطبوعات الأدبية بباريس.³

وهو عبارة عن دراسة يمكن القول بأنها شاملة لوضعية النساء العربيات في الجزائر، عرضت فيه العديد من المسائل المتعلقة بالمرأة الجزائرية كعاملية الفرنسيين بداية الاحتلال للنساء العربيات في الجزائر واعتبارهن كرهائن يتم استبدالهن بالخيول، كما عرجت على العديد من القضايا المتعلقة بالجزائرية المسلمة من بينها مسألة الزواج عند العرب، وذلك في إشارة منها للزواج المبكر الذي اعتبرته بمثابة اغتصاب للفتاة الشابة وجريمة من الجرائم المسلطة على الجزائريات، كما ذهبت إلى أن المهر الذي يدفعه الزوج للمرأة أثناء الزواج هو بمثابة سعر لشرائها.⁴

وتحت عنوان "تعدد الزوجات" نوهت إلى أن هذا الأخير يعتبر أمراً غير طبيعي كما أنه يخالف كرامة الإنسان واعتبرته ظاهرة ساهمت نوعاً ما وبطريقة غير مباشرة في تحرر الفتاة، وهذا حين ذكرت في إحدى فصول كتابها بأن بعض الفتيات الجزائريات خاصة منهن المتعلمات يفضلن الدعارة-والتي اعتبرتها نوع من التحرر وسلوك الفتاة لطريق حرية اختيار الزوج- على الزواج من رجل متعدد الزوجات، وقد تساءلت عن سبب عدم تدخل السلطات الفرنسية

¹ - مسعودة يجاوي مرابط ، المرجع السابق ، مج1، ص ص 381-382.

² - أميرة الأزهرى سنبل ، المرجع السابق، ص71

³ - نفس المرجع، ص71.

⁴ - Hubertin Auclert, op, cit, pp42- 44.

في الجزائر وذلك للتقليل من هذه الظاهرة رغم أن الدولة الفرنسية من الدول التي كانت تدين مسألة تعدد الزوجات.¹ وذكرت بأن ظاهرة العهارة مورست من بعض الجزائريات كفتيات أولاد نايل بجنوب بسكرة، كما تعرضت أيضا لمسألة الميراث وكيف أن الجزائريات تم تجريدن من ثروتهن وحققن في الميراث من قبل الرجال الجزائريين وتواطؤ من الإدارة الفرنسية في الجزائر وقالت بأن: " الدولة الفرنسية ترث ثلثي التركة الأبوية إن لم يكن للمسلمة شريك ذكر في الميراث".²

كما أنها لم تغفل جانباً مهماً كان محط اهتمام الفرنسيين في الجزائر قاداتهم ومفكرهم وهو تعليم المرأة وتحت عنوان بارز "الجزائر العاصمة دون مدارس للفتيات" تشير إلى الدور الذي يمكن أن تلعبه المسلمة المتعلمة في نشر الحضارة الأوربية وسط الجماعات الجزائرية، ولحث إلى أن الأهالي بدورهم يدركون مدى خطورة المدارس الفرنسية على الجزائريين والتي ستعمل على نهاية مقاومتهم لذلك فهم معادون للتعليم الإلزامي لأولادهم وبناتهم وفي هذا قالت: "يدرك الأهالي الأذكياء أن جرس المدرسة المشترك للفرنسيين والعرب سيعني نهاية مقاومتهم للفرنسيين لذا فهم معادون للتعليم الإلزامي للبنين ومتمردين على أي تطور فكري أنثوي"، كما أوردت في كتابها أيضاً بعض الفنون والصناعات العربية التي كانت المرأة العربية الجزائرية تمارسها، ودعت إلى تكوين المرأة الجزائرية وغيرها من القضايا ذات الصلات سواء من قريب أو بعيد بالجزائرية المسلمة.³

أدرجت أوكلار من طرف بعض الباحثين ضمن التيار المحب للعرب، أما عن مؤلفها هذا فقد اعتبر أيضاً من المؤلفات الفرنسية الملتزمة وذلك بناءً على تقييمها لسلوكيات المجتمع الجزائري والتي كانت في أغلبها لا تسيء للمسلمين الجزائريين، بل رسمت صورة يمكن القول بأنها دقيقة عن حياة المرأة المسلمة كما أنها اتخذت موقفاً متشدداً تجاه الإدارة الفرنسية في الجزائر لعدم تدخلها لتحسين وضعية المرأة في الجزائر خاصة فيما يتعلق بمسألة تعليمها، إلا أنه وبالرغم من ذلك لا يمكننا نفي الصبغة الكولونيالية عنها، فقد كانت من المطالبات بإشراك المرأة في سياسة فرنسا الاستعمارية خاصة فيما يتعلق بمسألة المرأة المسلمة في الجزائر هذا المطلب الذي كان له صدى على الساحة الفرنسية خلال سنة 1900 ليتحول بعد الحرب العالمية خاصة سنة 1920 إلى مطلب جماعي نادى به معظم الكتاب الأوربيين والروائيات الفرنسيات فنجدها تؤكد على أهمية مشاركة النساء في المشروع الاستعماري الكولونيالي الذي ظل إلى تلك الفترة حكراً على الرجال وتحت عنوان "العربية تهدي نقوداً للقاضية" في كتابها المذكور آنفاً نعلم بأنها كانت

¹ Hubertin Auclert, op, cit, pp 63, 128. -

² Ibid, pp114-144.-

³ Ibid ,pp144,177-

زوجة لقاضي، كما أشارت إلى أنها تحولت إلى محققة وذلك فترة تواجدها بالجزائر وتمكنت من جمع كمية مهمة من الوثائق الخاصة بوضعية المرأة المسلمة، كما أنها أوصت الإدارة الفرنسية باستخدام النساء في نظام التحقيق وذلك لما له من مزايا وفوائد عديدة، ودعت إلى أن يكون دائماً إلى جانب الرجال نساء محققات.¹

وأرسلت عريضة إلى نواب البرلمان والغرفة الأولى لفتت فيها انتباههم إلى الوضعية المتردية التي كانت تعيش فيها المرأة المسلمة والتي ظلت لفترة غير قليلة _حسب رأيها_ مكبلة بالعديد من القيود، والتي اعتبرتها من أكبر العقبات التي كانت تعرقل سياسة الاندماج التي كانت تسعى فرنسا لتحقيقها، كما دعت إلى تحسين حالة الجزائرية وتخليصها من تلك القوانين والعادات الجائرة المفروضة عليها، غير أنها فوجئت برد وزير الخارجية الراض لتغيير حالة المرأة العربية والداعي للإبقاء على قانون الأحوال الشخصية والميراث لدى المسلمين دون مساسها بقوله: "لا يمكن تغيير وضع المرأة العربية دون لمس قانون الأحوال الشخصية والميراث للمسلمين الذين لطالما احترمهم التشريع الجزائري، سيكون من غير الحكمة التفكير في مثل هذا السؤال الخطير، وذلك لأن هذا سيؤدي إلى ثورة الأهالي خاصة المنشغلين منهم بمشاريع الإصلاح".²

وناضلت أوكلاز من أجل "جزائر فرنسية" وعملت على إعادة فكرة الاندماج بالتمدرس تلك الفكرة التي اقترحت مسبقاً خلال سنوات 1845-1855 من طرف السيدة "أليكس" مديرة مدرسة البنات والتي تقدمت لتحقيق ذلك بطلب للمساعدة من الحاكم العام المارشال "بوجو" فأمدتها بالمال، ونددت أوكليز بغلق المدارس العربية المخصصة للفتيات من طرف السلطات الفرنسية سنة 1861³ وذلك لأنها كانت تعتقد بأن ألف امرأة جزائرية تجدي أكثر من عشرة آلاف رجل في جلب تعاطف الأهالي إلى فرنسا تماماً ومنه فقد وقفت في صف تلك الكاتبة التي قالت: "عندما نلحق ولداً بالمدرسة الفرنسية فإننا نربح فرداً بينما نكسب إذا ألحقنا بها بنتاً بعدد من تنجبهم".⁴

وطالبت أوكلاز المرأة الجزائرية بالتححرر من قيود الشريعة الإسلامية والتقاليد ودعتها إلى الإقتداء بالمرأة الأوربية، كما رافعت من أجل القيام بتغيير بعض الأحكام الخاصة بالأحوال الشخصية للمرأة الجزائرية المسلمة خاصة فيما يتعلق بقضايا الزواج والطلاق والميراث فجدها مثلاً تعتبر تعدد الزوجات ظاهرة غير مستحسنة من وجهة نظرها، لكن

¹ - مسعودة بجاوي مرابط ، ، المرجع السابق، مج1، ص382-383.

² - Hubertin Auclert, op,cit, pp69, 73.

³ - مسعودة بجاوي مرابط ، المرجع السابق، مج1، ص384.

⁴ - بشير بلاح، مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية 1925-1940، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013، ص190.

إذا أراد الرجال الاستمرار في ممارسة تعدد الزوجات فإنها طالبت بالمساواة في هذه المسألة ودعت لفكرة تعدد الأزواج بالنسبة للنساء وذلك بمعادلة تعدد الزوجات بالنسبة للرجال¹

كما اعتبرت بعض الظواهر المستهجنة في الجزائر كظاهرة العهر باباً من أبواب الحرية التي بدأت الجزائرية تسيير نحوها واعتبرت مهر الفتاة مجرد ثمن لشرائها وذلك على اعتبار أن قيمته تتذبذب صعوداً وهبوطاً تبعاً لعوامل متعددة كالجمال والطبقة الاجتماعية والعمر والقدرة الإنجابية للفتاة.²

ونشطت أوكلار في إطار الحركة النسوية وذلك للمطالبة بمنح المرأة بما فيها الفرنسية في الجزائر جميع حقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، متخذة من دفاعها عن المرأة الجزائرية وسيلة للوصول إلى هدفها الأسمى وهو منح المرأة الفرنسية جميع حقوقها وذلك بناء على تحسن وضعية المرأة الجزائرية، فوجدتها تشبه منع المرأة في الجزائر من التعليم بمنع المرأة من التصويت والاقتراع في فرنسا بقولها: "إن تعليم الفتيات في الجزائر غير مقبول كمنع النساء في فرنسا من التصويت"³، وأشارت إلى أن المرأة الأوربية ستبقى عاجزة عن مساعدة أختها العربية ما دامت هي لا تملك الحق في التصويت رغم كونها فرنسية وألحت على ضرورة التكفل بمهمة تعليم المسلمات وتطويرها عن طريق المرأة الفرنسية⁴، التي ستعمل على تحويلهن من سجينات قفص الحریم إلى منتخبات، ورأت بأنه يجب أن يمنحن نفس الحق ويصبحن فرنسيات متحررات من سجونهن وبيوتهن المحاطة بالأسوار ومن عزلتهن عن العالم.⁵

كانت هوبرتين واحدة من الروائيات التي تبنت مبدأ الأخوة للمسلمات الجزائريات أو ما سمته "أخواتنا الأهالي" غير أن تلك العبارة في كتاباتها غالباً ما كانت تشير إلى العلاقة الاستعمارية القائمة على فكرة التعاطف لا التشابه بين الفرنسيات والجزائريات وعلاقة استعلاء للبعض وتبعية للأخريات⁶ وعليه فخطابها المتعلق بالأخوية يقوم على فرضية مفادها بأن هناك نساء أكثر تقدماً واستنارة على الدوام وهن بمثابة المنقذات لأخواتهن الجزائريات اللاتي عرفن بالتعصب والرجعية والخضوع للأحكام الإسلامية القاسية، وبالتالي فإنها كانت مقتنعة بوجود حاجز بين الجزائرية والفرنسية.⁷

¹ Hubertin Auclert, op,cit, p72.

² Ibid, pp 42- 141.

³ Ibid, p141.

⁴ - مسعودة بجاوي مرابط، المرجع السابق، مج 1، ص 383.

⁵ - أميرة الأزهرى سنبل، المرجع السابق، ص 72.

⁶ - مسعودة بجاوي مرابط، المرجع السابق، مج 1، ص 383.

⁷ - أميرة الأزهرى سنبل، المرجع السابق، ص 72.

ومن الجدير بالذكر أن المرأة الأوربية من كونها منارة أخلاقية والقيمة على نشر القيم الحضارية كان أمراً شائعاً ومتعارف عليه لدى نساء المستعمرات واتخذ مساراً متنامياً لدى دعاة المساواة في إنجلترا، غير أنه لم يكن متبلوراً لدى دعاة الحركة النسائية الفرنسية على الأقل فيما يتعلق بالجزائر¹، وهو ما تمكنت أوكلار من طرحه بقولها: "إذا كانت النساء في فرنسا يتمتعن بنصيبهن المستحق من القوة فإنهن لن يسمحن بوجود قانون يبيح اغتصاب الأطفال في أرض فرنسية".²

وعلى الرغم من أن خطاب هوبرتين قد لقي قبولا لدى بعض الأوساط الاستعمارية فبيما بين 1920-1939 حيث اقترح موريس فيوليت (Violette Morris)³ وأكتاف دوبون "سياسة البيت" أو "الغزو الأخلاقي للمرأة للمرأة المسلمة" كمحاولة منهما لتغيير الذهنية المحافظة للمرأة الجزائرية التي كانت تشكل عائقاً أمام تغيير المجتمع الجزائري⁴، لكنها من جانب آخر لم تتمكن من تحقيق ما كانت تصبو إليه فقد قدمت خمس عرائض إلى الحكومة الفرنسية في الجزائر من أجل تأييد النساء الجزائريات -من منظور رؤيتها- لكن لم يحظ أي منها باهتمام السلطات الفرنسية.⁵

وعند عودتها إلى فرنسا عام 1896 استمرت حتى نهاية حياتها في تقديم الالتماسات التي تدعو إلى تعليم المرأة المسلمة وإلغاء تعدد الزوجات وإجراء تغييرات قانونية لتحسين وضع المرأة الجزائرية، لكن المسعى الوحيد الذي نجحت فيه أوكلار هو الذي فشلت في تحقيقه على أرض الواقع، حيث دعمت بغير قصد توجهات مؤيدي عدم الاستيعاب بالرغم من أنها بصفتها مناضلة نسائية تمكنت من التوصل إلى نتيجة مفادها بأن الجزائريين يمكن أن تستوعبهم فرنسا ثقافياً وسياسياً، ورغم ذلك قد عملت أوكلار على إقناع العديد من الفرنسيين وبغير قصد فرضية أن الجزائريين لا يستحقون منحهم أي حقوق سياسية أو مدنية سواء عن طريق آرائها التي نشرتها في جريدتها النسائية الباريسية

¹ - نفس المرجع، ص72.

² - Hubertin Auclert, op,cit, p149.

³ - موريس فيوليت (Maurice Violet) (1870-1960): سياسي وعسكري فرنسي، ورجل من رجال الحزب الاشتراكي الفرنسي، عين حاكماً عاماً على الجزائر من ماي 1925 إلى 1927، وعين أيضاً وزيراً للدولة المكلف بشؤون الجزائر في حكومة الجبهة الشعبية، وهو مهندس مشروع بلوم فيوليت. ينظر بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص379.

⁴ - مسعودة يجاوي مرابط، المرجع السابق، مج2، ص211.

⁵ - أميرة الأزهري سنبل، المرجع السابق، ص65.

"المواطنة" أو غيرها من الصحف مثل "الراديكالية الجزائرية"، كما أنها أبرزت للمستوطنين الفرنسيين من خلال كتابها "النساء العربيات" صورة الآخر-الجزائريين- التي بينت بأنها ثابتة لا تقبل التغيير خاصة فيما يتعلق بأمور الجنس.¹

تبنّت الروائية والكاتبة ماري بوجيجا (Marie Bugéja)² ما خلصت إليه هوبرتين أوكلار بعد وفاتها بقرون عديدة وكانت من الفرنسيات اللاتي كان لهن اهتمام كبير بالمرأة الجزائرية، حيث عرفت نفسها في إهداءات كتبها بأنها ليست بباحثة ولا مناضلة نسوية ولكنها امرأة جزائرية تهتم بنساء جزائريات أخريات، وهو ما أشار إليه هنري مارشال (Henry Marshall) رئيس جمعية الفنون والآداب في الجزائر وذلك بعد استجوابه إياها وقال: "إنها كانت تناجي زوجها وهي ملاحظة جيدة وقد اختلطت بأفراحهم وآلامهم وتعرفت على حاجاتهم ورغباتهم، وكان لها الفضل الكبير في فترة كانوا فيها غير معتبرين إن تنحني عليهم وأن تصير صديقة أخوية لهم، محاسبتهم وخاصة محامية المرأة التي كانت ظروفها البائسة قد أثرت فيها بصفة عميقة"، وخلفت العديد من الأعمال التي اهتمت بقضايا النساء الجزائريات ككتاب "أخواتنا المسلمات" سنة 1933، إنجداب شرقي (مدينة الجزائر 1931)، ومن الرذيلة إلى العفاف، رواية نايلية (باريس 1932)، وفي دفيء الخيمة، تحت أشعة الذهب (مدينة الجزائر 1933)، ونساء متحجبات ورجال (مدينة الجزائر، فرنا/إفريقيا 1934) كذلك حكايات ومشاعر من أقصى الجنوب (مدينة الجزائر 1935، إفريقيا، أرض الأساطير (مدينة الجزائر 1936) لغز إسلامي، رسائل إلى بروتونيه، قلب قبائلية نشر في 1939.³

وقد حلت مختلف تلك الأعمال من قبل العديد من الصحف الفرنسية والأجنبية كصحيفة الأخبار، الجزائر وحوليات الجزائر، أخبار بروكسل التي أشادت بعمل تلك الأوربية لصالح قضايا المرأة المسلمة⁴، بينما كشف بعض المؤرخين والباحثين الدور الاستعماري الذي كانت تقوم به هذه المرأة في الجزائر وخاصة فيما يتعلق بمسألة المرأة

¹ - أميرة الأزهري سنبل، المرجع السابق، ص 65-74.

² - ماري بوجيجا: ولدت بمدينة الجزائر وهي بنت متصرف إداري لبلدية مختلطة، زوجة منوال بوجيجا والذي كان هو الآخر متصرف إداري لبلدية مختلطة (ثنية الحد بلاد القبائل) سنة 1902، عاشت طفولتها في بلاد المغرب العربي بمنطقة القبائل بين النساء القبائليات، وكانت ترافق أباهما في دورته المختلطة للقرفور ببلاد القبائل، وقدرت الفترة التي عاشتها في اتصال مع المسلمين سواء كانوا عرب أو قبائل بحوالي أربعين سنة تقريباً. ينظر مسعودة يجاوي مرابط، المرجع السابق، مج 1، ص 467.

³ - نفس المرجع، ص 469-478..

⁴ - Edmond Esquirol, "Nos Collabrateurs Marie Bugéja Notice Biographique", -

France Afrique, N 62, 23/2/1934, p4.

الجزائرية واعتبروها ملغومة ومضللة خاصة كتابها "أخواتنا المسلمات" الذي شنت فيه الغارة على التقاليد البائدة - من وجهة نظرها - التي تركت الجزائريات في الحضيض ولم تمكنهن من الرقي لمصاف الأوربيات المتقدمات.¹

كما أنه وعلى الرغم من العنوان البراق الذي يحمله كتابها المعنون بـ "أخواتنا المسلمات" المنشور سنة 1921 والحائز على جائزة مسابقة الأدب الكبرى في الذكرى المئوية للجزائر المنظم من طرف مدينة باريس² والذي كان يعبر في ظاهره على فكرة التضامن والتعاون النسوي الأوربي الجزائري، غير أن كاتبته كانت تعمل في ذات الوقت على تكريس فكرة الانقسام بين الأصناف النسوية بالجزائر حيث ذكرت في الإهداءين الأخيرين للكتاب بأن ابنها شارك في الحرب العالمية إلى جانب الأوربيين والجزائريين وبأن جميع الأمهات في الجزائر كن ينتظرن أبنائهن "عربيات ذوات الحياك الرائعة ، فقيرات ذوات الأسمال، فرنسيات ذوات الحضارة العالية وذوات الأيادي الخشنة والعاملة".³

وكانت بوجيجا من الروائيات اللاتي كن يدعين إلى التفاهم الفرنسي الجزائري الذي يضمن الاستقرار والبقاء الاستعماري بالجزائر وبالتالي الانصهار، وذلك عن طريق التركيز على المرأة باعتبارها الركيزة الأساسية للمجتمع الجزائري، لهذا سعت مثلها مثل هوبرتين إلى إقناع السلطة الفرنسية في الجزائر من أجل فتح مدارس للفتيات الجزائريات وذلك لتلقينهن القيم والمبادئ الفرنسية ومحاولة إقناعهن بميزات الحضارة الأوربية وفي هذا الصدد تقول في روايتها "في دفي الخيمة 1933": "عندما تتعلم المرأة بمنهجية ابتدائية ويدوية مهنية فإنها تصير قادرة على فهم كرامة المرأة ويقع التطور والانصهار".⁴

ورافعت بوجيجا عن المرأة الجزائرية في روايتها "رواية نايلية من الرذيلة إلى العفاف 1932" حيث طالبت بضرورة احتواء العاهرات ومحاولة إصلاحهن وذلك لأنهن يحملن في ذواتهن القدرة على إصلاح أنفسهن⁵ ، كما ذهبت في تلك القضية نحو توجه بعيد على غيرها من العديد الروائيات اللاتي اعتبرن هذه الظاهرة نوعاً من التحرر، ووصفت الأحكام المسبقة التي أطلقت على المرأة الجزائرية بأنها أحكام مجحفة نوعاً ما وسريعة وموقفها هذا استلهمته من لقاءها مع جزائريات في حفلة لدى عائلة ثرية في مدينة الجزائر وهي عائلة بوباشة حيث انبهرت بوجود نساء مسلمات يتقن اللغة الفرنسية، وهذا على عكس النساء اللاتي ألفت رؤيتهن في الشارع فقيرات متسولات بائسات... وبالتالي فهي

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص353.

² - Edmond Esquirol, "Nos Soeurs Musulmanes par Marie Bujéja", **France Afrique**, N2,12/01/1932, p4.

³ - مسعودة يحياوي مرابط، المرجع السابق، مج1، ص472.

⁴ - نفس المرجع، ص472.

⁵ - نفس المرجع، ص472.

تعتبر التعميم خطأ كبير ودعت إلى التخلص من الأحكام المتسرعة المستوحاة من الشارع تجاه المرأة الجزائرية، وموقفها هذا لم يكن نابعاً عن دوافع إنسانية محضة وأن تبنيها لقضية المرأة المسلمة كان محاولة منها لفرض أهمية النساء الأوربيات ووجودهن الاجتماعي في الجزائر المستعمرة، ومحاولة منها لإبراز الدور الذي يمكن أن تلعبه المرأة الفرنسية الجزائرية في نشر الحضارة الغربية لدى الجزائرية المسلمة، وهذا في إطار ما يسمى بسياسة الاجتياح المعنوي.¹

ولم يقتصر نشاط بوجيجا على التأليف والصحافة والنوادي لكنها ساهمت في إنجاح مؤتمر البحر الأبيض المتوسط في قسنطينة والذي عقد سنة 1932 بحضور 31 امرأة وفرن الجزائر من جميع أنحاء أوربا، وقد ركز المؤتمر على وضعية المرأة المسلمة التي خصت بالعديد من التقارير والتي عبر فيها أصحابها عن وضعيتها المأساوية واقترحوا الحلول المناسبة للخروج بها من تلك الأوضاع المتردية، كما تركز الحديث على تاريخ المرأة المسلمة ومكانتها في القرآن ومسألة تعدد الزوجات وقضية اللغة، وفي هذا الصدد طالب المؤتمر بضرورة تعليم اللغة الفرنسية للجزائرية وذلك باعتبارها الأداة الكفيلة لإزالة العواقب بين الفرنسيين والجزائريين، كما حظيت المرأة القبائلية في أشغال هذا المؤتمر باهتمام كبير وذلك لأسباب عديدة.²

أما بالنسبة لبوجيجا فقد نوهت في كلمتها التي ألقتهما إلى الدور الاستعماري الذي تمكنت الأوربية من تحقيقه فيما يخص قضية المرأة، وذكرت بأن المرأة سواء في الريف أو غيره بدأت تحذو حذو الفرنسية في التفكير، وبذلك انكشف المخطط الذي كانت تسعى بوجيجا لتحقيقه بالتعاون مع إدارة الشؤون الأهلية بزعامة ميرانت (Merant).³

ودون الابتعاد عن التوجه الأخوي الذي انتهجته بعض النساء الأوربيات نجد الصحفية الفرنسية هنريات سيلاري (Henriat Sillaria) والتي أقامت عدة مرات في الصحراء تؤولف هي الأخرى كتاباً عنونته بـ "أخواتنا المسلمات" عام 1925 وكانت من الروائيات اللاتي تمكن من الدخول لمسكن المسلمات، وبالرغم من أنها مثلها مثل بوجيجا كانت تطالب بإعادة النظر إلى الصورة التي لطالما حظيت بها الجزائرية المسلمة، إلا أنها كانت تحمل في نفسها أسطورة تفوق المرأة الأوربية على غيرها فقد ذكرت بأن الجزائريات كن معجبات بالأوربيات لذلك بدأن يسعين إلى اكتشافهن ونوهت إلى أن الجزائريات دهشن لما كشفت هنريات عن سن ذهب في فمها كانت تظهر عندما تبتسم.⁴

¹ - مسعودة بجاوي مرابط، المرجع السابق، مج 1، ص 114، 535.

² - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص 354.

³ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص 354.

⁴ - مسعودة بجاوي مرابط، المرجع السابق، مج 2، ص 123.

كما أنها كانت ترفض إعطاء أي موقف فيما يخص مسألة تعليم الجزائرية وأن حيادها في الحسم في هكذا قضية من أهم قضايا المسلمة يكون مردة لإحدى الأمرين أولهما إما أنها كانت تحن للحياة التقليدية للمسلمة مما جعلها تتردد في الحسم في هذا الأمر، أو أنها كانت تشاطر الأيديولوجية الاستعمارية المعارضة لفتح المدارس للأهالي وذلك خوفاً من انتشار اليقظة والوعي بين أوساط الجزائريين¹.

وعلى نقيض موقف سبيلاري المتحفظ حول قضية تعليم الجزائرية نجد اليهودية الروسية روزاليا بن ثامي (Rosalia Ben Thami) في روايتها "جسيم القصة" تراهن على قضية تطور المرأة الجزائرية هذا المطلب الذي لن يتحقق -من وجهة نظرها- إلا عن طريق المدرسة الفرنسية التي ستعمل على تحقيق الانصهار الكامل²، وذلك عن طريق استغلال خريجات تلك المدارس وتوظيفهن كأداة لتغيير فكر الأمة وهويتها، وهذا بعد أن يصبحن معلمات لجيل المستقبل فإنهن سيحفزن الأجيال المقبلة على الانسلاخ عن القيم والمبادئ الإسلامية³. وموقفها هذا يتماشى مع مديرة الصحيفة النسوية بالجزائر "نساء الغد" والتي طالبت وذلك باسم النوايا الحضارية لفرنسا بالجزائر بجعل التعليم إلزامياً للفتيات المسلمات⁴

غير بعيد عن المطالبة بالتوجه الأخوي بين الأوربيات والجزائريات والذي يهدف أولاً وأخيراً إلى تنمية سياسة الانصهار والاندماج الجزائري في الحضارة الغربية الفرنسية رأت الصحفية الفرنسية إيفون بانير (Yvonne Pannier) في قصتها "فرنسيات الصحراء 1952" أنه من الضرورة بمكان أن تجعل الأوربيات من المسلمات أخواتهن وذلك بعد أن ذهبت مع فريق طبي نسوي متطوع إلى الوادي وتقرت وقالت بأنها رأت نسوية محطمة⁵. عند الوقوف على بعض تلك الدراسات بالإضافة إلى التمعن في نشاط بعض النساء الأوربيات، نجدتها تقوم بالتركيز على إثارة بعض القضايا المتعلقة بالمرأة كتعدد الزوجات والصداق والحجاب ونحو ذلك من القضايا التي كانت موضع جدل وقد كان غرضهن من إثارة مثل تلك المسائل هو الطعن في التقاليد وفي الشريعة وبالتالي الوصول إلى فكرة مفادها بأن الأعراف المنحرفة هي نفسها التعاليم الدينية⁶.

¹ - مسعودة يجياوي مرابط، المرجع السابق، مج1، ص478.

² - نفس المرجع، مج1، ص524.

³ - مركز البحوث والدراسات في مجلة البيان، التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد بن باديس، الرياض، 2014، ص114.

⁴ - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp309-315.

⁵ - مسعودة يجياوي مرابط، المرجع السابق، مج1، ص543.

⁶ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص349.

كما ركز بعضهن على التطرق لمسألة التعدد الثقافي للجزائرية المسلمة محاولات بذلك إلغاء فكرة وجود فئة نسوية منسجمة في المجتمع الجزائري من جهة أخرى فهناك المرأة القبائلية والمرأة العربية والمرأة الشاوية والمرأة الميزابية والمرأة النايلية ومنه الوصول لفكرة أن الجزائر المسلمة بلد ليس له وحدة إثنية فنجد مثلا هنريات سيلاري وماري بوجيجا يؤلفان "أخواتنا المسلمات" "وآن ماري غواشون (Marie Goichon) تقوم بدراسة الوضع القانوني للميزابية في مؤلفها "دراسة سسيولوجية إسلامية عن الحياة النسوية في المزاب"، أما بخصوص لورلو فابر (Lorello Faber) وماتيا غوردي (Mathéa Goudri) فقد اهتمت الأولى بالنساء القبائليات في كتابها "أبحاث عن ظروف المرأة القبائلية" أما الثانية فقد انصب اهتمامها بشاوية الأوراس من خلال مؤلفها "المرأة الشاوية في الأوراس"¹ الذي قامت فيه بدراسة المرأة الشاوية كعنصر اجتماعي بعيداً عن الاحتكاك بالمجتمع الغربي وهذا لكي تعطي عملها بعد اجتماعي يقرب دراستها الاجتماعية من الاثنولوجية (علم الأعراق) الكلاسيكية².

ونشرت ماتيا غوردي كتابها سنة 1929 وهو عبارة عن دراسة مفصلة حول المرأة الشاوية وقد قسمت كتابها إلى جزئين حيث قامت في الجزء الأول منه بدراسة ظروف أو وضعية المرأة الشاوية المادية والقانونية وكذلك الاجتماعية من خلال وصف طبيعة المساكن الشاوية خاصة ما يعرف بالدرشة وذلك على اعتبار أنها من أكثر التجمعات انتشاراً في تلك المنطقة كما تحدثت أيضاً عن المنازل التي كان يستقر بها الشاوية أثناء ترحالهم والتي تسمى بـ "أفري" والتي غالباً ما تحفر في الصخر على شكل مغارة وتتواجد هذه المغارات بعدة مناطق مثل منطقة بني فرج وبني معافة ومنطقة الوادي الأبيض، كما قامت أيضاً بتقديم وصف للمنزل الذي كانت تقطنه المرأة الشاوية والذي كان غالباً ما يحتوي على العديد من العائلات الفقيرة كما تطرقت الكاتبة في ذات الجزء إلى لباس المرأة الشاوية وزينتها وكل تفاصيل حياتها منذ أن تكون طفلة إلى أن تصبح زوجة وأماً³.

أما الجانب الآخر من الدراسة فخصصته الكاتبة للتحدث عن نشاطات والوظائف الاقتصادية للمرأة الشاوية كأعمالها الفلاحية والصناعية من غزل للصوف وصناعة الفخار وتحضير الجلود وامتھان صناعة الحلفاء، بالإضافة إلى أعمالها اليومية في المنزل من تنظيف للبيت وطهي للطعام وتحضير أنواع الوجبات، كما أنها لم تغفل الكتابة عن دور

¹ - مسعودة بجاوي مرابط، المرجع السابق، مج2، ص ص110-111.

² - Leimdorfer François, "Objets de la sociologie coloniale. L'exemple algérien", -

Tiers Monde, V 23, n°90, Avril Juin 1982, p291.

³ - Mathéa Gaudry, **La Femme Chaouia de L'Aurès : Etude de Sociologie** -

Berbère, Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1929, pp17-32.

الدين في حياة المرأة الشاوية والذي أوضحت فيه علاقة المرأة بالمرابطين وكذلك مشاركتها في مختلف الطقوس كزيارة أضرحة الأولياء الصالحين والدرأويش.¹

ودعمت ماتيا غوردي دراستها تلك بمجموعة من الرسوم التوضيحية بالإضافة إلى الصور الفوتوغرافية، أما مواد ذلك الكتاب فقد جمعها أثناء تحقيق لها أجرته في منطقة الأوراس منذ سنة 1923 معتمدة على أساليب عادية مثل: الاستبيان والاستعلام والاتصال المباشر مع الأهالي، وتمكنت عن طريق تلك الوسائل من الوصول إلى معلومات قيمة وقد ساعدتها مهنتها باعتبارها محامية في مهمتها كثيراً، حيث توصلت إلى أن المرأة الأوراسية كانت تلعب دوراً مهماً في المجتمع البربري الذي كان من وجهة نظرها لم يمسه الإسلام إلا قليلاً " كما أن التقاليد والعادات منحتها استقلالية كبيرة ليس فقط كامرأة متزوجة ولكن كامرأة حرة أو ما يعرف بالعزيرة أو المرابطة ما جعلها تحظى بهيبة كبيرة وصلت في بعض الأحيان إلى انجذاب المجتمع الفرنسي لها، كما أنها استطاعت أن تحتكر بعض الوظائف الإنتاجية والتي بقيت من ضمن اختصاصاتها فقط ولم يكن مسموح للرجل بممارستها مثل صناعة الفخار والنسيج.²

وبالرغم من دقة هذه الدراسة وتقديمها أشياء جديدة وذلك لاعتمادها على طريقة الاستجابات إلا أن أندري باسييه (André Basset) كتب في جريدة العلماء بأنها استعملت فيها المنهج الوصفي المحض كما قال بأنها: "جاءت هذه الدراسة بخطة سهلة نوعاً ما ويبقى هذا العمل سطحياً".³

وتنخرط ماتيا غوردي في الأيديولوجية الاستعمارية السائدة في الجزائر إذ بكتابها هذا أرادت أن تكشف للقارئ بأن المرأة الأوراسية غير المتحجبة هي قريبة جداً إلى الريفية الفرنسية واعتبرتها أكثر استقلالية من العربية والميزابية وأكثر ذكاءً من القبائلية⁴، وقد خالفت بموقفها هذا السيدة ماري بوجيجا شكلاً مضموناً فالأخيرة كانت ترى بأن المرأة القبائلية أكثر قابلية للاندماج في المجتمع الجزائري لذا ركزت في دراساتها عليها ونادت بتحريرها وإخراجها من ركام

¹ - Mathéa Gaudry, op, cit , pp 235-335.

² - J-Tramond, "La Femme Chaouia de L'Aurès, Etudes de Sociologie Berbère, par Mathéa Gaudry", **La Quinzaine Critique des Livres et des Revues**, N4, V1, 25/12/1929, pp175- 176.

³ - André Basset, "Mathéa Gaudry La femme Chaouia de L'Aurès", **journal des Savants**, 1932, p.283.

⁴ - مسعودة بجاوي مرابط، المرجع السابق، مج2، ص118.

التقاليد وفي سبيل تحقيق ذلك كانت تقوم بزيارات ميدانية إلى مختلف العشائر القبائلية واتصلت بنسائها محاولة إخراجهن من التقاليد التي اعتبرت أنها السبب الرئيسي الذي تركهن في الحضيض بينما أمثالهن في القمة.¹

وبالتالي من خلال الوقوف على أعمال بعض الأوربيات عن الجزائر يمكن القول بأن أغلب كتاباتهن كانت من أهم الوسائل التي سخرها الاستعمار لخدمة الأيديولوجية الكولونيالية كما أنها لم تكن موجهة للجزائريات فقط بل كانت موجهة أيضاً للفرنسيين وذلك لتعزيز وتأكيده أن احتلال فرنسا للجزائر كان له هدف واحد هو نشر الحضارة في هذه المستعمرة المتوحشة، تلك المهمة التي لن تتمكن فرنسا من تحقيقها إلا عن طريق استخدام العديد من الوسائل من ضمنها المرأة، كما أن معظم تلك الدراسات التي أجريت بالجزائر وبخصوص الجزائرية كانت بتوجيه وطلب من بعض الأوساط الاستعمارية بالجزائر كالسيد وليام مارساي (William Marçais) الذي طالب بالتركيز على تشجيع هذا النوع من الدراسات كما طالب أيضاً بإخضاع نساء الجزائر لتحقيقات دقيقة.² كما أننا نجد أن بعض الروايات ونظراً لتمكنهن من الإحاطة بسيكولوجية المرأة الجزائرية قد عملن على استغلال الوضعية المزرية التي كانت تعيشها الجزائريات لنقد الأسرة الجزائرية والمناداة بنفسها وتفكيكها والدعوة لترقية المرأة الجزائرية على شاكلة أختها الأوربية على الرغم من أنها كانت تعتبر الحصن المنيع الذي كان يحمي المجتمع من التلاشي والضياع.³

كما تجدر الإشارة إلى أن تلك المؤلفات التي كتبت من قبل العديد من الأوربيات والتي كان الهدف الظاهري الذي كانت تسعى لتحقيقه هو القيام بلفت انتباه الإدارة الاستعمارية إلى الحالة البائسة للمرأة العربية في الجزائر، قد تمكنت من الخروج من إطار الكتابات الأدبية ووجدت لها طريقاً إلى المشاركة العملية، وذلك لأن معظمها كان لا يخالف الأيديولوجية الاستعمارية السائدة في الجزائر آنذاك فالحاكم العام موريس فيوليت أعطى اهتماماً لوضعية المرأة المسلمة ونوه بأنه يجب غزو المرأة الجزائرية أخلاقياً في كتابه "الجزائر هل ستعيش؟"، كما أنه ركز أثناء ترأسه للمجلس الأعلى بالجزائر بتاريخ 17 جوان 1926 على قضية تدرس الفتاة المسلمة، ضف إلى ذلك أنه خلال اجتماع "لجنة مساعدة الأهالي" يوم 31 يناير 1927 رجع موريس فيوليت مرة أخرى إلى طلب إنشاء مدارس كثيرة ومشغل للفتيات المسلمات.⁴

¹ - مزيان سعدي ، السياسة الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها 1871-1914 الجزائر، دار سيدي الخير للكتاب، ج2، 2012 ، ص70.

² - مسعودة يجياوي مرابط، المرجع السابق، مج2، ص111.

³ - الطيب بودريالة ، "صورة الجزائر في الرواية الفرنسية"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع2-3، مارس2010، ص16.

⁴ - مسعودة يجياوي مرابط، المرجع السابق ، مج1، ص ص 245 - 246.

وبخصوص الجهود التعليمية التي بذلتها بعض الأوربيات فحتى لو أنه ليس من المؤكد أنه لولا ضغوطهن لما كانت ستفتح مدارس للفتيات المسلمات وذلك على اعتبار أن هذه المدارس كانت ستفتح على كل حال في وقت لاحق كما أن المرأة الأوربية حالها حال المرأة المسلمة كانا يعلمان في أعماقها أن مصيرهما بخصوص هذه القضية يتوقف إلى حد كبير على الرجال،¹ ومع ذلك فبعد أن تم وضع اللبنة الأولى للتعليم الأهلي من طرف السلطات الاستعمارية نص المنشور الصادر في 14 جويلية 1850 والخاص بإنشاء المدارس الابتدائية على إنشاء أربع مدارس للبنات في كل من مدن: الجزائر، قسنطينة، وهران وعناية يتعلم فيها البنات اللغة العربية والفرنسية، الحساب إلى جانب الخياطة والطرز، وتعمل على تأطير كل مدرسة مديرة فرنسية والتي هي في نفس الوقت معلمة ومساعدة مسلمة يراعى في تعيينها نفس الشروط المطلوبة لمدارس الذكور، كما منح الوالي العام حق إنشاء مدارس للفتيات الكبار في مدينتي الجزائر وقسنطينة مع إمكانية فتح أقسام لنفس الشريحة في أماكن أخرى إن اقتضت الضرورة وقد حددت أوقات تعليم فئة الفتيات الكبار بثلاثة أيام في الأسبوع ومواد التعليم هي اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا والحساب، وعلى الرغم من أن المرسوم التأسيسي قد نص على إنشاء أربعة مدارس عربية فرنسية خاصة بالفتيات ولكن في الواقع لم تنشئ سوى مدرستان إحداهما في العاصمة والأخرى في قسنطينة ومع نهاية عام 1870 لم تبق سوى مدرسة الجزائر والتي تم تحويلها إلى ورشة للتكوين في الخياطة والطرز تحت إدارة السيدة أليكس المديرة السابقة للمدرسة، أما بالنسبة لمدرسة قسنطينة فقد كانت تلك المدرسة تستقبل حوالي 80 طفلة.²

لم يكن التعليم القضية الوحيد التي شغلت بعض الأوربيات بل اهتم البعض الآخر بمسألة طب ورعاية المرأة الجزائرية المسلمة وذلك لأنه كان لا يمكن تقديم الرعاية الطبية للنساء الجزائريات إلا من قبل النساء (الطبيبات، الممرضات، القابلات ..) ويفضل أن تكون لديهن معرفة بالعقليات السائدة آنذاك بالجزائر والتي كانت ترفض علاج النساء عند الذكور، ومن الأوربيات اللاتي اهتمن بهذه القضية الدكتورة دوروثي شيليه-فومات (Dorothee Chellier-Fumat) أول خريجة من كلية الجزائر العاصمة والتي كلفت منذ تخرجها سنة 1895 من قبل الحاكم العام جون كامبون بإجراء دراسة طبية على نساء الشاوية بالأوراس، وبعد عودتها من مهمتها أوصت باللجوء إلى القابلات الموجودات بفرنسا وذلك بسبب نقص الأطباء، وفي عام 1896 كلفت بمهمة ثانية وهي تنصيب قابلات بمنطقة القبائل والأوراس إلا أنها بعد زيارتها لتلك المنطقة أشارت في تقريرها إلى الحاكم العام بتاريخ جانفي 1897 عن الممارسات الخطيرة الممارسة من القابلات أثناء عمليات التوليد وذكرت بأن تلك الممارسات تزيد من الألم والنزيف

¹ - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp309-315.

² - جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 29-35.

أثناء الولادة ، غير أنها أشارت في ذات الوقت إلى أن بعض الأمهات (القابلات الجزائريات) كان لديهن حس الفضول وذلك للتعرف على الأدوات والأساليب المستخدمة من قبل الأوربيين أثناء الولادة، وبعد تمكنها من تثبيت ثلاث قابلات في ثلاثة مراكز مهمة في منطقة القبائل (سيدي عيش، أريس، القنطرة) اقترحت إنشاء مدرسة للولادة في بسكرة مخصصة حصراً لنساء الشعوب الأصلية، وفي انتظار تشكيل تلك الهيئة من القابلات المسلمات أوصت بوضع قابلات أوربيات في المراكز الكبرى للسكان الأصليين تسعة في قسنطينة واثنان في وهران وأربعة في الجزائر العاصمة.¹

وبالتالي قدمت خطة كاملة للتنظيم الطبي الموجه للنساء المسلمات والتي تستند أساساً على القابلات، غير أن الحاكم العام جون كامبون لم يقوم بتنفيذ تلك الخطة وذلك لأنه كان يواجه حملة من قبل الصحافة الاستعمارية التي كانت تتهمه بالاهتمام الكبير باحتياجات المجتمع الإسلامي.²

وعلى الرغم من قلة الأطباء الإناث إلا أنهم قمن بدور رئيسي وذلك لتنظيم طب النساء الجزائريات كالدكتورة ليجي (Léger) والتي انتقلت بعد تخرجها من باريس إلى منطقة قسنطينة عام 1900 ومنذ قيامها بأول اتصال مع السكان الجزائريين أدركت بأن الإدارة الاستعمارية لم تفعل شيئاً حتى تلك الفترة وهذا فيما يتعلق بطب المرأة الجزائرية، ورأت بأنه بالرغم من وجود مستشفيات مدنية وعسكرية تضم أطباء جيدين في جميع مدن الجزائر غير أن التحاق النساء الجزائريات بتلك المستشفيات كان ضئيلاً ، لذا طلبت من الحاكم العام جونار إقامة جناح للأمومة بمستشفى قسنطينة وذلك لأنها كانت مقتنعة بأن المرأة الجزائرية لا ترفض الطب الفرنسي بل الطب الذي يقوم به أو يمارسه الرجال.³

فأعطيت غرفتين في إحدى شوارع العاصمة وقامت بتنظيفهم وأعلمت السكان بأنها ستستقبل المرضى ثلاث أيام في الأسبوع لمدة ساعتين بعد الظهر وأخطرتهم بأن العلاج سيكون مجاني، في اليوم الأول قدم العيادة خمسة أشخاص ليرتفع عدد الوافدين من النساء والأطفال بشكل كبير في آخر الشهر، وبسبب ذلك النجاح الذي حققته ليجي وافق الحاكم جونار على إنشاء أول مستوصف للنساء الجزائريات سنة 1902.⁴

¹ - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp231-241.

² - Ibid, pp231-341.

³ - Ibid,pp231-241.

⁴ - Ibid, pp231-241.

ومما أعاق التوسع في أول عيادات النساء الجزائريات هو نقص الأطباء من النساء ولم تتحسن الحالة إلى فترة ما بين الحربين كما أن عدد الطبيبات بقي غير كاف حتى سنة 1939 وهو ما أشار له أحد الأطباء وذكر بأنهن لا يمكنهن أن يهتمن بصحة النساء الجزائريات وحدهن وطالب الحكومة بالسماح للأخوات المباشرات بمساعدتهن.¹

وبالرغم من الرعاية والمتابعة الصحية التي كانت تقوم بها العديد من الطبيبات الأوربيات إلا أنهن كن يواجهن صعوبات كثيرة منها عدم ثقة العديد من الجزائريين بهن غير أن بعض الطبيبات الأوربيات لم يقفن مكفوفي الأيدي كإحدى الطبيبات بالجزائر العاصمة في الثلاثينيات من القرن 19 التي كانت تقوم بثمان زيارات أسوعية لفقرء القصبه بصفة طوعية وكان يرافقها زوجها أثناء قيامها بتلك الزيارات وكان يقيم واقفاً نذ الباب إلى غاية قيامها بمهمتها.²

وبالتالي يمكن القول بأن بعض الطبيبات الأوربيات واجهن العديد من الصعوبات والتي ترتبط في أغلب الأحيان بالفقر الشديد والعادات ولكنهن سعين إلى علاج وتخفيف معاناة المرأة الجزائرية وباعتبارهم نساء فإنهم الأطباء الوحيدون القادرون على علاجها.³

وخلاصة لما سبق يمكن القول بأن النساء الأوربيات اشتغلن على الجبهة النسوية في المخطط الكولونيالي وقد وجدت مطالبهن وخاصة تلك المتعلقة منها بالمرأة الجزائرية قبولاً لدى العديد الكتاب والسياسيين الفرنسيين بالجزائر بل ودخل بعضها حيز التطبيق وذلك لإدراكهم التام بأن المجتمع يتلون بلون المرأة وأنها الحامي والحافظ لمبادئ وقيم أي مجتمع من المجتمعات، أما دفاعهن ومرافعاتهن عن بعض قضايا المرأة الجزائرية لم يكن حياً فيها أو تأثيراً بوضعها بقدر ما كانت نابعة من رغبتهن في الوصول لبعض الحقوق التي حرمت منها النساء في فرنسا ذاتها كالحق في التصويت بالإضافة إلى محاولتهن إبراز الدور الذي يمكن أن يقمن به في إطار السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر خاصة فيما يتعلق ببعض المجالات الحساسة والمهمة كالمجالين الطبي والتعليمي .

¹ Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp231-241.-

² Ibid, pp231-241.-

³ Ibid, pp231-241.-

ثالثاً: دور المرأة الأوروبية في تفعيل قضية الزواج المختلط-الزواج بالأجنبيات- بالجزائر

عرف المجتمع الجزائري فترة ما بين الحربين بروز ظاهرة زواج الفتیان الجزائريين من النساء الأوربيات والذي يعتبر نوعاً من أنواع الزواج المختلط وفي هذه الدراسة لن يتم التطرق لهذه الظاهرة من منطلق عقائدي ديني وذلك لأن الدين الإسلامي يبيح الزواج من الكتابيات، بل سيتم عرض هذه الظاهرة من منظور أو منطلق واقعي وذلك لمعرفة تأثيراتها على المجتمع الجزائري ولو خلال فترة من فترات الاحتلال وذلك لأنه كان معرضاً لضربات قوية من أجل القضاء على هويته وثقافته العربية الإسلامية وقد لعبت المرأة الأوروبية دوراً فعالاً في هذا الجانب.

برزت ظاهرة زواج الجزائريين بالأجنبيات قبل فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر ولكن كانت بصفة محدودة فوجد مثلاً أحمد بوضربة¹ كان متزوجاً بفرنسية، أما بعد الاحتلال فقد بدأ هذا النوع من الزواج يشيع بين بعض الشخصيات الذين وظفهم الفرنسيون من الحضر مثل مصطفى بن عمر وحمدان بوركايب ليعرف بعدها انتشاراً بين القادة الدينيين مثل أحمد التيجاني الذي تزوج من أوريلي بيكار، ليأتي الدور بعدهم على فئة الاندماجين الذين تزوجوا في أغلبهم من فرنسيات أمثال ابن التهامي ومرسلي، أما بعد قيام الحرب العالمية الأولى فقد شاع هذا النوع من الزواج بين الطلبة الدارسين في فرنسا والفرنسيات والعمال والعاملين هناك منهم فرحات عباس ومالك بن نبي ومصالي الحاج وسعدان.² وعرفت ظاهرة الزواج بالأجنبيات إقبالا من بعض الجزائريين فقد شهدت سنة 1882 حوالي عشرين حالة لتتخفف في السنة التي تليها إلى 16 حالة لتصل في السنة التي بعدها ل 14 حالة³ وهذا ما يشير لنا بأن الزواج بين الأهالي والفرنسيات كان نادراً للغاية وهو ما أوضحته أيضاً " المجلة الإفريقية" حين نشرت إحصاءات لحالات الزواج المختلط في مدينة الجزائر وضاحتها الحراش والتي قام بها ج.ه. بوسكي انطلاقاً من سجلات الحالة المدنية الخاصة

¹ - أحمد بوضربة: تاجر من فئة الحضر، عاصر الفترتين العثمانية والاحتلال الفرنسي للجزائر، لم يكن على علاقة جيدة مع الحكم العثماني، لعب دوراً بارزاً خلال السنوات الأولى من الاحتلال، حضر في 4 جويلية 1830 لدى الكونت ديبرمون بصحبة حسن بن حمدان خوجة وكاتب الباشا وهذا للتفاوض على تسليم المدينة، اقتنع بما أعلنه الفرنسيون في البداية بأنهم جاءوا محررين للجزائر من الاضطهاد التركي، تكونت علاقة بينه وبين دوبرمون الذي ولاه رئاسة أول مجلس بلدي بمدينة الجزائر، وقد استمر على مكانته وتأثيره عند خلفاء دوبرمون فقد ولاه كلوزيل إدارة أملاك مكة والمدينة، كما وضع فيه برترين ثقته، تم نفيه إلى باريس من قبل دورفيقو، كتب مذكرة للجنة الإفريقية، كما مثل أمام اللجنة الإفريقية وتقدم لها بملخص أفكاره حول العلاقات الجزائرية الفرنسية. ينظر سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص ص76-78.

² - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص377.

³ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص473.

بالمناطق المذكورة آنفاً وقد يكون من المهم أن يتم عرض تلك الإحصاءات وذلك لمعرفة عدد النساء الأوربيات اللاتي تزوجن من رجال مسلمين في تلك المدن:¹

مكان مراسم الزواج	مسلمون مع فرنسيات غير مسلمات	فرنسيون مع مسلمات	المجموع
عنابة: 1930-1953 (42 سنة)	96	28	124
قسنطينة: 1932-1952 (22 سنة)	83	30	118
الجزائر: 1939-1953 (15 سنة)	229	153	382
وهران: 1939-1953 (15 سنة)	75	39	114

كما نجد المصلحة المدنية الجزائرية قد قامت بإحصاءات للزيجات المختلطة بالجزائر من سنة 1936 إلى 1942 وهي كالتالي:²

السنوات	1936	1937	1938	1939	1940	1941	1942	المجموع
إمرأة ذات اسم مسلم وزوج باسم مسيحي	9	7	7	18	15	2	3	60
زوج ذو اسم مسلم	10	15	15	16	22	5	7	90
المجموع	19	22	22	34	37	7	10	150

¹ - مسعودة بيجاوي مرابط ، المرجع السابق، مج 2 ، ص 349.

² - G.H. Bousquet, "Les Unions Mixtes À L'état Civil D'alger", **Revue Africaine**, N° 396-397, Vol 87, 1943, p 274.

من خلال المعطيات السابقة نلاحظ أنه على الرغم من أن الزيجات المختلطة في كلتا الحالتين أي بين الجزائريين والأوربيات وبين الفرنسيين والجزائريات كانت قليلة إذا ما قارناها بالفترة التي تمت فيها تلك الإحصائيات من 1830-1953، غير أنها أوضحت بأن حالة الزواج بين الذكور الجزائريين والإناث الأوربيات نسبتها أكبر من الحالة الثانية من الزيجات التي كانت بين الجزائريات والرجال الفرنسيين ولعل ذلك راجعاً إلى المعايير الدينية والروح الثورية الراضية للاختلاط في المستعمر الفرنسي، لكن من جانب آخر يبدو بأن حالات الزواج بين المسلمين والأوربيات كانت قابلة للازدياد وخاصة في المدن والحوضر الجزائرية التي كان يقطن بها المستوطنين الأوربيين وهذا ما أعطته إحصائيات 1948.¹

عدد الزيجات	المقاطعات
2439 زيجة	مقاطعة قسنطينة
2306 زيجة	مقاطعة الجزائر
710 زيجة	مقاطعة وهران
204 زيجة	مقاطعة الجنوب
5656 زيجة	المجموع

كما انتشرت هذه الظاهرة -الزواج بالأجنبيات- بين عدد من المهاجرين الجزائريين ففي سنة 1920 كان عدد حالات هذا النوع من الزواج تتراوح ما بين 150 إلى 200 حالة في فرنسا كلها، ثم ارتفع هذا العدد إلى 300 حالة

¹ - يحيى بوعزيز ، السياسة الإستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830-1954)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص300.

في سنة 1930، أما في سنة 1948 فقد ارتفع هذا العدد إلى 9659، وهناك من أوصل هذا العدد إلى 7 أو 8 آلاف حالة وارتفع تبعاً لذلك عدد الأولاد المولودين نتيجة لهذا النوع من الزواج حيث سجلت منطقة باريس وحدها فيما بين سنتي 1941 و1944 حوالي 15 ألف حالة ولادة.¹

1-أسباب انتشار ظاهرة الزواج بالأجنبيات بين أوساط الشباب الجزائريين:

أما عن الأسباب والعوامل التي ساهمت في انتشار هذه الظاهرة لدى بعض الجزائريين فمتعددة، فنجد أن بعض الجزائريين وخاصة أولئك الذين تمكنوا من نيل شيء من الثقافة والعلم على يد الفرنسيين كانوا يرون بأن الفتاة العربية المسلمة جاهلة متخلفة قديمة لا تعرف من سلوكيات الحياة العصرية شيئاً، أما المرأة الأوربية فإنها تتمتع بصفات عديدة فهي دائمة الجمال والأناقة لا تهتم بالخرافات والأوهام ولا تتحدث عن خصوصيات النساء ميالة إلى التعرف وحب الاستطلاع كما أنها تمتلك معاملة حسنة خاصة تجاه الأولاد، كما تتمتع بحرية التصرف والانطلاق فهي تعمل أو تدرس أو تقوم بنشاطات مختلفة وهذا ما أدى بهم إلى تفضيل الزواج من الأجنبية بدل الجزائرية.²

ويعتبر تشجيع بعض الأوساط المستعمرة لهذه الظاهرة أحد العوامل المساعدة في انتشارها بين أوساط الشباب الجزائريين فعلى سبيل المثال نجد ب.بيشار (P.Pichar) الذي كان من مؤيدي فكرة العمل على تغيير السلوك الاقتصادي والطبيعة الذهنية والخلقية للسكان الأهالي، هذا المطمح الذي ذهب إلى أنه لن يتحقق حسب رأيه إلا عن طريق نمط واحد من التعليم والذي يجب أن يكون هدفه الأساسي تيسير عملية التزاوج بين الأوربيين والأهالي، معتبراً أن هذا النوع من الزواج سيعمل على المساهمة في تحقيق الامتزاج بين الجنسين وسيعمل أيضاً على إنقاذ الجنس الأدنى من الانحطاط، وقد اقترح بيشار بهذا الصدد وضع سياسته التعليمية الخاصة بالزواج المختلط موضع التجربة على مستوى محدود وذلك بإتاحة تجهيز البنات القبائليات وتوفير مهورهن والعمل على حظر المهر هذا بالنسبة للفتيات، أما الفتیان فقد طالب بإعطائهم تعليماً مهنيّاً يوائم القدرات والمواهب والوسط ويعمل على كبح التأثيرات الدينية مما يبعد عن الشاب والشابة الجزائرية النفور الكبير الذي كانوا يتلقونه من طرف الشباب الأوربي سواءً فتیان أو

¹ - سعيد بوزنان ، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1956 ، تق: أبو القاسم سعد الله، مُجد الصالح الصديق، الجزائر ، غرناطة للنشر والتوزيع ، 2013، ص53.

² - عبد المجيد حنون ، صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغاربية، الجزائر، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2013، ص 173-177.

فتيات، ولعل مما تجدر ملاحظته أن هذه السياسة الوضعية تلخص وتوضح الجهود الغامضة المرتكبة التي بذلها متصرفوا البلديات المختلطة فيما بين 1880-1885.¹

وتعتبر الهجرة وطول أمدتها والأمل في حل المشاكل المادية من طرف الرجال الجزائريين من أهم العوامل التي ساهمت أيضاً في انتشار هذه الظاهرة في أوساط المهاجرين الجزائريين الذين تزايد عددهم في فرنسا منذ أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، وقد انتشروا في أغلب مدن فرنسا الشهيرة ولكن معظمهم كان بالعاصمة باريس على اعتبار أنها كانت مركز الحركات العمالية الكبرى، وبهذا اضطر الكثير منهم إلى الزواج من الباريسيات ولا شك أن الشباب الجزائريين المهاجرين الذين لم يتقبل كواهلهم شيء من الحياة الزوجية وواجهتها هم الأكثر تعرضاً للاقتران بالأجنبيات في مجتمعهم الجديد.²

ولما كان تحصين النفس من الأمور المهمة للشخص المسلم لاسيما في الوسط الباريسي فقد فكر بعض الشباب على غرار مالك بن نبي في الاقتران بأجنبيات وذلك هروبا من مغريات باريس حيث قال في ذلك: "إن باريس مدينة تخش عواقبها، فبدأت أفكر كيف أحص نفسي من مغرياتها..... وذات يوم وأنا في غرفتي أمام النافذة إذ انطلق من أعماقي دعاء وتضرع إلى الله، كان يوم الجمعة 1349-1931 وقد تولى الله الأمر فهداني إلى زوجتي وهداها هي، فسمت نفسها خديجة وأخذت على الفور زمام حياتي المادية في البيت".³

حلل الشاعر مبارك جغلول وضعية المغتربين الجزائريين في فرنسا من ناحية الزواج في أواخر الثلاثينيات من القرن 20 فقال: "نحن الآن في هذا الوسط (ويقصد به الوسط الفرنسي) ثلاثة نفر: رجل منا غرر بأسرته العربية الضعيفة فألقاها إلى هذا المجتمع القوي يبيدها، والآخر فارق زوجة وأولاد ليأتيهم برزق يتبلغون به فأنشأ له أسرة جديدة في هذه البلاد فهو يقضي ما بقي له من الحياة لأجل إسعادها، والثالث شاب لا خبرة له بالحياة ولا يحسن أن يكافح ما يحيط به من فتن ومغريات فهو لا شك من الأيام سيسقط صريحا تحت أقدام الغواني"⁴، وقد ذكر مصالي الحاج في مذكراته مثالا حيا عن ذلك حين تحدث فيها عن بعض الفتيان التلمسانيين الذين قابلهم في فرنسا وذلك أثناء زيارته لبعض أصدقائه في مقهى السيدة بوشا، فقد روى أنه وأثناء تبادل الحديث مع أصدقائه حول بعض القضايا

¹ - شارل روبير أجرون، المجتمع الجزائري في مخبر الأيدولوجية الكولونالية-مقاومة القبائل للإندماج والتفكيك وفشل مشاريع التنصير والتجنيس، تر وتع وتق: ولد خليفة محمد العربي، الجزائر، تالة للنشر، 2004، ص76.

² - مولود عويمر، تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية، تلمسان، منشورات دار قرطبة، ج3، 2011، ص ص138، 253.

³ - مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، ط2، دمشق، دار الفكر، 1984، ص236.

⁴ - سعيد بوزنان، المرجع السابق، ص ص52-53.

كالعنصرية التي كانوا يواجهونها في فرنسا وحرب الريف وانتخابات تلمسان قدم عليهم فتيان تلمسانيين آخرين رفقة صديقاتهم الفرنسيات الودودات.¹

ويعتبر سهولة الاتصال والاختلاط بالأوربيات من طرف الجزائريين وخاصة في المهجر من العوامل المهمة التي ساهمت في شيوع هذا النوع من الزواج فقد كانت المرأة الأوربية تحب الشوارع وتتجول في الأسواق وترتاد المحلات العامة والمقاهي، بل أنها كانت تؤدي وظائف شتى مثل الأعمال الإدارية والتمريض والتدريس والتجارة وهو الشيء الذي ساهم في احتكاك الجزائري بها وإعجابه بها.²

هذا دون أن نغفل الدور الذي كان يقوم به الفرنسيون لتسهيل احتكاك الجزائريين بما فيهم رجال الزوايا والأعيان وبعض الفقهاء الذين أنابهم عنه في الجزائر بالأوربيات، وذلك عن طريق تنظيم رحلات موسمية ومناسباتية لهؤلاء إلى فرنسا عموماً وباريس خصوصاً، حيث كانت أحياناً تقدم على تسريب الفتيات الفرنسيات لهؤلاء الأعيان الجزائريين واللاتي قد يصبحن زوجات لبعضهم كحال أحمد التيجاني شيخ الطريقة التيجانية،³ ومصالي الحاج الذي تعرف على زوجته إمللي بوسكان (Emily Bosquant)⁴ أثناء زيارته لعائلة كويتو (Quito) في باريس والتي كانت قد قدمتها له السيدة كويتو، وقد صرح مصالي الحاج بذلك في مذكراته قائلاً: "بينما كنا نتبادل الأفكار قرع أحدهم الباب قائلاً: هذا أنا " فأسرعت السيدة كويتو إلى الباب إستجابة للقرع وقالت وهي تضحك أدخلني صغيرتي سأقدم لك واحداً كنت قد كلمتك عنه مراراً" وقد تعرف مصالي والشابة الفرنسية على بعضهما أثناء تناولهما العشاء والشاي مع السيدة كويتو، وقد عبر مصالي الحاج عن إعجابه بها قائلاً: " كانت فتاة جميلة لم تبلغ العشرين" ثم تطورت بعد

¹ - الحاج مصالي ، مذكرات مصالي الحاج 1898-1938، تر: مُجدّ المعراجي، (د،م)، منشورات ANEP، 2007، ص 117.

² - عبد المجيد حنون ، المرجع السابق، ص 173.

³ - عمر بن قينة ، المرجع السابق، ص 31.

⁴ - إمللي بوسكان: تنحدر من عائلة من اللورين، تعرفت على مصالي الحاج في منزل صديقة لها عام 1923 ثم تزوجت به فيما بعد زواجاً دينياً، وكانت داعماً قوياً لمصالي في كفاحه الوطني، خطرت في بالها صنع علم جزائري في عام 1924 وأهدت أول علم أخاطته لرفيقها عام 1930 وفيه يروي مُجدّ بن شيكو أنها "تصورت تشكيلاً يعبر عن اعز وأتمن ما يملكه الشعب، كل انتماءاته المقدسة والمكبوتة والمتمثلة في دينه، الإسلام، الذي يكسبه هويته والأرض التي يحلم بإرجاعها طاهرة بعد كل الدناسات التي تعرضت لها، وإفريقيا الشمالية التي تطمح إلى بناء أخوة مستقبلية معها، رسمته وهي مغرمة ومناضلة، هذا العلم المحباً لمدة طويلة في القلوب والأوهام، هذا العلم الذي سيكون ثلاثي الألوان أحمر في ساريتيه وأبيض أخضر يتوسطهما هلال ونجمة أحمرين"، رافقت مصالي في زيارته الجزائر سنة 1936 وتنقلت معه في أرجاء الوطن، لتستقر أحياناً بالجزائر وتوفيت بها بتاريخ 1953/10/3. رشيد خطاب، الخاوة والرفاق قاموس بيلوغرافي للجزائريين ذوي الأصل الأوربي واليهودي والحرب التحريرية الجزائرية 1954-1962، تر: مُجدّ بوخالفة وآخرون، الجزائر، دار خطاب، 2013، ص 87.

ذلك العلاقة بينهما سنة 1924 ما جعله يلتحق بها سرياً في نوح الراحة ويسكن معها، ثم يتزوجها بعد ذلك زواجاً إسلامياً.¹

كما يعتبر بروز فئة الاندماجين وهي الفئة ذات التكوين الفرنسي والحياة الاجتماعية الأوربية لغة وفكراً وثقافة، الذين كانوا يرون بأن الاندماج في المجتمع الفرنسي مكسب ثمين يجب الظفر به ونتيجة لتكوينهم الثقافي الذي ترعرع ونمى في أحضان المؤسسة التعليمية الفرنسية فقد أصبحت لغتهم وعاداتهم وقيمهم وتقاليدهم كلها فرنسية، ومحاولة منهم لتحقيق الاندماج الكلي في المجتمع الفرنسي فقد تزوج أغلبهم بفرنسيات أو متفرنسات، ومن أهم أقطاب ذلك الاتجاه الدكتور بن جلول وفرحات عباس²، المحامي بومنجل وكذلك رابح زناقي³ وابنه المحامي أكلي⁴ وابن التهامي وبوضربة الحفيد ومرسلي.⁵

2- أثر الزواج بالأجنبيات على الأسرة الجزائرية:

أباح الإسلام تزوج المسلمين من الكتائيات فقد قال تعالى ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾⁶ وقد كان دافعه الأول خلق النظرة الشمولية الإنسانية ونشر الإسلام، لكن فيما يتعلق بهذا النوع من الزواج في الجزائر في الفترة الاستعمارية نجده قد دخلت عليه عوامل أخرى اقتصادية وسياسية ووطنية مرتبطة بالقوميات والوطنيات⁷، فعلى الرغم من أن قضية الزواج بين الأوربيات وبالخصوص الفرنسيات لم تلق تأييداً كبيراً من بعض

¹ - الحاج مصالي، المرجع السابق، ص 114-115.

² - عمر بن قينة، المرجع السابق، ص 34-35.

³ رابح زناقي (1877-1952): ولد في عين الحمام وتلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، ثم انتقل إلى العاصمة أين التحق مدرسة المعلمين ببوزريعة، كان من المؤمنين بمبدأ الاندماج والمأخوذون بالتأثير الفرنسي لدرجة أنه لم يعد يرى الجزائر في غير الإطار الفرنسي، أنشأ أسبوعية في قسنطينة بعنوان صوت الأهالي وقد جمع بين السياسة والصحافة. ينظر فتيحة صافر، "مواقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الاندماجية" عصور الجديدة، ع 16-17، أبريل 2015-2014، ص 348.

⁴ - مسعودة بجاوي مرابط، المرجع السابق، مج 2، ص 368.

⁵ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص 377.

⁶ - القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 5.

⁷ - زهور ونيسي، "الزواج بالأجنبيات والأجانب وخطره على الأسرة"، مجلة الأصالة، مج 18، ع 53، تلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، جانفي 1978، ص 94.

الأوساط الاستعمارية في الجزائر، إلا أن هذا لم يمنع بعض الأطراف من تأييده لتحقيق أهداف كولونيالية يأتي على رأسها التمكن من التغلغل في المجتمع الجزائري وفرنجته وتحقيق مسألتي الاندماج والتجنيس.¹

كما نجد أن المرأة الأجنبية تتحكم في توجيه أفراد الأسرة بطريقة غير مباشرة وفي هذا تقول زهور ونيسي²: "بأن المجتمع قديكون قد أطمع بجرثومة حية تنخر فيه وتعمل لكن سلباً ولا إيجاباً كل ذلك تحت ستار الثقافة والفكر، والثقافة والفكر أكثر العناصر براءة من هذه الجريمة المرتكبة في حق الدين أولاً والمجتمع ثانياً والإنسانية ثالثاً، كما اعتبرت أن هذا الزواج مجرد عامل هدم للأسرة الجزائرية ومحكوم عليه بالفشل وذلك للاختلاف الواضح بين الأجنبية والجزائري والذي سيقف حائلاً دون انصهارهما في بوتقة واحدة حتى ولو كانت تلك البوتقة تقوم على أساس العاطفة، فالعربي المسلم من نسيج عملت ظروف عديدة اقتصادية وثقافية واجتماعية على إعطائه مميزاته وخواصه والمرأة الأجنبية هي الأخرى لها عوامل ساهمت إعطائها ميزات وخواص تختلف تماماً عن الجزائري المسلم ولقاؤهما ضمن إطار تبادل الثقافة والفكر والفن قد يكون ممكناً، لكن لقاؤهما ضمن بيئة مشتركة أو أسرة واحدة وذلك من أجل تكوين أسرة في صورة سوية موحدة الشخصية والفكر والنظرة فهذا غير ممكن، وذلك لأن لكل منهما طبيعته وثقافته وتقاليده ثم تصوره للأشياء والقيم والمستقبل³ وحتى لو تمكنت تلك الأسرة من تجاوز كل تلك العوائق والفروقات فإن الأوربية سوف تلقى رفضاً من أفراد مجتمعها الذين أغلبهم كان ينظر إلى هذا الزواج بعين غير راضية بل كانوا يعتبرونه مساساً بنفوذهم وكرامتهم وذلك على اعتبار أنهم كانوا يرون أنفسهم من جنس متعال، بل كانوا يصفون الفرنسية ذات الزوج الجزائري بالعاهرة وغيرها من النعوت والصفات المستهجنة.⁴

كما أن أخطر ما يترتب عن هذا النوع من الزواج هو عدم إمكانية تربية الأولاد المولودين من هذا الزواج وتنشئتهم تنشئة إسلامية تحافظ على مقومات هويتهم الوطنية والدينية، هذا إذا ما سلطنا الضوء على المحيط التي وجدت فيه هذه الزوجة الأجنبية والذي أمنت فيه مداركها ونظرتها للأشياء، فإنها لا يمكن أن تعطي لأطفالها مبادئ نابعة من

¹ - سعيد بوزنان، المرجع السابق، ص 54.

² - زهور ونيسي: من مواليد 1936 بقسنطينة، درست في مدرسة جمعية التربية والتعليم للبنات، ناضلت في صفوف جبهة التحرير الوطني وشاركت في الحرب التحريرية الكبرى، تابعت الدراسة وتحصلت على شهادة الليسانس في الأدب العربي، بعد ذلك انخرطت في عدة اتحادات وطنية ثم انتخبت في المجلس الشعبي الوطني، وعينت بعد ذلك وزيرة الحماية الاجتماعية ثم وزيرة التربية الوطنية، لها عدة مؤلفات قصصية منها "الرصيف النائم"، "على الشاطئ الآخر". يوسف وغليسي، خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري، ط 1، الجزائر، جسور للنشر والتوزيع، 2013، ص 73.

³ - زهور ونيسي، المرجع السابق، ص 130.

⁴ - الحاج مصالي، المرجع السابق، ص 114-115.

المجتمع الجزائري لأنها لا تملك تلك القيم، وبذلك يصبح أبنائها معرضين للانحلال ونسيان دينهم ولغتهم وجميع مقوماتهم بل قد يصبحون فرنسيين، خاصة إذا ما علمنا بأن القانون الفرنسي كان يقضي بأن الأبناء من أب جزائري وأم فرنسية يتبعون جنسية أمهم فيكونون بذلك فرنسيين ولا يستطيع الأب معارضة ذلك.¹

وينجر على هذا النوع من الزواج مشاكل بين الوالدين في قضايا كثيرة كتسمية أبنائهم وتنشئتهم تنشئة إسلامية أو تنشئة غربية، فكل طرف يعمل ويسعى لإلحاقهم بملته ودينه وقصة الشريف أحمد سعدان وزوجته الأوربية خير مثال على ذلك، فبعد أن سافر أحمد سعدان إلى فرنسا لدراسة الطب قامت بإيوائه عائلة أوربية هناك وزوجته إحدى بناتها وبعد تخرجه عاد إلى الجزائر رفقة زوجته واستقر بمدينة بسكرة وفتح عيادة طبية وأنجب ابناً²، وقد كان هذا الوالد الجزائري يدعوا ابنه محمد الصالح، أما أمه الفرنسية فقد كانت تدعوه مورييس، وكانت تبدو على الطفل سمات الذكاء والعبقرية فيقول المسلمون لا يكون هذا إلا مثل أبيه وطنياً جزائرياً ويقول الفرنسيون إنه ابن فلانة وبحكم القانون الفرنسي لا يكون إلا فرنسياً ونتيجة لذلك اختلفت آراء الفريقين في مستقبل ذلك الولد فصور محمد الأمين العمودي³

ذلك الجو قائلاً : حي الطبيب ولا تنس قرينته هو سليمان والمدام بلقيس

له غلام أطل الله مدته تنازع العرب فيه والفرنسيين

لا تعذلوه إذا ماخان أمته فنصفه صالح والنصف نموريس⁴

وقد تعلق الابن بأبيه في البداية كثيراً فضغط الأوربيون على أمه وعاتبوها على عدم جذبه للجانب الأوربي فعملت برأيهم وضغطت على ابنها حتى نجحت في فصله عن أبيه، وقد كانت البداية في التسمية كما ذكرنا آنفاً ليصل في الأمر بهذا الابن إلى عقوق والده ومن دلائل ذلك أنه عندما توفي أباه لم يحضر جنازته وهو الشيء الذي نوه له الشيخ محمد الصالح رمضان باعتباره ابن تلك الجهة وهو يعرف الأب وابنه، حيث ذكر بأنه خلال وجوده بمدينة تلمسان

¹ - سعيد بوزنان ، المرجع السابق، ص54.

² - يحيى بوعزيز ، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، 2001، ص6.

³ - محمد الأمين العمودي (1892-1957): ولد بمدينة الوادي من أسرة عريقة، حفظ القرآن في الكتاب كما تعلم مبادئ اللغة الفرنسية في المدرسة الابتدائية، واصل دراسته الثانوية في المدرسة الفرنسية الإسلامية، بدأ نشاطه الإسلامي في مدينة بسكرة رفقة جماعة من الشباب، لمع اسمه في الصحافة الجزائرية بفضل المقالات التي كان ينشرها، وعندما أسست جمعية العلماء انتقل إلى العاصمة وأصبح بمثابة الأمين العام للجمعية وكاتبها العام، أسس سنة 1934 صحيفة الدفاع، كما أسس صحيفة الجحيم، شارك رفقة عبد الحميد بن باديس في المؤتمر الإسلامي، كان أديباً ذا أسلوب متميز، كما كان رجل قانون ضليع، اصطادته يد المنظمة السرية الإرهابية قرب منزله ببولوغين. ينظر بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص426-427.

⁴ - محمد الأخضر عبد القادر السائحي ، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1988، ص ص44-63.

كمدبر لمدرسة دار الحديث أوائل عقد الخمسينات حضر هذا الابن إلى مدينة تلمسان وقد أخذ بعض أصدقائه يقدمونه لأصدقاء أبيه، وقاموا أيضاً بإحضاره إلى مدرسة دار الحديث لكن الشيخ محمد الصالح رمضان لم يحتف به، كما أنه لم يلتفت إليه فاستغرب مرافق ابن الطبيب سعدان من ذلك فاستفسر عن سبب ذلك فقال له الشيخ محمد الصالح رمضان: "إن هذا الابن عاق ولم يكن من طينة أبيه ورفض حتى حضور جنازته عندما توفي، فكيف تريد مني أن أحتفي به"، ففهم ابن الدكتور سعدان ذلك وغادر المدرسة دون أن يقول شيئاً.¹

كما أن ذلك الجيل الناتج عن هذا الزواج جيل ممزق الشخصية وسيعيش طول حياته في صراع نفسي وثقافي كبير وفي هذا تقول زهور ونيسي " إن هؤلاء الأطفال سيصبحون سرطانات تتأكل إن لم تأكل في داخل المجتمع وهم على استعداد بحكم العوامل التي تشكلوا بها والحالة التي اغتفروا منها في البداية على استعداد لتقديم أنفسهم وتقديم مجتمعهم أيضاً على صينية من الفضة لكل طالب".²

وقد كان اسماعيل بوضربة من هؤلاء الشباب فهو ابن امرأة فرنسية تزوجها والده أحمد بوضربة في مرسيليا وقد ولد اسماعيل في مرسيليا سنة 1823 وقد سعى والده أواخر الثلاثينيات لضمه لإحدى المدارس الفرنسية في باريس - لويس لوقران- ويبدو انه نجح في ذلك وبعد دراسته عين مترجماً مؤقتاً سنة 1853 ورئيسياً سنة 1872، ويبدو أنه تنكر لهويته كما أنه خان قضيبته حيث عمل لصالح السلطات الفرنسية في بعض المناطق كمدينة الأغواط، كما كلف بعدة مهمات في غدامس وغات ومراكش ومناطق أخرى في الصحراء وخاض مع الفرنسيين العديد من المعارك في الصحراء جرح في إحداها كما انه رافق الضابط بولينياك (Boleniayk) إلى غدامس ونزل ورقلة وأصبح عضواً في الجمعية التاريخية بالجزائر كان يشرف عليها ببروجر³، وعضواً في الجمعية الجغرافية بباريس وعندما توفي بالعاصمة بتاريخ 16 نوفمبر 1875 كتب على قبره بأنه يمثل حلقة وصل في مزج الأعراق.⁴

بالإضافة أن الزوج المتزوج من أوربية هو الآخر سيعيش هو الآخر بعد زواجه من أجنبية في حالة من الغربة والشعور بعدم الانتماء لمجتمعه وبعيداً كل البعد عن تطلعاته، بل إن بعضهم ما تزال به زوجته حتى تخرجه من ملته،

¹ - بوعزيز يحيى، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، المرجع السابق، ص6.

² - زهور ونيسي، المرجع السابق، ص95.

³ - أدريان ببروجر **Adrian Berbrugere (1801-1869)**: عالم آثار وتاريخ وحفريات، دخل الجزائر سنة 1834، اهتم بجمع المخطوطات الجزائرية، جمع حوالي ثمان مئة مخطوطة، عين محافظاً للمكتبة العامة الجزائرية التي أنشأها سنة 1835، عين في نفس السنة مديراً عاماً لجريدة الممرن الجزائري. ينظر محمد خالدي، "المستشرقين وأثرهم الفكري والفني في الجزائر، مجلة الأثر، ع13، مارس 2012، ص280.

⁴ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص228-229.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف قبلت العديد من المبشرات الزواج من جزائريين وذلك لردهم عن دينهم وفي هذا نجد مبشرة بروتستانتية قبلت الزواج من جزائري في منطقة القبائل، كما نجد أن المبشرات كن يعملن على تهيئة جميع الظروف المواتية للأفراد المنبوذون من طرف المجتمع الجزائري وخاصة في منطقة القبائل وذلك خوفاً من عودتهم إلى ذويهم وتنصلهم من المسيحية التي كان بعضهم قد اعتنقها لذلك تحيطهم المبشرات بخالص الاهتمام الذي يبلغ ذروته بالقبول بالزواج بهم وذلك محاولة منهم تكوين أسر من المتنصرين الجزائريين.¹

نجد أن بعض الأزواج الجزائريين المتزوجين بفرنسيات يندمجون في المجتمع الفرنسي اندماجاً كلياً حيث تنجسوا بالجنسية الفرنسية و عملوا لصالح الإدارة الفرنسية كالدكتور مرسل الطيب الجزائري المتزوج من فرنسية والمتجنس بالجنسية الفرنسية، والذي قام بجولة إلى الحجاز وسجل ملاحظات لفائدة الإدارة الفرنسية ساعدتهم على التدخل في شؤون ركن من أركان الإسلام وذلك عن طريق عرقلتها دون الرجوع إلى الهيئة الدينية الرسمية بالجزائر، كما أن بعضهم تمكن من الوصول إلى درجات عليا في السلم الإداري الفرنسي والمهن الحرة وذلك نتيجة لاعتناقهم المسيحية وزواجهم من فرنسيات منهم ولد عودية وجوزيف زنتار وأغسطين إيبازين الذي اختار لنفسه اسم أغسطين المسيحي وذلك لأنه في نظره يجعله يرجع إلى دين أجداده.²

أما البعض الآخر من المتزوجين بأوربيات ونتيجة لاختلاف النشأة والأخلاق والعادات والجنسية بينه وبين زوجته غالباً ما انتهى زواجهما بالافتراق، وهو الشيء الذي نوه له أحد الجزائريين الذين وقعوا في شرك هذا الزواج حيث ذكر بأنه ما كاد يشعر بعوامل الشيخوخة تدب في جسمه حتى أحس بمثل ذلك من عوامل الفتور يدب في علاقة ذلك القران المصنوع الذي انتهى بالانفصال والندم.³

ولما كان بعض العمال الجزائريين الذين يترددون على الديار الفرنسية ذوو زوجات وأسر في الجزائر، لكنهم اضطروا إلى الهجرة ومغادرة أهلهم وعشيرتهم بسبب قسوة الحياة الاجتماعية بالجزائر وذلك في سبيل الحصول على دخل مادي معتبر يساعدهم على إعالة أهلهم وذويهم إن أسعفهم الحظ وتيسرت أمامهم سبل العمل والاستزاق، لكن لما كان الرجل في نظر كثير من الناس قلما يستطيع أن يعيش بعيداً عن المرأة فقد لجأ بعضهم عندما طالت أيام إقامته في دار الغربية إلى الزواج الممتزج، فأصبحوا ذوي أسر جديدة في فرنسا وقديمة في موطنهم الأصلي وهنا تبدأ المشكلة : زوجة

¹ - محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1904 دراسة تاريخية تحليلية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 2009، ص ص 91-92.

² - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص ص 408-430.

³ - مولود عويمر، تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص 134.

جديدة أوربية وزوجة جزائرية قديمة فيجد ذلك المغترب نفسه بينهما مقسماً من الوجهة العاطفية ثم لا يلبث أن ينحاز إلى الجديدة فتناجيه القديمة من بعيد وقد تسبب هذا الزواج الثاني الممتزج بالعديد من المآسي العائلية، كما أنه حطم العديد من الآمال، وهدم بيوت وشرذ أطفال¹.

وفي هذا السياق نذكر فرحات عباس الذي تزوج سنة 1933 بجزائرية من بلده جيجل تسمى "فاطمة الزهراء خلاف" وانجبت له ولداً عام 1936 عاش بضعة أشهر فقط ثم توفي وقد عاشت معه هذه الزوجة لمدة ثلاثة عشر سنة، ثم تزوج ثانية من أرملة فرنسية مولودة في الجزائر بالقرب من مدينة البلدية اسمها مارسيل ستوزيل (Marcelle Stoetzel) وقد تزوجها على الطريقة الإسلامية بحضور الشيخ الإبراهيمي وعلى الرغم من أنها كانت من المناضلات ضد السياسة الاستعمارية في الجزائر إلا أنها لم تدخل الإسلام بل بقيت على مسيحياتها إلى أن وافتها المنية بفرنسا، أما بالنسبة لزوجته الأولى فقد طلبت منه الطلاق وذلك لأنها رفضت أن تعيش مع ضرة فرنسية حسب قولها وعادت بعد زواج زوجها بفرنسية من مدينة سطيف إلى بيت والديها بجيجل².

كما يتجلى خطر الزواج من الأجنيبات حينما تكثر الزوجات غير المسلمات في البيئات الإسلامية فتصاب تلك البيئات بالفتور وتضعف فيها الحياة الإسلامية، هذا دون أن نغفل الصدمة النفسية التي تصاب بها الفتاة المسلمة إذا رأت أحد أقاربها أو مواطناً من بني أمتها قد آثر عليها أخرى أجنبية، بل إن هذا قد يعظم عليها كثيراً وقد يصل بها الأمر إلى النقمة التي قد تتحول أحياناً إلى كبت أو ثورة عنيفة، هذا دون أن نغفل دور ذلك الزواج في سلب المجتمع عدد كبير من الرجال فيزيد فيه عدد النساء فيخلق ذلك العديد من المشاكل الاجتماعية من جهة، كما أنه يعمل على تحقيق العديد من الأهداف التي كان يسعى المستعمر لتحقيقها وذلك على المستوى السياسي والديني والاجتماعي³.

وأشد إيلاماً من ذلك أن نفراً من القادة والذين رفعوا شعار الدعوة لطرد المستعمر الغاشم متزوجون بأجنبيات فكيف يستطيع هؤلاء أن يكونوا ذوي بأس وصلابة في كفاحهم وفي بيئتهم بينما أولادهم يرثون من الحماية الفرنسية من أمهم بمقدار ما يرثونه من حمية إسلامية من أبيهم، وكذلك يجب أن نعلم أن هناك أشخاصاً أكثر كانت لهم قيمة

¹ - مولود عويمر، المرجع السابق، ص 134 - 137.

² - عز الدين معزة، فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899-2000، (أطروحة دكتوراه العلوم، تاريخ حديث ومعاصر، إشراف بوصفصاف عبد الكريم)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص 90-91.

³ - خالد مصطفى، عمر فروخ، المرجع السابق، ص 207.

اجتماعية أو سياسية أو قيمة ذاتية على الأقل وضع في طريقهم فتيات فتزوجوهن ثم وجدوا أنفسهم مضطرين إلى الانسلاخ من بيتهم فخرتهم بيتهم وفقدت بفقدتهم عاملاً قوياً في إنحاضها أو إصلاحها.¹

واستنتاجاً لما سبق نخلص إلى أن ظاهرة الزواج المختلط - الزواج بالأجنبيات - كانت من الأوتار التي لعبت عليها السلطات الاستعمارية بالجزائر وذلك لتحقيق العديد من الأهداف كتجنيس الجزائريين وإدماجهم في المجتمع الفرنسي بل وصرفهم عن ملتهم وقضيتهم بالإضافة إلى تفكيك الأسرة الجزائرية المتماسكة ، وقد وجدت سياستهم تلك نجاحاً معبراً وخاصة في أوساط الشباب المغتربين والمتقنين ثقافة فرنسية كما أن آثارها بدت عليه على الجيل الجزائري الناتج عن ذلك النوع من الزواج.

¹ - نفس المرجع، ص 207.

خلاصة الفصل:

من خلال الوقوف على النشاط الاقتصادي والاجتماعي للمرأة الأوربية بالجزائر توصلت إلى ما يلي:

- شاركت المرأة الأوربية في السياسة الاقتصادية الفرنسية بالجزائر فاشتغلت بالزراعة وملكت الأراضي كما مارست التجارة وولجت المجال الصناعي وبالتالي كانت لها مشاركة معتبرة في جميع القطاعات الاقتصادية بصفة مباشرة أو غير مباشرة

- نشطت العديد من النساء الأوربيات خاصة خلال الفترات الأولى من الاستعمار بالمجال الزراعي أكثر من غيره وذلك لأن معظمهن قدامن الجزائر كزوجات لمستوطنين استفادوا من الامتيازات الزراعية التي منحها لهم الإدارة الفرنسية.

- لم يكن الهدف الرئيسي من إنشاء الأوربيات للمشاغل والورشات تعليم المرأة الجزائرية وتأهيلها، بل القيام باستغلال قدراتها ومؤهلاتها وذلك لتحقيق أرباح تعود بالنفع على منشآت تلك الورشات من جهة لما تدره من أرباح عليهن والسوق الفرنسية، ومن جهة أخرى باعتبار أن تلك المنتجات والتي تميزت في أغلب الأحيان بالدقة والجودة كانت تعرض في الأسواق الأوربية على أنها منتجات فرنسية.

- وضعت المرأة الأوربية الأسرة الجزائرية ضمن اهتماماتها وذلك لتبرهن على الدور الكبير الذي يمكن أن تقوم به في ظل السياسة الاستعمارية الهادفة لتغيير البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، فركزت في البداية على المرأة المسلمة وحاولت إخراجها من بيتها ودعتها للثورة على تقاليدها بل وحتى على دينها بحجة دعوتها للتحرر من العبودية التي ظلت فيها لسنين عديدة وأقامت في سبيل ذلك العديد من المؤتمرات وفتحت العديد من الورشات لتشغيل الجزائريات وألفت فيها العديد من المؤلفات ورافعت من أجل بعض قضاياها لدى السلطات الفرنسية في الجزائر، ولكن كل تلك الأعمال التي قامت بها لم تكن حبا في الجزائرية بل رغبة منها في إثبات الدور الذي يمكن أن تساهم به في المشروع الاستعماري بالجزائر والوصول لتحقيق بعض الأهداف التي كانت تسعى خلفها كالحق في الانتخاب عن طريق استغلال حالة الجزائرية التي وصفتها في أغلب الأحيان بالمرزية .

- تمكنت المرأة الأوربية من المشاركة في عضوية الأسرة الجزائرية بصفتها زوجة وذلك نتيجة لاقتران العديد من الفتيان الجزائريين بالفتيات الأجنبية محاولة بذلك اختراق العائلة الجزائرية وفرنستها وإخراجها من الدور المنوط بها، وهو إعداد جيل جزائري يحمل هم قضيتيه إلى إعداد جيل يدعو إلى الارتباط بفرنسا ويرغب بدمج العائلة الجزائرية بالعائلة الفرنسية، كما تمكنت بدخولها الأسرة الجزائرية من إلغاء دور المرأة الجزائرية التي لطالما ناضلت لحماية أسرتها من جميع الشوائب.

الفصل الرابع:

النشاط الديني والإعلامي للمرأة الأوربية بالجزائر

- أولاً: الإرساليات التنصيرية النسوية بالجزائر
- ثانياً: النشاط الصحفي للمرأة الأوربية بالجزائر

أولاً: الإرساليات التنصيرية النسوية الأوربية بالجزائر

توافد على الجزائر العديد من الجمعيات التبشيرية منها النسائية والرجالية وقد لعبت الإرساليات التنصيرية النسوية دوراً لا يستهان به في إطار السياسة الاستعمارية الهادفة للقضاء على جميع مقومات المجتمع الجزائري متبعة العديد من الأساليب والوسائل التي لظالما عبرت في ظاهرها على الروح الخيرة التي تحمل مبدأ التعاون وتبذ جميع الفوارق الاجتماعية والدينية والثقافية، لكنها تعمل من جانب آخر على تغيير ملامح الشخصية الجزائرية بأسلوب غير مباشر.

1- البوادر الأولى للنشاط التنصيري النسوي بالجزائر

برزت أولى النشاطات التنصيرية النسوية قبل تبلور التنظيم الديني المسيحي في الجزائر ذلك المسعى الذي حملت لوائه إميلي دوفيلار (Emily Dovillar) أخت أول معمر في الجزائر البارون أغسطين دوفيلار (Agustin Dovillar) والذي كان بدوره صاحب فكرة ذلك المشروع التبشيري أما هي فقد قامت بتنفيذه على أرض الواقع، ولما لم يكن يخفى عن باله أن الأعمال الخيرية أفضل طريقة لخلق العلاقات الحسنة مع سكان الجزائر فقد عمل أثناء سفره إلى الجزائر بتاريخ 12 جانفي 1832 واستقراره بها على شراء بعض الأراضي في القبة وبراقبي وابن عكنون وبوفاريك، هذه الأخيرة التي أدرك أهميتها كونها مفتقراً للطرق وسوقاً كبيرة تشهد توافد العديد من سكان الأطلس كل أسبوع الأمر الذي يمكنه من إقامة علاقة تجارية معهم ونشر أعماله الخيرية لاسيما أن تلك السوق كانت تقع في منطقة يكثر فيها مرض الملاريا ولهذا قرر إنشاء مركز طبي بها في شهر مارس 1832 على حسابه الخاص وقد حصل مشروعه هذا على تأييد من قبل الحاكم العام الكونت درلون¹ (D'eron).²

واحتاج أوغسطين لتحقيق أفكاره تلك إلى العديد من الإعانات المادية والمعنوية من فرنسا، لذا سافر إلى باريس ووجه نداءً للأوروبيين مستعظفاً إياهم باسم الحضارة المسيحية ومما جاء في ذلك النداء: ".....لنا الشرف أن تعمل بلادنا على تخفيف الآلام حتى في الأرض الإفريقية، ومما لاشك فيه أن العرب والقبائل سيتأثرون عندما يعرفون أن

¹ - دارلون جان بابتيست دوري Jean Baptiste Drout D'eron (1765-1844): من المتطوعين في الجيش الفرنسي (1792-1796) رقي إلى رتبة جنرال عام 1803، خاض معركة أوسترليتز سنة 1805 كما خاض معركة واترلو في 18/06/1815، حكم عليه بالإعدام سنة 1816 ففر إلى بروسيا، عاد إلى فرنسا سنة 1825 بعد أن أصدر شارل العاشر العفو في حقته، عين حاكماً عاماً على الجزائر في 18/11/1834، أنشأ المكاتب العربية وأدخل نظام البلديات إلى الجزائر، إنخرم قائده تريزال أما جيش الأمير عبد القادر يوم 28/06/1835 في معركة المقطع. ينظر عدة بن داهة، المرجع السابق، ج2، ص ص491-492.

² - خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، (د م)، منشورات دحلب، 2007، ص 45.

الفرنسيين والمسيحيين يبعثون إليهم النجدات، إن مثل هذه المؤسسة (أي المركز الطبي الذي كان ينوي إنشائه) يجب أن يلقي في فرنسا كل التشجيع لأن عمل الخير يتغلب على الآلام وهذا نصر في الأراضي الإفريقية".¹

ولقي ذلك المشروع تأييداً كبيراً من طرف العديد من الأوساط الاستعمارية بما فيها الحاكمة، لكن المعضلة التي واجهت أوغسطين هو من سيقوم بمعالجة المرضى في ذلك المستشفى المزمع إنشائه، فوجد حلاً وحيداً لذلك وهو جلب عدد من الراهبات للقيام بتلك المهمة وفي مقدمتهم إميلي دوفيلار لتحقيق تلك المهمة مستغلاً طموحاتها الدينية وذلك بعد أن قام بعرض فكرته على المجلس البلدي لمدينة الجزائر والذي يعتبر عضواً داخله - الذي أعطى بدوره تأييداً كبيراً لذلك المشروع.²

حلت إميلي بالجزائر يوم 10 أوت 1835 مع مجموعة من الراهبات المنخرطات في جمعية أخوات القديس يوسف وقد ساعدتها الظروف في تلك الفترة، حيث حدث وأن انتشر مرض الكوليرا بين سكان الجزائر أثناء قدومها ما اضطرها إلى البقاء في المستشفى المدني لمدينة الجزائر فكانت فرصة مواتية لها لإبراز قواها الروحية والمادية فقامت بصرف حوالي 20 ألف فرنك لشراء السكر والليمون للتخفيف عن المرضى وقد أشادت بأعمالها تلك في رسالة أرسلتها لعمتها قائلة فيها: " إن أعمالي يلحظها الجميع بعين الاعتبار وان لي علاقة طيبة مع القوى الحاكمة بالجزائر".³

وساهمت الظروف السيئة التي عرفتتها مدينة الجزائر بالإضافة إلى سكوت السلطة العسكرية عن العمل التنصيري الذي كانت تقوم به إميلي دوفيلار في زيادة نشاط هذه الأخيرة التي سافرت في نوفمبر 1835 إلى مسقط رأسها بفرنسا أولاً أين باعت ما تبقى لها من ممتلكاتها وذلك للتمكن من استكمال رسالتها التنصيرية في الجزائر، ثم انتقلت بعدها إلى باريس أين اتصلت بالملكة إميلي (Emily) زوجة لويس فليب (Louis Philippe) وزير الحربية لتعود بعدها إلى الجزائر رفقة 18 راهبة وذلك بعد أن لاقت تأييداً من طرف الملكة.⁴

وبعد عودتها أشرفت على جمعية أخوات القديس يوسف التي برز نشاطها في كل من العاصمة وعنابة واشتغلت بتربية اليتيمات الأوربيات⁵، إلا أن اهتمام الأخوات الحقيقي كان مركزاً على الجزائريين أكثر من غيرهم، وقد كانت

¹ - خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 45.

² - نفس المرجع، ص 45.

³ - نفس المرجع، ص 46.

⁴ - نفس المرجع، ص 46.

⁵ - محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 35.

عملية التبشير في أوساطهم تأخذ طابع السرية والعمل غير المكشوف وذلك تفادياً لإثارة هيجان العواطف الدينية للسكان، وهو ما أوصت به إميلي دوفيلار راهباتها محذرة إياهم من التحدث عن الدين الكاثوليكي مع المرضى المسلمين بل طلبت منهم أن يعملوا على التأثير على الجزائريين عن طريق التفاني في العمل والتضحية ما يجعل الجزائريين يتقربون منهم وبالتالي التقرب من المسيحية وقد أكدت على ذلك بقولها: "إننا نعمل أولاً على تحبيب ديننا للسكان واحترامه" ولتحقيق ذلك فتحت إميلي في أكتوبر 1836 مدرسة للبنات الأهالي بلغ عددهن 160 تلميذة عام 1837 ذلك العدد الذي أدهش المفتش التربوي السيد ليسشو (Lepchou) والذي طلب منها بعد ذلك فتح مدرسة أخرى، لتقوم بعد ذلك بفتح مركز كبير وذلك لتدعيم فرقها الدينية ومستوصفاً لمعالجة المرضى وملجأً للأطفال الأيتام وكثيراً ما كانت تلجأ لأخيها أوغسطين وذلك لحل مشاكلها المادية والتموينية.¹

كما أنها كانت تستعين ببعض الآباء على غرار الأب بوغارد (Bogarde) الذي سجل وصوله الجزائر عام 1838 دعماً قوياً لفرقة القديس يوسف ومصيرها في الجزائر وذلك باعتباره من ألمع المبشرين في الجزائر وتونس ونتيجة لذلك جعلته إميلي دوفيلار مرشداً دينياً لفرقتها الدينية، كما حظي بثقتها نتيجة حماسه التبشيري الكبير وقامت نزولاً عند اقتراحه بفتح مركز خيرى آخر في بوفاريك، كما تمكن من أن ينال عطف المارشال فالى (Valé) الذي سلم له مسجداً صغيراً كان تابعاً لمستشفى الداى ليقيم فيه.²

وبالتالي يمكن القول بأن إميلي دوفيلار قامت بدور مهم بالنسبة للحركة التنصيرية بالجزائر حيث كان لها الفضل في فتح المدارس لتعليم البنات وبناء الملاجئ للأيتام والمشردين وبناء المستوصفات لعلاج المرضى الفقراء وتمكنت عن طريق تلك الوسائل من مباشرة أعمالها التنصيرية في الجزائر، كما كان لوجود فرنسو بورغاد الذي جعلته إميلي مرشداً لفرقتها منذ سنة 1838 أثر كبير على التنصير في الجزائر والذي اتخذ من الإحسان وظروف الجزائريين القاسية وحاجتهم إلى الطعام والدواء كوسائل مهمة لتحقيق أهدافه التنصيرية بالجزائر.³

¹ - خديجة بقطاش، المرجع السابق ص 48.

² - نفس المرجع، ص 49 .

³ - أمحيدة عميراي وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، الجزائر، دار الهدى، 2009، ص 106-107.

2-الإرساليات التنصيرية النسوية ونشاطهن بالجزائر

أ-الإرساليات التنصيرية النسوية في عهد الأسقف دوبوش (Dupuch) (1838م-1846)

عمل الاسقف دوبوش¹ منذ توليه على الربط بين دور الكنيسة ودور الاستعمار ولضمان نجاح مهمته التنصيرية بالجزائر قام بالاستعانة بالعديد من الإرساليات النسوية بل سمح للبعض منها والتي قدمت في عهد سابقه بمواصلة نشاطها في الجزائر كفرقة أخوات القديس يوسف التي استمرت في نشاطاتها التبشيرية بالجزائر في عهده.²

وبعد احتلال قسنطينة قام الأسقف دوبوش بتحويل أجمل مساجدها إلى كنيسة وقام بإرسال الأب سوشي(Sushi) إلى قسنطينة سنة 1839 ليكون مسؤولاً عن كنيستها الجديدة، ولم ينزل هذا الراهب بنفسه في هذه المدينة بل جلب معه عدد من أخوات القديس يوسف اللاتي كن يعملن تحت إشرافه وكانت مهمتهن الظاهرة تعليم ومداواة العرب وقد أصبحن معروفات لدى النساء العربيات لأنهن يتكلمن العربية مثلهن، كما أصبحت لهن شهرة كبيرة كذلك في الصحراء³، لكن في نهاية المطاف اضطرت تلك الفرقة إلى مغادرة الجزائر نحو تونس بعد مضايقات من طرف الأسقف دوبوش وكان ذلك سنة 1841.⁴

وبمغادرة أخوات القديس يوسف إلى تونس قدم الجزائر عدد لا يستهان به من الإرساليات النسوية وذلك نظراً للروح الصليبية الكبيرة التي كان يتصف بها المطران ديوش ونواياه التنصيرية بالجزائر، حيث كان يرى بأن مشروع التنصير في هذا البلد لن يتحقق إلا بوجود أعداد كبيرة من الرجال والنساء المنصرين.⁵

وتعتبر إرسالية الراهبات الثالوثيات (Les Religieuses Trinitaires) إحدى الإرساليات التي وفدت الجزائر بتاريخ 26 نوفمبر 1840 وقد استقر أعضاؤها بوهران رفقة الأب " كروزات (Creuzat) الذي عمل

¹ -الأسقف دوبوش Dupuch : هو رجل دين من طبقة فقيرة بمدينة بوردو متحصل على ليسانس في الحقوق، تلقى رعاية في المدرسة الإكليريكية في بوردو، استقبله البابا بروما في 8 ديسمبر 1838 وعين رسمياً أسقفاً بالجزائر بتاريخ 25 أوت 1838. ينظر حميد قريتلي، "أضواء على التنصير والمنصرين في الجزائر 1830-1892"، مجلة الدراسات التاريخية، ع15-16، فسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2012-2013، ص336.

² - سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص235.

³ - نفس المرجع، ص235.

⁴ - خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص ص48-49 .

⁵ - نفس المرجع، ص318.

⁶ -الأب كروزات Creuzat: يعتبر من المبشرين الأوائل الذين استقروا بالجزائر وقد كان ينتقل بين المناطق المحتلة وذلك لإيصال رسالته التنصيرية غادر الجزائر بعد صدور قرار منع التنصير، توفي سنة 1848. ينظر حميد قريتلي، المرجع السابق، ص338.

كمرشد لهن، وقد قامت تلك المجموعة سنة 1841 بفتح ثلاث مدارس للتعليم المجاني الموجه إلى 150 طفل، كما عملت سنة 1849 على تسيير المدارس البلدية بمستغانم، وبعد صدور مرسوم 22 مارس 1852 الذي سمح للجمعيات التنصيرية بتقديم التعليم بالمدارس البلدية قامت تلك الجمعية بإدارة المدارس البلدية في المدن والقرى ومن المدن التي مارست بها التعليم تيارت، سعيدة ومغنية كما أن نشاطهن امتد إلى حدود المغرب الأقصى.¹

وقامت تلك الجمعية بفتح مدارس حرة في القرى التابعة لمدينة وهران وكانت تقوم بتقديم التعليم لحوالي 2000 تلميذ والذين كانوا يتلقون تعليمهم على يد 300 راهبة ثالوثية، كما قامت تلك الجمعية في سنة 1849 بفتح مستشفى للنساء والأطفال وملحقات تابعة له على مستوى وهران، كما برزت لها مساهمات عديدة إذ قدمت خدمات مختلفة في بعض المستشفيات العسكرية وذلك بعد استدعائها من طرف الجنرال بليسي (Pélissier) كما أشرف أعضاؤها سنة 1861 على المستشفى العسكري لوهران والمستشفى العسكري لسيدي بلعباس وعملوا على تقديم بعض الخدمات الصحية في المستشفيات المدنية كمستشفى غليزان وعين تموشنت ومستشفى سان دونيس بسيق (معسكر)، كما قاموا بإنشاء مركز لليتامى سنة 1844.²

وقدم الجزائريون بعد الراهبات الثالوثيات أخوات العقيدة المسيحية "Les Sœurs de la Doctrine Chrétienne" بتاريخ 21 ماي 1841 وذلك بدعوة من المطران دوبوش وقد برز نشاطهن في الميدان التعليمي الذي مارسنه في البداية ببعض مدن شرق البلاد كقسنطينة وعنابة وسكيكدة ليشمل بعد ذلك نشاطهن وسط البلاد وغربها، وقد بلغ عدد مؤسساتهن عبر كامل التراب الجزائري 18 مؤسسة بين مدرسة وملجأ لليتامى³ وقد ترأس تلك الجمعية الأخت "لويز Luise" ومن أعضاء تلك الجمعية الأخت كولان (Colan)، بن جامان تسييران (Benjamin Tisserand)، روني فارغ (Ronnie Vargue)، إدموند ثيوكور (Edmund Taylor)، تيراز (Terase) وقد عرف نشاطهن توسعاً كبيراً حيث لم يبق محصوراً على التعليم فقط بل مارسن أيضاً التطبيب في العديد من المستشفيات الجزائرية.⁴

فظراً لتحمس بعض الفرنسيين لمسألة الدين المسيحي وتثبيته لدى أبنائهم فقد استقر بالجزائر بعض الراهبات أطلق عليهن اسم راهبات القلب المقدس "Les Religieuses du Sacre Coeur" واللاتي حملن على كاهلهن

¹ - حميد قريشلي، المرجع السابق، ص 318 .

² - نفس المرجع، ص ص 319 - 320 .

³ - محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص ص 35 - 36 .

⁴ - حميد قريشلي، المرجع السابق، ص 319 .

تأسيس مدرسة خاصة لبنات ضباط الاحتلال، إلا أن نشاطهن التبشيري لم يشمل الفرنسيات بالجزائر فقط بل عملن أيضاً على فتح مدرسة مجانية موجهة لتعليم البنات الفقيرات وبنات الضواحي سنة 1842، وقد كانت تلك المدرسة تضم حوالي 90 طفل ويتم تسييرها من طرف الراهبات بنظام داخلي¹، وقد برزت إلى جانب تلك المجموعة مجموعة جديدة من الراهبات بالجزائر العاصمة أطلق عليهن اسم راهبات الباستور الطيب "Les Religieuses du Bon Pasteur" واللاقي قمن بتأسيس ملجأ الباستور الطيب في الجزائر سنة 1843.²

ولما كان التطبيب إحدى الوسائل التي اعتمد عليها المبشرون نجدهم قد أوكلوا تلك المهمة في أغلب الأحيان إلى الراهبات المرضيات وذلك لأن المرضية في نظرهم لا تعمل على تخفيف الألم فحسب بل تحمل إليهم رسالة المسيح، وعلى هذا الأساس قام الأسقف دوبوش بإسناد هذا النشاط في المستشفيات المدنية بمدينة الجزائر إلى إحدى فرق العازاريين³ وهي فرقة أخوات القديس فانسان دوبول "Les Sœurs de Stvincent de Paul" (بنات الإحسان) خاصة بعد أن لمس النجاح الذي قامت بإحرازه الراهبة إميلي دوفيلار في ميدان التطبيب وقد بلغ عددهن بالمستشفيات 30 راهبة أبدین استعدادا كبيرا وتفانياً في العمل والسلوك الحسن وذلك كخطوة أولية منهن لبداية خطتهن التنصيرية في الجزائر⁴، فقد كن يبادرن بتقديم العديد من الخدمات على مستوى المستشفيات المدنية، وكن أيضاً وراء بناء دار الرحمة والعديد من الملاجئ وبعض الورشات المتخصصة في الصناعة، وقد تمكنت تلك الجمعية في إطار نشاطها التبشيري من استقطاب حوالي 570 طفلاً⁵ مستخدمة العديد من الأساليب وذلك لتحقيق أهدافها التنصيرية من أهمها:

- أ- إقامة الصلوات أمام المرضى وتكليفهم بالمشاركة في ذلك.
- ب- توزيع الصلبان على بعض العجزة من المرضى وتعليق بعضها في حجراتهم.
- ج- إيجاد الفرص الملائمة للتحدث مع المرضى في الشؤون الدينية على شكل توجيه أخلاقي.

¹ - حميد قريتلي، المرجع السابق، ص 320.

² - محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 36.

³ - العازاريين: هي فرقة دينية أسسها القديس فانسان دي بول سنة 1625 لتخدم التنصير وقد تم تكليفها من طرف الوزير كولبير لتمثيل فرنسا في الجزائر. ينظر: خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 72.

⁴ - نفس المرجع، ص 56.

⁵ - بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930 وانعكاساتها على المغرب العربي، الجزائر، دار الحكمة 2010، ص 194.

د-إرغام بعض المرضى وهم في حالة الاحتضار على قبول التعميد.¹

أما بخصوص مقاطعة قسنطينة فقد أسندت مهمة الاستشفاء إلى الأخوات المسيحيات المنحدرات من منطقة نانسي وذلك سنة 1841، وأسندت في مدينة وهران لأصحاب مذهب الثالوث، وكان من أشهر الأخوات اللاتي تم استدعائهن من طرف الأسقف دوبوش وذلك للعمل في المستشفيات وممارسة التعليم هن الأخت كونستونس (Constance)، الأخت أغلاي (Aglay)، الأخت هيلار (Hillar)، الأخت هيوليت (Hewlett) التي قدمت الجزائر بعد الأخت كاليكست (Calixt) -تلميذة إيميلي دوفيلار وقد بقيت في قسنطينة بعد طرد مجموعتها الكنسية من طرف دوبوش- وقد كلفهن بتدريس الأوربيين بالإضافة إلى القيام بمعالجة الأهالي، وعلى غرار غيرهن لم تكن لديهن أدنى معرفة عن البلد الذي وصلن له إلا أنهن أبدین قدرة كبيرة على التأقلم فيه، ولتحقيق ذلك قام القسيس في البداية بتعليمهن اللغة العربية في عناية ليقمن بعد ذلك بمباشرة أعمالهن التنصيرية في الجزائر وقد كن يدركن وثيقة تامة أنه بمقدورهن التأثير على الجزائريين عن طريق التطبيب والإحسان وهو ما عبرت عنه الأخت أغلاي بقولها: "ما دمنا صالحات للجانب الروحي في عناية فإنني سأحاول جاهدة استغلال ذلك لكي أكون مفيدة أكثر للعديد من الأميين الفقراء الذين يثيرون الشفقة وهم في الوقت نفسه يضربون المثل في التقوى بالتشبث الشديد لمعتقداتهم، إن الوصف الذي يقدمونه للمجموعات الأوربية يعد في بعض الأحيان يحمل شيئاً من العذوبة: لو كان بإمكان الفرنسيين فقط أن يكونوا القدوة".²

وأسند لتلك الحكيمات الوافدات من منطقة اللورين مهمة التكفل بالمرضى في عناية وقسنطينة وقد كانت الأخت كاليكست الرائدة في هذا المجال في تلك المدينتين بل وحتى في العديد من مناطق في الجزائر، كما أنها لم تكتف بتقديم المساعدة في الكشف الطبي فحسب بل تعدت ذلك إلى تخطي عتبات المنازل العربية ودخولها وقد ساعدتها اللغة العربية التي تمكنت من تعلمها من أن تظهر في هيئة الشخصيات الرسمية، وكانت تقوم بإرشاد الدكتور لاري (Larry) لنبلأء وأعيان المدينة، أما في المستشفى فقد كانت تقوم بدور المترجمة للدكتور دولو (Dolo)، وعلى الرغم من الشكوك التي كانت تحوم حول معرفتها أو تخصصها بالطب خاصة وأنها كانت لا تعرف القراءة ولا الكتابة وأن أحد الجنود والمسمى بايول (Bayeul) هو من كان يقوم بتحرير رسائلها، إلا أنها تمكنت من أداء مهمتها بنجاح.

وبعد مغادرتها الجزائر حلت محلها الأخت كونستونس والتي قدمت إلى قسنطينة عام 1842 وعمرها قد تجاوز ستين سنة وبما أن تعلمها للغة العربية كان بطيئاً فقد استعانت بأحد المترجمين وقد تفانت في عملها في سبيل تحقيق

¹ - خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص56.

² - إيفون تورين، المرجع السابق، ص101.

رسالتها التنصيرية وفي هذا قالت: "لدي ما بين 30 إلى 40 من ذوي العاهات ممن تستوجب حالاتهم أن أعمد إلى تضميد جراحهم كل صباح وكثير من المشاغل الأخرى أقضيها بعد الظهر لدرجة أنني لا أجد فراغاً إلا في منتصف النهار وعند الساعة مساءً" ولقد استمرت في عملها إلى أن بلغت خمس وسبعين سنة ولكن لم يتم استخلاصها فيما بعد.¹

ولم تكن الغاية الكبرى من إرسال هؤلاء المرضات إلى الجزائر هو تحسين الحالة الصحية في الجزائر بل يتم إرسالهن لتحقيق التالي:

أولاً: ترصد أخبار الجزائريين من ذلك مراقبة حتى زيادة الأطفال.

ثانياً: قيام النساء المرضات بدور التفرقة بين الزوجة وبعلمها وتحويلهن عن عقيدتهن.

ثالثاً: تنصير ما أمكن تنصيره من الجزائريين.²

وبالتالي يمكن القول بأن الإرساليات النسوية التنصيرية عرفت ازدياداً كبيراً في عهد الأسقف دبوش ونشطت على نطاق واسع من المدن مستعملة العديد من الأساليب، كما أنها كانت تنشط في ميادين متعددة كالتعليم والطب وذلك بغرض نشر رسالتها التنصيرية بين أوساط الجزائريين الذين وقع بعضهم نتيجة حاجتهم وفقدهم في شراك تلك الجمعيات خاصة النساء اللواتي لم يتفطنن إلى الهدف الذي كانت تصبوا تلك الجمعيات لتحقيقه.

ب-الإرساليات التنصيرية النسوية في عهد الأسقف بافي (Bavy) 1846-1866م

برحيل الأسقف دوبوش خلفه الأسقف بافي³ الذي وصل إلى الجزائر بتاريخ 9 جويلية 1946 حاملاً على عاتقه هو الآخر الرغبة في العمل على إحياء النشاط التنصيري بهذه البلاد⁴ ولتحقيق ذلك انتهج أسلوباً يختلف عن أسلوب سابقه، فإن كان الأسقف ديبوش يمتاز بالاندفاع في الأمور والعناد مع بعض العسكريين، فإن بافي كان دبلوماسياً حيث عمل منذ توليته اسقفية الجزائر على ربط علاقات حميمة مع العديد من القادة العسكريين⁵، لكنه وبالرغم من نشاطه وانتهاجه سياسة تنصيرية جديدة فقد تضاءل في مرحلته قدوم الجمعيات التنصيرية إلى الجزائر، لكن هذا لم

¹ - إيفون تورين، المرجع السابق، ص 102.

² - (م.و.د.ب.ح.ث)، كفاح المرأة الجزائرية دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1998، ص 216-217.

³ - الأسقف بافي (Bavy): خلف الأسقف دبوش الذي لاذ بالفرار من الجزائر بعد أن أوقع الأسقفية في ديون كبيرة ينظر: بقطاش خديجة، المرجع السابق، ص 75.

⁴ - حميد قرنتلي، المرجع السابق، ص 325.

⁵ - خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 64.

يمنعه من تدعيم الجمعيات المختلفة الموجودة بالجزائر بأعداد هامة من المأهلاء سواء كانوا رجالاً أو نساءً، ففي الوقت الذي كان فيه عدد الرهبان والراهبات زهاء 200 سنة 1846 ارتفع هذا العدد لصبح قرابة 1200 مابين راهب وراهبة¹، أما في سنة 1862 فقد استقدم الأسقف بافي أعداد أخرى من المبشرين رجالاً ونساءً وقد كانوا موزعين على الشكل التالي:²

النواحي	الآباء	الإخوة	الأخوات
قسنطينة	73 أب	26 رجل	234 امرأة
وهران	77 أب	76 رجل	225 امرأة
الجزائر	161 أب	202 رجل	304 امرأة

والملاحظ من خلال هذه الإحصائيات ارتفاع عدد النساء الراهبات اللاتي تم استقدامهن إلى الجزائر من طرف الأسقف بافي على نسبة الرجال سواء كانوا آباء أو إخوة ، وهذا راجع إلى السياسة التي كان يعتمد عليها هذا الأخير والتي كان الجانب الصحي يعتبر إحدى دعائمها الرئيسية وبالتحديد في المستشفيات، فكانت أوامره إلى المبشرين تدعو إلى الاعتناء بالتمريض لأنه عامل مهم في استمالة المريض وتحييه للمسيحية خاصة بالنسبة للراهبات الممرضات اللاتي كان ديوش ينظر إليهن أنهن أقرب إلى المرضى في إيصال المسيحية من الرجال.³

وواصلت بعض الجمعيات النسائية نشاطها التنصيري في عهد الأسقف بافي مثل أخوات العقيدة الكاثوليكية اللاتي تواصل نشاطهن حتى سنة 1852⁴، وراهبات الباستور الطيب اللاتي قمن في عهد الأسقف الجديد بإنشاء معبد مسرغين في وهران سنة 1850 ومعبد قسنطينة سنة 1855⁵، وقد حظيت تلك الجمعية بعناية كبيرة من طرف طرف الأسقف بافي وهو ما أكد عليه عند زيارته لدير الأبيار بتاريخ 10 جويلية 1846 بقوله: "جمعية الباستور الطيب تحتل دائماً المرتبة الأولى في قلبي قبل المؤسسات الأخرى"⁶، بالإضافة إلى أخوات القديس فانسا دوبول اللاتي تواصلت أيضاً أنشطتهن التنصيرية بعد رحيل الأسقف ديوش في عهد خلفه ولم يقتصر نشاطهن على التمريض

1 - محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 37.

2 - عمار يزلي، الثقافة في مواجهة الإحتلال، الجزائر، منشورات السهل، 2007، ص 147.

3 - عمار يزلي، المرجع السابق، ص 195.

4 - حميد قريتلي، المرجع السابق، ص 326.

5 - محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 36.

6 - حميد قريتلي، المرجع السابق، ص 319.

والتطبيب بل كن يعملن أيضاً على إدارة شؤون التعليم العمومي في كثير من مناطق البلاد، وقد استقر فوج منهن في بسكرة وذلك ابتداءً من 1868.¹

وبالرغم من قلة الإرساليات التي وفدت الجزائر في عهد الأسقف بافي إلا أن هذا لم يمنعه من فسح المجال لبعضها لتقديم الجزائر منها إرساليات نسائية كجمعية أخوات ترييني دوفالونس "Les Sœurs de la Trinite de Valence" وكذلك أخوات بون باستور دوتروي "Les Sœurs de Bon Pastore de Troyes"، وإرسالية أخوات الإحسان التي قدمت وهران بتاريخ 22 أبريل 1855 وقد قامت بتنظيم تجمع بمستغانم بتاريخ سنة 1859 وذلك في سبيل نشر رسالتها التنصيرية، كما قامت بتأسيس العديد من الكنائس بالجزائر كنيستان بوهران تضم 45 راهباً وكنائس أخرى في كل من مستغانم، سيدي بلعباس، غليزان، معسكر، تلمسان.²

ولكن نظراً لنقص الإمكانيات المادية لدى إرسالية أخوات الإحسان فقد قامت بغلق كنيسة تلمسان ومعسكر ليقرر المجلس البلدي بوهران منحها ميزانية سنوية سنة 1871 وذلك لمساعدتها في نشاطاتها التنصيرية، كما تم دعوتهم من طرف الأسقف بافي وذلك للاستقرار بالجزائر العاصمة تحت رئاسة السيدة مادلين (Madeliene) واتخذوا من مقر السباكة مقراً لهم، وبتاريخ 29 جوان 1861 استقر ثلاثة أعضاء من هذه الجمعية بشارع صفار بقسنطينة بالقرب من الكنيسة بالشارع الثالث وقد اتفقت البلدية مع إدارة الأملاك بكراء مقر لهم بسعر رمزي وقد استقروا بهذا المركز لمدة طويلة قدرت بـ 18 سنة، وقد نشطت تلك الجمعية في إسعاف المرضى في مركز واد العثمانية بالقرب من قسنطينة وكذلك بإحدى الكنائس القريبة من بجاية، كما عملت أيضاً على تقديم العديد من الخدمات الطبية بمركز "سيدي مسيد" بقسنطينة، إلا أنها غادرت الجزائر بصفة نهائية وذلك بناء على طلب من رئيس بلدية قسنطينة وكذلك نزولاً عند القانون الذي صدر سنة 1904 والذي منع بدوره الحد من نشاط الجمعيات التبشيرية بالجزائر.³

نستنتج مما سبق انه وبالرغم من طول مدة بقاء الأسقف بافي على رأس أسقفية الجزائر وهذا مقارنة بسابقه والتي قدرت بعشرين سنة إلا أن فترته عرفت تراجعاً كبيراً فيما يخص توافد الإرساليات النسوية نحو الجزائر، لكنه من جانب آخر قد قام بتدعيم الجمعيات التنصيرية التي بقيت في الجزائر بمجموعة من الأخوات وذلك مما لاشك يعطي تدعيماً كبيراً للنشاط التنصيري بالجزائر.

¹ - مُجَّد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 36.

² - حميد قريظلي، المرجع السابق، ص 327.

³ - نفس المرجع، ص 327.

ج-الإرساليات التنصيرية النسوية في عهد الكاردينال لافيغيري 1866-1892

يعتبر تولى المطران لافيغيري رأس أسقفية الجزائر من العوامل المهمة التي ساهمت وبدور فعال في تأجيج النشاط التنصيري بالجزائر إذ يعتبر عهده العهد الذي بلغت فيه السياسة التبشيرية ذروتها وذلك نتيجة لما كان لهذا الأخير من علاقات وثيقة مع العديد من الشخصيات المسؤولة في الحكومة الفرنسية وكذلك في وزارة حريتها.

أ-المرأة المنصرة جزء في المخطط التنصيري للكاردينال لافيغيري

عرف الكاردينال لافيغيري الدور الكبير الذي يمكن أن تقوم به المرأة وذلك لتنصير الجزائريين لذا قام باستقدام العديد من الجمعيات الدينية المسيحية النسائية إلى الجزائر وذلك لمواصلة ركب النشاط التنصيري بالجزائر منها جمعية أخوات سان جوزيف دوفانس "Les Sœurs Saint Joseph de Vans" والتي منحت لها مهمة تسيير بعض المدارس الداخلية بالمدينة والأبيار والمدارس البلدية بزرالدة، حمر العين وسطوالي وذلك ابتداءً من 1868م وبحلول عام 1871 استقدم جمعية أخوات العناية الإلهية لريوفيل "Les Sœurs de la Providlle" والتي تكلفت بمدارس وملاجئ برج منايل وتيزي وزو على وجه الخصوص.¹

ولما كان الهدف الرئيسي من النشاط التنصيري في الجزائر هو القضاء على الدين الإسلامي بمختلف الوسائل فقد قام لافيغيري باستقبال واحتواء جميع الجمعيات التنصيرية الكاثوليكية كما أنه لم يقف عند ذلك الحد بل سمح لبعض الجمعيات الدينية المسيحية البروتستانتية بممارسة نشاطها التنصيري بالجزائر كجمعية ميلد ماي (Mild-May) البروتستانتية التي استغلت فرصة احتلال فرنسا للجزائر فقامت بإرسال مبشريها إلى منطقة القبائل، الجزائر، شرشال، أقبو، جمعة الصهاريج، أزفون وغيرها من المناطق وبصفة علنية، لكن لماذا سمحت فرنسا لهذه الجمعية بممارسة سياستها التنصيرية بمنطقة القبائل علماً بأنها جمعية إنجليزية والمعمرون الإنجليز تكاد تخلو منهم مستعمرة الجزائر هذا من ناحية، أما من الناحية الثانية هذه الجمعية بروتستانتية والتنافس كثيراً ليكون كبيراً وحاداً بين الجمعيات البروتستانتية والكاثوليكية في مجال التنصير.²

ويكون ذلك راجعاً لأن نشاط جمعية ميلد ماي لم يكن مزدهراً إذا ما قارناه بنشاط جمعية الآباء والأخوات البيض، حيث فتحت مدرسة واحدة في جمعة الصهاريج سنة 1890 وهي مدرسة مختلطة واعتنت كذلك بتعليم الكبار فيها حيث كانت تقوم بتدريس 40 تلميذ وكانت الدراسة تتم بالقبائلية والعربية، أما بالنسبة للتلاميذ فلم يوزعوا حسب

¹ - مزيان سعيدي، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغيري في الجزائر، المرجع السابق، ص 72.

² - محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 123-131.

أي شكل من الأشكال بل كانت الدروس تعطى لهم في هذه المدرسة لأربع فترات في اليوم وهم مجتمعون وهي تشمل القراءة والكتابة بالقبائلية والفرنسية والتربية الدينية (المسيحية) وتحتّم في نهاية المطاف بالتزاتيل الدينية، ولما كان للآباء والأخوات البيض نشاط فعال في الجانب التنصيري بالجزائر فلم تكن جمعية ميلد ماي قادرة على الوصول إلى قدر ما أنجزوه ومنه لم تكن لتستطيع عرقلة النشاط التبشيري للكاردينال لافيغيري بالجزائر المستعمرة.¹

وعلى الرغم من نشاطها المحدود فقد طلب منها إخلاء منطقة القبائل سنة 1892 من طرف السلطات الاستعمارية بحجة مخالفتها للتشريع المدرسي وفتحها مدرسة بدون رخصة، وكذلك قيامها بجمع الجنسين في قسم واحد، ورفضها كذلك الرضوخ لطلب بعض المسؤولين الفرنسيين الاطلاع عما تقوم بتدريسه للأطفال وهذا أثناء زيارتهم لمنطقة القبائل، وبالتالي يبدو أن قرار غلقها كان ناتجا من تخوف الفرنسيين من أن ينقسم الجزائريين المنصرين إلى فئتين إحداهما تدين بالولاء للتاج البريطاني وتتخذ البروستانتية مذهباً لها والثانية تخضع للسلطة الفرنسية وتتخذ المذهب الكاثوليكي ديناً لها.²

واهتم لافيغيري بالمرأة الجزائرية وذلك بناء على مقامها ودورها الكبير في الأسرة الجزائرية، وذلك لما كان لها من تأثير على الزوج والأولاد وأدرك بأن الوصول إليها وصولاً للأسرة كلها، كما أنه نتيجة لاعتبارها -في منظور المنصرين- زبونة ثابتة وذلك لأنها تبقى في منطقة قارة ولا تغادرها لذلك فإن تنصيرها مكسب كبير، لذا تقربوا منها بحجة إخراجها من الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها ومن ثم التأثير عليها وتمسيحها، وفي سبيل تحقيق ذلك قام لافيغيري بتأسيس فرقة خاصة بالتبشير في الأوساط النسوية الجزائرية أطلق عليها تسمية "الأخوات البيض" "Sœurs Blanches" ولقد كان يقول باستمرار: "عند المسلمين لا توجد سوى المرأة التي يمكن أن تجابه المرأة وتوصل إليها تعاليم المسيحية وأنوارها الحضارية".³

وكان أول احتكاك للمبشرات بالفتيات الجزائريات في عهد تولي لافيغيري لأسقفية الجزائر سنة 1868 وذلك عندما كلف هذا الأخير مبشرات ثلاث جمعيات نسائية برعاية اليتيمات والعمل على تنصيرهن، غير أن تأسيس جمعية للمبشرات بالجزائر بقي المطمح أو الهدف الأهم للافيغيري الذي لا بد من تحقيقه، لذا قام بإرسال أحد القساوسة إلى فرنسا وذلك لجلب راهبات يكن النواة الأولى لهذه الجمعية المزمع إنشاؤها، وقد عاد الأخير بثمان

¹ - مُجَد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 137.

² - نفس المرجع، ص ص 194-195.

³ - مزيان سعدي، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغيري في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 85، 242.

راهبات¹ وصلن الجزائر في سبتمبر 1868 منهن اثنتان لم يتعدى عمرهن السادسة عشرة سنة جلبهن القس لوموف (Lemauf) من مقاطعة بريطانيا وقد تم إرسالهن في البداية إلى ملجأ سان شارل "Saint Charles" بالقبة قرب مدينة الجزائر وذلك للقيام بتكوينهن لكي يستطعن فيما بعد التكلف ببيتامى المعبد ويتعودن على مهامهن التبشيرية مستقبلاً وممارسة العمل الفلاحي أيضاً.²

وتم تأسيس تلك الفرقة يوم 2 سبتمبر 1869 وقد حملت عدة تسميات وذلك قبل أن يستقر اسمها على الاسم المعروفة به في المصادر التاريخية -الأخوات البيض- فعند تأسيسها الأول عرفت باسم:

1)- Les Sœurs Algicoles et Hospitalières du Vénérable Geonimo.

2 - Les Sœurs de la Missions ثم حملت اسم:

3)- Les Sœurs de Notre Dame des Missions D'Afriques ثم حملت اسم:

4)- la Société des Sœurs Enseignantes et Hospitalière de Notre Dame des Missions D'Afrique. تم حملت إسم:

5) Société des Sœurs Missionnaires de Notre dame D'Afrique. لتستقر أخيراً على:

لكن التسمية التي بقيت أكثر تداولاً هي تسمية "الأخوات البيض" Sœurs Blanches³، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى الزي الذي كان يلبسه أعضاؤها والذي يشبه تقريباً لباس الجزائريين، أما بالنسبة لدستور جمعية الآباء والأخوات البيض فهو يحوي ستة فصول وقد أدخلت عليه العديد من التعديلات ليستقر في صفته النهائية عندما صادق عليه البابا سنة 1885 وقد كان ينص عموماً على ما يلي:

(1)- ضرورة لباس المنخرطين الزي العربي الجزائري.

(2)- ضرورة إتقانهم اللغات واللهجات المختلفة.

(3)- ضرورة حصولهم على دراسات عليا في اللاهوت.

(4)- التقشف في المعيشة والملبس والمسكن.

(5)- التعهد حتى الممات بخدمة التبشير في أفريقيا.⁴

¹ - مُجَد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص174.

² - مزبان سعدي، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغيري في الجزائر، المرجع السابق، ص85.

³ - نفس المرجع، ص ص85-86.

⁴ - نفس المرجع، ص174.

وقد واجهت تلك الجمعية الناشئة بعض العوائق حيث عانت في البداية من نقص كبير وهذا فيما يتعلق بعدد المنخرطات ونتيجة لتوسع آفاق التنصير في عهد لافيغيري فقد عمل على طلب يد المساعدة من جمعية "سانت جوزيف ذي فان Saint Joseph de Van" التي كان لها فرع في ابن عكنون بالجزائر العاصمة فجمعن له بعض المنخرطات بجنوب فرنسا بمنطقة الأريش.¹

ولم يهتم لافيغيري بجمع المبشرات فقط بل عمل أيضاً على تكوينهن لفترة تدوم حوالي سنتين ونصف تدرس الأخت في ستة أشهر منها بإحدى المدارس التبشيرية كالمعهد الديني الفرنسي بليون الفرنسية جميع الطرق والأساليب التبشيرية لتلتحق بعدها بمدرسة المبتدئين بسان شارل بباريس وذلك لإكمال تكوينهن الديني لمدة عامين، يتعلمن خلالها العديد من اللغات كالعربية والأمازيغية ثم يتم إرسالهن إلى منطقة معينة وذلك لأداء واجبهن التبشيري وذلك بعد القيام بإرسال إخوانهن الآباء البيض أولاً² وقد قام لافيغيري بتحديد مهام الأخوات البيض كالتالي:

- (1)- التبشير عن طريق التعليم الابتدائي الديني للنسوة.
- (2)- الاهتمام باليتامى الجزائريين خاصة الإناث منهم.
- (3)- الإشراف على المدارس والملاجئ والدور.
- (4)- الإشراف على المستشفيات والمستوصفات.
- (5)- القيام بزيارات ميدانية وذلك لتقديم الإسعاف لمرضى الجزائريين حتى في بيوتهم.
- (6)- المواظبة على ممارسة الصلوات وذلك محاولة منهن جذب الجزائريين للديانة المسيحية وتحويلهم عن دينهم الإسلامي والتركيز على المرأة الجزائرية في ذلك.³

وتوقف تكوين المبشرات في الجزائر في سنة 1879 لكن في العام الموالي أعيد فتح معهد للمبتدئات في بوزريعة من جديد لينقل مرة أخرى سنة 1886 إلى القبة وذلك لتدريب الفتيات على ممارسة النشاط التنصيري بالجزائر بعد جلبهن من فرنسا، وقد انشأ لافيغيري سنة 1887 في ليون بفرنسا مؤسسة لجمع الراغبات في الانخراط في جمعية الأخوات المبشرات اللاتي كان يتم اختيارهن في مدينة ليون لمدة ستة أشهر ليتم إرسالهن بعد ذلك إلى الجزائر لممارسة أنشطتهن التنصيرية.⁴

¹ - محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 174.

² - نفس المرجع، ص 87، 167.

³ - مزيان سعدي، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغيري في الجزائر، المرجع السابق، ص 87.

⁴ - محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 167.

وأجمع المنصرون بما فيهم الرهبان والراهبات على أن جميع الوسائل مهما كانت صفتها يجب أن تستغل في سبيل التنصير وبالخصوص أعمال البر التي كان يجب أن تستغل من طرفهم استغلالاً جيداً ومن قولهم في ذلك: "كان التطبيب والتعليم من وسائل التبشير ويجب أن يبقى كذلك أما أعمال الحكمة فيجب أن تستعمل بحكمة كي لا تذهب في غير سبيلها يجب أن تعطى الأموال أولاً للبعداء عن الكنيسة ثم تقل تدريجياً كلما اقترب أولئك من الدخول في الكنيسة فإذا دخلوها منع عنهم الإحسان مرة واحدة".¹

واعتمدت الأخوات البيض على العديد من الوسائل أثناء مباشرة عملهن التبشيري وسط الجزائريين ومن أهم تلك الوسائل:

أ- التطبيب: استغلت الأخوات مهنة التطبيب وذلك عن طريق حمل صناديق الإسعاف والتجول في القرى والمدامر والدواوير لمعالجة المرضى، إلى جانب ذلك تقوم المبشرة في حجرة التمريض أو أثناء الاستشارة بنشر المسيحية بين صفوف المرضى فالراهبات الممرضات في نظر المنصرين لا تعملن على تخفيف الألم فحسب بل تحملن أيضاً رسالة المسيح.²

ويتم عن طريقهن التعرف على وضعية المرأة الجزائرية وكذلك التأثير عليها فقد كن يقمن بالإضافة إلى مهمة التمريض بإظهار مزايا فرنسا للجزائريات عن طريق استخدام سياسة العطف والشفقة وتوزيع الأدوية بالمجان، كما أنهن كن يعملن على زعزعة التماسك الأسري في المجتمع الجزائري عن طريق بث التفرقة وسوء التفاهم بين الجزائريات ورجالهن وحملهن على أن يشتكين بأزواجهن إلى مكاتب الشؤون الأهلية، كما أنهن كن يقمن بالاتصال بنساء المجاهدين ويحاولن إخراجهن من عقيدتهن وإيهامهن بأن بعض أزواجهن قد تزوجن بتونسيات أو مغربيات ولم يتوقف نشاطهن فيما يتعلق بمسألة الجزائرية بالتأثير عليها فقط بل تمكن عن طريق الفرصة المتاحة لهن لملاقاة المسلمات الجزائريات من معرفة ومراقبة زيادة الأطفال والنساء في العائلات الجزائرية.³

كما أنهن كن يقمن باستغلال فاقة الجزائريات وذلك بالسماح لهن بالعمل في المستشفى، ومنه يعملن على دعوتهن للديانة المسيحية وذلك عن طريق استخدام العديد من الوسائل ولعل أهمها قيامهن بإقامة صلواتهن في قاعات المرضى وتقديم هدايا لمن لديه اهتمام بالديانة المسيحية.⁴

¹ -خالدي مصطفى، عمر فروخ، المرجع السابق، ص48.

² - مزيان سعدي، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغيري في الجزائر، المرجع السابق، ص88.

³ - بسام العسلي، المجاهدة الجزائرية، بيروت، الجزائر، دار النفائس، دار الرائد، ، 2010، ص ص22-23.

⁴ - وعلي محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 89.

ب-التعليم المهني: اعتمدت المبرشات على العديد من الوسائل للولوج لعالم الجزائرية المسلمة ولعل أهمها التعليم المهني الحرفي وأدركن بأن للتعليم أهمية خاصة في بناء المجتمع فأولوها عناية خاصة وعظيمة مستغلين عدم انتشار التعليم بين النساء الجزائريات فعملن على تعليم الفتيات فنون التدبير المنزلي وما يحتويه من أشغال كالطبخ والخياطة والترقيع واستعمالات الصابون بالإضافة إلى تعليمهن أشغال الصوف والسلال والقفف، وقد كان الغرض من هذا النوع من التعليم إغراء الآباء لإرسال بناتهم إلى تلك المؤسسات خاصة بعد رؤية بناتهم يتقنون العديد من الحرف والمهارات اليدوية وبالتالي الوقوع في قبضة المبرشات اللاتي كان هدفهن تنصير الجزائرية وتكوين زوجات قادرات على الاعتماد على أنفسهن إذا ما تنصرن هذا من جهة ومن جهة أخرى استخدامهن كوسيلة أخرى للتأثير على غيرهن من النساء والعمل على دمجهن في الحياة الأوربية عن طريق تعليمهن فنون التدبير المنزلي الأوربية كتعليمهن تحضير الأطباق الفرنسية وتلقينهن الطرق الأوربية البسيطة في العديد من الأشغال.¹

وفي هذا الصدد ذكرت إحدى المنصرات وهي الراهبة روش (Rouch) التي كانت تعمل جاهدة لنشر المسيحية بين الجزائريات بأن بعض الفتيات الجزائريات كن يذهبن إلى المدارس سافرات وهن يلبسن اللباس الأوربي وقالت بأن بعضهن كن لا يدركن عواقب ثورتهن على التقاليد، وقد تفاءلت تلك المبشرة بإيمان بعض النسوة بالمسيحية سراً في بيوتهن وأن بعضهن قد وجدن أزواجاً مسيحيين بالإضافة إلى أنها تنبأت بيوم سوف تصبح فيه المرأة المسلمة مؤمنة بالمسيحية.²

ج-التعليم الفلاحي: لما كان التعليم الفلاحي من الأعمال الأساسية التي اهتمت بها الأخوات فقد كن يقمن بإعطاء دروس استمرارية للجزائريين في هذا المجال وهو الشيء الذي يمكنهن من الاتصال بالجزائريين سواء في الملاجئ أو المراكز الخاصة ونقل رسالتهن التنصيرية كما كان الحال في القرى العربية المسيحية بالشلف.

د-الجهر بإقامة الشعائر التبعية المسيحية: كانت الأخوات تقمن بأداء شعائرهن الدينية خاصة الصلوات أمام الجزائريين وذلك محاولة منهن إبعاد فكرة عدم تدين الفرد الفرنسي ولا مبالاته في تطبيق الشعائر الدينية. ه-إحداث علاقات حميمة مع الأسر الجزائرية والتركيز على المرأة الجزائرية وذلك لكونها المؤثرة الأساسية في الأسرة والمجتمع الجزائري.³

¹ - وعلي محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 126 - 139.

² - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص 335.

³ - مزيان سعدي، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغيري في الجزائر، المرجع السابق، ص 88 - 89.

د- الأخوات البيض ونشاطهن بمنطقة القبائل

وضع الكاردينال لافيغيري المرأة القبائلية ضمن محاور اهتمامه كما أنه ذهب إلى أن مهمته سوف تبقى عقيمة ما لم يتمكن من التوغل إلى العائلة القبائلية لذلك قام سنة 1877 بشراء أراض بتاوريرت عبد الله (واضية) وذلك لإنشاء دير مخصص للأخوات البيض وقد تمكن من استكمال بناءه في شهر نوفمبر من نفس السنة ابتداءً من مارس 1878 وصل ثلاث أخوات إلى القرية المذكورة وسكن في الدير.¹

وقد اتبع الأخوات البيض بمنطقة القبائل المنهجية والأساليب التنصيرية التي رسمها الكاردينال لافيغيري وقد كان أول اتصال لهن بالأهالي عن طريق الأعمال الخيرية وفي مقدمتها التطبيب حيث عملن على إظهار صفاتهن الخلقية الحميدة كالطيبة والرأفة والشفقة والتسامح ومحبة الناس وكذلك الاهتمام بصحتهم، تلك الصفات جعلت من بعض الجزائريين يتأثرون بالمبشرات وبالتالي يتعلقون بهن، كما عملت الأخوات على استقبال عدد كبير من الفتيات اللاتي كن يتقدمن للعمل في مستشفى بني منقالات وفي المستوصفات وذلك أملاً في تنصيرهن بعد القيام باستدراجهن شيئاً فشيئاً، كما قمن بترويج دعاية مفادها أن اللجنة لا تكون إلا من نصيب الذين يعمدون قبل وفاتهم لذلك شرعن في دعوة المرضى لحضور القداس الذي كان يقام في كنيسة المستشفى صباح كل يوم، وعمدن إلى تقديم الهدايا خاصة في عيد الميلاد وكانت أغلب تلك الهدايا تتمثل في قمصان للبنات وشاشيات للبنين ومناديل للنساء بالإضافة إلى أنهم كانوا يقدمون إلى جانب ذلك صوراً للسيد المسيح وذلك رغبة منهن في التعريف بالديانة المسيحية.²

ويعتبر التعليم أبرز وسيلة استعملتها الأخوات البيض في نشاطهن التنصيري بمنطقة القبائل، وعلى الرغم من عدم تطور هذا الأخير في المنطقة خاصة وفي الجزائر عامة وبالرغم من الصعوبات الكبيرة التي كانت تواجه الأخوات في جلب البنات خاصة منهن اليتيمات إلى مدارسهن التعليمية الصناعية، إلا أنهن تمكن من فتح مدرسة تادرت أوفلا بقبيلة أومالو (قرب فورناسيونال) وكانت أول مدرسة أسست من طرف الأخوات وقد جلبن إليها الفتيات اليتيمات وكذلك المتسولات³ وركزت المدارس التي كانت تحت إشراف الأخوات البيض في منطقة القبائل على تلقين البنات عدة أعمال وتدابير منزلية منها:

(1)- مبادئ القراءة الكتابة والحساب.

(2)- فنون التدبير المنزلي والتي يأتي في مقدمتها

¹ - مزبان سعدي، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغيري في الجزائر، المرجع السابق، ص 243.

² - نفس المرجع، ص 244.

³ - نفس المرجع، ص ص 244-245.

أ- الطبخ: كانت الأخوات تقمن بتعليم الفتيات تحضير الأطباق الفرنسية البسيطة وذلك عن طريق استعمال المواد الأولية المفضلة لدى الأهالي والمتاحة في متناول اليد، كما كن تأخذن بعين الاعتبار الأدوات أو الأواني التي كان يحتويها البيت القبائلي مع القيام بإدخال بعض الأدوات البسيطة والجديدة في التحضير.

ب- الغسيل: وذلك عن طريق تلقين الفتيات الطرق الأوربية البسيطة فيه.

ج- الخياطة: باستخدام الإبر.

د- الترقيع: ترقيع من كل الأصناف مع موافقة طابع الترقيع الأهلي.

هـ- الحياكة: تعليم الفتيات حياكة نماذج بسيطة وسهلة كحياكة الجوارب والصدريات من الصوف.

و- الحرف: صناعة السلال والقفف وقد كانت تقام لها معارض وذلك لترويجها بين الجزائريين والأوربيين¹.

(3)-إنشاء صندوق للمهور: والذي كان يقوم بتقديم المساعدات للمقبلين على الزواج من المنتصرين سواء فتيات أو ذكور، وقد كان يجمع في هذا الصندوق المبالغ المالية التي يدفعها الشباب والشابات الجزائريون المنتصرون الذين كانوا يعملون بحوزة المبشرين²، وبالتالي يمكن القول بأن الكاردينال لافيغيري عرف الدور الذي يمكن أن تلعبه المرأة الراهبة في تغيير البني الدينية والاجتماعية للمجتمع الجزائري والتأثير على جميع أفرادها خاصة المرأة المسلمة، لذا عمل من هذا الجانب على وضع تنظيم خاص أطلق عليه اسم الأخوات البيض اللاتي استخدمن العديد من الوسائل للتأثير على المرأة الجزائرية والمجتمع الجزائري، وتمكن من استغلال الخصوصيات العرقية للشعب الجزائر وهو ما تجلّى لنا من خلال تركيز نشاطهن في منطقة القبائل أكثر من غيرها من المناطق الجزائرية الأخرى.

وكخلاصة لما سبق يمكن القول بأن الهدف الأساسي من استقدام المرأة الراهبة إلى الجزائر من طرف الأساقفة هو التأثير على الجزائرية المسلمة ومحاولة تنصيرها بل وحتى أوربتها، وذلك من خلال تعليمها تعليماً يجعلها تثور على قيمها ومبادئها، دون أن نغفل الأهداف الثانوية التي كن يسعين لتحقيقها كالتأثير على الأطفال وخاصة اليتامى من خلال استغلال وضعيتهم البائسة وإغرائهم وراء مسعى تنصيرهم، والتأثير على الرجال الجزائريين بصفتهن زوجات اخترن الزواج من جزائريين لتحقيق الأهداف التنصيرية، وإن تفاني الراهبات في تنفيذ السياسة المسطرة لهن من طرف أسقفية الجزائر ومن ورائها الإدارة الاستعمارية لم يكن ناتجاً من فراغ بل سبقته العديد من التحضيرات التي خصت بها الراهبة من تدريب على ممارسة العمل التنصيري وتحمل مشاقه إلى غير ذلك من الأمور التي ساهمت بقسط كبير في تنشيط التنصير بالجزائر.

¹ - مزيان سعدي، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغيري في الجزائر، المرجع السابق، ص245.

² - وعلي محمد الطاهر، المرجع السابق، ص91.

ثانياً: النشاط الصحفي للمرأة الأوربية بالجزائر

لعبت الصحافة دوراً فعالاً في تطور الشعوب وتحررها من الاستبداد على مدى قرون عديدة وكان لها أثراً فعالاً في توجيه الشعوب المستعمرة وقيادة نضالها، ولقد عرفت نشأة الصحافة في الجزائر تأخراً ملحوظاً على الرغم من انتشارها وخوضها شوطاً كبيراً في البلدان الأوربية، إذ لم يظهر لدى الجزائريين اهتماماً كبيراً بهذا الفن قبل قدوم الاستعمار الفرنسي للجزائر هذا الأخير الذي استخدم المجال الإعلامي والصحفي كوسيلة غير مباشرة لتحقيق الغزو الفكري الداعم للسياسة العسكرية في الجزائر.

وقد أغفلت كتب الرحالة والأخبار التحدث عن الصحف الأجنبية ووصولها إلى القطر الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي بالرغم من أن بعض الجزائريين تمكنوا من زيارة الديار الأوربية قبل تاريخ 1830 وشاهدوا وربما تمكنوا من قراءة بعض تلك الصحف سواء في فرنسا أو بريطانيا أو غيرها من البلدان الأوربية¹، غير أن الجزائريين لم يعيروا هذا الفن اهتماماً بالغاً بداية الاحتلال وقد أرجع البعض ذلك إلى العديد من الأسباب يأتي في مقدمتها:

1- أن هذا الفن كان يكتب بلغة لا يفهمها العديد من أفراد المجتمع الجزائري إلا أشخاص يعدون على الأصابع.

2- أن تلك الصحافة كانت تهتم بشؤون الغزاة من إدارة وجيش ومعمرين.

3- إنها كانت منذ نشأتها في الجزائر عبارة عن مجرد وسيلة تعمل على خدمة المستعمر الغاشم لا غير.²

وقد صدرت عدة صحف فرنسية في شتى ربوع الجزائر وكلها كانت تنتصر للسلطة الاستعمارية وكانت تمثل في أغلبها حلقة وصل بين المحتلين سلطة ومعمرين فقط، لكن سرعان ما وجد الفرنسيين أنفسهم مضطرين لإيجاد وسيلة تخاطب بينهم وبين الجزائريين فعمدوا إلى تأسيس جرائد باللغة العربية يخاطبونهم بواسطتها ويوجهون لهم من خلالها إعلاناتهم وقوانينهم³ وقد شارك في تحرير تلك الصحف العديد من النخب الفرنسية والجزائرية وسنركز في هذا الجانب على التجربة النسوية في المجال الصحفي من خلال التطرق لمساهمات بعض الصفوة من النساء الأوربيات في الميدان.

1- نماذج لمشاركة المرأة في النشاط الصحفي في الجزائر:

باحتيال الجزائر سنة 1830 أصدرت السلطات الفرنسية عدة صحف استعمارية في شتى ربوع الجزائر وكلها كانت تروج لفكرة الجزائر فرنسية كما أنها كانت موجهة في البداية للفئة الاستعمارية من سلطة ومعمرين ومن تلك

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص211.

² - الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر رواد الصحافة الجزائرية، ط1، القاهرة، مطابع دار الشعب، 1981، ص 9-10.

³ - نفس المرجع، ص10.

الصحف جريدة الأخبار "L'Akabar" التي أصدرتها الولاية الفرنسية العامة سنة 1839 وقد كانت محررة في البداية باللغة الفرنسية وحدها، وبحلول أوائل القرن العشرين برز على الساحة الصحفية الجزائرية اسم فيكتور باروكان الذي تولى سنة 1903 تحرير هذه الجريدة رفقة إيزابيل إيرهارت.¹

وقد كانت تلك الصحيفة أسبوعية تعنى بتتبع الأخبار والآداب والسياسة والقضايا الاجتماعية والإعلانات، كما كانت تقوم بنشر العديد من المقالات بما فيها الكتابات النسوية ككتابات ومغامرات المغامرة الشهيرة إيزابيل إيرهارت²، وعلى الرغم من النزعة الإسلامية التي عرفت بها هذه الرحالة وكذلك مناوئتها للسياسة الاستعمارية بالجزائر فإن باروكان لم يكن يسمح لها أن تظهر تلك النزعة في جريدة صدرت باسم الوالي العام شارل جونار، بل كان يدعوا إلى منح الجزائريين حقوقهم مع المحافظة على الامتياز الفرنسي.³

ولم تقتصر مساهمة إيزابيل إيرهارت في جريدة الأخبار على الكتابة فقط بل عملت أيضاً كمراسلة لها في منطقة الجنوب الوهراني مرتدية بدلة الفارس العربي وباسم مستعار هو "سي محمود" وذلك لتغطية أحداث المنقار⁴ وتاغيت⁵

¹ - مُجَّد ناصر ، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2007، ص61.

² - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص261.

³ - مُجَّد ناصر ، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، المرجع السابق، ص61.

⁴ - معركة المنقار الأولى والثانية: معركة من بين المعارك الهامة التي شارك فيها رجال بوعمامة وقعت الأولى منها في 30 جويلية 1900 بمنطقة المنقار (30 كلم شمال تاغيت)، والذي هاجمت فيها قبائل ذوي منيع وأولاد جرير حلفاء الشيخ بوعمامة قافلة التموين الرابعة العائدة من بلدة إغلي في الجنوب والتي كانت تحت قيادة الرائد "بيشمان" "Beshman" وقد انتهت المعركة بمقتل 16 جندياً من قوات الليف الأجنبي، أما في معركة المنقار الثانية قام حوالي 200 فارس محارب بمهاجمة قافلة تموين يجرسها 100 رجل من فرقة الليف الأجنبي بالقرب من المنقار بتاريخ 2 سبتمبر 1903 وكانت المفاجأة كبيرة على الفرنسيين حيث تم فيها القضاء على العديد من الضباط والجنود الفرنسيين وتوفي النقيب شوسي متأثراً بجراحه أثناء نقله لمدينة تاغيت. ينظر عادل مدلول علي، نبيل شلال علوان، "مراحل ثوة بوعمامة 1881-1908، مجلة أورو، ع2، 2017، ص240. عبد القادر خليف، "استمرارية مقاومة الشيخ بوعمامة من المغرب الأقصى"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج19، ع1، 2004، ص223.

⁵ - معركة تاغيت: بدأت معركة تاغيت في 16 جوان 1902 حيث قامت فيها مجموعة من قبائل البربر مكونة من 250 رجلاً بهجوم مباغت على فرقة المهاري التابعين لفرقة توات والمكونة من 50 رجلاً في نواحي حاسي غزال وكان القتلى كثيرين، وفي منتصف شهر أوت 1903 تجمعت قوات ضخمة في منطقة بوذنيب المغربية من رجال قبائل ذوي منيع وأولاد جرير والشعابنة أنصار بوعمامة وقاموا بمهاجمة الحامية العسكرية بتاغيت والمكونة من 300 جندي كانوا تحت قيادة النقيب سوسبييل Susbiell رئيس ملحقة زوفانة، وفي اليوم 18 من نفس الشهر لقيت هذه الحامية دعماً من الكتيبة الصحراوية الثانية والعشرون وذلك لنجدة تلك الحامية، كما وصلت أيضاً يوم 19 أوت 1903 نجدة فرنسية أخرى من منطقة إغلي وذلك لتقوية الدفاع الفرنسي، وفي اليوم نفسه وبعد

ببشار¹ وذلك بعد عودتها من المنفى الذي قضت فيه سنتين رفقة زوجها سليمان، وصارت بذلك أول مراسلة صحفية من جبهات القتال في تاريخ الصحافة العالمية وهو الحلم الذي كانت تسعى لتحقيقه وفيه قالت: "ممل كان له ثقله على الجزائر العاصمة تركني استسلم إلى نعاس رهيب بلا فرح ولا أسى وأيضاً بدون رغبة التي لها القدرة على حيازة اللطافة الأبدية وفجأة معركة المومنتار وقعت ومعها تصير صعبة إمكانية إعادة النظر في المناطق الجنوبية لقد اتجهت صوب الجنوب الوهراني كمراسلة صحفية إنه الحلم الذي ظل يراودني منذ أشهر وها هو يتحقق فجأة".²

وقد كانت إيزابيل أثناء تواجدها في تلك المنطقة تكتب وتراسل وتصف المنطقة والأحداث وقد كتبت في ذلك: "عين الصفراء بلد الخوف ... لا يمر مدني في الطريق، صمت ثقيل، نشعر أن البلد في خطر"، وتمكنت من تتبع أخبار العمليات العسكرية وسير الأحداث وكانت لها إرادة قوية تمكنت من مجابهة أسلوب الرقابة وطريقة المقص التي كانت سارية المفعول ضد البرقيات الخيرية، كما استطاعت أن تكتب عن الاسم الذي ملأ صدى الصحراء قرابة 25 عاماً وهو الشيخ بوعمامة.³

وتمكنت أيضاً من تأدية دورها كمبعوثة خاصة بوعي وحنكة واستطاعت أن تقوم بإجراء استجواب جرحى معركة المنقار الذين كانوا متواجدين بمستشفى عين الصفراء وكتبت عن ذلك: "هؤلاء الجرحى هم الأجانب من القبعات البيض من جنسيات مختلفة جاءوا من فرنسا وكادوا أن يموتوا من أجل قضية ليست لهم ولا تعنيهم ولا تعني مواطنيهم"⁴، كما أكدت في تقاريرها الصحفية بأن الحرب التي قادها بوعمامة لم تكن مع المحتل الفرنسي وحده بل استعان بالقوات العسكرية الإيطالية والدنماركية والألمانية وفي هذا قالت: "توجهت إلى المستشفى بالشارع المطل على المدينة حيث هناك مباني عالية بالأجر الأحمر محاطة بأروقة وأقواس وبدخلها جرحى معركة المغار يتسكعون في ظلها وجراحهم مضمدة بضمادات ناصعة البياض وفق وضعية ما تنضوي عليه النقاهاة من كسل وخمول وهناك أيضاً فرنسيان أو ثلاثة والباقي ألمان وإيطاليين تقريباً".⁵

هجوم فرنسي كاسح انسحب المهاجمون نحو الأراضي المغربية وكانت النتائج خمسين قتيلاً في صفوف المهاجمين وتسع قتلى وواحد وعشرين جريح في صفوف الفرنسيين ينظر عادل مدلول علي، نبيل شلال علوان، المرجع السابق، ص 242-243.

¹ - حنفاوي بعلي، المرجع السابق، ص 128.

² - إيزابت إيبهرات، الأعمال الكاملة، المرجع السابق، ص 139.

³ - حنفاوي بعلي، المرجع السابق، ص 128.

⁴ - نفس المرجع، ص 128.

⁵ - إيزابت إيبهرات، الأعمال الكاملة، المرجع السابق، ص 145.

وكتبت عن بعض أحداث المعركة ووصفت الحالة المضطربة للفصائل العسكرية الفرنسية ومعنوياتهم المنحطة قائلة: "ومع جاذبية ابتسامتهم فعند استجوابهم كانوا مبتهجين قليلاً وهي الكلمة التي حفظوها لهم وعلى الرغم من تخوفهم ومع ذلك انتهوا إلى تحويلي إلى عسكري برتبة عريف والمسمى زولي "Zoli" والذي صرح لإيزابيل بأن القوات العسكرية وصلت إلى هذه الحالة البائسة بسبب عدم أخذ الاحتياطات في الواد الواقع بين الموغار وزفراني، وكذلك بسبب عدم مبالاة القائد فوشاز Fushaz الذي قال متهكماً: "سأتجه بذراع قميص إلى تفيلات" وذلك قبل أيام من وفاته متأثراً بجراحة غير أنه تمكن من بالرغم من ذلك من كتابة بعض الكلمات بقلم الرصاص ليعلم النقيب سوسبيل Sospel بالحادثة في تاغيت، كما عبر زولي عن حزنه على وفاة الملازم الدنماركي سلكوهوسن Selchossen الذي قدم الجزائر برتبته السامية وذلك لخدمة القيايق الأجنبية ولتدريب العساكر لكنه لقي حتفه في مكان غير معروف من الجنوب الوهراني واسترسل دائماً العريف زولي في حديثه قائلاً: "عطينا بلع حد لا يطاق هذا اليوم" وذكر بأن بعض الجنود انتهى مصيرهم بالموت المفلس من أجل قضايا لا تعنيهم.¹

وأبرزت إيزابيل ابرهات في تقاريرها الصحفية بأن السلطات الفرنسية بالجزائر لم تكن لتتمكن من مد سيطرتها لولا وجود الخونة من بعض الجزائريين وفي ذلك ذكرت بأن الخدام الأهالي ضروريين للمحتل مثل القومي والمخزني السبايسي والذي يوصل البريد والمخبر صوصخار(مقتني الأثر) وأوردت نموذجاً لبعض العملاء الجزائريين وهو مولاي ادريس² الذي جرح في معركة المنقار من طرف أتباع الشيخ بوعمامة.³

وتعرفت على الجنرال ليوتي الذي عين في الفاتح من أكتوبر 1903 كقائد لإقليم عين الصفراء وهو صاحب سياسة إحلال السلام والتي قال فيها: "إن أجمل الانتصارات هي انتصارات إقرار السلم للحد من الخسائر، ولا ننسى أبداً أنه يجب علينا بناء غد قريب في بلد يناصبنا العداء سنجعله صديقاً بالعرفان فمن الأجدر لنا أن نتصرف على طريقة ثقابة عوض طريقة المطرقة" وهي سياسة ماهرة طلب من إيزابيل التعاون معه لإنجاحها لكنها رفضت ذلك.⁴

وذكر فيكتور باروكند بخصوص التقارير الصحفية التي كانت ترسلها إيزابيل ابرهات بخصوص ثورة سيدي بوعمامة بأنها أثناء كتابتها كانت تنتقل فعلاً في مختلف جبهات القتال التي كانت قائمة في الجنوب الوهراني كما أنها تنقلت إلى

¹ - إيزابيت إبرهات، الأعمال الكاملة، المرجع السابق، ص 145-147.

² - مولاي ادريس: ينتمي إلى مخزن سيدي مولاي ولد محمد آغا العمور لعين الصفراء وهو واحد من شخصيات الأهالي بالجنوب الغربي الأكثر تودداً للفرنسيين والمتفاني في خدمة قضية الاحتلال الفرنسي ينظر نفس المرجع، ص 147.

³ - نفس المرجع، ص 146.

⁴ - حنفاوي بعلي، المرجع السابق، ص 128-129.

مدينة وجدة المغربية وبسبب الجهد الذي كانت تبذله أصيبت بالتعب والإرهاق الذي دخلت على إثره إلى المستشفى العسكري لمدينة عين الصفراء، لكن ما يؤسف أن جميع تغطياتها تعرضت للرقابة من لدن المجلس العسكري للمحتل الفرنسي.¹

وغير بعيد عن الصحف الفرنسية الصادرة بالجزائر نشرت الجمعية التاريخية سنة 1856 مجلة بعنوان المجلة الإفريقية "Revue Africaine" التي اهتمت بنشر المخطوطات المحلية والعربية والوثائق الأصلية وسلطت الضوء على تاريخ الجزائر في مختلف العصور، وقد ظهر عددها الأول في أكتوبر 1856 شارك في تحريرها العديد من الرجال مثل لويس رين (Louis Renn)² وبيروجر³ كما كتب فيها بعض الصفوة من الكاتبات الأوربيات بلغ عددهن تسع نساء تم ترتيبهن في هذا الجدول حسب مساهمتهم في تلك المجلة كالتالي:⁴

السنة نشرها	عدد مقالاتهن	النساء الاوربيات المساهمات في المجلة الإفريقية
1933 1939 1953 1954	03	إيفون أليي Yvonne Allais
1937 1941	02	جان أليكي Jeanne Alquier
1941 1942	01 ج 1 ج 2	جيرمين شانترود Germaine Chantreaux
1955	01	هيلين بالفني Hélène Balfet

¹ - إليزابيت إيبهارت، الأعمال الكاملة، المرجع السابق، ص ص 144-151.

² - لويس رين **Louis Renn**: نقيب فرنسي اشتغل رئيساً للمكتب العربي ببسكرة في الفترة من 7 جوان إلى 20 أكتوبر 1870، ثم في باتنة من 20 أكتوبر 1870 إلى سبتمبر 1871 عين مستشاراً للحكومة العامة ونائباً لرئيس الجمعية التاريخية بالجزائر العاصمة، ورئيساً للمصلحة المركزية لشؤون الأهالي. ينظر عبد القادر صحراوي، مقاومة المقراني والحداد من خلال كتابات لوي رين Louis Renn في ضوء المجلة الإفريقية، الحوار المتوسطي، ع 11-12، مارس 2016، ص 273.

³ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص 95.

⁴ - Société Historique Algérienne, Rev. Afr, N335-336, 1928, p27-249. N356, 1933, p259. N358, 1934, p43. N370, 1937, p72. N378, 1939, p35. N396-387, 1941, pp31-78. N390-391, 1942, p261. N434, 1953, p84. N438, 1954, p27. N444-445, 1955, p289. N450-451, 1957, p85.

1934	01	Jeanne Jouin جان جوان
1926	01	Madeleine Isaac مادلين اسحاق
1928	01	ماديلين ديلايي
1929		Madeleine Dillay
1954	01	Bailly بايي
1957	01	ج.و.و. بوسكي ميراندول G. W. Bousquet-Mirandolle

يبدو أن دراسات النساء الأوربيات قد نشرت في الأعداد الصادرة ما بين 1926-1957 وقد تم ترتيبها في هذه الجدول على أساس مساهمتهم كالتالي: الأنسة إيفون ألي والتي كان ترتيبها الأول في الجدول بكتابتها ثلاث بحوث في المجلة حول المدينة الأثرية الرومانية كويكول (جميلة)¹ ورابع بالاشتراك مع الأنسة بايي² لتأتي بعدها جان ألكيي بكتابتها بحثين في المجلة الإفريقية الأول عبارة عن ملاحظات حول رحلة قامت بها سنة 1935 لرأس الحديد الواقع أقصى شرق سكيكدة بهدف العثور على الآثار والمدن القديمة³، أما دراستها الثانية فقد كانت حول واد العرب المتواجد بمنطقة الأوراس،⁴ لتليها في الترتيب الأنسة جيرمان شانتر التي كتبت بحثاً واحداً في جزئين حول النسيج التقليدي بالمنسج في قبيلة أيت هشام، جزء من هذه الدراسة نشر في العدد الصادر سنة 1941⁵ والجزء المتبقي منها نشر في العدد الصادر سنة 1942⁶ ثم تتبعها في الترتيب هيلين بالفي والتي كتبت بحثاً واحداً خصصته لدراسة فخار

¹ Yvonne Allais, "Les Greniers Publics De Djemila (Cuicul)", **Rev Afr**, N356, - 1
V74,1933, p259-260."La(Maison D'Europ à Djmila", N378, V83,1939, pp35-44.

"Djemila Le Quartier AL'Est Du Forum Des Sevérés",N434, V97,1953, pp48-65.
² Despois (J.), "Louis Leschi (1893-1954). Bibliographie par Mlles Allais et Bailly", - 2
Rev Afr, N438,V98, 1954, pp27-40.

Jeanne Alquier, "Note sur un voyage au Cap de Fer" : September 1935", **Rev Afr** - 3
N370, V80,1937, pp72-80.

Jeanne Alquier , "Les Ruines Antiques de la Vallée de l'Oued El Arab (Aurès)", - 4
Rev Afr, N386-387, V85,1941, pp31-39.

Germaine Chantreaux, "Le Tissage sur Métier de haute lisse à Aït-Hichem et - 5
dans le Haut- Sebaou", **Rev.Afr**, N386-387,V85,1941, pp78-116.

Germaine Chantreaux, "Le Tissage sur Métier de haute lisse à Aït-Hichem et dans - 6
dans le Haut- Sebaou", **Rev.Afr**, N390-391, V86,1942, pp261-313.

فخار منطقة آيت سماعيل بجزيرة،¹ ثم تليها جان جوان وذلك بكتابتها بحثاً واحداً حول زي المسلمين في إسبانيا² ثم مادلين إسحاق بكتابتها بحثاً واحداً مشتركاً مع هنري باتيفول (Henri Batiffol) حول نظام معاهد الموسيقى العسكرية³ لتتبعها في الترتيب مادلين ديلايلي وذلك لأنها كتبت بحثاً واحداً مشتركاً مع ج. بورجين (G. Bourgin)، تطرقت فيه للسياسة الفرنسية المتبعة في جرد المحفوظات والآثار الجزائرية في الأرشيف الوطني⁴، لتأتي بعدها الأنسة بايي التي كتبت بحثاً واحداً مشتركاً مع الأنسة إيفون ألي ريتا فيه ببيوغرافيا للمؤرخ الفرنسي لويس ليسشي (Louis Leschi)⁵، ثم تتبعهما الأنسة ج.و. بوسكي ميرانديل التي اشتركت هي الأخرى مع ج.ه. بوسكي (G. H. Bousquet)⁶ في كتابة أحد البحوث المتعلقة برحلة توماس هيز (Thomas Hees) إلى الجزائر العاصمة في القرن 17م.⁷

أما بخصوص كتابات تلك النخبة النسوية المثقفة فالملاحظ بأنها لا تختلف عن كتابات النخب الفرنسية الأخرى حيث نجد بأن أغلب مواضيع دراستهن متعلقة بالجزائر كما أن معظم تلك الدراسات التي كانت حولها هي عبارة عن بحوث تاريخية آثارية تهتم في معظمها بالآثار الرومانية وذلك كمحاولة منهن لإحيائها، كما أن بعضها الآخر اهتم بدراسة الآثار القبائلية وإن الاهتمام بهذه الآثار أمر مهم، لكن التركيز على جزء معين من التراث الجزائري خاصة

¹ Hélène BALFET, "La poterie des Ait Smail du Djurdjura: éléments d'étude - esthétique", **Rev. Afr**, N444-445, V99, 1955, pp289-340.

² Jeanne Jouin, "Documents sur les costumes des musulmans d'Espagne", **Rev. Afr**, , N°358, V75, 1934, pp43-46.

³ Madeleine Isaac et Henri Batiffol, "Les Règlements des Collèges de Musiciens de la Légion IIIè Auguste", **Rev. Afr**, N327-328, V67, 1926, pp179-200.

⁴ G. Bourgin et Madeleine Dillay, Inventaire du fonds de l'Algérie aux Archives Nationales, **Rev. Afr**, N335-336, V69, 1928, pp249-352.

⁵ Despois (J), op, cit, pp27-40.

⁶ ج، ه، بوسكي **G.H Bousquet**: مستشرق فرنسي من أساتذة كلية الحقوق وعلم الاجتماع في الجزائر، من آثاره التي كتبها بمعاونة هنري بيريس: "عادات ونظم الوطنيين بالجزائر"، عقد زواج تلمساني"، "استمرار عادات البربر" وغيرها من الأعمال. ينظر حميد بورية، جهود المستشرقين الفرنسيين في الدراسات اللهجية في الجزائر المجلة الإفريقية نموذجاً، (رسالة ماجستير، تخصص علم اللهجات، إشراف أوشاطر مصطفى)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقائد، تلمسان، 2007-2008، ص39.

⁷ G. H. Bousquet et G. W. Bousquet -Mirandolle, "Thomas Hees: Journal d'un voyage à Alger (1675-1676)", **Rev. Afr**, N450-451, V101, 1957, pp85-128.

المرتبط منه بمنطقة القبائل يرجح مبدأ دعم البعض منهن للمشروع الثقافي الذي كانت فرنسا تسعى لتحقيقه في الجزائر والذي كان يهدف إلى ضرب وحدة البلاد، كما لا يمكننا نفي الصبغة الاستشراقية عن بعض تلك الدراسات وذلك على اعتبار أنها كتبت بمشاركة مع بعض المستشرقين كالمستشرق ج.ه. بوسكي.

ومن الفرنسيات اللاتي كانت لهن مساهمات عديدة في العديد من الجرائد والمجلات المختلفة السيدة ماري بوجيجا التي نشرت مقالاتها في بعض الصحف مثل "أرض الجزائر" (أرض إفريقيا) من 1920 إلى 1931، نشرية جمعية الجغرافيا لمدينة الجزائر وشمال إفريقيا والتي نشرت فيها بعض محاضراتها كبحث "نظريات أهلية" الذي نشرته في عددها 124 لسنة 1930 و"المجهرات الأهلية" بالعدد 126 لنفس السنة، كما نشرت أيضاً مقالاتها في ودادية عمالة قسنطينة من 1927 إلى 1933 ولقد لقيت هذه الكاتبة إثناء من بعض الكتاب الفرنسيين الآخرين كروبا لارولان (Ruba Larolan) الذي كتب بشأنها في مقال مجلة أفريك قائلاً: "هي بنت وزوجة متصرف إداري، لقد حملت معها اهتماماً حماسياً وفكراً متحرراً من أي إحتياط، وهي ودودة وحتى أخوية".¹

2- مساهمة المرأة الأوربية في إصدار الصحف بالجزائر:

سيتم التركيز على هذه المجلة وذلك على اعتبار أنها أول مجلة أصدرتها امرأة فرنسية بالجزائر باللغة العربية تدعى جوان ديريو (J. Derayaux) والتي عرفت باسم جمانة رياض وهو اسم قامت باقتباسه من المشرق العربي الذي ذهبت له مع والدها²، وهي فتاة فرنسية اشتغل والدها بمهمة التدريس بالمدرسة الفرنسية الثانوية بمدينة البليدة وقد تعلمت منه ابنته اللغة العربية كتابة ونطقاً لدرجة أن أصبحت مشغوفة بها إلى حد كبير.³

وكانت جمانة رياض غربية غربة معاصرتها إيزابيل إيبرهارت ولكن في اتجاه آخر، فإذا كانت الأخيرة قد اهتمت بالجوسسة والشهوات وحياة الصحراء والبداءة ثم الإسلام والتصوف والسياسة، فإن الأولى اهتمت بالأدب واللغة العربية والحركة النسوية في العالم العربي وكذا حركة الجامعة الإسلامية⁴ وبينما ترجمت إيزابيل وعشقت الفروسية، فإن جوان ديريو تمشقت وأحبت العرب وسمت نفسها جمانة رياض.¹

¹ - مسعودة يجاوي مرابط، المرجع السابق، مج 1، ص 467-469.

² - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، المرجع السابق، ص 237.

³ - زكرياء مفدي، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جم وتح: حمدي أحمد، الجزائر، منشورات مفدي زكرياء، 2003، ص 41.

⁴ - الجامعة الإسلامية: حركة إصلاح ديني وسياسي ظهرت في الربع الأخير من القرن 19 م على يد المصلح الديني والفيلسوف السياسي جمال الدين الأفغاني وتبعه في نفس الطريق مجموعة من المفكرين منهم عبد الرحمان الكواكي ومحمد عبده ورشيد رضا وتعتبر من أقوى الحركات الفكرية التي عالجت المشكلات الدينية والدنيوية في الشرق وكان الدافع الأساسي الذي دفع الأفغاني لإنشاء هذه الحركة تتمثل في الأخطار التي كانت تهدد العالم الإسلامي كالزحف الاستعماري الغربي، لذا فقد دعا إلى تقوية الحكومات الإسلامية

وقد تمكنت جان ديرايبو من الحصول على دبلوم الدراسات العليا من مدرسة الآداب العليا كما حصلت على البروفيسور-دبلوم- الذي تعطيه الحكومة العامة باسم بروفي المراسل للجائزة العربية²، ولقد قال فيها الأستاذ فليب ذي طراز صاحب كتاب الصحافة العربية: "لقد أحرزت ديرايبو على الجائزة الأولى في آداب اللغة العربية عام 1911 بين جميع طلبة مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس ووافتها المنية عام 1914 في العاصمة الفرنسية ولقد كان لخبر وفاتها أسف شديد لدى عارفي فضلها من الأدباء المستشرقين"³.

وكلفت جان دوريو رفقة والدها من طرف الحاكم العام جوناو ومدير الشؤون الاهلية دومنيك لوسيانى (Dominique Luciani) بمهمة في مصر وتونس سنة 1906 وكان الهدف الظاهر من تلك المهمة هو دراسة أوضاع مدارس البنات في البلدين، وقد قامت بتقديم تقرير حول ذلك إلى الحاكم العام، وفي مصر اهتمت جمانة رياض بحياة المرأة ونشاط المجالات والصحف العربية التي كانت تشرف عليها كل من لبيبة هاشم في القاهرة وألكسيسكندرا فيسينو بالإسكندرية، وهناك فكرت جمانة رياض بإنشاء مجلة مشاهجة في الجزائر تعمل على خدمة السكان العرب فأصدرت الإحياء في الجزائر العاصمة انطلاقةً من تلك التجربة والرؤية وكان ذلك في أول محرم 1325 الموافق ل15 فيفري 1906، وكانت عبارة عن مجلة عمومية تصدر مرتين في الشهر تحتوي على مقالات أدبية وموضوعات في القضايا المعاصرة⁴، وقد جاء في الغلاف الخارجي للعدد الأول منها ما يلي:

- الإحياء مجلة إسلامية أدبية إخبارية تصدر مرتين في كل شهر عربي يحتوي كل عدد منها على ثماني صفحات من القطع الكبير (12×20).

- تصدر بالعاصمة وتطبع بالمطبعة الشرقية "بيار فونطانا Pierre fontana" لوكيلها بودلومي (Bodhlmy).

- صدر منها سبعة أعداد وقد أرخ العدد الأخير منها ب15 ربيع الثاني 1325هـ.

- ثمن العدد الواحد منها 10 سنتيمات.

وإدخالها تحت حكومة واحدة والمتمثلة في الخلافة الإسلامية -آل عثمان- مع إدخال الأفكار والنظم الغربية التي هي سر تقدم الغرب إلى الدولة الإسلامية. ينظر إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الرياض، العبيكان للنشر، 1995، ص 199.

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص 237.

² - نفس المرجع، ص ص 237-238.

³ - فليب ذي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، ج3-4، بيروت، دار صادر، 1914، ص 350.

⁴ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص 238.

-قيمة الاشتراك بها عن سنة أربع فرنكات بالنسبة للجزائر وتونس وفرنسا و5 فرنكات بالنسبة لباقي دول العالم.¹
 أما بالنسبة لأبوابها القارة فتحثوي على المقال الافتتاحي: ويتطرق عادة إلى موضوع له صلة بالاجتماع أو الثقافة أو الدين وتحرره صاحبة المجلة جان ديريرو أو محرره كاتب يوقع باسم "علواني"، يليه مقال ذو طابع علمي في التاريخ أو الجغرافية أو الأدب، تليه أخبار متفرقة داخلية فركن العالم الإسلامي، فقطعة شعرية فلغز وفكاهة أو مثل.²
 وساهم في بتحرير المجلة مجموعة كبيرة من الكتاب والمثقفين منهم صاحبة المجلة التي توقع أحياناً بحرفي ج.ر أو جمانة رياض، كما ورد في المجلة بعض المقالات الغير موقعة والتي يرجح بأنها تعود لصاحبة المجلة على اعتبار أن أصحاب المجلات في تلك الفترة قد تعودوا على كتابة مقالات في مجلاتهم دون توقيع³، كما شارك في تحريرها مجموعة من الكتاب والمثقفين الجزائريين ومنهم السيد عدواني والسيد الحاج الصالح اللذان تخرجا من المدارس العربية الفرنسية وقد كانا من المعارضين لكل تساوي بين الأهالي والأوربيين.⁴
 وبالنسبة للشيخ عدواني فقد كان من المداومين على النشر في تلك المجلة وقد تميزت مقالاته بالجودة العالية، أما الحاج الصالح فغالبا ما كانت المقطوعات الشعرية من إمضاءه ولكنها كانت متوسطة الجودة موضوعاً وفناً.⁵
 ونجد إلى جانب هؤلاء كتاباً آخرين غير مداومين شاركوا في تحرير هذه المجلة بعضهم من الجزائر وبعضهم الآخر من تونس، ويذهب البعض إلى أن بعض رواد النهضة بالجزائر قد ساهموا بكتاباتهم في هذه المجلة كعبد القادر مجاوي⁶ وعبد الحليم بن سماية⁷ وغيرهم.⁸

¹ - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، المرجع السابق، ص358.

² - نفس المرجع، ص358.

³ - نفس المرجع، ص358.

⁴ - الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر نشأتها وتطورها، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج4، 1985، ص196.

⁵ - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، المرجع السابق، ص359.

⁶ - عبد القادر مجاوي 1848-1914: ولد بتلمسان وتوفي بقسنطينة، اشتغل أستاذاً للغة العربية والشريعة الإسلامية في العاصمة وقسنطينة، ساهم في النهضة الجزائرية بكتبه ومحاضراته ونشاطه في الصحافة. ينظر إبراهيم مياي، مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، الجزائر، غرناطة للنشر، 2010، ص235.

⁷ - عبد الحليم بن سماية 1866-1933: ولد بالعاصمة، حفظ القرآن، اشتغل كأستاذ ومصلح المدرسة الثعلبية، وهو أحد الدعاة الدعاة للجامعة الإسلامية، عارض التجنيد الإجباري بشدة، له عدة مؤلفات ومقالات، توفي بالعاصمة. ينظر نفس المرجع، ص236-237.

⁸ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص293.

أما بخصوص عنوان هذه المجلة (الإحياء) فهو يعبر بدوره عن مرحلة حاسمة كانت قد شهدتها البلاد العربية والإسلامية في العقد الأول من القرن العشرين والتي اتسمت ببروز الحركة الإحيائية التي صاحبت النهضة الإسلامية التي قادها كل من جمال الدين الأفغاني¹ وتلميذه مُجَّد عبده² الذي زار الجزائر وتمكن من الاتصال بعلمائها وتجاوز معهم في قضايا العالم الإسلامي وذلك قبل بروز مجلة الإحياء بثلاث سنوات، ومن المعروف أن هذا المصطلح (الإحياء) كان شائعاً وكثير الاستعمال من طرف الكتاب خاصة قبل قيام الحرب العالمية الأولى وبعدها وقد كان يدل على النهضة التي كان يشهدها العالم الإسلامي.³

وصدر العدد الأول من هذه المجلة في أول محرم 1325 هـ الموافق ل 14 فيفري 1906م وقد دأبت على أن تؤرخ أعدادها بالتاريخ الهجري وحده أما التاريخ الميلادي فقد كان يذكر في الغلاف الأخير للمجلة حيث تكتب المعلومات التي تعرف بالمجلة باللغة الفرنسية وهو الشيء الذي يدل دلالة واضحة بأن هذه المجلة كانت موجهة للمسلمين دون سواهم.⁴

أما فيما يتعلق باللواضيع التي كانت تعنى بمعالجتها فقد جاء عددها الأول متضمناً لمقالات عن الصحافة العربية وعن أحداث إيران وسكة حديد الحجاز وموضوع عن المجلة النسائية "فتاة الشرق" وشؤون المغرب الأقصى والنشرة الأثرية الجزائرية ، كما جاء في عددها الثاني مجموعة من المقالات المختلفة مثل التربية والتعليم- المسلمون في روسيا، ليبيا ، إيران.⁵

¹ - جمال الدين الأفغاني (1839-1897): ولد في همدان بإيران من أسرة شيعية، درس في قزوین ثم أنتقل إلى طهران وجالس كبار علمائه، ثم رحل إلى النجف ودرس فيها العلوم الشرعية والفلسفية والمنطق والرياضة وعلم النحو والطب والكيمياء، وقد عرف فيه أساتذته النباهة والذكاء، أحدث الأفغاني نخبتين اجتماعيتين: نخبة اجتماعية علمية، ونخبة سياسية وغالباً ما انصب نشاطه في الثانية منهما، بدأ نشاطه العلمي في أفغانستان وواصل دراسته في الهند ولم يكن له اهتمام كبير بالتأليف، بل كان همه أن يلقي كلماته وخطبه على تلاميذه. ينظر مُجَّد إبراهيم عبد الرحمان، "مدرسة المنار التفسيرية ملامحها -آثارها- نقدها"، ندوة دولية حول مدرسة المنار ودورها في الإصلاح الإسلامي الحديث، القاهرة، 8-9 أكتوبر 2002، ص ص7-8.

² - مُجَّد عبده (1849-1905): ولد بحصة شبشير من قرى محافظة الغربية بمصر، نشأ في عائلة متوسطة الحال، حفظ القرآن ، ثم انتقل إلى طنطا لتجويد في المسجد الأحدي، جلس في دروس العلم بالأزهر وتلقى العلوم المختلفة ، التقى بجمال الدين الأفغاني وتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية، له إنتاج تفسيري منه: "تفسير جزء عم"، "تفسير مطول لسورة العصر"، توفي بالأسكندرية . ينظر نفس المرجع، ص ص8-9.

³ - مُجَّد ناصر ، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، المرجع السابق، ص359.

⁴ - نفس المرجع، ص359.

⁵ - الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر نشأتها وتطورها، ج4، المرجع السابق، ص195.

ونتيجة لعناية تلك المجلة الفائقة بالمسلمين عامة والجزائريين خاصة فهناك من اعتبرها من الدوريات الجزائرية الإصلاحية الرائدة وذلك لما تورده من مقالات تحليلية وبحوث متعمقة في واقع المسلمين المؤسف وماضيهم المشرق، كما يبدو أنها كانت تتطلع إلى إيقاظ المسلمين الجزائريين ليدركوا واقعهم عن طريق الصحافة وقد خصصت دوريو لهذا الموضوع مقالاً مطولاً في العدد الأول من هذه المجلة والذي تحدثت فيه عن الصحافة والدور الريادي الذي أصبحت تؤديه في توجيه الأمم والنهوض بها، مشيدة في ذلك بالحركة الصحفية النشيطة التي كانت تشهدها مصر وتونس وبلاد الشام والمهجر الأمريكي وبعض البلاد الإسلامية مثل إيران والهند وروسيا وقالت تعليقاً على تلك النهضة: "ونحن لعمر الحق ليسرنا اجتهاد أرباب الصحف والمجلات في غرس الفوائد العلمية ومكارم الأخلاق الإنسانية التي بها تكسب الأمم التمدن والرفي إلى الكمالات، وعندئذ يصدق على ذوي الصحف (كذا) معاني أسمائها كذلك وسنقوم بالكرد على قدر استطاعتنا في اقتفاء آثارهم نفعاً لإخواننا المسلمين".¹

إن محتويات المجلة تدل أنه كان لصاحبيتها خطة كانت تنتهجها وهدفاً واضحاً تسعى لتحقيقه فكانت مقالاتها الافتتاحية ذات طابع تربوي إصلاحي توجيهي تغرس في المسلم الجزائري روح الاعتزاز بمقوماته الدينية واللغوية، كما أنها كانت تقوم بطرح بعض القضايا الحساسة مثل النهضة الإسلامية: غاياتها وأهدافها، واللغة العربية ودورها الحضاري والأدبي، والتمثيل العربي وضرورته في التربية والتوجيه إلى غير ذلك من المواضيع ذات الأسلوب التحليلي المتعمق المعتمد على الاستنتاج والاستنباط وإبداء الرأي، حتى إنه كثيراً ما يكون التعليق في هذه المجلة على الخبر أو التحقيق ذو طابع استنهاضي يحوي صرخات محذرة تهدف إلى الاستشارة والتحميس في أسلوب عاطفي واضح مصحوب بلمحات عابرة ذكية تجيء في قالب خاطف (الFLASH) من خلال الفكاهة أو مثل أو مقطوعة شعرية.²

وقد دأبت المجلة على استخدام الأسلوب الاستنهاضي في كل ما تقدمه عن أخبار العالم الإسلامي والعربي، كما اهتمت أيضاً بتاريخ الشخصيات والملوك والعظماء بل إنها كانت توزع على المشتركين صوراً لبعض الملوك المسلمين من ذوي السيرة الحسنة والسمعة الشعبية حيث أوردت المجلة مثلاً في الجزء الثاني هذا التنبيه "اليوم أصدرنا رسم شاه العجم الجديد، وسنصدر على التدريج بحول الله وقوته رسوم ملوك الإسلام وبعض ملحقات محبوبة (كذا) عندنا معشر الإسلام" وقد ساعد ديراو انتهاجها هذا النهج هو اطلاعها المعترف على الحضارة الإسلامية تاريخاً وآداباً ولغة وديناً

¹ - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، المرجع السابق، ص360.

² - نفس المرجع، ص360.

حيث لم تكن تعتمد فقط على ما تقرأه في الصحف والمجلات والكتب عن الموضوعات بل كانت تستند على الدراسة الميدانية والتجارب المعيشية على اعتبار أنها عاشت لفترة في المشرق العربي.¹

وباهتمامها هذا تكون قد قدمت للمسلمين الجزائريين خدمة كبيرة وذلك حين ساهمت بذلك بحفظ الصلات الروحية التي كانت تربط الجزائريين بحضارتهم وانتمائهم الديني واللغوي، كما استجابت لرغبات المثقفين الجزائريين المتعطشين إلى أخبار المشرق، مجابهة بذلك محاولات الاستعمار الذي ما انفك يعمل جاهداً للحيلولة دون استمرار تلك الروابط عن طريق سن القرارات الصارمة التي كانت تمنع دخول الصحف والكتب والدوريات والشخصيات إلى القطر الجزائري، كما أن أسلوب صاحبة المجلة كان يعبر عن تعلقها بالحضارة الإسلامية فقد كانت تستخدم أثناء الكتابة والتعبير ضمير المتكلمين فتقول أسلافنا، وكتابنا وديننا وجامعتنا وعندنا معشر الإسلام ولما كان لديها إطلاع معتبر على القرآن الكريم فقد كانت تستشهد بآياته من حين لآخر، كما كانت تستخدم تعابيره وصيغته وتستند إلى أحكامه عندما يكون الأمر متعلقاً بالمعاملات والسلوك يومنه فقد كان تعاملها مع القرآن الكريم تعاملًا مباشراً وهذا ليس بغريب عن شخص يتقن اللغة العربية، كما أن صلتها الحميمية بالحضارة الإسلامية جعلت البعض يذهب إلى اعتناقها للإسلام وذلك لما لمحوه من حماسها ولهجتها الصادقة عن الإسلام واللغة العربية.²

أما بالنسبة للمحاور التي دارت حولها موضوعات هذه المجلة فتتمثل في ثلاثة محاور وهي: الحضارة الإسلامية، اللغة العربية، العلوم والمعارف.

وقد اهتمت ديريو بالحضارة الإسلامية وهو ما عبرت عنه في مقال مطول عنوانه ب "النهضة الإسلامية والغاية التي ترمي إليها" تحدثت فيه عن الحركة الإسلامية التي شهدتها البلاد العربية والإسلامية أواخر القرن 19 ومطلع القرن العشرين، كما استعرضت فيه جذور تلك الحركة موضحة بواعثها وأهدافها، لتصل في الأخير إلى أن تلك الحركة الواسعة لم تكن سوى مجرد صحوة مباغته أو غير متوقعة وذلك لأن المسلمين يملكون من الرصيد الحضاري ما يؤهلهم ليكونوا أساتذة العالم، وأن الانحطاط الذي وصلت له الأمة الإسلامية في الآونة الأخيرة يصيب جميع الأمم العظيمة ومرد ذلك التدهور من وجهة نظرها يعود إلى انحراف بعض الحكام المسلمين وتحليلهم عن تعاليم دينهم الحنيف، كما وقفت بعد ذلك عند حركة الزعيمين جمال الدين الافغاني ومُجدَّ عبده مذكرة بجهودهم الموفقة ومستبشرة كذلك بالآثار

¹ - مُجدَّ ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، المرجع السابق، ص 160-361.

² - نفس المرجع، ص 362.

الاجتماعية التي أخذت تنتشر بفضلهم في البلاد العربية والإسلامية حيث أصبحت الحركة التي كانا يدعوان إليها كما قالت: "بدءاً سليماً دخل دور الترعج والنمو وأوشك أن يصير شاباً ذا قوة وجرأة".¹

وتطرق دريبو أيضاً لردود الأفعال التي أحدثتها تلك النهضة الإسلامية في الأوساط الغربية وذكرت بأنها قوبلت بتخوف شديد من طرف بعض الصحفيين والمستشرقين الأوربيين، ما جعل البعض منهم يعتبرونها خطراً كبيراً يجب الحد منه فأنهالوا عليها بصور بشعة مخيفة دون أن يقدموا لذلك الأدلة البينة على مزاعمهم، واعتبرت ذلك مجرد "رجم بالغيب وصور خيالية صاغت قرائح الكتاب لجهلهم بلغة القوم وآدابهم وما يتطلعون إليه حفظاً لحياتهم الأدبية"²

ومن هنا تكشف دوريو الموقف الغربي المتعصب تجاه العرب الذي كان يعمل جاهداً على تشويه أية نهضة أو يقظة عربية بنعتها بالعديد من النعوت المستهجنة كالمجعية والتعصب والتخلف وذكرت بأنه ليس من حق هؤلاء المستشرقين الوقوف من المسلمين هذا الموقف العدائي دون علم، وذلك لأن أغلبهم لا يمتلكون الأدوات التي تمكنهم من التعرف على حقيقة الإسلام والمسلمين وهي اللغة العربية ولو أتقنوها لعلموا أن الحضارة الإسلامية إنما جاءت لخير الإنسانية كما أنها قالت بأنه: "لا يسوغ لأي أوربي أن يخوض غمار المباحث الإسلامية غير مستعرب وتعني بالمستعرب الذي يتقن اللغة العربية كي يتمكن من مطالعة الكتب ويقف على مغزى الإسلام وما جادت به جرائد العالم الإسلامي وبعد ذلك له أن يحكم على الحركة الإسلامية وما هي الغاية التي تهدف إليها هل هي تعصب وانتقام من أوربا أم حركة إصلاح وعلم وتهذيب"، كما عملت على ذكر المستشرقين الفرنسيين الذين وقفوا موقفاً متعصباً تجاه النهضة الإسلامية مثل المستشرق أرنيست رينان (Ernest Renan)³ وغريال هانوتو (Gabriel Hanot) اللذين ذكرت اسميهما بصراحة دون حذر وتهيب من السلطة الفرنسية في الجزائر.⁴

ونددت دريبو كذلك بما جاءت به الحضارة الغربية الدخيلة من وسائل التدمير الأدبية والمعنوية والتي حطمت مقومات الشعوب المستعمرة، كما لم يفتها في ذلك التعليق على مطلب كان قد قدمه بعض الوزراء الفرنسيين إلى

1 - مُجَّد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، المرجع السابق، ص 362-363.

2 - نفس المرجع، ص 364.

3 - أرنيست رينان (Ernst Renan) (1823-1892): مستشرق فرنسي، من كتبه "تاريخ اللغات السامية"، "ابن رشد والرشدية" و "تاريخ نشأة المسيحية"، قسم البشر إلى آريين وساميين وادعى بأن العرق الآري يتميز بملكة الخلق والإبداع، في حين ينظر إلى الثقافة التي سميت بالسامية بأنها شاذة لأنها شرقية. ينظر نبيل رشاد سعيد، "التحيز والإنصاف في موقف المستشرقين من الفلسفة العربية في الاسلام"، دراسات عربية، ع3-4، جانفي-فيفري، 1990، ص111.

4 - مُجَّد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، المرجع السابق، ص364.

الحكومة مطالبين فيه بإصدار قرار بمنع بيع وشرب الشيش في فرنسا والجزائر لكونه ممتزجاً بمادتين مسمومتين وبعد أن وضحت أثره على الصحة قالت: "فمالنا نرى أكثر الأمة لا تشرب إلا هذا الشارب الشنيع عقلاً وشرعاً مع أنهم يعلمون ذلك ولعمر الحق أننا متأسفون ولا زلنا نتأسف ونأسف على شراب إخواننا المسلمين هذا الداء العضال"، كما طالبت المسلمين بالتمسك بجميع الخصائص التي جاءت بها الحضارة الإسلامية من عادات وتقاليد، حضارة وتاريخ وفي هذا أشادت بالدور الجسيم الذي كانت تقوم به "جمعية الجزائر العتيقة" التي حملت على عاتقها مهمة الحفاظ على الطابع المعماري الإسلامي في الجزائر العاصمة وشكرتها على وقوفها ضد مطلب بعض الفرنسيين اللذين طالبوا الحكومة بأن تسمح لهم بهدم الجامع الجديد والجامع الأعظم ليبنوا على أنقاضهما دياراً لهم.¹

لم تكتف ديريو بإيراد المقالات والتعليقات بخصوص القضايا الإسلامية بل خصصت في كل عدد ركناً خاصاً عنوانته ب: "صدى العالم الإسلامي" تحدثت فيه عن الواقع الثقافي والاقتصادي والاجتماعي للدول الإسلامية، فكانت تورد أحاديث عن مصر وتونس ومسلمي الهند وروسيا وإيران التي تطلق عليها بلاد العجم وكان هدفها من وراء إنشاء ذلك الركن هو ربط المسلمين الجزائريين بإخوانهم في جميع نواحي العالم عن طريق التطرق لمواضيع عديدة خاصة بالإسلام والمسلمين منها النهضة الاجتماعية والفكرية التي بدأت تنتشر بين مسلمي روسيا حيث كانت تشيد بتلك النهضة وتقوم بعرض تحليل دقيق لبواعثها وأسبابها.²

ومنه فإن جان ديريو ذهبت إلى أن أي نهضة لا بد أن تقوم عن طريق نشر العلم والمعارف، وإن من أنجع الوسائل المساهمة في التثقيف الصحف باعتبارها وسيلة تهيئية جيدة، كما ذهبت إلى أن تخلف المسلمين مرده أولاً وأخيراً إلى الجهل والتفرق وذلك لأنها رأت بأن المسلمين ليسوا في حاجة إلى مدنية وافدة أو نظم دخيلة وأن تعاليم الدين الإسلامي تكفل لهم ذلك.³

أما المحور الثاني الذي اهتمت به المجلة فهي الموضوعات المتعلقة باللغة العربية وهذا شيء ليس ببعيد عن الأنسة ديراو التي أحرزت الجائزة الأولى في آداب اللغة العربية عام 1911 بين جميع طلبة مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس⁴، فقد عبرت في مجلتها عن تحمسها الشديد لتلك اللغة وأشادت بماضيها العريق كما اعتبرت اللغة المتفوقة على سائر اللغات الأخرى وذلك لما تتميز به من بلاغة ودقة وعمق وسعة محيط، كما أنها تأسفت من المصير الذي

¹ - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، المرجع السابق، ص 364-365.

² - نفس المرجع، ص 366-367.

³ - نفس المرجع، ص 367-368.

⁴ - الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر نشأتها وتطورها، ج4، المرجع السابق، ص 196.

وصلت له اللغة العربية وهي بين أهلها وذويها وقد حملت مسؤولية ذلك للمسلمين وحدهم ودعتهم للنهوض بلغة القرآن وأن يعملوا متحدين لنشرها وترقيتها بواسطة المدارس والصحف والمسرح، وكانت دائماً تقوم أثناء تطرقها للغة العربية بربطها بالدين الإسلامي ما جعل البعض يساءل حول إذا ما كان وراء هذا الإعجاب باللغة العربية نزعة إسلامية جعلتها لا تفرق بينهما كقولها: "لغة البلاغة التي عرفها القرءان أم أن ما دفعها لذلك كان نابعاً من مجرد ما رأته من إذلال لتلك اللغة من طرف المستعمر."¹

أما المحور الثالث الذي دارت حوله موضوعات الإحياء فهو الدعوة إلى النهوض بالعلم والمعرفة على اعتبارها الوسائل الأساسية لنهضة أي أمة من الأمم، كما نوهت أيضاً إلى الوسائل الثقافية التي تمكن الجزائريين من تنمية معارفهم كالمكتبات والصحف والمدارس العصرية والمسرح.²

وبالتالي فإن تلك المجلة كانت تهدف إلى تعليم الجزائريين وتنقيفهم اعتماداً على لغتهم الخاصة وأخلاق دينهم الحنيف، كما أنها دعتهم إلى مسايرة العصر وتوظيف الوسائل بما يتماشى ومصالحهم ولا يخالف مبادئ دينهم الإسلامي السمحة والتي رأت بأن المسلمين لو أنهم تمسكوا بما لتمكنوا من تحقيق نهضة يعود نفعها على الجزائريين خاصة والأمة الإسلامية عامة.³

ويعد تأسيس هذه المجلة ذات الطابع الإسلامي العربي الواضح من طرف مستشرقة فرنسية سابقة إعلامية من نوعها استقبلت بارتياح كبير لدى العديد من الأوساط الثقافية في القطر الجزائري وخارجه، وكان لها قراءها والمعجبون بها في القطر التونسي ومن الدوريات التونسية التي أعجبت بها الصواب، وإظهار الحق، ولسان الأمة، والترقي والحاضر، وقد علق ديريو على تلك الالتهافت الأخوية الكريمة من التونسيين بقولها: "جميع رصفائنا التونسيين التفتوا إلى مجلة الإحياء لأن اتفاق الجرائد عظيمة".⁴

ومن خلال تتبع المحاور التي ركزت عليها هذه المجلة بالإضافة إلى موضوعاتها نتساءل عن الأسباب الأساسية التي دفعت هذه المستشرقة إلى تبني هذا الاتجاه الداعي إلى تعليم الجزائريين عن طريق استلهم حضارتهم الخاصة وتعليمهم لغتهم، كما دعت إلى ضرورة إصلاح مناهج التعليم التي أصبحت غير نافعة وإحياء معنويات الجزائريين وأخلاقهم وذلك بالرجوع إلى أصول الدين الإسلامي وصفاته الأولى، خاصة إذا ما علمنا بأن مجلة الإحياء كانت من المجالات

¹ - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، المرجع السابق، ص 369.

² - نفس المرجع، ص 370.

³ - نفس المرجع، ص ص 372-374.

⁴ - نفس المرجع، ص 380.

التي تبنت سياسة رفض الاندماج بين الجزائريين والفرنسيين وبالتالي فإن صاحبة المجلة كانت متأثرة بمدرسة الشيخ مُجدَّ عبده التي كانت لا ترفضها السلطات الفرنسية أيضاً وعلى رأسهم شارل جونار الذي كان من أكبر المؤيدين لفكر وفلسفة تطور الجزائريين داخل حضارتهم بدعم وغطاء من فرنسا، وبالتالي لا يستبعد أن يكون هو وسياسته من وراء إنشاء هذه المجلة.¹

ولعل ما يؤكد ذلك محاولاته السابقة لدعوة بعض المفكرين بإنشاء الجرائد العربية كالمغرب والجزائري والأخبار وكوكب إفريقيا وذلك لاستقطاب الأقلام العربية الإسلامية، كما أن التوجه الاندماجي أو التوفيقى التمثل في الدعوة إلى التآخي والتسامح بين المسلمين والفرنسيين يمكن إيجاده في بعض فقرات هذه المجلة، ومن ذلك أنها وقفت أحياناً موقفاً حيادياً فيما يتعلق بالسلطة الحاكمة في الجزائر أحياناً، وأحياناً أخرى يكون موقفها ودياً متعاطفاً فهي مثلاً إذا تحدثت عن الدولة الفرنسية وصفتها على أنها دولة العدل والإحسان وإذا جاء ذكر الوجود الفرنسي في الجزائر صورته من جانبه المدني ودعت الجزائريين إلى التعامل بالأخوة والوفاق والتسامح مع الفرنسيين وما جاءوا به، ومن جملة ما قالت في ذلك: "فلو أسعف الحظ إخواننا المسلمين لعملوا بها فكانوا من الفائزين لكن ضيعوا هذا المبدأ الشريف واقتصروا على أقوال الدجاجلة المزخرفة الباطلة".²

وعلى الرغم من أن مجلة الإحياء قد قامت بتوضيح اتجاهها الحيادي سياسياً حين قالت عن نفسها بأنها: "لا تتدخل في السياسة ولا تتفوه بالسوء في أحد وإنما موضوعها المباحث العلمية والآداب التهذيبية، طالبة الأمن والرشاد لها ولسائر العباد" لكن من ناحية أخرى فإن مديرة تحرير هذه المجلة لم تستطع المحافظة على ذلك المنحى الذي اختارته لمجلتها حيث انزلت في ذلك الاتجاه انزلاقاً خطيراً ما جعلها تبدو كأنها بوق من أبواق الاستعمار وهذا حين قامت فور دخول القوات الفرنسية إلى وجدة تحت قيادة الجنرال ليوتي إلى إيراد ذلك الخبر على صفحات مجلتها، بل لم تكتف بذلك بل أشادت بالدور الذي تقوم به القوات الفرنسية من إصلاح "وجدة" أهلها داخلاً وخارجاً مشيرة في ذلك إلى إصلاح الشوارع والبساتين، وغرس الأشجار، ومد أسلاك التلغراف وغيرها من الإصلاحات المدنية، كما نوهت المجلة إلى شعور السكان المتخوف من الفرنسيين في البداية لكن سرعان ما زال عنهم ذلك الخوف نتيجة لما رأوه من عدل الفرنسيين وصلاتهم فتوافقوا معهم.³

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص239.

² - مُجدَّ ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، المرجع السابق، ص376.

³ - مُجدَّ ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، المرجع السابق، ص377.

وكشفت الإحياء عن دورها في توطيد هذا التوافق بين الفرنسيين والأهالي وذلك لما كانوا يقرؤونه في مجلة الإحياء من دعوات إلى "الإصلاح العام والتوافق التام" وتقول صراحة: "وإننا لحامدون الله حيث دخل الترقّي والأخوة في المغرب الأقصى بين العنصرين بسبب ما قلنا فالحمد لله على العافية والأمان والترقي والأخوة بين بني الإنسان".¹

وبالتالي غدت تلك المواقف التي أبدتها ديراو على صفحات مجلتها محط جدل لدى بعض الدارسين لتلك الدورية بين منتقديها ومعتبراً إياها مجلة تضم إلى المجلات التي أسست من طرف السلطة الاستعمارية بالجزائر وذلك لخدمة أغراض محددة، بينما تساءل البعض الآخر فيما إذا كانت تلك مواقفها التي كانت لصالح لاستعمار الفرنسي هي عبارة توجيه أو ضغط من الولاية العامة في الجزائر، أم أنها كانت نابعة من تخوف المجلة من السلطات الحاكمة في الجزائر التي كانت لاتتسامح إطلاقاً مع الدوريات العربية وديريو لا شك تعلم مسبقاً ذلك القانون الفرنسي الذي يعتبر الصحافة المكتوبة باللغة العربية صحافة أجنبية ولو صدرت بالجزائر ولوزير الداخلية الحق في مصادرتها دون محاكمة، لكن على الرغم من ذلك فإن الخصائص الفنية والفكرية والاهتمامات العربية الإسلامية أكسبت تلك المجلة سمعة طيبة واستقبلت بنوع من الارتياح وسط الأوساط المثقفة.²

وقد اختفت مجلة الإحياء سنة 1907 وذلك بعد أن صدر منها 34 عدد، رغم أن المشتركين فيها بلغوا مائتي مشترك، وذلك لأن مؤسسيها لم يستطيعوا مواجهة متطلبات جريدة ناضجة وقوية وفضلوا الانسحاب من الميدان مع تعويض المشتركين.³

نستنج مما سبق بأن المرأة الأوربية في الجزائر تمكنت من خوض غمار النشاط الصحفي كمنشئة لبعض المجلات أو كاتبة أثرت الصحف الاستعمارية بمقالاتها، أو مراسلة عملت على الوصول للحقائق إلا أن نشاطها لم يخرج من دائرة السياسة الفرنسية الرامية لإضفاء الشرعية على التواجد الفرنسي بالجزائر، أو القيام بجمع معلومات تخدم السلطات الاستعمارية بالجزائر، هذا مع صرف النظر على بعض الاستثناءات التي على الرغم من محاولتها الوصول إلى الحقائق ونقلها بشفافية لكن تعرضت أعمالها للتكليف بما يتماشى والسياسة الاستعمارية.

¹ - مُجَّد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، المرجع السابق، ص377.

² - نفس المرجع، ص378.

³ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص239.

خلاصة الفصل:

مما سبق عرضه في هذا الفصل خلصت إلى نتائج أهمها:

- نشطت العديد من النساء الأوربيات بصفة فردية و جماعية وهذا في إطار النشاط التنصيري بالجزائر قبل وبعد تبلور التنظيم الديني المسيحي بالجزائر وقد تم توظيفهن للقيام ببعض المهام التي كانت تحمل الطابع الخير في ظاهرها والتنصيري في باطنها، وتعد جمعية الأخوات البيض التي أنشأها الكاردينال لافيغيري من أنشط الجمعيات التنصيرية النسوية في الجزائر.

- يعتبر تنصير المرأة الجزائرية من المهام التي كلفت بها الإرساليات التنصيرية النسوية في الجزائر وذلك نتيجة لعجز المنصرون الرجال الوصول إليها نتيجة احتجاجها، ولما كان اختراقها اختراقاً للعائلة الجزائرية فقد تركز نشاط المنصرات بالقيام بمهامهن في الوسط النسوي الجزائري وفي هذا تمكن من دخول بيوت الجزائريات واتصلن بهن وذلك في سبيل إيصال رسالتهن التنصيرية.

- ظهر في الجزائر نخبة نسوية مثقفة شاركت في العديد من الصحف كمراسلة تعمل على تتبع ورصد الأحداث أو كاتبة تقوم بتحرير العديد من المقالات في بعض الصحف كجريدتي الأخبار والمجلة الإفريقية، وكانت تلك النخب المثقفة تكتب في جميع المجالات، كما أن كتاباتها غالباً ما كانت تساير التوجه الاستعماري إلا القليل منها وذلك على اعتبار أن تلك الصحف كانت تحت إشراف قادة عسكريين أو مثقفين معروفين بتأييدهم للسياسة الاستعمارية بالجزائر.

- تعتبر مجلة الإحياء أول مجلة أصدرتها امرأة فرنسية مثقفة باللغة العربية تدعى جان ديرايبو دعت إلى تطور الجزائريين في إطار ثقافتهم ومبادئهم ودينهم، لكن وعلى الرغم من كل ذلك فإن الدارس لتلك المجلة يجب أن يأخذها بحذر وذلك لان المشرفة على تلك المجلة فرنسية تضاف إلى الشخصيات ذات التوجه الاستشراقي والذين كانت المجالات من ضمن الأوتار التي يلعبون عليها، كما أن الاستشراق بوصفه حركة علمية لم يكن يهدف لفهم الشرق فهماً صحيحاً بل كان يعمل على اختصار حضارته والتركيز على بعض قيمه ومبادئه والتي لا يتعارض التركيز عليها مع السياسات الاستعمارية التي كانت توظفها الدول الاستعمارية.

الفصل الخامس:

المواقف المختلفة من نشاط المرأة الأوربية بالجزائر

- -أولاً: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
- -ثانياً: موقف بعض النخب الجزائرية المثقفة
- -ثالثاً: موقف المرأة الجزائرية

أولاً: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

تركز أغلب نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الميدانين الاجتماعي والثقافي، كما أن جهادهم لم يتوقف على الجبهة الجلية المتمثلة في المخططات والقوانين الاستعمارية المسلطة على المجتمع الجزائري بل تعداه لإبراز السياسات الخفية التي كان يستخدمها الفرنسيين ومحاولة التصدي لها بمختلف الأساليب والطرق، ومن هذا الجانب نجد أنهم قد تفتنوا لسلاح خفي استخدم من طرف الاستعمار الفرنسي بغرض تغيير ملامح الخارطة الاجتماعية بالجزائر وهي المرأة الأوربية التي تم تسريبها للمجتمع الجزائري بصفتها عضواً فاعلاً كزوجة أو أم أو معلمة إلى غير ذلك من الأدوار وهذا لخدمة المصالح الاستعمارية بالجزائر.

1- موقف العلماء من تسريب الأوربيات للطرق الصوفية

تعتبر الطرق الصوفية من أبرز الجبهات التي دخلت ضمن اهتمامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفي إطار ذكر جهادهم ضد انحرافها والسياسة الاستعمارية المسلطة عليها كتسريب الأوربيات زوجات لبعض مقدمي الطرق والزوايا قام العلماء بإبراز عمالة بعض الأوربيات كالسيدة أوريلي بيكار على صفحات جرائدهم، وفي هذا نجد مُجَدَّ السعيد الزاهري¹ قد كتب مقالاً مطولاً في جريدة الصراط السوي وذلك بعد زيارته لزاوية سيدي عابد بوهران سرد فيه ما سمعه من أحد الفتيان الجزائريين أثناء سفرهم لتلك الزاوية وذلك بعد مشاهدته لصورة أوريلي بيكار في جريدة فرنسية كبيرة كان يقرؤها وقد تحدث ذلك الشاب عن تلك الفرنسية وقصة زواجها بأحمد التجاني وحقيقة عملاتها للاستعمار الفرنسي.²

وقد ورد في المقال بأن أوريلي بيكار لم تكن شيئاً مذكوراً بل كانت مجرد خادمة بفندق من فنادق مدينة بوردو، أبوها كان دركياً بسيطاً (عون جندرمة)، وقد تعرف عليها شيخ التيجانية في ردهات ذلك الفندق فأعجب بها، ولما

¹ - مُجَدَّ السعيد الزاهري (1900-1956): أديب، كاتب، شاعر، صحفي وإصلاحي، لد بقرية ليانة ونشأ وأخذ العلم من معلمها، درس بالمدرسة الباديسية و بجامع الزيتونة بتونس، عاد إلى الجزائر سنة 1925، شارك في الحركة الثقافية بمقالاته وقصائده الشعرية، وانضم إلى جمعية العلماء المسلمين وانتخب عضواً في مجلسها الإداري، شارك في الحركة الإصلاحية وتطوير الصحافة الجزائرية حيث نشر العديد من المقالات في الصحف كالمنتقد والشهاب وصدى الصحراء والإصلاح، كما أنه ترأس تحرير جريدة السنة والشريعة سنة 1933، والصراط في سنة 1934 بمعية الطيب العقبي، انسحب من الجمعية عام 1935 بسبب خلاف بينه وبين أحد أعضائها، أسس مدرسة الشيبية بالأغواط والمدرسة الإصلاحية بوهران، كما أصدر العديد الصحف منها: "صحيفة المغرب العربي"، من أشهر مؤلفاته كتاب "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير"، تم إعدامه من قبل السلطات الاستعمارية. ينظر رابح خدوسي وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، تق: مُجَدَّ الأمين بلغيت، الجزائر، منشورات الحضارة، 2014، ص ص70-72.

² - مُجَدَّ السعيد الزاهري، "زيارة سيدي عابد) أحاديثنا في القطار"، الصراط، ع6، س1، 1933 / 9/11، ص6.

رجع إلى الجزائر أراد أن يتزوج بها فلم يوافق الوالي العام على ذلك، لكن الكاردينال لافيغيري كان يرى أن هذا الزواج سيخدم مصلحة المسيحية كما أنه سيساهم في تنصير المسلمين وبأيسر الطرق ولأجل ذلك تم ذلك الزواج في الكنيسة الكبرى عام 1908.¹

وذكر الزاهري في ذات المقال على لسان ذلك الشاب بأن تلك الفرنسية أصبحت سيدة طريقة تعتبر من أعظم الطرق في الجزائر بعد أن كانت مجرد خادمة في فندق وسمت نفسها أميرة الرمال، وقد قضت في الزاوية التيجانية ما يقارب ثلاثة وستين سنة بين الجزائريين المسلمين يحوطونها بالاحترام والتقدير، لكنها على الرغم من كل ذلك بقيت على كاثوليكيته خادمة للمسيحية والتنصير وتعطف على المضللين المسيحيين وقد لهم يد المساعدة، وكانت تكتب الرسائل باسم زوجها وترسلها إلى المقاديم والقبائل موصية إياهم خيراً بأبناء ملتها كما كانت تأمرهم بأن يكونوا عوناً لهم فاستطاع أولئك المضللون بذلك أن يشيدوا العديد من الكنائس والعديد من المراكز الكبرى لتنصير الجزائريين في القطر الجزائري خاصة في المناطق الصحراوية والتي ساهم الجزائريون أنفسهم بتشبيدها بأموالهم وعرق جبينهم وبأمر منها².

كما كانت تكتب إلى المقاديم والقبائل باسم زوجها تأمرهم بالاكتتاب وجمع المال ونقل الحجارة وتسخير البغال والحمير وتطلب من العمال الجزائريين المساهمة في بناء الكنائس لتنصير أبناء المسلمين، وكثيراً ما كانت تقوم بالتبرع بمبلغ ضخم من مال الزاوية لتشيد تلك الكنائس، كما أنها ألقت كتاباً أثناء تواجدها في تلك الطريقة عنونته ب"أميرة الرمال" وهي تعني بذلك نفسها وقد ملأته بمجاداتها في خدمة الكنيسة والتنصير، وبعد وفاة زوجها خلفه عليها وعلى رأس الزاوية أخوه وولي عهده وقد استطاعت أن تقوم بمهمتها التنصيرية التي كلفها بها الجنرال لافيغيري على أكمل وجه، كما تمكنت من السيطرة على جميع الشؤون الإسلامية للزاوية، وكانت نستقبل البريد الوارد للزاوية ولا تطلع زوجها على ما جاء فيه إلا ما يخدم المصالح الفرنسية كما أنها اتخذت لنفسها قصرًا بديعاً يبعد عن مقر الزاوية بضعة أميال، وكانت تملك كاتباً خاصاً تملي عليه أجوبة الرسائل التي تستحق الرد منها كما أن سلطتها توسعت إلى درجة أنها كانت تقوم بتنصيب المقاديم وعزلهم كما تشاء وقد اتخذت معيارها في ذلك خدمة المقدم ومعاونته للكنيسة والتنصير³.

1 - مُجَّد السعيد الزاهري، المرجع السابق، ص 6.

2 - نفس المرجع، ص ص 6-7.

3 - نفس المرجع، ص 7.

ونوه الشاب إلى أن تلك البوردية كانت تستقبل الفرنسيين في قصرها وقد استقبلت أحد الصحفيين الفرنسيين والذي أشار بدوره في مقال نشره في إحدى الصحف الفرنسية بأن تلك المرأة بقيت على كاثوليكيتهما خادمة للمسيحية والتنصير حتى آخر لحظة من حياتها كما ذكر بأنها قالت له: "إني لا آسف إلا على شيء واحد فقط هو أنني لم أستطع أن أجعل اللغة الفرنسية هي اللسان الرسمي لهذه الطريقة الصوفية الصوفية الكبرى، فكم تمنيت أن أكتب باللغة الفرنسية كل ما يصدر عن الزاوية من رسائل وإجازات التقديم بل وددت فوق كل ذلك أن أترجم إلى الفرنسية كل ما يقرؤه أتباع هذه الطريقة من الأدعية والصلوات ومن الأوراد والأذكار" وذكر الفتى بأن الأغرب من كل ذلك أنها أوصت بعد موتها أن تدفن بجوار زوجها الأول، وقد حظيت بمكانة كبيرة لدى مريدي الطريقة التيجانية وكانوا يزورون قبرها ويتبركون بها، ولا يزال هذا الاعتقاد راسخ إلى يومنا هذا.¹

لقد حاول الزاهري في مقاله هذا أن يبرز الدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه المرأة الأوربية في التأثير على المؤسسة الدينية واللعب على وتر الوطنية والدين واللغة وذلك باستغلالها للمكانة الكبيرة التي حظيت بها من أتباع الطريقة بما يتماشى والسياسة الاستعمارية، دون أن يغفل التنويه لقضية مهمة وهي قضية الزواج من الأجنيبات وإبراز خطرهما على الصعيدين السياسي والاجتماعي وذلك بإيراد مثال حي عن ذلك ولو بطريقة تلميحية وهو شيخ الطريقة التيجانية أحمد التجاني وذلك على اعتبار أنه كان بمثابة الأب الروحي للطريقة والمثل الذي يقتدى به.

كما نجد مجلة الشهاب قد عملت أيضاً على إعادة نشر مقال تم نشره في المجلة الفرنسية المسماة بـ "المجلة الأهلية" وذلك بطلب من الأديب السيد عبد الرحمان حساني بعد أن قام بترجمته إلى اللغة العربية وطلب أن ينشر في باب "ذكر الرجال بالأعمال" فنُشر في الشهاب حسب رغبته في عددها 142 الصادر يوم الخميس 21 شوال 1346هـ - الموافق 12 أبريل 1928 بنفس عنوان كاتبه، وكان هدفه واضحاً في ذلك وهو الرغبة في فضح بعض الطرق الموالية لفرنسا والأساليب المطبقة عليها من طرف الفرنسيين بالجزائر كتسريب الفرنسية أوريلي بيكار للطريقة التيجانية.²

2- موقف علماء الجمعية من دعوة المرأة الأوربية لتحرير الجزائرية المسلمة

منحت قضايا الزواج، الزي (الحجاب) وتعدد الزوجات والزنا والحد المترتب عليه وتعليم المرأة وعملها الأولوية في دراسات ومقالات الروائيات والكاتبات الأوربيات اللاتي زرن الجزائر أو مكثن بها، كما كانت معظم أعمالهن توصي بإدماج المرأة المسلمة الجزائرية في الحركة النسوية الأوربية التي تجاوزت مطالبها منح المرأة الحق في التعلم وتعدته للمطالبة

¹ - محمد السعيد الزاهري، المرجع السابق، ص 7.

² - أحمد حماني، المرجع السابق، ص ص 285 - 286.

بالمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة من جميع الحقوق السياسية والاقتصادية، ولعل الاختلاف الكبير بين واقع المرأة المسلمة والأوربية على المستوى الحضاري السبب الذي جعل الاتجاه الإصلاحى في الجزائر يقوم بتوضيح الحدود الطبيعية لتلك الحركة ويبرز انعكاساتها السلبية على المرأة والمجتمعات الأوربية والعربية معاً .

اعتبرت بعض النساء الأوربيات أنهن الوحيدات القادرات على الدفاع عن الجزائريات خاصة فيما يتعلق بقضايا الأحوال الشخصية كالفرنسيات هوبرتين أوكلار وماري بوجيجا¹ إلا أن ذلك المبدأ الذي تبنيه لم يكن إنسانياً أكثر منه خدمة للمصالح الفرنسية، لذا وجد العلماء أنه من المفيد إعادة طرح جميع القضايا المتعلقة بالمرأة وخاصة ما هو مرتبط منها بالأحوال الشخصية -على الرغم من فصل الشريعة الإسلامية في أغلبها- وهو ما يظهر لنا جلياً على صفحات جرائد جمعية العلماء المسلمين والتي أدلى فيها العديد من العلماء بآرائهم في مختلف تلك القضايا، محاولين بذلك معالجتها معالجة واقعية ودينية تتماشى مع المقتضيات التي يفرضها الشرع والمصلحة، متبعين سياسة المقارنة بين واقع المرأة الأوربية والمرأة المسلمة عموماً والجزائرية على وجه الخصوص، كما قاموا بدراسة وضعية المرأة الأوربية وتوصلوا إلى جوانب النقص فيما يخص ما كانت تطالب به وحذروا المرأة المسلمة من تقليدها في بعض المسائل خاصة إذا كان ذلك على حساب القيم الخلقية والدينية لمجتمعنا مستدلين بمواقف بعض الأوربيات في هذا المجال حيث نقرأ مثلاً في شهاب سنة 1935 مقالة بعنوان "ما يجب أن نقتبسه من الشرقيات وما يجب أن نقتبسه الشرقيات منا" بقلم الصحفية الفرنسية برت جودار (Bert Godard) كشفت فيه عن عيوب المسلمات كالتقليد الأعمى والتبذير وضعف العناية بالنظافة والقراءة وطلبت منهن الإقتداء بالأوربيات خاصة الريفيات في بعض المجالات كنظافة البيت والأولاد والقراءة واتخاذ سياسة اقتصادية رشيدة لتسيير نفقات البيت وتربية الأولاد على حب بلادهم وكذلك حثهن على مشاركة أزواجهن في جميع أفكارهم وشواغلهم المتعلقة بخارج البيت وداخله.²

لكنها من جانب آخر أشادت ببعض طباع المسلمة كحفاظها على أنوثتها وكراهيتها للاسترجال ومظاهره لاسيما التدخين، وطاعتها لزوجها في المعقول ومكوئها في البيت وإنكارها لذاتها في سبيل الأسرة والأولاد بالإضافة إلى حبها للمعيشة البتية، وذكرت جودار أيضاً بأن مجمل تلك الفضائل لا تمتلكها المرأة الأوربية الحديثة المطبوعة على الإسراف في الحرية والاستقلال.³

¹ - بشير بلاح، مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية، المرجع السابق، ص190.

² - عبد الحميد بن باديس، الشهاب، مج11، قسنطينة، المطبعة الجزائرية الإسلامية، ج4، 3/ 7/ 1935، ص234.

³ - نفس المرجع، ص235.

تلك المظاهر السلبية التي سرعان ما فتحت تظهر إرهاباتها لدى النساء المسلمات في العديد من الأقطار العربية بما فيها الجزائر، لذا قام العلماء بالدعوة إلى الالتزام بحدود الدين وأحكام القرآن الصريحة في ما يخص العديد من القضايا الخاصة بالمرأة كالطلاق وتعدد الزوجات والإرث وغيرها، حيث عبر عبد الحميد بن باديس¹ وغيره من الإصلاحيين عن رفضه الصريح الخروج عن أحكام الإسلام فيما يخص قضايا المرأة والأحوال الشخصية بدعوى الاجتهاد وتطور العصر.²

وفي هذا نجده يرفض فكرة المساواة بين الجنسين التي كانت تطالب بها النساء الأوربيات وصرح بأنه لا يمكن مساواة المرأة بالرجل مساواة تامة، واعتبر أن إعطاء كل واحد منهما وظيفته الخاصة به يعتبر حكمة من حكم الله في هذا الكون فالمرأة خلقت للاهتمام بقسم الحياة الداخلي بالموازاة مع ذلك خلق الذكر للاهتمام بالقسم الخارجي منها واعتبر أن ذلك التقسيم ضروري لبقاء الجنس البشري والحفاظ على النسل ولو اختل ذلك النظام لحصل الفساد، مستدلاً بواقع المرأة الغربية التي خيل إليها أنها قوية مثل الرجل وهذا عندما هجرت وظيفتها وأهمتها وخرجت تراحم الرجل فأضر ذلك بالقسم الداخلي للحياة بإهماله من ناحيتها، كما أضر كذلك بالقسم الخارجي منها وذلك بمزاحمة الرجل وتعريضه للفتن وإبقاء جزء كبير منه دون عمل، ما جعل الأمم الغربية تشكو من انهيار النظام الاجتماعي وتفكك الأسر وانحلال رباط الحياة الزوجية، كما بات بعضها عاجزاً عن تدارك الوضع والأغرب من ذلك أن بعض تلك الأمم قد قامت مؤخراً بفرض ضرائب على العزاب ومنح مكافآت للمتزوجين والمتزوجات.³

ووجد العلماء أنه من المفيد أن يستشهدوا بمواقف بعض الغربيين المحافظين فيما يخص بعض قضايا الأحوال الشخصية كتعدد الزوجات حيث نقرأ على صفحات الشهاب بحث بعنوان "للإعتبار-زيادة عدد النساء" وهو مقال يبرز موقف رجل أوروبي يدعى ميشل الألماني (Michelle) فيما يتعلق بقضية تعدد الزوجات بقوله: "أنه إذا لم يرخص للفلاحين وغيرهم من طبقات أخرى أن يتزوج الواحد منهم بأكثر من امرأة فإن أربعين في المائة من نساء ألمانيا لا يدركن أزواجاً، ومن رأيه أن عدد النساء في المجتمعات الأوروبية قد فاق عدد الرجال بـ15 مليون، ففي سنة

¹ - عبد الحميد بن باديس (1889-1940): ولد في مدينة قسنطينة من أسرة مشورة بالجاه والعلم، درس على يد الشيخ حمدان الويسي، ثم ارتحل عام 1908 إلى تونس للدراسة في جامعة الزيتونة، والتقى هناك بكبار علمائها كإطاهر بن عاشور والبشير صفر، أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويعتبر باعث الحركة الإصلاحية بالجزائر ومن كبار العلماء العاملين بها. ينظر محمد العبد، المرجع السابق، ص 19.

² - رابع لوني، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الانفاق والاختلاف، ط1، الجزائر، دار كوكب العلوم، 2009، ص 119.

³ - عمار الطالي، آثار ابن باديس، الجزائر، الشركة الجزائرية، ج2، مج1، 1997، ص ص 209-210.

1914 كانت الزيادة في عدد النساء الأوربيات 6915 ملايين، أما في سنة 1925 فقد كانت زيادة النساء لا تقل عن مليونين وخمسمائة ألف في كل من روسيا وألمانيا وفي إنجلترا لحق العدد إلى مليونين وفي إيطاليا وصل إلى ربع المليون.¹

كما أوردت الشهاب أيضاً على لسان أبو يعلى الزاوي² ما جاء في جريدة الأخبار والتي نشرت مقالة صغيرة سنة 1930 تحت عنوان "فرنسا على خطر الموت" ندب فيها كاتبها الوضعية الديموغرافية في فرنسا منبهاً إلى انخفاض قلة المواليد وزيادة نسبة الوفيات، وقد وقف الشيخ أبو يعلى الزاوي على تلك القضية فحرر هو الآخر مقالاً على جريدة الشهاب عنونه ب"سر تعدد الزوجات" معتبراً أن مسألة تعدد الزوجات يعتبر أمر اجتماعي عمراني مدني صالح للدين والدنيا ولا ينبغي أن يتم إنكاره قائلًا: "وما ينكره إلا قصيروا العقل قليلوا النظر"، كما ذهب إلى أن إنكار الأمم الغربية له مثل إنكارهم لتحريم الخمر وجواز الطلاق على الرغم من أنه يعتبر مطلباً طبيعياً أبرزه ارتفاع نسبة النساء ليس من أجل كثرة الوفيات في الرجال لمباشرتهم القتال أو معاناة الأعمال الشاقة وهو ما أفادت به الإحصائيات الدولية وأثبتته الإسلام من كلام الرسول صلي الله عليه وسلم وبناءً على ذلك حكم الزاوي على هذه المسألة بقوله: "تعدد الزوجات من العدل والإخاء والمساواة والاشتراك ومن المدينة ومن العمران ومن الصلاح لقطع دابر الزنى".³

أما بخصوص مسايرة المرأة الجزائرية للمرأة الأوربية فإن العلماء لم يكونوا ضد اقتداء الجزائرية بالمرأة الأوربية فيما يتعلق ببعض المسائل كالاتبعاد عن بعض الأفعال المشينة والاهتمام بالتعلم، وذلك لأنهم علموا بأنها لن تستطيع القيام بدورها كاملاً ما لم تكن متعلمة تعليماً مرتباً بجويتها، وفي هذا نوه ابن باديس إلى أن الوطن في حاجة ماسة إلى نساء متعلمات يعول عليهن القيام ببعض الأعمال التي لا تصلح إلا لهن، فهو بحاجة ماسة إلى مدرسات للبنات وممرضات وقابلات ومربيات، ومجمل تلك الوظائف تستطيع النساء أدائها إذا تم تعليمهن تعليماً كاملاً وبالتالي يمكن الاستغناء عن معونة الأجنبيات والعودة لهن في الشؤون الصغيرة والكبيرة.⁴

¹ - مطالع، "للاعتبار زيادة عدد النساء"، الشهاب، ع 27، المطبعة الجزائرية الاسلامية، قسنطينة، 20ماي1926، ص543.

² - أبو يعلى الزاوي (1878-1956): مُجد السعيد أبو يعلى الزاوي، كاتب صحفي إسلامي، خطيب، ولد ببلدة عزازقة بمنطقة القبائل الكبرى، نزلت عائلته إلى الشام فنشأ وتعلم بدمشق، لجأ إلى مصر مطلع الحرب العالمية الأولى، اشتغل بالفقه والتاريخ، كما كتب في جريدة "المؤيد" "القاهرية" و"ثمرات الفنون" البيروتية و"المعلومات" الصادرة في الأستانة و"الحاضرة" التونسية، عاد إلى الجزائر بعد الحرب فاشتغل بالتعليم والوعظ وولي الإمامة في جامع سيدي رمضان، توفي بالجزائر العاصمة من آثاره المطبوعة "الإسلام الصحيح"، "جماعة المسلمين"، "تاريخ زواوة، ديوان خطب". ينظر عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص164-165.

³ - عبد الحميد بن باديس، الشهاب، قسنطينة، المطبعة الجزائرية الإسلامية، ج5، مج 7، ماي 1931، ص ص314-315.

⁴ - ليلي أبي ذياب، "تعليم المرأة"، البصائر، ع93، أكتوبر1949، ص14.

لكنهم وعلى نقيض من ذلك أصروا على محافظتها على بعض الخصوصيات التي غالباً ما كان يفرضها الدين والمصلحة العامة للبلاد والمتمثلة في:

-إصرارهم في الحفاظ على الأصالة والهوية فيقول ابن باديس: "إن المرأة بدينها ولغتها وقوميتها، فعلينا أن نعرفها حقائق ذلك لتلد لنا أولاداً منا ولنا، يحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية ولا ينكرون أصلهم إن نكرهم العالم بأسره ولا يتنكرون لأمتهم ولو تنكر الناس أجمعون لهم".¹

- دعوتهم إلى ضرورة التزام المرأة بالحجاب: حيث نجد أن ابن باديس يرد على الذين يدعون المرأة إلى السفور بالقول: "إذا أردتم إصلاحها الحقيقي فارتفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها، فإن حجاب الجهل هو الذي أضرها، أما حجاب الستر فإنه ما ضرها في زمان تقدمها، فقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة وبنات بجاية مكاناً عالياً في العلم وهن متحجبات".²

-الالتزام بحدود الدين وأحكام القرآن الصريحة: وهذا في ما يخص العديد من القضايا الخاصة بالمرأة كالطلاق وتعدد الزوجات مع العدل والإرث وغيرها، حيث نجد أن ابن باديس وغيره من الإصلاحيين يرفض الخروج عن أحكام الإسلام فيما يخص قضايا المرأة والأحوال الشخصية بدعوى الاجتهاد وتطور العصر وفي هذا نجد دعوة الشيخ الطاهر الحداد التونسي³ التي دعا لها في كتابه "نساءنا في ضوء الشريعة" فيقول فيه: "ما توقعنا منه أن يكون ممن يدعون إلى الذهاب بها في تيار المدنية الغربية إلى ما يخرجها عن دينها ووظيفة أنوثتها"، وأكثر من هذا "وجدناه يدعوا إلى إبطال أحكام عديدة من أحكام القرآن الصريحة القطعية الاجتماعية وتعطيل آيات عديدة من آياته بدعوى أنها غير لائقة بالنساء في هذا العصر".⁴

يمكننا أن نستشف مما سبق بأن علماء الجمعية أبرزوا موقفاً متشدداً تجاه ما دعت إليه بعض الأوربيات في الجزائر خاصة فيما يتعلق من موقفها من بعض القضايا كالحجاب والصداق والمساواة بين الجنسين لكنهم من جانب آخر لم يعارضوا تقليد الجزائرية للمرأة الأوربية في بعض المسائل خاصة فيما يتعلق بمسألة التعليم على أن يكون هذا التقليد

¹ - رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 118.

² - نفس المرجع، ص ص 118-119.

³ - الطاهر حداد (1899-1934): من طلائع النهضة الحديثة في تونس ، ولد يتونس وتعلم في الزيتونة، انخرط في الحزب الدستوري عند تأسيسه عام 1920 وسافر مع بعض الوفود إلى باريس وذلك للمطالبة باستقلال بلاده، ألف كتابي "العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية" و "امرأتنا في الشريعة والمجتمع". ينظر خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، ج 3، 2002، ص 220.

⁴ - رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 119.

تقليداً مشروطاً مرتبطاً بالأصالة والهوية الجزائرية، كما نجدهم من جانب آخر يقومون بطرح بديل يكون محل اهتمام المرأة المسلمة ومحل قدوتها يختلف اختلافاً كبيراً عن الأوربية ذلك النموذج يتمثل في المرأة اليابانية على اعتبار أنها أكثر تمسكاً بالأخلاق من الأوربية.¹

ولم يكن إيراد نموذج المرأة اليابانية مجرد خبر صحفي بل كان الهدف الأساسي منه هو توعية الرأي العام في الجزائر ومحاولة إبراز التطور الذي وصلت إليه المرأة اليابانية في إطار الأخلاق ودون الإخلال بوظيفتها التربوية والتنازل عن مميزات شخصيتها اليابانية المعروفة بالتشبث بالعادات والتقاليد الموروثة²، لكنه من جانب آخر أوضح بأنه لا يوجد أي نظام أو قانون وضعي أعطى حرية للمرأة أكثر من الدين الإسلامي بقوله: "لسنا نذكر هذه الأمم لنشيد بها بعدما عرفنا الإسلام وفقهنا أحكامه الراقية، وإنما نذكرها لنبين كيف تتراجع الأمم الأجنبية عن الإسلام إلى تعاليم الإسلام، دين البشرية العام".³

أما بشأن ضرورة مشاركة الجزائرية في الشأن السياسي وذلك بطلب من بعض الأوساط السياسية الأوربية بما فيها النسوية فقد رفض الإبراهيمي⁴ القانون القاضي بمنح النساء الجزائريات الحق في الانتخاب واعتبر أن تلك الخطوة التي بادرت بها فرنسا في الجزائر مجرد خطة مدروسة تدخل ضمن السياسة الاستعمارية المسطرة، وقد تعجب الشيخ عن سبب تلك المبادرة على الرغم من أن الجزائر لا زالت تتخبط في مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية، كما أن المسلم الجزائري لم يتمكن من الحصول على جميع حقوقه ومنها حق الانتخاب في حين وجهت السلطات اهتمامها صوب تلك القضية، كأنها تمكنت من منح الجزائريين جميع حقوقهم ولم تبقى سوى قضية واحدة وهي منح المرأة الحق في الانتخاب قائلاً في ذلك متهمكماً: "وبقيت المرأة المسلمة محرومة من ذلك -الانتخاب- فوجب على الحكومة العادلة وعلى المجلس الرحيم أن ينصفها، وأن يرفعها عنها هذا الإجحاف وأن يعجل لها بالحقوق الضائع والثمرات المغصوبة والحرية المسلوبة إذن فلتحجى العدالة ولتحجى المساواة".⁵

¹ - عبد الحميد بن باديس، "الزواج"، الشهاب، ج3، مج11، 3 جوان 1935، ص155.

² - علي علواش، حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية، (أطروحة دكتوراه، الحلقة الثالثة في الفلسفة، إشراف الشيخ أبو عمران)، معهد العلوم الاجتماعية بالخروبة، جامعة الجزائر، 1983-1984، ص121.

³ - عبد الحميد بن باديس، "الزواج"، الشهاب، ج3، مج11، 3 جوان 1935، ص156.

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي (1889-1965): ولد في قرية قريبة من مدينة سطيف، من أبرز قادة الحركة الإصلاحية بالجزائر، نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم قائداً لها بعد وفاة عبد الحميد بن باديس، عالم بالأدب والتاريخ واللغة، طبعت آثاره الكاملة في خمسة مجلدات بإشراف ولده أحمد طالب الإبراهيمي. ينظر محمد العبد، المرجع السابق، ص19.

⁵ - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج3، 1997، ص129.

كما ذهب إبراهيمي إلى أن مشاركة المسلم الجزائري في الانتخابات في حد ذاته مجرد وسيلة لخدمة السياسة الاستعمارية حيث أنه إذا جاء وقت الانتخابات سيق إلى الواجهة التي تريدها الحكومة وإن رفض فهو عدو للحكومة فما بالك بالمرأة وبالتالي اعتبر أن جرها لهذا الباب مجرد تنفيذ لذلك الهدف الذي سطرته الإدارة قائلاً في ذلك: "إن القانون الأخير الذي عمم هذا القانون على الدوائر والصحاري الأميين، ما سن لمصلحة الجزائري الأمي ولا القارئ وإنما سنته الحكومة لتغمر القلة القارئة بالكثرة الأمية والفئة العاملة بالفئة الجاهلة فتضمن الفوز لمرشحيها وقد كان كذلك فاستمرت الطعم فأرادت أن تفتح الباب للمرأة المتعلمة تم الجاهلة ليكون لها منهن رديف تدخره لوقت الحاجة".¹

واستند إبراهيمي في تبرير موقفه من رفض مشاركة المرأة في الانتخابات لحكم الإسلام، على اعتبار أن هذا الأخير لا يزوج بها في مثل هذه المضائق وذلك ليلستخفافاً بها ولا تفضيلاً للرجال عليها وإنما رفقا بها وإبقاءً على شرفها وحفاظاً على رقة شعورها ولطافة جوهرها، كما تساءل بعدها عن سبب رغبة إقحام الجزائرية في هذا المجال ومنحها الحق في الانتخاب في مقابل ذلك لم تمنح فرنسا ولا الأمم الأوربية هذا الحق للمرأة الأوربية إلا في السنوات الأخيرة وظروف استثنائية قائلاً: "فكيف تقدم حكومة الجزائر ومجلسها على هذه الطفرة بالمرأة العربية المسلمة.... وهي ما زالت في الدرك الأسفل من الانحطاط"²، وإن موقف إبراهيمي الراض للمشاركة السياسية للمرأة جعل البعض يذهب إلى أنه قد وقع آنذاك تحت تأثير بعض التقاليد والظروف الاستعمارية والعالمية السائدة خاصة وأن العديد من الدول المتقدمة لم تعط هذا الحق في المشاركة السياسية للمرأة بعد.³

بيدوا أن إبراهيمي لم يكن ضد سياسة مشاركة المرأة في الانتخابات لكنه كان ضد مساهمتها في إنجاح السياسة الاستعمارية، كما ذكر بأن المرأة لكي تتمكن من ممارسة حقوقها السياسية لابد من رفع حجاب الجهل عنها وتوفير جميع مطالبها الصحية والمعيشية أولاً قائلاً: "وهلا فكروا في تقوية عقلها بالعلم وتقوية جسمها بالغذاء وفي حفظ صحتها بالعلاج وفي حفظ نسلها بالرعاية وفي تخفيف ويلاتها بالاهتمام" وبالتالي فإن موقفه المدافع عن منع المرأة للذهاب لصناديق الاقتراع قد يكون نابعاً من رغبته في إفشال المخطط الاستعماري الرامي لاستغلال المرأة الجزائرية خاصة الغير متعلمة.⁴

1 - أحمد طالب إبراهيمي، المرجع السابق، ص 130.

2 - نفس المرجع، ص 168.

3 - رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 322.

4 - أحمد طالب إبراهيمي، المرجع السابق، ص 131.

3- موقفهم من ظاهرة الزواج بالأجنبيات

تعتبر ظاهرة الزواج المختلط من القضايا التي شغلت حيزاً في نقاشات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد اهتم ابن باديس ورفاقه بتلك الظاهرة محاولين معرفة أسبابها وتوضيح مخرجاتها السلبية على الأسرة الجزائرية بالاعتماد على العديد من الوسائل كالخطب والمدارس وصفحات جرائد الجمعية، وذلك لمحاربة انتشارها بين أوساط الشباب من جهة والرد على مؤيديها من جهة أخرى، وفي هذا المقام قام ابن باديس بنشر مقال لأحد مؤيدي الزواج بالأجنبيات على صفحات جريدة الشهاب تحت عنوان "شبابنا والزواج" قام محرره بتحديد عوامل وأسباب ميول الشباب الجزائريين لهذا النوع من الزواج والتي تأتي في مقدمتها المدرسة الفرنسية والتي لعبت دوراً كبيراً في تحديد حياتهم الجديدة -على حد تعبيره- ذلك أن الفتيان الجزائريين بعد دخولهم لتلك المدارس تمكنوا من مشاهدة حياة مختلفة تماماً عن حياتهم العربية كما تفتحت لهم آفاق أخرى جديدة مختلفة، ضف إلى ذلك أنه كان يتم تلقينهم التربية الفرنسية ويعلمون اللغة الفرنسية التي تصبح فيما بعد لغة التخاطب بينهم، ولم يقف تأثير تلك المدارس على اللغة بل تعداه أيضاً إلى تغيير تفكيرهم حتى في شؤون الحياة العادية، فعندما يصل الشاب إلى العشرين من عمره وتقبل نفسه إلى الزواج تجده بالطبع يعمل على المقارنة بين الزوجين العربي والفرنسي ولا شك بأنه بطريقة أو بأخرى وبمحكم تربيته المزدوجة يقوم بترجيح الزواج الفرنسي.¹

وعدد الكاتب في ذات المقال سبب إقبال الشباب الجزائريين على اختيار هذا النوع من الزواج والتي يأتي في مقدمتها تكاليف وقيود الزواج الإسلامي والتي غدت في ظاهرها تعمل على تنفير الشباب من أداء نصف دينه، على عكس الزواج الفرنسي الذي كان يعمل بطريقة أو بأخرى على تشجيع الشباب على الزواج وتيسيره لهم قائلاً: "إن الشباب الجزائريين إذا مالت أذواقهم إلى التزوج الفرنسي وتاقت إليه نفوسهم فذلك لأن طريقة الفرنج في الزواج مسيرة للقوانين الطبيعية سائرة على منهج العقل متخلصة من تلك القيود الضيقة المسيطرة على الزواج عندنا" ليقوم بعد ذلك بذكر العلل والأمراض المتعرضة لرغبة الشباب عن الزواج الإسلامي والتي لن يصلح إلا بإزالتها.²

وتتمثل العلة الأولى في تحجب النساء وعدم قدرة الشاب على رؤية الفتاة التي سيعلق عليها آماله ويبنى بها بيته، حتى انه إذا أراد أن يخطبها فإنه يكتفي باستشارة عجوز ووساطتها لمعرفة جمالها وأخلاقها، تلك الأخيرة التي قد تقوم أحياناً بنقل أوصاف كاذبة ونعوت غادرة عن تلك الفتاة، هذا في حين نجد أن الفتى الفرنسي يختار بنفسه الفتاة التي

¹ - عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج1، مج12، 1936، ص11.

² - نفس المرجع، ص ص12-13.

قد تصبح قرينته، كما نجدتها هي الأخرى تقبل فقط من ترضاه ومن تراه مناسباً لها، كما أنهما يتعرفان على بعضهما وتشتد بينهما أواصر الصداقة والحب على مرأى ومسمع من والديهما، وذلك لأن الرابطة التي بينهما رابطة طاهرة قوية مؤدية إلى الزواج، على عكس ما يعتقد البعض بأن تلك العلاقة مجرد عبث، كما إن معظم الشباب الأوربي قصدهم من إقامة تلك العلاقة هو الرغبة في الوصول إلى الزواج، أما الذين يلعبون منهم بأعراض الفتيات هم فقط من ساءت تربيتهم أو من لم يكن منهم لهم أصل كريم.¹

أما العلة الثانية فتتعلق بتربية الفتيات المسلمات التي يتلقينها على أيدي آبائهن فهي تربية لا تؤهلن للزواج، حيث يقدمن إلى بيوت أزواجهن لا يعرفن شيئاً من شروط الزوجية وواجبات المرأة، هذا على عكس الفتاة الفرنسية التي إذا دخلت بيت زوجها فإنها تدخله متبصرة بشؤون المنزل مستعدة للقيام بما تقتضيه شروط الزوجية، ليصل في الأخير إلى التنويه لظاهرة خطيرة انتشرت في الأوساط الجزائرية الغنية والفقيرة منها وهي مسألة المغالاة في المهور والإسراف في النفقات التابعة للزواج متوصلاً إلى أن تلك العوامل مجتمعة ساهمت في ميول الشباب الجزائريين إلى التزوج من الفرنسيات خاصة إذا لم يجدوا في وسطهم الإسلامي المرأة التي توافق تربيتهم وميولاتهم النفسية.²

ونوه الكاتب في ذلك المقال لبعض المشاكل التي غدت حقيقة تشكل عائقاً كبيراً نحو ميول الشباب إلى الزواج بالأجنبيات، كما صرح بحقيقة غدت تفرق معظم الشباب المتعلمين تعليماً فرنجياً وهو الحيرة في الاختيار بين الزواج المبني على دين وتقاليد المجتمع الذي ينتمون إليه والزواج الفرنسي الذي كان أغلبهم يراه مسaireاً للفطرة الإنسانية، لكن من خلال تتبع المقال يبدو لنا واضحاً بأن كاتبه كان من الشباب المثقفين ثقافة فرنسية، وذلك لأنه كان - بعد عرضه لجميع الأدلة والقرائن - يريد الوصول إلى فكرة مفادها بأن الزواج الإسلامي المبني على مراعاة القيم لم يعد صالحاً للعصر ولا بد من استبداله بالزواج الإفرنجي، كما أننا من جانب نجد محرر المقال يعمل على نسب العديد من الشوائب التي غدت منتشرة في زواج الجزائريين كالمغالاة في المهور والتبذير في النفقات إلى الدين الإسلامي، وذلك لإثبات رأيه، بالرغم من أنها تعتبر مجرد عوائد انتشرت في الجزائر وهي تتعارض معارضة صريحة مع تعاليم الدين الإسلامي السميحة، كما أننا من جانب آخر نجد عمله على الدعوة لإبطال بعض القيم الاجتماعية التي كانت سائرة لدى المجتمع الجزائري وخاصة تلك المتعلقة منها بفترة الخطوبة على الرغم من موافقتها لأحكام الشريعة، كما أنه أسهب في ذكر عيوب المرأة المسلمة متغافلاً عن ذكر عيوب الأوربية والتي غالباً ما تبدى أكثر في مرحلة الزواج، ولعل تلك القرائن وغيرها هي التي جعلت ابن باديس يعطي هذا المقال عناية خاصة ويكتب في نهايته بأنه سيعلق عليه أو

¹ - عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج1، مج12، 1936، صص 11-14.

² - نفس المرجع، صص 14-15.

يقوم بتكليف من يقوم بتك المهمة في العدد المقبل ولكن حالت بعض الأعدار دون ذلك ليقوم بعد ذلك بنشر مقال تحت توقيع "ع" بعنوان "الزواج أبنى على الحب والتعارف أم على المحبة والمعرفة" سنة 1935 وأعيد نشره على صفحات الشهاب سنة 1936 والذي ذكر فيه بأنه البيان الشافي لحكم الإسلام وحكمته في الزواج.¹

ولما كان هذا المقال رداً على سابقه فقد قام فيه ابن باديس بعقد مقارنة بين الزوجين الأوربي و الإسلامي، هذا الأخير الذي قال بأن أحكامه مبنية على اعتبار المصالح والحفاظ على القيم والعفاف، كما أنه يرفض فرضية الحب والتعارف الذي يعرض الفضيلة للخطر، لكنه من جانب آخر أوجد بديلاً وهذا حين شرع إمكانية النظر لمن يريد الزواج من كلا الطرفين، كما اعتبر أن مشروع الاختيار بالنسبة للشباب لا يقوم على المبدأ المادي الجمالي فقط بل تكمن أهميته في الجانب الديني والأخلاقي للمرأة، كما أن الإسلام يرفض فكرة الاختلاط بين المخطوبين لكنه من جانب آخر قرر مبدأ الرؤية قصد التعارف والتآلف.²

أما الزواج الأوربي فهو في نظر ابن باديس قائم على تعارف وحب مشبهين وقد قال مقارناً بين الزوجين: "هما أمران: حب نائر مبني على تعارف مخطر سريع الخمود، ومحبة هادئة مبنية على نظر عفيف أي هذين أحق أن تبني عليه الزوجية التي يقصد منها دوام التآلف والتعاون والعمل لخير الأسرة والأمة البشرية؟ لا أحد من العقلاء يتوقف في الجواب على مثل هذا السؤال"، كما قام بتوضيح فساد الأسس التي يقوم عليها الزواج الأوربي ولعل أكبر دليل على ذلك هو انصراف بعض الأمم كاليابانيين والسوفييت عن ذلك الزواج المبني على الحب والتعارف.³

وحاول ابن باديس في مقاله معالجة هذا الموضوع معالجة واقعية وذلك لإثبات أن الزواج الإسلامي أصلح من غيره محاولاً بذلك توضيح مظاهر الانحراف في الزواج الإفرنجي وذلك لرد الاعتبار للمرأة المسلمة من جهة، والتقليل من انجذاب الشباب الجزائريين نحو الزواج من الأجنيبات الذي ظل واقعاً أرق العديد من العلماء في تلك الفترة من جهة أخرى، إذ خلف انتشاره أضراراً كبيرة على المجتمع الجزائري والإسلامي، وفي هذا نجد محمد سعيد الزاهري الذي يحذر من خطر ذلك الزواج ويوضح أضراره على المجتمع الجزائري والتي يأتي في مقدمتها بوار البنت المسلمة التي تبقى دون زوج يقوم بشؤونها مما قد يجعلها خطراً على المجتمع نتيجة فقرها وحاجتها لمن يعولها بل قد يصل بها الحد إلى تعدي خطوط الحشمة ومكارم الأخلاق، وخطر ثاني يتمثل في خطر الاختيار والندم حيث أن الشباب الجزائري الذي اختار الزواج من أوربية لا تعرف الحشمة والحياء سوف يندم مع مرور الأيام ولن يكون زواجه موفقاً ولا سعيداً، وما أن تمر

¹ - عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج3، مج12، ، جوان 1936، ص162.

² - نفس المرجع، ص 162.

³ - نفس المرجع، ص ص162-163.

أيام زواجه الأولى حتى يصدم بزوجة تزدرية تكرهه وتكره عروبتة وإسلامه قائلاً فيها وفي زوجها الجزائري: "وتعتقد أنها كانت تطلب فيه زوجاً كريماً فوجدت فيه عبداً لئيماً، ويجد هو نفسه قد غلط وأخطأ التقدير فقد طلب فيها وردة نفوح وتعبق فإذا هي أفعى يعلوا فحيحها وصريرها".¹

كما ذهب أيضاً إلى أن ذلك الزواج ساهم في اندماج الشباب المتعلمين أصحاب الشهادات الأوربية في المجتمعات الأوربية اندماجاً كبيراً وقد كان لزواجهم يد كبيره في تحولهم نحو ذلك المنحى بالرغم من أن وطنهم كان قد عقد عليهم آمالا كبيرة، بل أن بعض الزوجات الأوربيات لا يستقر لهن بال حتى يتمكن من فرنسة أزواجهن بل والرغبة في إخراجهم من حظيرة الإسلام، لينتقل بعدها الزاهري لإبراز خطر الأم الأجنبية التي ستلد من ذلك الشاب المسلم لؤداً تسميهم أسماء فرنسية غير عربية بل سيربون أيضاً تربية فرنسية مستديلاً بذلك بأبيات مُجد الأمين العمودي وزواج صديقة الطبيب سعدان مصوراً بذلك زواج جزائري مسلم بأجنبية وتأثير ذلك الزواج على النشء الجزائري الجديد.²

وعلى الرغم من وصف البعض لموقف الزاهري بالتعميمي المقرون بالطابع التخويني فيما يتعلق بموقفه من الزواج المختلط وذلك لأن نجاح أي زواج أو فشله لا يرتبط بجنسية أودين بل يرجع إلى أسباب شخصية مركبة في أحد الزوجين أو كلاهما³، إلا أن موقفه ذلك لا يختلف عن موقف ابن باديس وذلك على اعتبار أنهما اشتغلا على وتر الإصلاح وتمكنا من معاينة العديد من الظواهر التي بدأت تفتك بالمجتمع الجزائري وتنخر أسسه، وبالتالي موقفه هذا لم يكن اعتباطياً بل نابع من إحساسه بخطورة ذبوع هذا النوع من الزواج في أوساط الشباب الجزائري إبان فترة الاحتلال، أما فيما يتعلق بأسلوبه التخويني حيال تلك الظاهرة فناتج عن رغبته في توعية الشباب الجزائريين بالمخلفات السلبية لذلك الزواج على الأسرة الجزائرية المسلمة والمجتمع الجزائري.

ونتيجة لانتشار تلك الظاهرة بين الفتيان الجزائريين وخاصة المغتربين منهم بادر العلماء إلى الاهتمام بها اهتماماً كبيراً أما الخطوات العملية التي اتخذوها في سبيل التقليل من انتشارها، تتمثل في الدعوة إلى الاهتمام بالفتاة الجزائرية وذلك بالمبادرة إلى تعليمها، وفي هذا نجد الشيخ عبد الحميد بن باديس يدعو إلى رفع حجاب الجهل عنها وذلك عن

¹ - أحمد بلعجال، الخطاب الإصلاحية عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، (رسالة ماجستير، تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط

إشراف جمعي الحمري)، جامعة منتوري بقسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2005-2006، ص 135.

² - نفس المرجع، ص 135.

³ - نفس المرجع، ص 136.

طريق مطالبة الجزائريين بتعليم فتياتهم دينهن ولغتهن وكذلك قوميتهن وذلك لكي يستطعن أن يلدن أولاداً جزائريين يحفظون أمانة الأجيال اللاحقة ولا ينكرون أصلهم وأمتهم ولو تنكر لهم الناس أجمعون.¹

وموقفه هنا راجع إلى معرفته بحالة المرأة في عصره والتي كانت لا تخلو من أحد الأمرين: فهي إما محرومة حرماناً عاماً من التعليم بحيث لا تعرف قراءة ولا كتابة وإما أنها متعلمة بعض الشيء ولكن تعليماً أجنبياً سطحياً يعمل على تحقير قوميتها العربية الإسلامية وتحقير دينها الإسلامي وتحقير شعبها وهذا حتى تكون هي الأخرى متنكرة لأصلها وأمتها وقوميتها وهذا ما لا يريده الشيخ بن باديس للمرأة الجزائرية خاصة والمرأة المسلمة عامة وقد بلغ به الحال إلى حد القول: "بإبقائها جاهلة تلد للأمة أبناء يعرفونها ولا يتنكرون لأمتهم ولو تنكر لهم الناس أجمعون" على أن تتعلم تعليماً أجنبياً خالصاً يجعلها تلد للأمة أبناء لا يعرفونها ويتنكرون لأصلهم وأمتهم، وكان موقفه هذا صادراً عن وعي منه بمخططات الدول الاستعمارية التي أصبحت تعني بتعليم بنات الشعوب التي تقع تحت سيطرتها لا بقصد الارتفاع بمستواهن فكرياً وثقافياً وحضارياً ولكن كانوا يقومون بتعليمها تعليماً سطحياً ممسوخاً لكي يصبحن عامل تحريب وتحطيم لمعنويات ومقومات شعوبهن وبذلك يساعدن الدول الاستعمارية على تحقيق أهدافها بقصد ولو بغير قصد في بلدانهن.²

كما أنه عندما تأسست "جمعية التربية والتعليم" حرص بن باديس على أن يتضمن قانونها الأساسي بنداً لتعليم البنات مجاناً سواء كن قادرات على دفع مصاريفه أم عاجزات عن دفعها وذلك تشجيعاً لهن على الإقبال على الدراسة، كما أنه كان يتصل شخصياً بالمواطنين الجزائريين يحثهم على إرسال بناتهم إلى مدرسة "جمعية التربية والتعليم" وكان يفعل ذلك أثناء جولاته في أنحاء القطر كما أنه كان يطلب من زملائه العلماء الدعوة إلى تعليم المرأة الجزائرية وتثقيفها وعمل أيضاً على تخصيص دروس للنساء في المسجد الأخضر وغيره من مساجد قسنطينة وقد كن يتوافدن إليه بأعداد كثيرة حتى ضاقت عليهن جنبات المسجد المخصصة لهن.³

وقد قال ابن باديس مشيداً بدور "جمعية التربية والتعليم" في توعية تعليم الفتاة الجزائرية: "ومن دواعي الإعجاب بهذه الجمعية أنهضرت عنايتها لتعليم الفتاة الجزائرية تعليماً دينياً صحيحاً يتفق وما تصبو إليه من اقتران ذلك التعليم بالحشمة والفضيلة والعفة والصيانة مما يجعلنا نعتقد تسرب روحها الفياضة إلى البلدان الأخرى" ثم يوصل قائلاً: "إن

¹ - محمد المليبي، ابن باديس وعروبة الجزائر، الجزائر، وزارة الثقافة، 2007، ص138.

² - تركي رابح عمارة، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، موفم للنشر الجزائر، 2007، ص ص175-178.

³ - مازن صلاح مطبقي، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، ط1، دمشق، دار القلم، 1999، ص62.

المدرسة التي فتحتها هذه الجمعية منذ أشهر قليلة تضم إلى أحضانها نحو 80 فتاة ومثل هذا الإقبال يدل على أن الجزائر متأهبة إلى نفض تلك الأسمال من العرف الذي يوجب على الفتاة حرمانها من المعرفة والثقافة العلمية الدينية الصحيحة ومن كل ما يؤهلها لأن تكون فتاة جديرة بالحياة، وإنما سئمت تلك الحالة التي ظلت رازخة تحت أعبائها مدى غير قليل، وإنما عافت تلك الحياة المريرة وإنما أرادت الآن أن تكون الفتاة الجزائرية مثقفة ثقافة شأنها اجتذاب قلب لثاب المتعلم ذلك الشاب الذي لا يخلوا أمره إما أن يكون تعليمه تعليماً عربياً دينياً وإما أن يكون تعليمه تعليماً فرنجياً علمياً بحتاً، على أن الثاني تعاف نفسه الحياة مع الجاهلة التي تعد شريكة حياة الرجل وذلك مما يلجئه إلى طلب فتاة أجنبية تختلف عنه في الميول والعواطف والتقاليد والدين".¹

ومنه يمكن القول بان الشيخ عبد الحميد بن باديس قد نظر إلى مسألة تعليم الفتاة الجزائرية من زاويتين:

الزاوية الأولى: باعتبارها زوجة وقرينة للشباب المثقف حتى لا تأخذه منها المرأة الأجنبية.

الزاوية الثانية: باعتبارها مربية الأولاد وحاضنتهم والقيمة على القيم الدينية والخلقية والقومية للشعب الجزائري.²

ولم يتوقف نشاط بن باديس للتقليل من تلك الظاهرة على تعليم الفتاة وتربيتها تربية تجعل منها القيمة على الأسرة والمجتمع الجزائري بل استند إلى إصدار الفتاوى وذلك للحيلولة دون ميول الشباب لهذا الزواج، حيث قام سنة 1938 بإصدار فتوى دينية تقضي بتحريم الزواج بالأجنبيات ونشرها باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في جريدة البصائر وقد ورد في تلك الفتوى: "ومن تزوج بامرأة من جنسية غير إسلامية فقد ورط نسله أي أولاده في الخروج من حظيرة الشريعة الإسلامية فإن كان راضياً لهم ذلك ومختاراً لهم على بقائهم في حظيرة الشريعة الإسلامية فهو مرتد عن الإسلام جان عليهم ظالم لهم، وإن كان راض لهم ذلك ومختاراً لهم ذلك على شريعة الإسلام وإنما غلبته على ذلك الزواج فهو آثم بجنايته عليهم وظلمه لهم، لا يخلصه من إثمه العظيم إلا إنقاذهم مما أوقعهم فيه بهجرته بهم".³

واعتمد ابن باديس في فتواه تلك على نفس تخريج عمر رضي الله عنه حينما قام بمنع المسلمين من الزواج بالكتبايات وذلك استناداً إلى مقاصد الشريعة الإسلامية وقاعدة حفظ المصالح وكذلك العواقب الوخيمة لذلك النوع من الزواج، وكان مبرره في ذلك هو بقاء بنات المسلمين من غير زواج، كما أنه علل فتواه تلك أيضاً بكون النتيجة التي يؤدي إليها هي

¹ - رابح تركي عامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية، المرجع السابق، ص 179.

² - نفس المرجع، ص 180.

³ - عبد الحميد بن باديس، "فتوى جمعية العلماء في النجس الكلي والجزئي"، البصائر، ع 95، 14 جانفي 1938، ص 1.

الخروج عن حظيرة الإسلام وذلك لأن القانون الفرنسي يقضي بأن أبناء المرأة الفرنسية المتزوجة من جزائري يتبعون جنسية أمهم¹.

وذكر الأستاذ محمد الصالح رمضان بأن تلك الفتوى التي أصدرها العلماء قد أحدثت أثرها المطلوب وفعلت فعلتها في المجتمع الجزائري حيث نقص الإقبال على الزواج من الأجنبيات، وصار من يرغب من الشباب الجزائريين الزواج من أجنبية يشترط عليها الدخول في الإسلام أولاً ويتم إعلان ذلك رسمياً ليتزوج فيما بها بعد، ويصبح أولاده منها مسلمين جزائريين، والأستاذ محمد الصالح رمضان تحدث هنا عن أثر الفتوى في داخل الجزائر ولا شك أنه كان لهذه الفتوى تأثيراً كبيراً حتى في أوساط المغتربين الشيء الذي أثبتته حرص أولئك على ختان أولادهم وتسميتهم بأسماء إسلامية.²

ولم يتوقف ابن باديس عند هذا الحد بل ساهم في تأسيس بعض الجمعيات التي كان من ضمن قوانينها محاربة العديد من الظواهر المستهجنة التي بدأت تنتشر في أوساط الشباب الجزائريين وبعض الظواهر الأخرى كظاهرة الزواج المختلط ومن هذه الجمعيات "جمعية الشباب الفني" التي تأسست عام 1936، وكان هدفها إحياء الفنون الإسلامية والاقتراب من الغرب كالفن التمثيلي وذلك لخدمة الفن الإسلامي وقد دعت في أنشطتها التمثيلية إلى الأخلاق العالية وكبح شهوات النفس والتجنب للأمراض الفتاكة كالخمر والميسر والقمار والزواج بالأجنبيات.³

أما بالنسبة للبشير الإبراهيمي فنجد أنه هو الآخر قد تحامل على الشباب الجزائريين المتزوجين بأجنبيات وذكر بأن: الحضارة الغربية قد أفسدت أذواقهم وأزاحت نظرهم إلى الحياة فجعلت البعض يحتاط للمستقبل احتياطاً مفرطاً وجعلت البعض يأنف من الفضيلة إذا كانت أمية ولا يأنف من الرذيلة إذا كانت متعلمة ولا نلومهم وإنما نلوم أنفسنا إذ لم نأخذ للأمر عدته ولم نحتط لعواقبه البعيدة"، كما نجده يحذو حذو رفيقه ابن باديس في ضرورة تعليم الجزائرية وذلك للتقليل من تلك الظاهرة على أن يكون هذا التعليم تعليماً إسلامياً قوياً بروحه قائماً بفضيلته واسعاً بمعانيه يرغم به الشباب الأخرق على الرجوع إلى أصله ولا يفيل الحديد إلا بالحديد"، كما طالب الجزائرية بتيسير شؤون الزواج لأبنائها والعودة إلى حدود الله وتعاليم الشريعة السمحة وتيسير ما عسرته العوائد.⁴

¹ - عقيلة حسين، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف، ط1، الجزائر، دار الوعي للنشر والتوزيع، 2012، ص85.

² - سعيد بوزيان، المرجع السابق، ص245.

³ - مازن صلاح مطبقاني، المرجع السابق، ص117.

⁴ - أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص294.

ولما كانت ظاهرة الزواج المختلط واقعا لا مفر منه لدى الجزائريين المغتربين في فرنسا فقد أخذت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين زمام المبادرة لحماية تلك الأجيال الناتجة عن ذلك الزواج والمعرضة بطريقة أو بأخرى للابتعاد عن الإسلام والعروبة، وفي هذا ذكر الإبراهيمي في مذكرة قدمها لوزارة المعارف المصرية ولمشيخة الأزهر الشريف والأمانة العامة لجامعة الدول العربية في يناير 1953 بأن ظاهرة الزواج المختلط أصبحت ظاهرة منتشرة في أوساط المغتربين كما تحسّر على ذلك تحسراً كبيراً وذلك لما لها من تأثير على العمال الجزائريين وأبنائهم قائلاً: "في فرنسا جاليات إسلامية تبلغ مئات الآلاف، وفيها من العمال الجزائريين وحدهم نحو أربعمئة ألف، وهم في ازدياد مطرد، بسبب ما ضيق الاستعمار على الجزائر من سبل المعيشة، فهاجرت هذه الجالية تطلب العيش من طريق العمل واستقرت في مراكز الصناعات بفرنسا، وتزوج كثير منهم من أورييات عاملات وولد لهم في أرض مسيحية من زوجات مسيحيات فكانت النتيجة اللازمة لهذا أن الآباء أضعوا دينهم بتأثير البيئة فضلاً عن الأبناء الذين اجتمعت عليهم البيئة والأمهات والقانون إنهم بلا شك ينشئون مسيحيين خالصين".¹

ووصف عبد الرحمان اليعلاوي أحد مسؤولي الجمعية في باريس بعد الحرب العالمية الثانية حالة هؤلاء الأطفال في تقرير قدمه إلى الجمعية عام 1951 فقال: "يوجد اليوم عدد بين الخمسة عشر والعشرين ألف طفل في سن الدراسة ولدوا من أب مسلم (جزائري) وأم مسيحية في الغالب لا يتلقون تعليماً قومياً فيشبون على غير أخلاق آبائهم ومعتقدهم حتى إذا ما كبروا تنكروا لجنسهم واندمجوا في عنصر الأكثرية فتفقد البلاد هذا الشاب المتعلم الذي هو في حاجة أكيدة إليه لصد غوائل الاستعمار المادية منها والأدبية"²، وتظهر الخطورة جلية على مستقبل هؤلاء الأطفال في كثرتهم وازدياد أعدادهم في فرنسا فقد سجلت مدينة باريس وحدها مائة وخمسين ألفاً، أما عدد الأولاد الذين نسلهم من أمهات مسيحيات يزيدون عن عشرين ألف من بنات وبنين وهو الأمر الذي قد يؤدي إلى انسلاخ الأمة الجزائرية تدريجياً فيكون ذلك الأمر كما ذكر الإبراهيمي "نقصاً منها زيادة في عدوها".³

لذا صممت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على إنقاذ ما يمكن إنقاذه من تلك الأجيال الجديدة وحماية هويتها من الذوبان في المجتمعات الأوربية، كما أنها جندت كل إمكانياتها وهذا لبث القيم العربية والإسلامية لدى تلك الأجيال الجزائرية الناشئة وفي هذا قال الإبراهيمي: "كانت جمعية العلماء فكرت في هذه القضية الخطيرة وتدبرت

¹ - أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص 294.

² - رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص 204.

³ - أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص 168.

عواقبها قبل أن يبلغ العدد إلى هذا الحد فرأت من الواجب عليها أن تلتفت إلى هذه الطائفة، وتهتم بها وان تتخذ الوسائل لإنقاذها من الكفر والذوبان والانسلاخ عن العروبة والإسلام".¹

وبدأت عملها التجريبي سنة 1936 حين كلفت أحد شبابها المجاهدين للقيام بتلك المهمة في باريس وهو الأستاذ الفضيل الورتلاني² الذي تمكن من تأسيس ثمانية عشر مركزاً تعليمياً في باريس وأطرافها، ثم وسع الحركة إلى المدن الكبيرة في جنوب فرنسا وشمالها فتعددت المراكز فأمدته الجمعية بالمعلمين وقد كانت تلك المراكز تعمل على تعليم الأطفال العربية والدين، وقد شهدت تلك المراكز نشاطاً كبيراً عبر عنه الإبراهيمي بقوله: "كانت هذه المراكز كخلايا النحل لا تنقطع منها الحركة، وكان الإقبال عليها عظيماً، وقد أثمرت تلك الحركات ثمرات ما زالت حديث الناس وتردد على تلك المراكز عظماء العرب من الزوار وأبناء العرب من التلامذة فأعجبوا بالعمل ونظامه وأعظموا نتائجه، وكانت جمعية العلماء الجزائريين مضرب المثل بينهم".³

4- العلماء وموقفهم من النشاط الاقتصادي للأجنبيات في الجزائر

اهتم العلماء بتعليم الجزائريات بعض الصناعات اليدوية وقد تكفلت بهذه المهمة بعض الجمعيات التي أنشئت من قبل علماء الجمعية وذلك لأنهم رأوا انه من النكاية أن تقوم الأخوات البيض باستثمار ما تبقى من مخلفات الصناعة التقليدية في الجزائر وذلك عن طريق قيامهن بتنظيم جمعيات وفتح مشاغل بعد تمكنهن من دراسة فن الطرز والإلمام بمبادئه، واعتبروا نشاطهن مجرد استغلال لقدرات المرأة الجزائرية مقابل أجر زهيد حتى وإن تمكن من اكتساب تلك الفنون وأساسياتها فإنهن يبقين مجرد أجيرات لا يتسرب إلى جيوبهن من الأرباح إلا الثمالة، ولتجنب استغلال مقدرات الفتيات الجزائريات دعوا إلى تأسيس شركة صناعية تعمل على إحياء ما اندثر من الصناعات الأهلية كما أنها تقوم بحماية أتعاب البنات الجزائريات وتحفظ لهن أجورهن.⁴

¹ - رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، المرجع السابق، ص 205.

² - الفضيل الورتلاني: خطيب من رجال السياسة، ولد في قبيلة بني وثيلان، من دائرة سطيف، استكمل دراسته على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، أقام سنتين في باريس (1936-1938) ييث روح الوطنية في العمال الجزائر بينهم ثم انتقل إلى القاهرة ومنها نحو اليمن في عمل تجاري، فاتصل بقيادة حركة المقاومة ضد الإمام ونظامه، ثم شارك في مقتل الإمام يحيى 1948، وقضي على الثورة فطلبته حكومة الإمام أحمد ففر إلى لبنان ثم سافر إلى تركيا فمات باسطنبول عام 1959، من آثاره كتاب "الجزائر الثائرة". ينظر عادل نويهض، المرجع السابق، ص 341.

³ - أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص 168.

⁴ - رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 436.

كما وجهت جمعية التربية والتعليم التي أنشأتها الجمعية عنايتها إلى تعليم بناتها بعض الصناعات التقليدية كما نشئت قسماً للنسيج وقد كان لديهن أمل في الاستفادة من خبرات الفرنسية النبيلة مدام كوليني (Colin) لكن مرض هذه الأخيرة وبقيتها في المستشفى تنتظر الشفاء من عملية جراحية أجريت لها لقطع بعض الزوائد المعدية حال دون ذلك، وقد أشاد العلماء بفضل تلك السيدة وإخلاصها للإنسانية وقد أقر العلماء باختلافها عن السيدات المسيحيات فقد كانت تعطف على متعلماتها المسلمات بكل أنواع العطف وكانت تحثهن على الآداب الإسلامية، وبالتالي لم يكن يجد العلماء أي ضرورة لمنع الجزائريات من الاستعانة بالأوربيات وذلك لتلقيهن بعض الحرف ولكنهم كانوا ضد استغلالها لتحقيق أرباح اقتصادية تخدم المستعمر بصفة عامة أو بعض المستوطنين بصفة خاصة.¹

وإن وقوف علماء الجمعية موقف المتشدد تجاه بعض ما كانت تقوم وتدعوا له بعض الأوربيات لم يشكل عائقاً دون التعامل معها وهذا فيما يخدم الصالح الجزائري، كما أن نشاطهم لم يقتصر على أبناء المغتربين بل إنهم كانوا يحاولون أيضاً اجتذاب المرأة الأوربية إلى صفهم وذلك عن طريق بعض الأنشطة التي كانوا يقومون بها للتعريف بالدين الإسلامي وسماحته كالحفلات اللقاءات، حيث أنه في حفلة أقامها نادي التهذيب بقسمه السابع عشر بباريس يوم 14 ماي 1938 بمناسبة المولد النبوي الشريف والذي حضره ثلاثة الآلاف شخص أتيحت الفرصة لامرأة فرنسية بإلقاء محاضرة أشادت فيها بالإسلام وانتقدت سلوك المسلمين المعاصرين الذي اعتبرته يتنافى وحقيقة الدين الإسلامي كما أوضحت تطور نظرتها للإسلام والمسلمين وكان مما ورد في محاضرتها قولها: "إنني لم اقتنع بمحاسن الإسلام إلا بفضل الاتصالات السعيدة التي أتيحت لي مع أساتذة هذه النوادي، الذين تتمثل فيهم بحق قيم هذا الدين الملىء بالإنسانية".²

كما أننا نجد في أحد أعداد جريدة البصائر وصفاً لمهرجان أقامته جمعية التهذيب بباريس والذي شهد بدوره حضوراً كبيراً لنساء فرنسيات حيث ورد في الجريدة: "لقد امتاز احتفال 10 جويلية الرهيب بأشياء خطيرة لم توجد في الاحتفالات السالفة الذكر على تنوعها وكثرتها أولها حضور السيدات الفرنسيات".³

وقد رجح البعض بأن أكثرهن زوجات المهاجرين الجزائريين، أما الفضيل الورتلاني فقد قال فيهن: "منهن من اعتنق الإسلام ومنهن من يعطفن عليه ويسألن ويستفسرن عن مبادئه وتعاليمه وهكذا حسب ثقافة الزوج وعلمه أو جهله"، كما أنه في مقابل ذلك كان العلماء يقومون من فترة إلى أخرى بدعوة بعض الشخصيات الفرنسية لزيارة

¹ - عبد الرحمان شيبان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجزائر، دار المعرفة، 1882، ص ص 91-92.

² - بوزنان سعيد، المرجع السابق، ص ص 245-246.

³ - نفس المرجع، ص 275.

نواديهم والمشاركة في نشاطاتها منهم نساء فرنسيات كالسيدة ليوفانيير (Leuvenier) التي تلقت دعوة من طرف العلماء بتاريخ 20 ماي 1937 لحضور مائدة حضرها العديد من رجالات الفكر والعلم والسياسة الفرنسية والذين شجعوا ونوهوا بالمجهودات التي تبذلها نوادي التهذيب في سبيل العلم وأجمعوا على أنها تستحق الدعم المالي والأدبي من قبل السلطات العمومية بفرنسا.¹

وبالتالي يمكن القول بان تعامل علماء الجمعية مع ما جاءت به الأوربية إلى الجزائر تميز بالمرونة فنجدهم تارة يقفون موقف الرفض المجابه لمخططاتها الرامية لتحقيق المصالح والمخططات الاستعمارية بالجزائر، منتهجين العديد من الأساليب لفضحها سواءً عن طريق صفحات جرائدها أو المحاضرات وحتى الفتاوى التي كانوا يصدرونها إلى غير ذلك من الوسائل، كما نجدهم من جانب آخر يحاولون الاستفادة من بعض المعطيات التي دعت إليها وخاصة ما تعلق منها بالمرأة كدعوتها للتعلم والمساهمة الاجتماعية والاقتصادية للمرأة في المجتمع الجزائري، من خلال تكييف تلك المطالب مع ما يتماشى وأحكام الشريعة السمحة، وما يفرضه الواقع الذي كانت تسير نحوه الجزائر.

¹ - بوزنان سعيد، المرجع السابق، ص ص 276-277.

ثانياً: مواقف بعض النخب الجزائرية المثقفة

برزت عدة آراء فيما يخص الدور الذي كانت تقوم به المرأة الأوربية بين معتبرها حاملة للواء نقل مبادئ التحضر وقد كان لهذا الموقف عدد من المؤيدين الشباب الذين تكونوا في المدرسة الفرنسية وكانوا من المتحمسين للتحضر وتبني طريقة عيش النساء الأوربيات من قبل الجزائريات، معارضين بموقفهم هذا الموقف المحافظ الذي أبداه علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تجاه تلك القضية وبين هذا وذاك برزت العديد من الاتجاهات التي طالب بعضها بالتعامل مع ما جاءت به الأوربية بحذر شديد بينما طالب البعض الآخر بالأخذ بما جاءت به الأوربية إذا كان ذلك لا يتعارض مع مبادئ الدين السمحة، وبعد عرض موقف جمعية العلماء من بعض أنشطة النساء الأوربيات بالجزائر سوف أتعرض الآن لبعض المواقف الأخرى بخصوص تلك القضايا.

1- المرأة الأوربية كنموذج للمرأة المسلمة:

اختلفت الآراء والمواقف بين مختلف الاتجاهات حول اعتبار المرأة الأوربية النموذج الأفضل الذي يجب أن تقتفي أثره المسلمة الجزائرية وذلك على اعتبار أن تلك الأولى تمكنت من خوض شوط كبير في سيرها نحو حريتها، ورفض لذلك المنطق لعدة اعتبارات كالدين والتقاليد وغير ذلك.

ظهر على الساحة الجزائرية شريحة شبانية أطلق عليها البعض بالنخبة المفرنسة وقد درس أغلب دعاة هذا الاتجاه بالمدارس الفرنسية، كما نخلوا من الثقافة الفرنسية والحياة الاجتماعية الأوربية لغة وفكراً وثقافة، كما أن بعضهم رأى بأن الاندماج في المجتمع الفرنسي مكسب ثمين يجب الظفر به ونتيجة لتكوينهم الثقافي الذي ترعرع ونمى في أحضان المؤسسة التعليمية الفرنسية فقد أصبحت لغتهم وعاداتهم وقيمهم وتقاليدهم كلها فرنسية ومحاوله منهم لتحقيق الاندماج الكلي في المجتمع الفرنسي فقد تزوج أغلبهم بفرنسيات أو مفرنسات.¹

كما أن بعضهم جعل من المرأة الأوربية نموذج مثالي يجب أن يقتدى به دون أي حدود و دعوا إلى ترقية المرأة الجزائرية على شاكلة النساء الأوربيات وجعلها نسخة منها في كل شيء، واعتبروا أن ذلك من شأنه أن يسهل عليهم عملية اندماج المجتمع الجزائري في فرنسا ونموذجها الحضاري ومن أجل ذلك نشرت عدة مقالات في كل من "صوت المستضعفين" و"صوت الأهالي" دعت إلى أوربية المرأة الجزائرية وكانت أداتهم في ذلك التباكي على وضع الجزائرية التي كبلها الرجل باسم الدين والتقاليد البالية²، وقد ساهمت بعض منشورات تلك الجرائد في انخراط عدد محدود من

¹ - عمر بن قينة ، المرجع السابق، ص ص34- 35.

² - لونيسى رابع، المرجع السابق، ص ص314- 315.

النساء سواءً كن طالبات، مدرسات، أديبات من أصول أوربية أو مسلمة بقوة في الحركة المطالبة النسوية، وساهم توفر تلك الصحف التي كانت تقوم بنشر أفكار ذلك الاتجاه بين الأوساط النسوية عاملاً مهماً لنشر آرائهم على الرغم من قلة عددهم مقارنة بالأغلبية المناهضة للأفكار الداعية إلى تحرر المرأة آنذاك في الجزائر.¹

والملاحظ أن استلهم قيم تحرر المرأة من الحضارة الأوربية قد دعا له أغلب النخب المتفرنسة على غرار حاج الشريف قاضي² الذي دعا إلى ترقية المرأة الجزائرية على شاكلة المرأة الأوربية ولكن بالتدرج وذلك عن طريق تعليم الرجل الجزائري وتدريبه إلى أن يتوصل إلى الاقتناع بضرورة تعليم زوجته وأولاده، ويعتقد بأن تحسين وضع المرأة الحضاري هو أفضل وسيلة للتقريب بين العنصرين الأوربي والجزائري كما أنه سيساهم في تحرر المرأة ويجعلها تتقاسم حياتها العادية مع النساء الأوربيات.³

وكان من المفروض أن يقترب موقف جماعة فرحات عباس بخصوص قضية اتخاذ المرأة الأوربية المثل الأعلى للمرأة الجزائرية مع دعاة اتخاذها كنموذج مثالي دون أي حدود، وذلك على اعتبار أن هذه الجماعة كانت من المنبهرين بالنموذج الفرنسي في تنظيم المجتمع، لكن هذا الاتجاه تعامل مع هذه القضية بنوع من الغموض ولعل ذلك يعود إلى أسباب تكتيكية يأتي في مقدمتها الخشية من إثارة المجتمع التقليدي المحافظ ضدهم، لكن وعلى الرغم من ذلك نجد موثيق هذا الاتجاه تلمح إلى حقوق المرأة وضرورة مساواتها بالرجل في الحقوق والواجبات، غير انه من جانب آخر نجد هذا الاتجاه وفيما لمنطلقه المتمثل في ضرورة المزج بين الحضارتين الإسلامية والأوربية وذلك بأن تكون المرأة الأوربية نموذجاً تقتدي به النساء الجزائريات في كل مالا يتناقض مع ثقافة ومبادئ الإسلام وقيمه.⁴

أما الشيوعيون فقد كانوا دائماً يأملون ويمنون أنفسهم بأن تكون المرأة الأوربية المثل الذي يجب أن تسير على نهجه النساء الجزائريات اللاتي كانوا يطلقون عليهن اسم: "أخوات الكاهنة - جان دارك (Jean d'arc)⁵

¹ - على مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، تر: يحياتن مجّد، الجزائر، دار الحكمة، 2007، ص385.

² - حاج الشريف قاضي: متخرج من المدرسة المتعددة التقنيات، متجنس ومتزوج من فرنسية، اشتغل برتبة عقيد في الجيش الفرنسي، كان يعمل على أن يجعل الجزائريين مواطنين خاضعين للقوانين الفرنسية مع المحافظة على التقاليد الإسلامية. ينظر الطاهر عمري، النخبة الجزائرية وقضايا عصرها من بدايات القرن العشرين إلى مابين الحربين العالميتين، قسنطينة، الدار الوطنية للكتاب، 2009، ص296.

³ - نفس المرجع، ص296.

⁴ - رابح لونيبي، المرجع السابق، ص ص 329-330.

⁵ - جان دارك: امرأة فرنسية حرقتها الكنيسة الكاثوليكية لأنها تلبس السروال وتطلق شعرها وهو ما يتناقض مع شعائرها. ينظر عبد العالي رزاق، ضباط فرنسا في المغرب العربي، الجزائر، دار الأمة، 2013، ص100.

الجزائرية"¹، وفي سبيل تحقيق ذلك قام الحزب الشيوعي الجزائري بتأسيس تنظيم نسوي عام 1944 أطلق عليه "اتحاد نساء الجزائر UFA" ولسان حاله هو صحيفة نساء الجزائر "Femmes d'Algérie"، وقد ضم ذلك التنظيم النساء الأوربيات وعدداً محدوداً من المسلمات وقد كتبت الأمانة العامة للاتحاد في صحيفة نساء الجزائر قائلة: "إننا نطالب بالمساواة والعدل لصالح أخواتنا المسلمات اللواتي تعتبرن أكثر حرماناً وعذاباً مقارنة بنا بالإضافة إلى أنهن مثلنا يضحين بأزواجهن وأبنائهن في الكفاح الكبير من أجل الحرية"، ولعل تأسيس مثل هذا التنظيم يدل على رغبة هذا الاتجاه بأن تقوم النساء الجزائريات بالسير في نفس الطريق الذي سارت عليه الأوربيات وذلك باقتحام جميع المجالات ولكنهم من جانب آخر نجدهم يتحفظون على العديد من الجوانب المتعلقة بالمرأة خاصة تلك المرتبطة منها بالدين الإسلامي وتحفظهم هذا يكون مرده لأحد الأمرين إما أنهم يجعلون من المرأة الأوروبية نموذجاً لهم في كل ما لا يتناقض مع الدين الإسلامي ومبادئه السمحة فقط أو إنهم كانوا متخوفين من ردود أفعال المجتمع الجزائري تجاه الأفكار التي كانوا يدعون إليها من جانب آخر.²

بينما اختلف طرح مالك بن نبي بخصوص تقليد المرأة المسلمة للأوربية في سيرها نحو الحرية مع أصحاب الاتجاه الاندماجي والشيوعي وقد تساءل بخصوص تلك القضية قائلاً: "هل من المفيد للمرأة المسلمة أن نجعلها في مركز تشبه فيه أختها الأوربية؟" معتبراً أن مشكلة المرأة مشكلة إنسانية يتوقف حلها على تقدم المدنية ولا يكون حلها بالتقليد الظاهري لأفعال المرأة الأوربية دون النظر إلى الأسس التي بنت عليها هذه الأخيرة حركتها، وهو الطريق الذي اتبعته العديد من الدول الإسلامية داخل إطار ما يعرف بحركة التجديد في حياة المرأة والتي ما زال المجددون يدعون لها إلى الآن وقد انتقد بن نبي ذلك قائلاً: "إن انتقالنا بالمرأة من امرأة متحجبة إلى امرأة سافرة تطالع الصحف وتتنخب وتعمل في المصانع لم يحل المشكلة، فهي لا تزال قائمة وكل ما فعلناه أننا نقلنا المرأة من حالة إلى حالة" وقد اعتبر أن ذلك الانتقال لن يقدم حلاً لمشكلة المرأة وإنما سيزيد فقط في تعقيدها بعد أن كانت بسيطة.³

يبدو أن موقف بن نبي هذا لم يكن نابعاً من رغبته في بقاء وضع المرأة المسلمة على ما هو عليه وإنما من تخوفه مما سيؤول له وضع المرأة المسلمة إذا ما واصلت في تقليدها للمرأة الأوربية وذلك على اعتبار أن هذه الأخيرة حسب رأيه "لم تعد تظهر إلا في مظهر لا يخاطب في المرء إلا غريزته"، كما أن مشكلة النسل في البلاد الأوربية وصلت إلى حالة

¹ - رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 315-316.

² - مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: مسقاوي عمر، شاهين عبد الصبور، قطر، وزارة الثقافة والفنون والتراث، (د،ت)، ص 166.

تدعوا إلى الرثاء، كما أن التنظيم الاجتماعي في المجتمع الأوربي فقد جميع معاني التقديس للعلاقات الجنسية وغدت فيه المرأة مجرد تسلية للنفوس مما جعلها تفقد وظيفتها الأساسية من حيث أنها وسيلة لحفظ الأسرة وبقاء المجتمع.¹ كل تلك القرائن جعلت بن نبي ينتقد دعاة تقليد المرأة الأوروبية مؤكداً على أنها هي الأخرى لم تجد حلاً لقضيتها، كما أن مشكلتها لا زالت خطيرة حتى في ذهن المرأة ذاتها والتي لازالت تفكر إلى الآن كيف تقدم نفسها لحضارتها كنموذج في قمة الأخلاق والجمال ، ويمكن إدراك خطورة تلك المسألة في أحد مظاهر حياتها في أوروبا والمتمثلة في "الموضا" حيث أن اللباس الذي تختاره المرأة في أي مجتمع من المجتمعات يعبر وبصورة مباشرة عن الدور الذي تريد أن تلعبه في المجتمع فالمرأة الأوروبية قديماً كانت تلبس لباساً لطيفاً مستوراً يدعى "الدانتالا" فكانت بلباسها ذاك خير مثال للرقّة والأدب في مجتمعها وكانت جديرة بكل احترام غير أنها اليوم تلبس لباساً مثيراً وهذا ما يعبر تعبيراً صريحاً عن الانحطاط الأخلاقي الذي باتت تسري إليه.²

وكتب مالك مقالا تحت عنوان معالم على طريق الحركة النسائية الجزائرية أبرز فيه بأن هذه الحركة يجب أن تطبع بطابع جزائري خاص لا يطابع ما يصنع في الخارج، وذلك على اعتبار أن المرأة ليست كائناً يعيش وحده وي طرح مشكلاته على هامش المجتمع بل تعتبر أحد قطبيه وقطبه الآخر هو الرجل، ولا يمكن تصور انفصال قطب عن الآخر ولو حدث ذلك فإن المجتمع بأكمله يتبخر، كما ذهب إلى الحركة النسائية في الجزائر يجب عليها أن تنتقي التربة النقية الطاهرة لتغرس عليها جذورها مثل تلك التربة التي أنبتت سمية ولالة فاطمة نسومر³ وفضيلة سعدان⁴ وغيرهن من

¹ - مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص ص 166-167.

² - نفس المرجع، ص 167.

³ - لالة فاطمة نسومر: ولدت عام 1830 بقرية ورجة بتيزي لجماعة قرب عين الحمام بالقبائل، تنحدر من عائلة متدينة أبوها سيد أحمد محمد صاحب المدرسة القرآنية بسومر، بعد وفاة والدها كانت تساعد أخاها في المدرس القرآنية، حملت لواء الجهاد ضد الاستعمار حيث شكلت قوة دعم للشريف بوبغلة عام 1845 عندما كان يخوض معركة شرسة ضد القوات الفرنسية في وادي سباو، هزمت الجنرال راندون في معركة تاشكريت بتاريخ 18 جويلية 1854 واضطرته إلى طلب الهدنة، استعدت لمواجهة الجنرال راندون مرة أخرى إثر تقدمه نحو قرية نسومر لكن قوات الاحتلال باغتتها بالمدافع والأسلحة الثقيلة يوم 10 جويلية 1857 فدعت لالة فاطمة المجاهدين إلى الجهاد لكنها هزمت، وفي المعركة انبهر الجنرال راندون بهذه المرأة وأطلق عليها إسم جان دارك جرجرة وألقي عليها القبض سنة 1857 وسجنتم هي وأخوتها في سجن بيسر تم نقلو إلى سجن بني سليمان بتابلاط، توفيت سنة 1863 عن عمر يناهز 33 سنة. ينظر بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص ص 189-196.

⁴ - فضيلة سعدان: ولدت في 10 أفريل 1938 في بلدة الحروش بسكيكدة، تمتعت بمستوى متميز في الدراسة، شاركت في إضراب الطلبة في 19 ماي 1956 وكانت من قاداته تم اعتقالها من طرف السلطات الاستعمارية وألقي بها في سجن الكية لمدة عام تعرضت خلالها لأسوء معاملة حيث شوه وجهها وأرغمت على مشاهدة تعذيب وإعدام الجزائريين، ثم أطلق سراحها وسمح لها بمزاولة الدراسة

المجاهدات اللاتي عشن ومتن في سبيل الواجب والشرف.¹

كما ذهب إلى أن مشكلة المرأة مشكلة متشعبة ومتعددة الجوانب وليست بالشيء الذي يحله قلم كاتب في مقال أو في كتاب وفي سبيل الوصول لحل سليم لتلك المشكلة طالب النساء المسلمات بعقد مؤتمر يحدد فيه مهمتهن بالنسبة لمجتمعتهن، على أن يضم ذلك المؤتمر جميع الوسائل الكفيلة لمناقشة تلك القضية من مختلف الجوانب فيجب مثلاً أن يضم علماء النفس وعلماء التربية والأطباء وعلماء الاجتماع وعلماء الشريعة وغيرهم عندئذ نستطيع القول حسب رأي بن نبي ب "أنا وضعنا المنهج الأسلم لحياة المرأة وسوف يكون هذا التخطيط حتماً في صالح المجتمع لأن علماء والمفكرين فيه هم الذين وضعوه".²

إن ما يميز طرح مالك بن نبي هو الشمول والاستناد إلى الخطاب العلمي بدل التركيز على جانب دون الجوانب الأخرى فيما يخص قضية المرأة، وبالتالي فإن طرحه يختلف عن طرح الاتجاه الإصلاحية الذي جعل من الخطاب الديني المحض الوجه الأول والأخير للوصول لحل لمشكلة المرأة، محاولاً بذلك الوصول إلى صياغة دستور خاص بالمرأة المسلمة يمنح الحقوق ويضبط الضوابط ويحظى بالقبول من جميع الأطراف، كما أنه وعلى الرغم من أنه لم يرد الفصل في قضية المرأة ودعا إلى عقد مؤتمر بخصوص ذلك لكنه وبحكم معرفته بواقع المرأة في البلاد الأوروبية لم يكن من الداعين إلى اتخاذ المرأة الأوروبية كنموذج يقتدى به ولعل موقفه هذا كان نابعاً من مشاهدته للواقع الذي باتت النساء الأوربيات تتخبطن فيه ذلك الواقع الذي لم يهن عليه أن تسقط ضحيته النساء الجزائريات.³

2- بعض المواقف من قضية انتشار الزواج من الأجنبية بالجزائر:

عرفت ظاهرة الزواج بالأجنبيات انتشاراً في أوساط بعض الجزائريين ما جعلها تطرح على العديد من الأصعدة السياسية، الأدبية وغيرها كما تباينت بخصوصها الآراء والمواقف، ومن هذا الجانب نجد إسماعيل حامد⁴ قد دعا لفتح

خارج بلادها، وبعد حصولها على البكالوريا تابعت دراستها للحقوق في فرنسا، انضمت إلى الثوار بعد عودتها للجزائر وحملت السلاح، استشهدت في منزل بحي الرصيف بتاريخ 12 جوان 1960 رفقة اثنين من المجاهدين وذلك بعد أن اكتشف الفرنسيون موعد لقائهم بذلك المنزل. ينظر بسام العسلي، المرجع السابق، صص 76-95.

¹ - مالك بن نبي، مشكلات الحضارة بين الرشاد والتهيه، دمشق، دار الفكر، 2002، صص 66.

² - مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، صص 168.

³ - مالك بن نبي، مشكلات الحضارة بين الرشاد والتهيه، المرجع السابق، صص 66.

⁴ - إسماعيل حامد: ولد بالجزائر العاصمة بتاريخ 4 أوت 1857 وبعد دراسته الابتدائية والثانوية بالجزائر التحق بالكلية الحربية سان سير بفرنسا وتخرج منها برتبة مترجم، كما حصل على وسام ضابط الشرف سنة 1911، له العديد من المؤلفات منها كتاب "مسلمو

باب التقارب بين الجزائريين والفرنسيين في الجزائر عن طريق تغيير أخلاقيات الأهالي من خلال المدرسة - التعليم - ثم العمل المشترك بين الأوربيين والأهالي ليصل إلى ذروته عن طريق الزواج المختلط، وقد كان من مؤيدي مسألة الزواج المختلط سواءً بين الأوربيات والجزائريين أو بين الجزائريات والفتيان الأوربيين، واعتبر أن هذا النوع من الزواج يؤدي إلى التقارب بين الأجناس الأوربية والجزائرية، كما ذهب إلى أن الفئة المهجينة التي ستتولد عن هذا الزواج هي الفئة التي ستقود إلى التقارب بين الأوربيين والأهالي وتحقيق التوازن بين الشعبين، ونوه أيضاً إلى أن هذا الزواج بدأ ينتشر في الجزائر خاصة النوع الأول منه - الزواج بالأجنبيات - وذلك لأن أغلب الفتيان المسلمين وخاصة المتفرنسين لديهم ميل واضح لاعتماد الحضارة الأوربية، كما أن الدين الإسلامي لم يحرم على المسلم الزواج من المسيحيات أو اليهوديات بل حرم عليه الزواج من النساء الوثنيات، بالإضافة إلى أن أغلب المسيحيات لم يكن مطالبات بالتخلي عن ديانتهم أثناء زواجهن من مسلمين، كما أن الفتيان المسلمين لم يكونوا يتلقون أي نوع من العداة أو الحرمان من طرف الجزائريين بسبب زواجهم من أوربيات.¹

أما بخصوص زواج الفرنسيين بالجزائريات فقد ذكر بأنه كان موجوداً بداية الاحتلال ولكنه كان ضئيلاً جداً وقد ظهر بسبب قلة توافد النساء الفرنسيات إلى الجزائر في تلك الفترة ما اضطر الفرنسيين للزواج من الإسبانيات والإيطاليات والمالطيات ومع بعض النساء المسلمات، وقد ارتبط انخفاض هذا النوع من الزواج - الفرنسيين والجزائريات - وكذلك انصراف بعض الجزائريين عن الارتباط بالجزائرية بوضعيتها فقد كانت غير متعلمة، كما أنها لم تكن تساهم في تطوير نفسها ما جعلها تتلقى رفضاً من طرف الجزائريين أنفسهم خاصة أولئك الذين تمكنوا من الوصول إلى مناصب راقية في المجتمع الفرنسي.²

ويرى حامد أن تعلم المرأة الجزائرية واكتسابها للثقافة الفرنسية سيساهم في ترقية وضعيتها ويسهل عليها ولوج الحياة العامة الأوربية وفي هذا نجده يقول: "فبمرور بعض الوقت تحصل عدد من النساء الجزائريات على ثقافة فرنسية، ويمكن أن يشاركن في الحياة العامة الأوربية ولكن ذلك سيكون طويلاً وحسب ترقى الرجال من الوسط الأهلي".³

شمال افريقيا" ينظر Ismaïl Hamet, **Mémoire Culturelle Algérienne, Articles Parus dans des Périodiques (1907 - 1924)**, Alger, Université d'Alger, 2012, p5.

1 - Ismael Hamet, **Les Musulmans français du Nord de L'Afrique**, Paris Librairie - Armand Colin, 1906, pp248-250.

2 - Ismaïl Hamet, **Mémoire Culturelle Algérienne**, op,cit, pp162-163.

3 - Ibid, p254.

ولقد اتفق موقف إسماعيل حامد بخصوص ظاهرة الزواج المختلف مع موقف الشريف بن حبيلس¹ الذي كان هو الآخر من مشجعي التجنس والزواج بالأجنبيات، كما أنه كان يرى بأن إقدام الشباب الجزائريين على التجنس والزواج بالأجنبيات يعتبر في حد ذاته عملاً شجاعاً وذلك لأنهم كانوا يواجهون صنوف العوائق التي كانت تعمل على تثبيطهم وعلى رأسها عائلاتهم التي كانت تتنكر لهم مستدلاً بحالة المدرس القبائلي لافيت المتجنس بالجنسية الفرنسية والمتزوج بامرأة فرنسية والذي لم يجرؤ على العودة إلى بلده بعد زواجه وذلك لأنه كان يتلقي الرفض من طرف مجتمعه، ومن هذا القبيل طالب بن حبيلس الإدارة الفرنسية في الجزائر بالعمل على احتضان تلك الفئة وعدم تهميشها وذلك لأنها إذا وجدت الصد أيضاً من طرف الإدارة والمجتمع الفرنسي فإنها قد تندم على ما أقبلت عليه.²

فيما رأى عمار أوزقان³ بأن ذلك المطلب غير قابل للتحقق في ظل نظام استدماري عنصري وغير إنساني بالرغم من أن قانون نابليون لم يكن يوصي بالتمييز العنصرية والتفرقة المذهبية، غير أن قانون الأهالي القائم على مبدأ عدم المساواة السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والإثنية كان يؤدي بطريقة أو بأخرى إلى إيجاد الحواجز العرقية بين الجزائريين والأوربيين، وبالتالي فإن هذا الزواج كان يلقي اعتراضاً من طرف الفرنسيين أنفسهم وحتى لو تمكن من تجاوز تلك الحواجز فإنه "سيثعثر أمام الغريزة الحيوانية الجماعية لأخلاقيات الأقلية ذات الامتيازات" التي كانت ترفض كل أوربية أو جزائرية من أصل أوربي تتجرأ من الزواج بجزائري حتى لو تعلق الأمر بطبيب أو موظف أو برجوازي وذلك لأن زواجها يعتبر غير متكافئ وغير مقبول فهم يعتقدون بأن "العربي هو العربي حتى ولو كان القائد بن داوود"⁴،

¹ - شريف بن حبيلس: ولد سنة 1885 بقسنطينة، تحصل على شهادة دراسات عليا في القانون، عضو بنادي صالح باي، واحد من رواد الحركة الوطنية للشبان الجزائريين ينظر: صافر فتيحة، المرجع السابق، ص348.

² - شريف بن حبيلس، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: حمادي عبد الله وآخرون، (د، م)، المسك، 2012، ص 146-147.

³ - عمار أوزقان: ولد سنة 1910 من عائلة فلاحية تعرضت لأراضيها للاغتصاب بعد ثورة 1871، تردد على المدرسة القرآنية ثم دخل المدرسة الابتدائية الفرنسية، بائع جوال لجريدة "صدى الجزائر" ثم تلغرافي بالبريد، أسس فرعاً نقابياً سنة 1926، انخرط في الشبيبة الشيوعية سنة 1930، عين أميناً للحزب الشيوعي في إقليم الجزائر الوسطى، رئيس تحرير جريدة "النضال الاجتماعي" موفد إلى المؤتمر العالمي للكمونترن، عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بفرنسا، عين أميناً للمؤتمر الإسلامي بصفته مناضل الحزب الشيوعي الجزائري، تقرب من جمعية العلماء، وفي سنة 1955 انخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني، ساهم في تحرير وثيقة مؤتمر الصومام 1956، سجن سنة 1958، عين نائباً لوزير الفلاحة الجزائرية سنة 1962. ينظر عدة بن داها، المرجع السابق، ج2، ص489.

⁴ - محمد بن داود (1837-1912): من أبرز الذين خدموا الجيش الفرنسي من بداية الاحتلال، وأصله من الدوائر والزماله القاطنين بسهول وهران، عين والده برتبة آغا من قبل السلطات الاستعمارية، وعندما أنشئت الكلية العربية الفرنسية بالجزائر العاصمة

وحتى لو أن تلك الفرنسية المتمردة على عقلية الأقدام السوداء تزوجت وتمكن زواجها من الصمود لفترة من الزمن فإنها سوف تتلقى المقاطعة من أبناء دينها ووسطها وحارتها، مستدلاً على ذلك بمواقف بعض الأوربيين المناهضين للعنصرية والذين لم تمنعهم المبادئ التي كانوا يدعون إليها بالإعلان عن أنهم بدورهم لا يقبلون تقديم ابنتهم للزواج من رجل أسود حيث أن رجل جري آخر من باريس أكد أمام المحكمة رفضه استقبال أطفال الراكون في داره على الرغم من أنهم يعتبرون أحفاده.¹

وأكد أوزقان عن حتمية فشل تلك الزيجة عن طريق إبراده لتحقيق حول منطقتي الغيتو التي استقر بها الجزائريون بباريس حيث ذكر بأن حياتهم هناك كانت تشبه حياة اليهود في فرصيا فترة النازية، كما ذكر بأنهم أصبحوا منبوذين من الفرنسيين وخاصة النساء اللاتي كن يرفضن الزواج منهن خوفاً من الرفض الذي سيتلقينه مستقبلاً من قبل أسرهن ومجتمعهن وهو ما اعترف به أحد المنفيين الجزائريين بقوله: "لقد كان لنا سابقاً بعض الأمل مع النساء الفرنسيات لكن لم يعد الأمر كذلك الآن، اجتاحتهم الخوف أيضاً والمرأة الفرنسية التي تعيش مع جزائري إنما تعاني بدورها من هذا الوضع ليس لنا رجاء أن تحبنا يوماً امرأة فرنسية".²

يبدو أن عمار أوزقان لم يكن من الراضين لمسألة الزواج من الأجنيات وذلك لأنه لم يتحدث عن الآثار السلبية التي سيخلفها سواء على الأسرة أو المجتمع الجزائري، كما أن موقفه هذا ينم عن رغبته في نقل الوضعية المزرية للشباب الجزائريين المتزوجين بأجنيات مركزاً على الرفض الموجه إليهم من طرف الوسط الفرنسي مذكراً بالوقت الذي كانت فيه فرنسا في فترة القرون الوسطى وكيف أن سكان شمال إفريقيا كانوا متحررين من جميع تلك العوائق الدينية والعرقية فيما يخص قضية الزواج بالأجنيات وذلك نتيجة لانتشار الدين الإسلامي في المنطقة والذي كان يتسم بالليبرالية، كما أنه منذ أربعة عشر قرن سمح الدين الإسلامي للمسلم أياً كان راتبه ولون بشرته من أن يتزوج شرعاً

كان محمد بن داوود مع أبناء الجنود وأبناء الجنود المحميين أول الملتحقين بتلك المدرسة فتم تعليمه تعليماً مزدوجاً ، تجنس بالجنسية الفرنسية بتاريخ 26 أكتوبر 1858، تم إرساله إلى مدرسة سان سير Saint-Cyr العسكرية بفرنسا سنة 1856 من قبل الجنرال ديليجني Deligny قائد مدينة وهران وهذا نظير خدمات والده ، تدرج في الوظائف العسكرية حتى وصل إلى رتبة عقيد في الجيش الفرنسي سنة 1888، شارك في حملات الجيش الفرنسي في إفريقيا وأوربا، كما تقلد العديد من الأوسمة، توفي في وهران عن عمر ناهز 75 سنة. ينظر Ismael Hamet, "le Colonel Mohamed Ben Daoud", **Revue du Monde Musulman**, Paris, T19, 1912, pp.315-318.

¹ - عمار أوزقان، الجهاد الأفضل كلمة حق عند سلطان جائر، تر: سطوف ميشال وآخرون، الجزائر، دار القصة، 2005، ص 163.

² - نفس المرجع، ص 164.

وقانوناً من مسيحية أو يهودية ولهذا الزوجة حق الاحتفاظ بدينها وممارسته بكل حرية بل إن لها الحق حتى في تناول الخمر وفي تلك الفترة هذا النوع من الزواج كان لا يشكل إطلاقاً تراجعاً أو تحللاً في العديد من البلدان الأوربية بل يؤدي إلى الترقية الأوتوماتيكية ورفع تلك المرأة إلى ما هو أسمى من التشريع الفرنسي الراهن.¹

وبرزت مواقف أخرى بشأن الزواج بالأجنبيات ومسألة الاندماج في العائلة الفرنسية تتمثل في رأي عمر بن قذور² الجزائري الذي حذر الجزائريين من الانسياق وراء طروحات النخبة المفرنسة والتي كانت ترمي إلى ربط الجزائر بالعائلة الفرنسية، كما أنه كان يرى بأنه يجب على الشباب المتفرنج إذا كان يريد النهوض بأمتهم بأن يقوم بدعوتهما إلى التثبث بملتهما وقوميتهما التي تكون سبب سعادتهم وسعادة بني جلدتهم ومما قاله في ذلك: "إن اندماج المسلمين بالعائلة الفرنسية خطر محض، وبقول لقومية عنصر شريف ينتمي إلى أمة عظيمة ويتمسك بأهداب ملة تأتي عليه المروق منها فلو أنصف هؤلاء نفر (يقصد المتفرنجين) لأحلوا ملتهم وقوميتهم المحل اللائق بها ثم تشبثوا بكل ما يصح لهم التثبث به في طلب سعادة بني جلدتهم ورفاهيتهم"³ وموقفه هذا كان يتعارض تماماً مع موقف المعلم رابح زناتي الذي أنشأ جريدة أسبوعية في قسنطينة تدعى "صوت الاهالي" والتي كتب في احد أعدادها قائلاً: "أن قناعتنا تقتضي منا الاختلاط مع كل الفرنسيين والذوبان في العائلة الفرنسية كلية ومن دون تحفظ ومن أجل هذا نسخر كل جهودنا للوصول إلى ذلك الهدف".⁴

أما مالك بن نبي فبالرغم من زواجه من فرنسية إلا أن هذا لم يمنعه من إبراز خطر الزواج بالأجنبيات على المجتمع الجزائري وذلك لأنه رأى بأنه لا يمكن تقدير المكان الكبير الذي تشغله المرأة الأوربية في لا شعور الرجل، فبزواجها من الشاب الجزائري تصبح عضواً من المجتمع الجزائري وبالتالي تصبح هي التي "تحضر في مجتمعتها وتعنى بشؤونها وتوجه كل

¹ - عمار أوزقان، المرجع السابق، ص ص 162 - 163.

² - عمر بن قذور (1886 - 1932): ولد بالعاصمة وتعلم بالكتاب ثم بالمدرسة الثعالبية، واصل دراسته في تونس ومصر، عرف باتجاهه الإصلاحية وعمل بالصحافة واهتم بالقضايا التي تمم المسلمين، نشر مقالاته الإصلاحية الثورية في صحف عديدة في مصر كاللواء والمؤيد وأخرى في تونس كجريدة التقدم والمشير ومرشد الأمة، كما راسل أيضاً جريدة الحضارة التي كان يصدرها الشيخ عبد الحميد الزهراوي في الأستانة، أصدر في الجزائر صحيفة الفاروق والتي اعتبرها بعض الباحثين بداية الصحافة العربية الوطنية في الجزائر، دعا إلى تكوين جامعة الصحافة الإسلامية منذ 1911، من آثاره ومؤلفاته "الإبداء والإعادة في مسك سائق السعادة" في التصوف، توفي في سن مبكرة وعمره يناهز 46 سنة. ينظر عبد الحميد بن نعيمة وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954، الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الح، و، وثورة اول نوفمبر، 2007، ص ص 252-261.

³ - قرين مولود، عمر بن قذور الجزائري دوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1886-1932، الجزائر، دار الخليل، ج1، 2013، ص 191.

⁴ - فتيحة صافر، المرجع السابق، ص ص 336 - 337.

الاستعدادات الخفية في الرجل فإذا به يخضع لسلطانها من حيث لا يشعر"، بالإضافة إلى أنه رأى بأنها أصبحت تقود خيال الشباب واتجاهاته الأخلاقية والجمالية في الجزائر، أما بخصوص نفوذها في المجتمع الجزائري قد توسع إلى درجة أنها: "استطاعت قيادة مختلف مآسيه الصغيرة والكبيرة التي تظهر في حياته اليومية"، كما ذكر بن نبي بأن عدم قيام المرأة الجزائرية بدورها المنوط بها في المجتمع الجزائري وكذلك عدم إدراكها لأحداثه التي تجري فيه وتطوراته التي يصير إليها يعتبر من أهم الأسباب التي جعلت الأوربية تحظى بهذه الأهمية لدى الشباب الجزائري.¹

وأخذت مسألة الزواج المختلط مكاناً لدى الأدباء الجزائريين فترة ما بين الحربين، ومن الأدباء الذين أعطوا مكانة لمعالجة مثل تلك القضايا الاجتماعية في أدبهم الأديب أحمد رضا حوحو² الذي عاش حياة الترحال بين الجزائر والمشرق واهتم بمعالجة أوضاع المجتمع في أسلوب قصصي رائع، وقد كانت ظاهرة الزواج بالأجنبيات من المواضيع التي شغلت أدبه وذلك لما لها من تأثير ذلك على تربية الأولاد من النواحي الحضارية، وقد تعرض لها بأسلوب ساخر مصوراً المرأة الأجنبية المتعسفة وصاحبة القرار في المنزل وذلك عن طريق حوار جرى بينه وبين حمار ليصل في النهاية إلى رفض فكرة الزواج بالأجنبيات وذلك لما لها من خطورة كبيرة على أخلاق وعادات وتفكير الزوج، بل ذهب إلى أن تأثيرها قد يصل إلى فرنسة زوجها وإبعاده عن ملته، وإن مواقفه تجاه هكذا قضايا جعلته محل اهتمام السلطات الفرنسي التي كانت تتحين الفرصة للقضاء عليه.³

وبرزت على الساحة الأدبية العديد من الأسماء التي وقفت موقفاً مختلفاً عن موقف حوحو وهذا فيما يخص ظاهرة الزواج بالأجنبيات يأتي في مقدمتهم الأديب شكري خوجة⁴ الذي عد الزواج المختلط ممكناً بالجزائر وذلك من خلال

¹ - مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 170.

² - أحمد رضا حوحو: ولد سنة 1911 في بلدة سيدي عقبة والتي تعلم بها فنون اللغة العربية ثم انتقل إلى سكيكدة لتعلم الفرنسية غادر الجزائر إلى الحجاز أين أتم دراسته العربية، زار العديد من البلدان الأوربية لينتهي به بالجزائر والتي أدار بها إحدى المدارس الأهلية كما عمل في معهد عبد الحميد بن باديس حيث تولى به شؤون السكرتارية وتفرغ للصحافة والأدب والمساهمة في إبراز الشخصية العربية للجزائر من خلال التجربة الفنية، إلى أن قتل غدرًا وانتقاماً برصاص الاستعمار سنة 1956. ينظر سعد الله أبو القاسم، دراسات في الادب الجزائري الحديث، ط5، الجزائر، دار الرائد للكتاب، 2007، ص ص 86-87.

³ - م.و.م، الأدباء الشهداء وقائع الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، الجزائر، (د،ت)، ص 106.

⁴ - شكري خوجة: أديب ولد بمدينة الجزائر عام 1891، له روايتان هما "مأمون" و"والعلاج أسير بربروسيا" ينظر يجاوي مرابط مسعودة، المرجع السابق، مج 1، ص 531.

روايته "أسير ببروسيا"، لكنه من جانب آخر كان يرى بأنه غير كاف لخلق الانسجام المطلوب بين الطائفتين الفرنسية والجزائرية.¹

أما محمد ولد الشيخ² ورايح زناقي فقد رأوا بأن الزواج بالأجنبيات هو السبيل الوحيد للتقارب والتفاهم بين المسيحيين والمسلمين وذلك لإيجاد الانسجام المرجو في التركيبة الاجتماعية بالجزائر من خلال رواياتهم "مريم بين النخيل" لمحمد ولد الشيخ و "بولنوار الفتى الجزائري" لرايح زناقي كما أنهم اتفقا على أن ما يمنع تحقيق مثل هذا التقارب ويفشل الزيجات المختلطة هو الأحكام المسبقة التي تحملها كل طائفة عن الأخرى ورفضها لهذا الزواج وعدم استعدادها للتنازل عن شبر صغير من مواقفها ما يجعل المقبلين على هذا النوع من الزواج ضحايا المجتمع من كلا الطائفتين.³

وبالتالي يمكن القول بأن مسألة الزواج المختلط وخاصة الزواج بالأجنبيات شغلت مكاناً كبيراً في مؤلفات الجزائريين وذلك لان تلك القضية كانت تطرح إشكالية إمكانية التفاهم بين الجزائريين وفرنسيي الجزائر، كما كانت تطرح فكرة الاندماج وإن تعدد الأعمال بخصوص تلك المسألة يبرز لنا اختلاف الآراء التي تراوحت بين الرفض المطلق لهذا النوع من الزواج وذلك نتيجة للخطر الكبير الذي كان يشكله على المستوى الاجتماعي والثقافي في الجزائر ومؤيد له بحجة أنه يقوم بفتح دائرة التفاهم بين الحضارات.

3- مشاغل النساء الأوربيات بالجزائر:

عرجت سابقاً على العديد من الورشات التي أنشئت من طرف العديد من النساء الأوربيات والتي أنشئ بعضها بمبادرات شخصية لتدخل بعدها ضمن اختصاصات الإدارة الفرنسية بالجزائر وقد كان من أشهرها ورشة السيدة لوس وابن عابن لتعليم الفنون التقليدية للفتيات الجزائريات وقد ذكر اسماعيل حامد بخصوص تلك الورشات بأنها على الرغم من أنها ركزت على فن الطرز العربي فقط أهملت الأشكال الأخرى من تلك الفنون، كما أن تلك الورشات كانت تعمل في المقام الأول على تحقيق الأرباح الشخصية لمنشأتها وذلك لأن تلك الجهود كانت في البداية تحت إشراف أيادي خاصة قام بها أفراد تم تدخلت الحكومة وأصبحت هي التي تشجع على إحياء وتأصيل تلك الفنون، ومن الملاحظات التي لاحظها حامد بخصوص تلك الورشات هو ازدحام الأقسام الخاصة بهذا التكوين ففي الجزائر مثلاً

¹ - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 102.

² - محمد ولد الشيخ: ولد سنة 1905 ببيشار ومات سنة 1938 منحدر من عائلة أولاد سيدي الشيخ، روائي وشاعر له ديوان

شعري بعنوان "غناء لباسميينة" صدر في وهران سنة 1930. ينظر نفس المرجع، ص 531-533.

³ - نفس المرجع، ص 102.

كانت 526 بنت في 17 قسم، أما في قسنطينة فقد كانت 539 فتاة في 14 قسم وفي وهران كانت 674 بنتاً في 14 فصل كما أن تلك الورشات بالرغم من أنها وضعت لتعليم الفتيات الفنون والصناعات التقليدية كجزء من التكوين لكنها كانت تعمل لفائدة السوق الفرنسية أكثر من تعليمهن العلم أو الحصول على وظائف مفيدة لهن.¹ وعلى الرغم من أن اسماعيل حامد طالب بالاهتمام بجميع الأشكال الجزائرية في مختلف الفنون التي كانت تشغل عليها تلك الورشات التي فتحت من قبل أورييات، لكنه من جانب آخر لم يكن ضد تعلم الفتيات في تلك الورشات والتي فتحت لتحقيق أهداف وأغراض استعمارية بل طالب بأن تدخل هذه الورشات ضمن اهتمامات الإدارة الفرنسية وفي هذا قال: "لكن إذا كانت هذه المبادرة الخاصة محدودة حتماً في مثل هذه الأمور فقد قادت على الأقل إلى تدخل الحكومة".²

وتحاشياً لاستغلال جهود النساء الجزائريات من قبل الأورييات دعا بعض العلماء إلى إنشاء مشاغل تأخذ بيد الفتيات الجزائريات وتعمل على إعداد المرأة الصالحة والنموذجية التي يقبل عليها الشباب ويطلبون يدها للزواج بدل العزوف عن الزواج أو التوجه للزواج بالأجنبيات وهو ما نوه له عبد الحفيظ بن الهاشمي الطولقي الذي ركز على ضرورة تزويد المرأة الجزائرية بالصناعات الحرفية والمهارات التي تفيدها في حياتها العملية والاجتماعية، كما اعتبر حرمان الفتاة من التربية والتعليم يقللان من شأنها ويجعلها مسلوقة الحقوق وتفادياً لذلك دعا بن الهاشمي إلى ضرورة التكفل بالفتاة الجزائرية وترقيتها وذلك لأن تعليمها يجعل منها امرأة كاملة وقادرة على تحمل مسؤوليتها تجاه المجتمع.³

وطرحه هذا يتوافق مع طرح أحد المساهمين في مجلة "صوت الضعفاء" والذي كان يوقع مقالاته باسم "ليشاني" والذي دعا إلى تعليم النساء العربيات والقبائليات بالجزائر كما أنه نصحن بعدم الاكتفاء بالتعليم المهني والمنزلي وذلك لأنه رأى بأن إعداد الدانتيل الناعمة والسجاد الجميل وتعلم تنقيحات المطبخ إلى غير ذلك من الأنشطة التي يتم تعلمها في المشاغل لها أهمية واستخدامات ثمينة، غير أنها تبقى غير كافية وحدها إذا ما تم إهمال تعليم المدارس والكليات والتي ذهب إلى أن لها مساهمة فعالة أكثر من غيرها في منح الطلاب عقل متفتح وعادات متحضرة.⁴

¹ - Ismaïl Hamet, *Mémoire Culturelle Algérienne*, op,cit, pp164-165.

² - Ibid, p165.

³ - (م.و.د.ب.ح.ث)، المرجع السابق، ص69.

⁴ - A.O, Sérié AP, Carton 222-223, N 222, Lechani, "Émancipation de la femme

indigène", *La Voix des Humbles*, N33, Janvier 1925, p13.

وموقفهما هذا يعاكس طرح مالك بن نبي الذي حذر من مغبة التحاق المرأة الجزائرية بالمصانع والمشاغل وذلك لما لمسه من النتائج المترتبة عن عمل المرأة الأوربية وتمكنها من دخول سوق العمل واعتبر أن ذلك جعل منها مجرد ضحية، كما أوضح بأن المجتمع الذي حررها هو الذي دفع بها إلى أتون المصانع والمكاتب وطالبها بالعمل لكي تأكل من عرق جبينها في بيئة مليئة بالأخطار على أخلاقها، واعتبر أن الحرية التي منحت لها مجرد حرية مشؤومة جعلت منها مجرد صورة مشوهة عن الرجل بعد أن كانت منبع العواطف الإنسانية التي تغذي الأسرة، ويعملها حرمت الأسر الأوربية من ذلك العنصر الهام والأساسي.¹

وبحكم معرفة مالك بن نبي بأوروبا ومجتمعاتها نجده يحذر المجتمع المسلم من الغرق في تلك التجربة التي أثبتت فشلها وخلفت انعكاسات سلبية على المجتمعات الأوربية وهو بذلك لا يطالب المرأة بالعزوف عن العالم الخارجي بل يطالبها بالاحتياط من كل خطوة تخطوها خاصة تلك المستوردة من العالم الغربي، ليقوم بعد ذلك بطرح قضية جوهرية وهي قضية حضور المرأة في المجتمع حضوراً بيناً حيث ذكر بن نبي بأن المرأة التي لا تحضر في المجتمع ولا تدرك أحداثه التي تجري فيه ولا تطوراته التي يصير إليها فإنها بذلك تترك المجال واسعاً لامرأة أخرى قد تخلفها حتى في البيت الذي تسكن فيه.²

إن موقف مالك بن نبي التحذيري هذا نابع من معايشتة للمجتمعات الأوربية ووقوفه على مخلفات التحاق النساء الأوربيات بالمعامل والمشاغل وملاقيه من انتهاكات سواءً على المستوى المادي أو الأخلاقي وإن موقفه ذلك جعله محل انتقاد لاذع من بعض الأوساط التي وصفت أحكامه بالمتناقضة المعادية لفكرة تحرر المرأة.³

أما الشيخ عبد القادر مجاوي فلم يجد مانعاً من الاستفادة من خبرات النساء الأوربيات في مجال الحرف الممارسة من طرف النساء الجزائريات ما دام ذلك لا يمس بديانتهم وشرفهن، حيث كتب في جريدة المغرب مقالا بعنوان "معامل النساء والبنات المسلمات" استحسن فيه مبادرة السيدة داتانوكس (Datanox) التي فتحت ورشة للخياطة كما وصف يوم افتتاح هذه الورشة باليوم الأغر في الجزائر، وذكر بأن تلك المبادرة الاجتماعية ستعمل على تعميم الفائدة العامة وكان مما قاله في تلك الورشة: "فلنذكر إذن اليوم هذا العمل المشكور على صفحات المغرب الأغر

¹ - مالك بن نبي ، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 168.

² - نفس المرجع، ص 168-169.

³ - رابح لونييسي ، المرجع السابق، ص 323.

ليطلع عليه قراؤنا الكرام ولا شك أنه يحل عندهم محل الاستبشار بانبعث روح الحياة في طبقات الأمة الإسلامية ونهضتها من خمولها".¹

واعتبر هذا المشروع مشروعاً ناجحاً بقوله: "ومما يدل على نجاح المشروع الحميد أن المشتغلات بالنسيج والطرز في المعامل المذكورة ليس كلهن بنات بل النساء المتزوجات يعادلن أكثر من النصف وذلك لنفس القواعد التي أنشئت عليها المعامل والتي روعيت فيها كل الاحتياطات الواجبة حسب الشريعة والقواعد الإسلامية من إبقاء النساء والبنات التي تأتين بقصد تعليم الخياطة محجوبات لا يطلع عليهن أجنبي"، ومنه فإن عبد القادر مجاوي نظر لقضية عمل المرأة بمشاغل الأوربيات من زاوية دينية محضة ولم يراع مخلفاتها السلبية على المرأة الجزائرية المسلمة ومن ثم الأسرة الجزائرية.²

كنتيجة لما سبق يمكن القول بأن المواقف اختلفت وتعددت حول أنشطة النساء الأوربيات بالجزائر وذلك الاختلاف ناتج عن تعدد التوجهات التي كان ينتمي لها المثقفون الذين وقفوا موقفاً من نشاطها بالجزائر، وكذلك بينى أيضاً على مدى تبصرهم للدور البشع والمضلل الذي كانت تمارسه المرأة الأوربية تحت شعارات التحرر والتضامن والتآخي النسوي.

¹ - م.و.د.ب.ح.ث، المرجع السابق، ص73.

² - نفس المرجع، ص73.

ثالثاً: موقف المرأة الجزائرية

عرفت فرنسا بعد فترة وجيزة من استعمارها للجزائر بأن إحكام قبضتها على هذه المستعمرة إنما يكمن بالقدرة على تغيير أصالة المرأة الجزائرية وكانت المرأة الأوربية أداة من الأدوات التي تم استخدامها للتأثير عليها وقد كلفت بدورها في هذا المقام بالعديد من المهام وفي مختلف المجالات التي كان يلعب على وترها الاستعمار الفرنسي من تعليم وتنصير وغيرهما، وبعد عرض أدوار المرأة الأوربية في سبيل التأثير على المرأة الجزائرية سنقوم بالتعرف على موقف النساء الجزائريات من السياسة المسلطة عليهن من قبل الأوربيات هل سرن على نهجها أم أنهن واجهنها بكل ما يملكن من قوة؟

كان استخدام المرأة الأوربية وتكليفها ببعض المهام بمثابة التعبير عن تعدد السياسات الاستعمارية المنتهجة من طرف الاستعمار الفرنسي بالجزائر، ولعل الشيء الذي لا يمكننا نكرانه هو أن بعض الجزائريات وقعن ضحية لبعض تلك الممارسات فتمرد بعضهن على العادات والتقاليد الاجتماعية والقيم الإسلامية كالسيدة حليلة بنت محمد بن يوسف الزباني التي اشتهرت في وهران ونواحيها بالخروج على التقاليد فكانت تخرج سافرة وتركب الخيل وتشارك في الفروسية التي تنظم من وقت لآخر، كما أنها كانت تستقبل الوفود التي تزور زوجها الذي كان يتولى وظيفة إدارية لدى الفرنسيين وتحضر الحفلات التي كان يقيمها المسؤولون الفرنسيون لأعيان الموظفين الجزائريين فكانت بذلك نموذجاً صريحاً عبر عن تشبه بعض الجزائريات بالأوربيات.¹

وحالها لا يختلف عن تلك الفتاة المتفرنسة التي كتب بشأنها عبد المجيد الشافص مقالاً على صفحات مجلة البصائر سرد فيه حواراً جرى في حضوره وذلك أثناء ركوبه بالقطار بين فتاتين جزائريتين إحداهما متمسكة بدينها وقيمها الإسلامية والأخرى مفرجة متأثرة بالأوربيات ملبساً وسلوكاً ولغة، وقد رفضت أثناء ركوبها القطار أن تجلس إلى جانبها فتاة محجبة مخاطبة إياها بالفرنسية، وهو ما جعل الفتاة المحجبة تسألها عن أسباب حوارها معها باللغة الفرنسية وتحليلها عن لغتها الأصلية لغة آباؤها وأجدادها، فأجبتها الفتاة المتفرجة بأنها لا تتحدث بتلك اللغة المنحطة -تقصده العربية- كما أنها تكره التخاطب مع الفتيات المحجبات، تلك الإجابة جعلتها تتلقى رداً مفحماً من طرف الفتاة المحجبة التي أجبتها قائلة: "ليست لغتي هي المنحطة وإنما أنت المنحطة إذ خرجت عن جنسك وابتعدت عن شريعتك وزينت لك نفسك الذميمة القبح والفجور ومسخت فانقلبت إلى صورة مشوهة بالزيغ والسفور وحسبك لك أحسنت صنعا ولكنك لا تشعرين"، فانفعلت الفتاة المتفرجة وأجبتها بأنها هي التي تمثل الصورة المشوهة بارتدائها للحجاب فردت

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص344.

عليها المحتجبة بأنها هي وأمثالها من الجزائريات السافرات والمتأثرات بالثقافة الأجنبية هن الحائل الكبير دون تقدم الجزائر ووصولها إلى هدفها المنشود.¹

وقد وقع العديد من الجزائريات ضحية للاستغلال الاقتصادي وخرجن من بيوتهن وتوغلن في سوق العمل وهو ما أكده أجرون الذي ذكر بأنه "شرع في استخدام اليد العاملة النسوية منذ بداية القرن العشرين (1852 عاملة في 1902 و7.833 في سنة 1924) غير أننا لا نتوفر على معلومات محددة بخصوص نوعية وظائفهن" ثم يواصل قائلاً: "نجد 18.903 من النساء مصنفات ضمن صناعة أو تجارة الملابس"²، كما أن بعضهن التحقن بمشاغل الأوربيات ولأسباب متعددة فالملاحظ أن السيدة لوس الليكس كانت ترمي من مشروعها الذي عرجنا عليه سابقاً إلى جمع من 200 إلى 500 فتاة صغيرة قد تمكنت من جذب حوالي 137 فتاة وهذا قبل تحويل مدرستها إلى ورشة³ وتلك النسبة تعتبر معتبرة مقارنة بتوقعاتها وبدايتها التي كانت محيية نوعاً فهذه السيدة لما فتحت مدرستها في البداية تمكنت من استقطاب أربع فتيات فقط لكن هذا لم يثنها عن تنفيذ مشروعها هذا بل واصلت حتى تمكنت من الوصول إلى جمع عدد معتبر من الفتيات، كما أنها تمكنت من تحقيق ما لم تتمكن السلطة الاستعمارية من تحقيقه لسنتين عديدة وهو إخراج المرأة الجزائرية من بيتها وذلك بحجة تعليمها في البداية ثم إدخالها سوق العمل وذلك بعد أن تحولت مدرستها إلى ورشة كما تمكنت أيضاً من تشجيع بعض الجزائريات على التنكر لمبادئهن وهو ما جرى في مدرسة الجزائر العربية الفرنسية أثناء توزيع الجوائز سنة 1854 وبحضور السيدة الليكس، حيث أن بعض الجزائريات ظهرن غير محجبات خلال الحفل، كما أن اثنتان منهن أدارتا حواراً معناه أن فرنسا هي الدولة الحامية للجزائر وهذا بالطبع ما كانت تريده هذه السيدة والإدارة الفرنسية من تعليم الفتاة الجزائرية، كما يعتبر انتشار العديد من الورشات في أقطار الجزائر والتي كانت تحاكي مشروع الليكس إثباتاً للنجاح النسبي الذي حققه ذلك المشروع الخير ظاهراً التغريبي باطناً حتى وأن بعضها كان تحت إشراف فتيات جزائريات احترفن على يد لوس الليكس كالسيدة بن عابن.⁴

كما وقعت بعض النساء الجزائريات ضحية للتنصير الممارس عليهن من طرف الراهبات وهو ما نوهت له بعض الكتابات التاريخية التي أوردت لنا بعض النساء الجزائريات اللاتي قد وقعن في يد منصرات كالسيدة اميلي دوفيلار التي

¹ - عبد المجيد الشافص ، "بين فتاتين" ، البصائر ، ع359 ، 1956/3/23 ، ص319.

² - شارل رويبر أجرون ، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919 ، ج2 ، المرجع السابق ، ص393.

³ - إيفون تورين ، المرجع السابق ، ص60 ، 277.

⁴ - سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج3 ، المرجع السابق ، ص445.

تمكنت من تنصير إحدى الجزائريات وتعميد الأخرى¹، كما تمكن الاخوات البيض من استقطاب بعض الفتيات الجزائريات كفاطمة ايت عمروش التي كانت تحضر للقداس صباح كل يوم أحد في مركز الأخوات بقرية إغيل بمنطقة القبائل والذي كان تحت رعاية الأخت مادلين (Madeline)².

كل تلك القرائن أثبتت بأن بعض أورييات الجزائر قد تمكن من تنفيذ ما لم تستطع فرنسا الوصول له لسنين عديدة وهو التأثير على بعض الجزائريات وتغيير مبادئهن وقيمهن العربية والإسلامية وذلك وراء أسترة متعددة، وقد كان لتطور أحوال المرأة في أوربا وما ترتب عنه من تحولات فكرية وسلوكية ساهمت الصحافة والأدب والرحلات والاحتكاك في ترويجها ورسم صورة مشرقة لوضعها، بالإضافة إلى تردد أصدقاء تلك التحولات وظهور أنصاراً ومؤيدين لقضية تحررها في أكثر من بلد مسلم بما فيها الجزائر كان له دور كبير في إقدام بعض الجزائريات على استبدال قيمهن العربية الإسلامية بالقيم الفرنسية.³

وتعتبر الفتيات اللاتي وقعن ضحية للعرف الاجتماعي وتصلب أوليائهم أكثر تقبلاً لنمط حياة الأورييات من غيرهن وأكثر قابلية للتخلي عن شخصيتهن وصفاتهن المميزة، هذا دون أن ننسى الجزائريات الفقيرات اللاتي دفعتهن الفاقة إلى المشاركة في بعض مشاريع الأورييات والتي كان الهدف الأساسي من إنشائها هو سلخ المرأة الجزائرية من هويتها وشخصيتها الوطنية وجعلها نسخة لا تختلف كثيراً عن المرأة الأوربية، كما أن لفتيات المنحدرات من أصل نخبوي مثقف بالثقافة الفرنسية كن من المتأثرات بالأورييات وحركة التحرر التي دعون لها، وذلك لان أسرهن كن أكثر إقبالاً على إرسال بناتهن إلى المدارس الفرنسية، وكان احتكاكهن بالأورييات عاملاً مهماً ساهم بطريقة أو بأخرى في تأثرهن بهن وصرن بذلك أداة بأيدي للاحتلال كما أصبح البعض منهن داعيات للتغريب والانسلاخ عن الدين والأخطر من ذلك أن بعضهن أصبحن معلمات للأجيال القادمة.⁴

وبالتالي يمكن القول بان أوريية الجزائر تمكنت من أن تترك لها آثاراً واضحة لدى المرأة الجزائرية سواءً في سلوكها أو أخلاقها كما أنها تمكنت من التغلغل في الأسرة الجزائرية، لكن تأثيرها بقي محدوداً بالرغم من مختلف تلك الجهود التي بذلتها في سبيل تحطيم صمود المرأة الجزائرية التي اعتزلت بنفسها وتسلمت بدينها وهو رآه أحمد توفيق المدني عندما قدم إلى الجزائر عام 1925 حيث أشاد بتحفظ هذه الأخيرة بقوله: "أما السيدات فلم يختلطن بمستعمر ولم

¹ - خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 49.

² - مزبان سعدي، السياسة الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها ج2، المرجع السابق، ص 110.

³ - بشير بلاح، مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية، المرجع السابق، ص ص 187 - 190.

⁴ - مركز البحوث والدراسات في مجلة البيان، المرجع السابق، ص 114.

يعرفن أجنبياً ولم يترددن على مدرسة أجنبية ولم يدخل العيب والرجس بيوتهن فكن من أظهر وأجمل وأجل ما يستطيع الإنسان ذكره عن سيدة كاملة مسلمة، عربية، نقية، طاهرة، ورعة، حفظت من جزائر الأجداد دينها وإيمانها وعروبتهما وعزتها وشرفها، وورثت عنها ابنتها تلك التقاليد والأخلاق".¹

وكان العديد من النساء الجزائريات على دراية بالمخططات الرامية للتأثير على المرأة الجزائرية وهو الأمر الذي نوهت له إحدى المجاهدات الجزائرية والملقبة بعائشة لبيتم والتي تحدثت عن السيدة أليكس ومشروعها حيث ذكرت بأنها كانت تتجول في المدن والقرى وتأخذ تقارير إلى وزارة الحربية الفرنسية والساسة الفرنسيين طالبة منهم فتح مدارس لتعليم الفتيات الأهليات وذكرت لهم بأن للفتاة الإفريقية تأثير كبير على الرجل وإذا تمكنت فرنسا من تثقيفها ثقافة غربية فإنها ستتمكن من السيطرة على الجزائر، وبالرغم من تمكنها من الحصول على الموافقة من طرف وزارة الدفاع أو الخارجية الفرنسية بفتح مدرسة لكن سياستها تلك فشلت على حد رأي عائشة لبيتم وذلك لأنها كانت تعتقد بأن الفتيات الجزائريات سيقمن بارتداء اللباس الأوربي عند تخرجهن في نهاية السنة إلا أنها تفاجئت بقدمهن مرتديات اللباس التقليدي (الكوفية-المحرمة-القندورة-الشاشية) وكان ذلك بمثابة صفة كبيرة لها ولكل الساسة الفرنسيين أمثال دورفيكو وبيجو والذين كانوا يؤمنون بفكرة بأن فتح مدرسة واحدة للفتيات الأهليات لا يقل مفعولها عن فريق عسكري للسيطرة على الجزائر.²

فتمكنت الجزائرية من الحفاظ على هويتها في وقت كان فيه الأوربيون يسعون إلى إظهار نجاح الحضارة الغربية من خلال زواجهم فقد استخدمت من قبل المسلمين كأخر معقل للهوية الإسلامية وذلك عن طريق رفض إرسال بناتهم إلى المدارس الفرنسية ورفض النموذج الذي تقدمه النساء الغربيات، ويمكن أن يكون الحفاظ على الوضع التقليدي للمرأة شكلاً من أشكال المعارضة للاستعمار.³

ورغم محاولات التغريب التي سلطت على المرأة الجزائرية وبشهادة من بعض المثقفات الأوربيات فقد ظلت محافظة على عاداتها وتقاليدها ومقومات شخصيتها الوطنية وهو ما أجمع عليه العديد من النخب النسوية الأوربية اللواتي تنقلن إلى البيوت الجزائرية وعرضن على صاحباتها استبدال ملابسهن بملابس أخرى لكنهن قوبلن برفض الجزائريات لارتداء ملابسهن ومحاكتهن في ذلك وكان ذلك الرفض رمزاً للقطيعة والانفصال الحقيقي بين المجتمعين وفي هذا كتبت سيلاري: "عندما أردت إلباس مسعودة قطعة من ملابسني تهربت... مجرد التفكير في الأمر أزعجها وكأني اقترحت

¹ - بسام العسلي ، المرجع السابق، ص ص21-22.

² - م.و.د.ب.ح.ث ، المرجع السابق، ص304 .

³ - Claudine Robert-Guiard, op,cit, pp314-315.

عليها التخلي عن حياتها الجنسي، بسبب ما كانت تعلم أن في زيتها عفة تحفظها وتحميها من أفكارنا التي كانت ترفضها في غالب الأحيان".¹

وفي هذا أيضاً أورد الزاهري مقالاً حول امرأة جزائرية رفضت ما دعت له مستشرقة فرنسية في مؤلف لها كتبتة حول قضية تحرير المرأة وقد كانت تقرأ كتابها على النساء المسلمات ومن القضايا التي كان يعالجها مسألة الحجاب ما جعل امرأة جزائرية ترد عليها بما يقنع بأن الحجاب هو رمز العفاف والأنوثة²، هذا الاعتقاد الراسخ الذي أبت الجزائرية أن تنازل عنه وبالخصوص أثناء فترة الاحتلال وذلك على اعتبار أنه كان وسيلة من وسائل الحفاظ على هوية المرأة المسلمة ضد تيار التغريب الإسلامي، كما أنه استخدم كأحد المعايير الفاصلة التي كانت تفرق بين المرأة العربية الجزائرية المسلمة والمرأة الفرنسية الغربية المسيحية والحفاظ عليه في تلك الفترة هو في حد ذاته "ظاهرة تصد ومقاومة لعصرنة لم تتبع من تطور المجتمع الجزائري" على حد تعبير فرانز فانون.³

لقيت المنصرات رفضاً كبيراً من طرف النساء الجزائريات اللاتي وقفن بالمرصاد لمختلف الدعوات التنصيرية التي مورست من طرف الأخوات البيض بدعوة من الكادينال لافيغيري أو غيره من أساقفة الجزائر، فعلى الرغم من تركيز نشاطهن الظاهري على المجالات التي تدخل ضمن اهتمامات المرأة والمهن التي كان العديد منهن يمارسها في بيوتهن كالحياطة أو الأشغال المنزلية إلا أن محاولتهن باءت بالفشل في أغلب الأحيان ففي منطقة بني مزاب أنشأ الأخوات البيض مستوصف لمعالجة المرضى من نساء تلك المنطقة لكن الميزايون كانوا لا يذهبون لذلك المستوصف، كما أن الأخوات لم يكن يخرجن كثيراً وذلك لأن المزايبات لا يستقبلهن في بيوتهن إلا الأخت ماري كلافر Marie Claver التي كانت غالباً ما تلح بالدخول إلى المنزل، وهو ما جعل أحد المنصرات يصفن الوسط المزايبي ب: "المنغلق بشدة... حيث المسكن مغلق... والمرأة متخفية... ولا يمكن للأخوات اختراقه".⁴

وعلى الرغم من أن جل الأعمال الخيرية التي كانت تقوم بها النساء الأوربيات كانت موجهة أساساً لتنصير أكبر عدد من الجزائريين وبالخصوص النساء، وذلك عن طريق محاولة إخراجهن من بيوتهن وتحريرهن على الثورة على دينهن

¹ - زهير بن علي، قضايا المرأة ضمن اهتمامات الحركة الاصلاحية الجزائرية 1925-1954، (رسالة ماجستير، تاريخ حديث ومعاصر إشراف سليمان قريبي)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر بباتنة، 2014-2015، ص35.

² - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص352.

³ - كمال نور الدين خندودي، المرجع السابق، ص17.

⁴ - عبد الرؤوف قرناوب، المرجع السابق، ص138-139.

وكذلك تقاليدهن إلا أنها ومن جانب آخر فتحت آفاقاً للجزائرية وذلك بان تكون ذاتاً فاعلة في المجتمع الجزائري ومنه يمكن القول بان بعض الجزائريات قد استفدن من الجانب الإيجابي لدعوات المثقفات الأوربيات وذلك بعد اطلاعهن على نمط معيشتهم ومشاركتهن في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بل وحتى الثقافية، ولما كان تعليم المرأة يؤدي إلى الانسجام العائلي وأن الفتاة المثقفة يمكن أن تجذب قلب الشاب المتعلم الذي لم يكن قادراً على التمييز بين الفوارق الحضارية لدى المرأة في أوروبا والعالم الإسلامي فقد التحقت العديد منهن بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما أنهن استفدن من الخدمات الاجتماعية التي كانت تبادر بها الحركة الإصلاحية وذلك بعد تأسيس الجمعية الخيرية منذ الثلاثينات والتي استطاعت أن تقوم بشراء بعض الهياكل لتقوم بعدها بفتح أبوابها لإدماج المرأة في المجتمع وخير مثال على ذلك الدار الخيرية التي قامت بفتحها الجمعية والتي كانت بمثابة مقر لتمهين الفتاة وقد قال فيها أحد المعاصرين والمدعو فرحات بن الدراجي: "وجعلت الخيرية قسماً منها لتهديب البنات المسلمات وتعليمهن الصناعة اليدوية" وذلك بإعطائهن دروساً في الخياطة والإبرة والطرز وقد عرف انتساجهن للدار ارتفاعاً ملحوظاً حيث بلغ عددهن سنة 1941 أكثر من 80 بنت، وقد كانت التلميذات يحضرن خلال المناسبات وفي الاجتماعات السنوية الخيرية لكي يعرضن إنتاجهن من الخياطة والطرز للحاضرين.¹

وعملت المرأة الجزائرية أيضاً على تكثيف حركة التحرر التي دعت لها المرأة الأوربية بما يتماشى ومصصلحة القضية الجزائرية وما لا يتعارض مع الدين الإسلامي فظهرت على الساحة الجزائرية مجموعة من النساء عملن على إدارة الحركة النسوية في الجزائر خاصة بعد الحرب العالمية الثانية فأصبح البعض منهن يكتبن وينشرن في الصحف والمجلات ويؤلفن القصص وينظمن الأشعار ويشاركن في النشاط المسرحي، ويمتهن التمريض والتدريس ويعالجن الموضوعات النسوية ومشاكلهن ويفكرن كذلك في مصير بلادهن وكن بمثابة رائدات للنساء الجزائريات.²

ومن العلامات المضيئة في مسار النهضة النسوية الجزائرية جمعية "نخضة المرأة المسلمة" التي يوجد مقرها الرئيسي بتلمسان وقد نشرت رئيستها فتيحة كاهية مقالاً في البصائر سنة 1948 بعنوان "نداء في سبيل نخضة المرأة المسلمة" حثت فيه المتعلمات على "القيام بواجبهن نحو أخواتهن اللاتي لم تسنح لهن الفرص بالتعليم وإرشادهن إلى الطريق المستقيم وإتباع ما جاء به الدين الإسلامي القويم من فرائض واجبة على كل مسلمة تريد أن تتحلى بالصفات الحميدة

¹ - م.و.د.ب.ح.ث، المرجع السابق، ص68.

² - يمينة عجنك، "الكتابة النسائية في الجزائر وإشكالياتها قضية المرأة في كتابات زهور ونيسي نموذجاً"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، 9، 2010، ص30.

التي هي أساس التمدن الحقيقي البعيد عن التقليد الأعمى¹ و"منظمة النساء الجزائريات" التي أسست في شهر جوان 1947 بفضل مساهمة الطالبات والمعلمات في المدارس الحرة كالسيدة مامية شنتوف (قابلية) ونفيسة حمود (طالبة في كلية الطب) وسليمة بن حفاف ومالكة مفتي والسيدة بن عصمان وباية نوار وباية عراب والسيدة شرشالي والسيدة بومعزة علاوة، وقد اهتمت تلك الجمعية بلرأة الجزائرية اهتماماً كبيراً ودعت إلى ترقيتها كما ساهمت في التكوين السياسي للنساء والمشاركة بالمحاضرات والدعايات وغير ذلك ما جعل مناضلات هذه المنظمة يصبحن مثالا يقتدى به من طرف العديد من الفتيات الجزائريات، كما أعطين بدورهن صورة مرضية عن المرأة المتقدمة الراقية التي يفتخر بها المجتمع الجزائري في ذلك العهد.²

وبرزت المرأة الجزائرية ككاتبة وأديبة محولة بذلك تطبيق الفكر الكولونيالية المؤكدة على الدور الأمومي والأسري فقط للمرأة الجزائرية والتي كانت تروج له أيضاً بعض الأوربيات اللاتي زرن الجزائر أو سكن بها وذلك عن طريق إبراز الدور الكبير الذي كانت تقوم به في المجتمع الجزائري والذي كان لا يقل على دور الرجل الجزائري على الرغم من كل الظروف التي كانت تحيط بها، فكتبت جميلة ديباش³ قصتين هما ليلي 1947 وعزيزة 1955 كما كانت لها دراسات عن تعليم المرأة وواقعها العام، كما استطاعت كاتبة أخرى من خلال قصصها الثلاث العطش 1957 وفاقدو الصبر 1958 وأطفال العالم الجديد 1962 وهي آسيا جبار⁴ أن تؤرخ لناحية من نواحي حياة المرأة الجزائرية فقد كشفت على شخصيتها حينما يتعلق الأمر بأرضها ووطنها وحين يصبح دورها في النضال لا يقل عن دور الرجل في تحرير الأرض وتبنيها لقضية الجزائر بكل أجزائها ونواحيها.⁵

¹ - يوسف وغليسي، المرجع السابق، ص 70.

² - أنيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 22-23.

³ - جميلة ديباش: روائية جزائرية، ولدت بقرية غراس بسطيف، فقدت والديها وهي صغيرة، سافرت إلى باريس لاستكمال دراستها ثم عادت إلى الجزائر، نشرت دراسات اجتماعية مثل "المسلمين الجزائريين والتمدرس"، "المرأة المسلمة والمجتمع"، "المرأة العربية ماضيها ومستقبلها"، خلفت العديد من الروايات منها "ليلي فتاة جزائرية"، "عزيرة". ينظر مسعودة يجاوي مرابط، المرجع السابق، مج 1، ص 548-549.

⁴ - آسيا جبار: روائية جزائرية اسمها الحقيقي فاطمة الزهراء إيمالين من مواليد 1936/8/4 بشرشال، نالت البكالوريا سنة 1953، وفي سنة 1955 نجحت في دخول المدرسة العليا للأساتذة بفرنسا، أحزرت دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، اشتغلت كأستاذة مساعدة في جامعة الرباط (1959-1962)، ثم في كلية الآداب بجامعة الجزائر تخصص تاريخ إفريقيا الشمالية الحديث والمعاصر، أقامت في باريس (1965-1974)، ثم عادت إلى الجزائر عام 1974، فباريس مرة أخرى، من أعمالها الروائية رواية "العطش"، "أطفال العالم الجديد". ينظر يوسف وغليسي، المرجع السابق، ص 73.

⁵ - عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط 1، بيروت، دار الجيل، 1991، ص 150.

هذا بالإضافة إلى بروز العديد من المثقفات المغمورات اللاتي كتبن العديد من المقالات النسوية التي اهتمت بقضايا المرأة ومكانتها الاجتماعية، وكانت البصائر في سلسلتها الثانية 1947-1956 الحاضن الأكبر لنصوص البدايات وكان من ضمن تلك البواكير النسوية في عالم الكتابة كاتبة من قسنطينة اسمها مليكة بن عامر التي نشرت مرثية جميلة لعابدة خير الدين، كما كتبت مقالاً بعنوان "رسالة إلى روح فتاة"، لتنشر مرة أخرى مقالاً على جانب عال من الوعي بقضايا الأنوثة سمته "نداء للفتيات من فتاة" وقد قامت بتطعيمه بنفحات ثورية رافضة من خلالها تجهيل المرأة وقسوة الوالدين كما أنها قامت باستنهاض قوي للمرأة من سباتها العميق منهيها مقالها برجاء أعمق: "أرجو أن أرى أديبة جزائرية تفاجئنا بمقالات تعين بها ضعيفات القلم مثلي".¹

ونشرت في فترات متقاربة من خمسينات القرن العشرين كل من باية خليفة مقالاً حول "قيمة المرأة في المجتمع" ولويذة قلال مقالاً حول "المرأة الجزائرية" عبرت فيه عن إعجابها بالبلغ بأختها الروحية الكاتبة الجزائرية زهور ونيسي، كما نشرت فريدة عباس مقالاً عنوانه "شكر وأمل" ضمنته تشجيعها لكل من زهور ونيسي و لويذة قلال: "لكم كان سروري عظيماً حيث عثرت على مقالات لأوانس جزائريات، كأنها أزهار تفتحت عن أفاح، فهي تدل على شعور مرهف، وذوق سليم وأدب رائع... ونرجو أن تكون خطوة تلك الأوانس فاتحة عهد جديد لفتياتنا حتى يخضن معارك الحياة الثقافية وغيرها ويحطمن أغلال الجمود والتزمت والعوائد المستهتره ويتخلقن بأخلاق دينهن الخفيف".²

ومنه فإن المرأة الجزائرية وقفت موقف اللامبالي من دعوة النساء الأوربيات وذلك بأن تتراجع عن قيمها ومبادئها وصفاتها المميزة المتجذرة وكانت كما وصفها أبو القاسم سعد الله: "كالمرجانة الصافية تنتظر الخلاص أيدي الحركة الوطنية وليس على أيدي أليكس وابن عابن وبوجيجا وروش وقد جاءها الخلاص يوم أن خرج المرجان من أصدافه طاهراً طهوراً مع فجر ثورة نوفمبر وعندئذ كشفت المرأة الجزائرية عن هويتها ففاجأت كل الباكين عليها بكاء التماسيح"³ كما أنها تمكنت من الاستفادة من حركة التحرر التي دعت إليها الأوروبية وذلك نتيجة التهميش الذي كان ممارساً عيها واستغلتها للوصول لبعض حقوقها المهضومة.

¹ - يوسف وغليسي، المرجع السابق، ص 71.

² - نفس المرجع، ص 71-72.

³ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ص 356.

خلاصة الفصل:

مما سبق عرضه في هذا الفصل خلصت إلى مجموعة من النتائج أهمها:

-أدرك علماء الجمعية الدور الذي كانت تقوم به النساء الأوربيات تنفيذاً لسياسية استعمارية مخططة، ولما كان اهتمامهن منصباً على الجانبين الاجتماعي والثقافي فإن نشاطهن تلقى مواجهة كبيرة من طرف العلماء أكثر من غيرهم.

-تعامل العلماء مع نشاط المرأة أوربية في الجزائر بنوع من المرونة والحذر فنجدهم تارة يواجهون سياستها التغريبية التي كانت تروج لها ويفضحون أعمالها التي مست الطرق الصوفية، المرأة والأسرة الجزائرية ، كما أنهم من جانب آخر لم يعارضوا التعامل مع بعض ما دعت له شرط أن لا يتنافي ما مبادئ الشريعة الإسلامية.

-قام العلماء بمجابهة السياسات المطبقة من طرف بعض النساء الأوربيات بواسطة العديد من الأساليب والوسائل كالمقالات التوعوية التي نشرها في صحفهم والفتاوى التي أصدروها، لكن على ما يبدو أن طرحهم استند إلى الخطاب الديني دون غيره وهذا أثناء وقوفهم ضد بعض السياسات الممارسة من طرف النساء الأوربيات بالجزائر.

-اختلف موقف النخبة المثقفة ثقافة فرنسية اختلافاً كبيراً مع موقف العلماء فقد دعا أغلبهم إلى التعامل مع ما كانت تدعوا له النساء الأجنبية خاصة ما تعلق بحركتهن المطالبة النسوية، وهذا ليس بغريب على أصحاب هذا التوجه الذين عرفوا باحتكاكهم بالمجتمع الفرنسي وتأثرهم بحضارته تأثيراً كبيراً.

-أما أصحاب الاتجاه الحضاري كالمفكر مالك بن نبي فقد دعا إلى لتعامل بحذر مع ما جاءت به المرأة الأوربية وموقفه هذا ربما كان نابعاً من معاشته للمجتمع الأوربي ووقوفه وقوفاً دقيقاً على مخلفات ما كانت تروج له ، كما أن طرحه تميز بالطابع الشمولي أثناء المعالجة وخاصة فيما يتعلق بحركة التحرر النسوي التي كانت تدعو لها المرأة الأوربية في الجزائر.

-أخذت بعض السياسات الممارسة من طرف بعض الأوربيات والهادفة لاختراق المجتمع الجزائري وتغيير بنية الاجتماعية والثقافية خاصة قضية الزواج المختلط مكاناً لها في كتابات العديد من المفكرين والأدباء الجزائريين، وقد اختلفت مواقفهم باختلاف مشاربهم الثقافية وارتباطهم بقضية بلادهم ووعيهم بمخلفات ما كانت تمارسه بعض النساء الأوربيات في الجزائر.

-وقفت المرأة الجزائرية بالمرصاد لبعض ما جاءت به المرأة الأوربية واحتمت بنفسها ضد السياسات التغريبية التي دعت لها، ولعل ذلك كان نابعاً من رغبتها في تحمل قضيتها بنفسها والتي اعتبرتها تختلف اختلافاً كبيراً عن قضية المرأة الأوربية ودعوها التحررية.

خاتمة

من خلال تناول هذا الموضوع وذلك بناءً على الخطة المرسومة خلصت إلى النتائج التالية:

- 1- عرفت الجزائر حركة استيطانية واسعة خاصة في عهد الجنرال بوجو (1840-1847) الذي فسح المجال واسعاً لمختلف الأجناس الأوربية وذلك للاستيطان بالجزائر، ومن هذا القبيل شاركت العديد من النساء الأوربيات في الحركة الاستيطانية بالجزائر واللاقي وفدتها بداية الاحتلال كزائرات أو زوجات لمعمرين أو رحالة وقد ساهم قدومهن للجزائر في زيادة نسبة الفرنسيين بهذه المستعمرة - نتيجة لعملية التجنيس الآلي لمختلف المعمرين الأوربيين - .
- 2- منحت الإدارة الاستعمارية المرأة الأوربية بالجزائر العديد من الحقوق التي لم تكن تحظى بها نظيرتها في العالم الغربي كما تمكنت من أن تلعب أدواراً مختلفة وتشتغل بمجالات متعددة في تلك المستعمرة، كما أنها تمكنت أيضاً التخلص من بعض القيود والممارسات التي كانت لا تزال تتخبط فيها المرأة في أوربا ذاتها.
- 3- على الرغم من الحريات الكبيرة التي منحت لأوربيات الجزائر إلا أن هذا لم يثنهن عن نقل الحركة التي قدتها في أوربا إلى أراضي المستعمرات الفرنسية كالجزائر، ولكن نقطة الاختلاف بين الثورة التي قدتها في أوربا وتلك التي كن يروجن لها في الجزائر تكمن في تغير الدور الجوهري الذي كن يقمن به من نساء يطالبن بمنحهن مختلف الحقوق والحريات في العالم الغربي إلى نساء متمدنات ومتحضرات يحاولن نقل المبادئ الحضارية إلى النساء الجزائريات.
- 4- شارك العديد من النساء الأوربيات في المشروع الاستعماري بالجزائر وقمن بأدوار متعددة وقد تركز نشاطهن على المستويين الاجتماعي والثقافي، كما تنقلن بالجزائر واختلطن بالمجتمع وتمكن من الاتصال بمختلف فئاته وهو الشيء الذي ظل مستعصياً على الرجال الفرنسيين بمختلف صفتهم ومناصبهم.
- 5- سحرت العديد من الأوربيات بالجزائر كالرحالة إيزابيل ايرهارت التي زارت الجزائر 1897 وانتقلن في مختلف مناطقها كما أنهن دون ملاحظتهن عن الأماكن التي زرنها وأعجبن بها، لكن ما يلاحظ على كتاباتهن والتي غالباً ما كانت تدخل ضمن كتب الرحلة هو اتجاهها نحو الاهتمام بالمظاهر الغرائبية والعجائبية، كما أن الرحالة الأوربيات غالباً ما كن يعبرن عن رغبتهن الجامحة في التوغل أكثر فأكثر في القطر الجزائري والطموح لزيارة مختلف مدنه، أما مشاكل الجزائريين وفي مقدمتها سياسة التسلط الاستعماري الممارسة عليهم، فيمكن القول بأنها كانت مغيبة في كتاباتهم ومرد ذلك لسببين اثنين إما أن كتاباتهن لا تخرج عن الكتابات التي تساهم في خدمة التوجه الكولونيالي حيث أن توجهاتهن لا تعدوا عن كونها مؤيدة للتواجد الفرنسي بالجزائر، أو أنهن قمن بإغفال تلك الجوانب خوفاً من ردود فعل الإدارة الاستعمارية بالجزائر والتي كانت تمارس سياسات مختلفة وذلك تحقيقاً لمصالحها.
- 6- قامت صفوة من النساء الأوربيات بدراسات مختلفة ومتعددة حول الجزائر وقد اختلفت حسب اختلاف توجهاتهن، سلطت الضوء على بعض مظاهر المجتمع الثقافية الاجتماعية والحضارية، لكن الأمر الذي لا يمكننا

التغافل عنه هو أن تلك الدراسات والأبحاث غالباً ما كانت مبنية على العديد من الأفكار والمبادئ التي تشبعن بها قبل قدومهن الجزائر، فنجدهن أحياناً يؤكدن على التعدد العرقي والإثني في الجزائر ويحاولن إضفاء الشرعية على الاستعمار الفرنسي بالجزائر وذلك من خلال إبراز محاسن الحضارة الفرنسية كما أننا نجدهن أحياناً يقمن بتفسير بعض الظواهر المنتشرة في المجتمع الجزائري على غير حقيقتها هذا من جانب، أما من جانب آخر نجدهن قد طالبن باستغلال الجزائر أرضاً وشعباً وبالتالي يمكن القول بأن أغلب أعمالهن لم تكن سوى استمرارية للدراسات الاستعمارية التي كانت تهدف أولاً وأخيراً إلى خدمة للمصالح الاستعمارية بالجزائر.

8- أدركت السلطات الاستعمارية بالجزائر الأهمية التي كانت تحظى بها الطرق الصوفية ومقدميها في نفوس الجزائريين لذلك حاولوا السيطرة عليها بواسطة استخدام العديد من الأساليب كالسعي إلى تدجينها عن طريق إرسال النساء الأوربيات كزوجات لبعض مقدمي وأتباع الطرق الصوفية كالسيدة أوريلي بيكار التي تم تزوجها لأحمد التجاني شيخ الزاوية التيجانية وقد استفاد الفرنسيون استفادة كبيرة من الخدمات التي كانت تقدمها لهم بعض النساء اللاتي قاموا بإرسالهن حتى أن بعضهن تمكن من ضمان ولاء بعض الطرق كالطريقة التيجانية بالأغواط.

9- فسح الفرنسيون المجال واسعاً للرحالة إيزابيل إيبهرارت وذلك للتحرك بالرغم من الشكوك التي كانت تراودهم تجاهها واستغلوا فرصة تنقلها بين العديد من الطرق الصوفية فاستعملوها كأداة لزيادة الشرح بين بعض الطرق الصوفية كما أن استفادوا كثيراً من تحركاتها وكتاباتهما التي وضعت تحت المراقبة.

10- اقتحمت المرأة الأوربية بعد ثورتها العديد من المجالات فاشتغلت بالمصانع كما أنها اشتركت في تنشيط الحياة الاقتصادية بالدول الأوربية ولم يكن هذا حالها في العالم الغربي فقط بل أن حيويتها الاقتصادية أظهرتها أيضاً في البلدان التي دخلت تحت السيطرة الاستعمارية كالجزائر التي مارست العديد من الأنشطة الاقتصادية، وقد تعددت الأسباب التي دفعتهن لولوج هذا المجال فالبعض منهن كانت تحدهن الرغبة في تكوين ثروات فامتحن العديد من المهن كما أنهن امتلكن العديد من العقارات حزنهما بطرق مختلفة، أما البعض الآخر منهن فلم تكن نشاطاتهن الاقتصادية بالجزائر سوى تطبيق لسياسات استعمارية هادفة للسيطرة على الاقتصاد الجزائري فأنشأ البعض منهن مستوطنات زراعية وبصفة رسمية، بينما قام البعض الآخر منهن بفتح العديد من المشاغل على مستوى العديد من المناطق الجزائرية وذلك مساهمة منهن في تنمية الاقتصاد الفرنسي بالجزائر.

11- تعتبر تجربة لوس اليكس سنة 1845 تجربة رائدة في المجال الاقتصادي وقد كانت مصدر إلهام للعديد من الأوربيات اللاتي اقتدين بها وفتحن مشاغل تهتم بالصناعات التقليدية الجزائرية وقد ساهمت بصفة مباشرة في تنمية الحركة التجارية الفرنسية بالجزائر محلياً وحتى خارجياً، كما لقيت مصنوعات تلك الورشات رواجاً كبيراً وإقبالاً من قبل

الأوروبيين في الجزائر وفي بعض البلدان الأوروبية التي عرضت تلك المنتجات في بعض معارضها وذلك نتيجة للجودة والدقة التي كانت تتميز بها، لكن ما يمكننا التنويه له بأن تلك المشاغل قامت باستغلال اليد العاملة النسوية الجزائرية وفاقتهن، كما أنها عرضت تلك السلع والمنتجات على أنها منتجات فرنسية صرفة وبالتالي إعطاء رواج للسلع الفرنسية وذلك على حساب الخبرة واليد العاملة الجزائرية.

12- ظلت المرأة الجزائرية إلى عهد بعيد الحامي الرئيسي للأسرة ومنه المجتمع الجزائري لذا ركز العديد من الفرنسيين عليها وذلك كمدخل رئيسي لتفكيك المجتمع الجزائري وتقويض أسسه الحضارية لكنها ظلت مستعصية الاختراق، كما شكل تحفظها وانغلاقها من جهة بالإضافة إلى عادات المجتمع الجزائري وخصوصياته من جهة أخرى حائلا دون اختراقها، ونتيجة لذلك فسحت الإدارة الاستعمارية بالجزائر المجال واسعا لبعض الأوربيات وذلك لدراسة وضعية الجزائرية والتأثير عليها وذلك بغرض تغيير قيمها وأوربيتها.

13- تمكنت العديد من النساء الأوربيات من دراسة وضعية الجزائرية دراسة دقيقة وبالتالي استطعن تحقيق ما لم يتمكن تحقيقه العديد من الكتاب العسكريين أو غيرهم، مستغلات أنوثتهن التي مكنتهن من الاحتكاك بالجزائرية عن كتب وتعرفن عليها، كما أنهن حاولن التأثير عليها وتغيير ذهنيتهن المحافظة تحت شعارات مضللة كالأخوة والتضامن النسوي وحاولن دعوتها لحركة التحرر التي كن قد رفعنها في العالم الأوربي، فطالبن بحقهن في التعلم والعمل والمساواة مع الرجل ونحن لا نشكك في مساهمتهم الغير مباشرة في فسخ المجال واسعا لدراسة قضية المرأة الجزائرية والتي ظلت مغلقة لعدة أسباب منها تخوف العديد من النخب الجزائرية من ردود الأفعال المعاكسة للمجتمع الجزائري، وحتى لو تمت دراسة بعض قضاياها من بعض المثقفين الجزائريين بداية الاحتلال لكنها بقيت حبيسة الورق ولم تلق تطبيقاً عملياً إلا بعد أن أظهر فرنسيو الجزائر وخاصة النساء منهم أهمية لمسألتها ما دفع العديد من النخب الجزائرية إلى القيام بدراسة قضاياها وبالخصوص مسألة تعليمها.

14- اهتمت العديد من النساء الأوربيات بقضية المرأة الجزائرية ودرسن حالتها كما أنهن قمن بكتابة العديد من المؤلفات حولها لكن كتاباتهن والتي تميزت عن غيرها كونها كتبت بيد نسائية وبالتالي أكثر إدراكاً لحالة نظيرتها، لكنها لم تخرج من دائرة الأعمال التي كانت تسعى بصفة مباشرة أو غير مباشرة لخدمة التوجه الكولونيالي فنجدها تارة تقوم بالترقيق بين المرأة العربية والبربرية محاولة بذلك ممارسة سياسة التفرقة العرقية، كما نجدتها تارة أخرى تقوم بدعوة الجزائرية إلى تجاهل بيئتها ومرجعياتها الدينية وحتى هويتها تحت مبادئ التحرر، المساواة... ولا شك أن تلك الكتابات قد لقيت تجاوباً من بعض الأوساط النسوية الجزائرية.

15- رفعت العديد من النساء الأوريبات شعار "الأخوات المسلمات" ذلك الشعار الذي كن يخفين ورائه كل مبادئ الترفع والاستعلاء، كما أنهن رافعن عن بعض قضايا الجزائريات لدى الإدارة الاستعمارية بالجزائر كالتعليم والعمل لكن كل تلك المطالب لم تكن رغبة منهن في الرقي بالمرأة الجزائرية ولكن تأهيلها لكي تصبح متقبلة لمعطيات الحضارة الأوربية وذلك عن طريق إخراجها من بيتها في البداية ثم تلقينها مبادئ الحضارة الأوربية عن طريق المدرسة الفرنسية وبهذا تكون مؤهلة للاندماج في الحضارة الأوربية.

16- ساهمت بعض النساء الأوريبات في إنجاح العديد من السياسات الاستعمارية كالفرنسة والتجنيس والاندماج وذلك عن طريق قيامهن باختراق الأسرة الجزائرية من خلال زواجهن من الشبان الجزائريين فقممن من خلال ذلك بإدماج بعض الأسر الجزائرية في المجتمع الفرنسي كما أنهن ساهمن في تنشئة أبنائهن تنشئة غريبة وذلك على اعتبار أن للأمم دور كبير في تربية أبنائها وخاصة في سنواتهم الأولى فالكثير منهم وتأثير البيئة التي ولدوا فيها ينشئون مفرنسين مسيحيين، فضلاً عن القانون الفرنسي الذي خول للأبناء من أم فرنسية أن تصبح جنسيتهم فرنسية تبعاً لجنسية أمهم هذا دون أن نتغافل عن تأثير هؤلاء الأوريبات على أزواجهن والذين تجنس البعض منهن وتخلي عن وطنه وقضيته تحت تأثير زوجته التي ما زالت به حتى تخلى بعضهم عن دينه ووطنيته.

17- شارك العديد من الأوريبات في السياسة التنصيرية المسلطة على مستعمرة الجزائر التي قدمها منذ سنة 1832 على شكل انفرادي أو في شكل إرساليات تنصيرية، أما نشاطهن التنصيري فقد مس مختلف فئات المجتمع الجزائري فتقربن من الجزائريات وحاولن تنصيرهن باعتبارهن الركيزة الأساسية للأسرة والتمكن من تنصيرهن هو تمكن من الأسرة الجزائرية بأكملها، كما أنهن تقرن من الفتيان الجزائريين بغرض تنصيرهم بل إن بعضهن تزوجن من شباب جزائريين متحاشيات جميع الفوارق العرقية والدينية التي لطالما عرف الفرنسيين بتمسكهم بها وأقدمن على تقديم كل تلك التنازلات في سبيل رسالتهن التنصيرية التي كن يعتبرنها دعوة مقدسة، كما بذلن في سبيلها الغالي والنفيس كالراهبة إيميلي دوفيلار التي انفقت كل ما ورثته من عائلتها في سبيل رسالتها التنصيرية.

18- أدرك الفرنسيون ما للصحافة من أهمية كبيرة في توجيه الرأي العام وتكوين القناعات لدى الشعوب فأسسوا العديد من الصحف والدوريات لكنها لم تخرج عن كونها صحافة تعمل على خدمة المصالح الفرنسية بالجزائر وبدورها شاركت العديد من الأوريبات في الأنشطة الصحفية بالجزائر فكتبت صفوة منهن على صفحات العديد من الصحف الاستعمارية بينما شارك البعض منهن في جمع الأخبار الصحفية، كما أن بعضهن تمكن من إنشاء جرائد أما بخصوص السمة الغالبة على أعمالهن في هذا المجال فيمكن القول بأنها كانت تهدف لخدمة المصالح الاستعمارية أكثر من السعي لتحقيق الأهداف العلمية والسعي للوصول للحقائق.

19- شمل نشاط النساء الأوربيات مختلف المجالات كما أن مساهمتهم وهذا في إطار السياسة الاستعمارية بالجزائر لا غبار عليه لكن نشاطهن كان من نوع آخر وذلك على اعتبار أنه كان من فئة مختلفة وهي المرأة والتي لطلما كان ينظر لها الطرف الأخر -الجزائري- بأنها لا يمكن أن تكون لها مشاركة فعلية في المشروع الامبريالي بالجزائر ولم تراوده الشكوك تجاهها في بداية الأمر فأقدم على الزواج منها، كما أنه لم يمنعها من الدخول إلى منزله والاتصال بأسرته وتمكنت من الاحتكاك بالنساء الجزائريات دون عوائق وهنا تكمن صعوبة هذا النوع من التغلغل الاستعماري في المجتمع الجزائري والذي لم يتبصر له العديد من الجزائريين إلا بعد أن بدت تأثيراته تظهر واضحة على المرأة والأسرة الجزائرية.

20- وقف علماء الجمعية موقف المتشدد من بعض أنشطة المرأة الأوربية بالجزائر وخاصة تلك التي كانت تتعارض مع الأحكام الصريحة للإسلام كما أنهم قاموا بفضح بعض ممارساتها الاستعمارية خاصة في الأوساط الطرقية، واعتمدوا على العديد من الأساليب وذلك في سبيل إدحاض نشاطها كإصدار الفتاوى ونشر المقالات التوعية بالإضافة إلى قيامهم باحتواء المرأة الجزائرية وذلك على اعتبار أنها كانت المستهدف الأساسي من فسح المجال لأوربية الجزائر وذلك للمشاركة في المشروع الاستعماري من قبل السلطات الاستعمارية بالجزائر، لكن من جانب آخر فإن هذا لم يمنعهم من الاستفادة من تجارب الأوربيات وخاصة ما تعلق منها بمجال الأنشطة الحرفية .

21- اعتبر العديد من النخب الجزائرية المثقفة المرأة الأوربية رمزاً للتحضر والرفي فتزوج العديد منهم بأوربيات، كما أنهم دعوا الجزائريات إلى الاقتداء بها بينما تحفظ البعض منهم على بعض ما دعت له وخاصة فيما يتعلق بالحركة النسوية ولعل موافقهم تلك كانت نابعة من التخوف من ردود الفعل المعاكسة للمجتمع الجزائري.

22- ولما كانت أي محاولة تغيير في مجتمع من المجتمعات يلزمها أولاً دراسات شاملة ودقيقة للوضع وهذا كخطوة للوصول إلى الحلول الكفيلة للانتقال من وضعية لأخرى، فإن مالك بن نبي دعا إلى دراسة حالة المجتمع الجزائري وخاصة المرأة دراسة شاملة وذلك أثناء وقوفه على بعض ما دعت له أوربيات الجزائر بخصوص المرأة الجزائرية مثل قضايا اللباس والعمل بل وحتى الحركة التحررية التي كن يروجن لها في مستعمرة الجزائر كما أنه من جانب آخر حذر من بعض الظواهر التي تفشت في المجتمع الجزائري وبدأت تنخر أسسه كظاهرة الزواج المختلط.

23- لعبت أوربية الجزائر على العديد من الاوتار وكان التأليف وخاصة في الجانب الروائي من الأمور التي حاولت من خلالها التأثير على الجزائريين ولا شك أن كتاباتها وصلت إلى بعض الأوساط الجزائرية ومن هذا القبيل ظهرت كتابات جزائرية وبألوان متعددة منها القصصية والروائية والتي حاولت كشف الأدوار المضللة التي كانت تمارسها المرأة الأوربية بالجزائر.

24- وبالتالي يمكن القول بأن مواقف وردود أفعال الجزائريين على بعض أنشطة النساء الأوربيات بالجزائر كانت تتحكم فيها العديد من العوامل لعل أهمها تبصرهم بمخلفات ما جاءت به الأوربية وما كانت تدعوا له بالإضافة إلى اختلاف توجهاتهم ومشاربهم الثقافية دون أن تغفل مدى ارتباطهم بقضيتهم.

الملاحق

نساء أوروبيات شاركن في حركة التحرر النسوية بأوروبا

أوليمب دوغوج Olympe De
(1793-1748) Gouges



Lacour Léopold, op, cit, p1.

السيدة تالين Talline



Turquan Joseph ,op, cit, p1

سيمون ذي بفوار Simon de
(1982-1908) Beauvoir



توماس آر فيلين ، الوجودية مقدمة قصيرة جداً، تر: عبد السلام مروة، ط1 ، القاهرة، كلمات للترجمة والنشر، 2013، ص100.

إعلان أولمب ذوغوج

(7)

femmes, et ceux du pouvoir des hommes pouvant être à chaque instant comparés avec le but de toute institution politique, en soient plus respectés, afin que les réclamations des citoyennes, fondées désormais sur des principes simples et incontestables, tournent toujours au maintien de la constitution, des bonnes mœurs, et au bonheur de tous.

En conséquence, le sexe supérieur en beauté comme en courage, dans les souffrances maternelles, reconnaît et déclare, en présence et sous les auspices de l'Être suprême, les Droits suivans de la Femme et de la Citoyenne.

ARTICLE PREMIER.

La Femme naît libre et demeure égale à l'homme en droits. Les distinctions sociales ne peuvent être fondées que sur l'utilité commune.

II.

Le but de toute association politique est la conservation des droits naturels et imprescriptibles de la Femme et de l'Homme: ces droits sont la liberté, la propriété, la sûreté, et sur-tout la résistance à l'oppression.

III.

Le principe de toute souveraineté réside

A 4

(6)

lumières et de sagacité, dans l'ignorance la plus crasse, il veut commander en despote sur un sexe qui a reçu toutes les facilités intellectuelles; il prétend jouir de la révolution, et réclamer ses droits à l'égalité, pour ne rien dire de plus.

DÉCLARATION DES DROITS DE LA FEMME ET DE LA CITOYENNE,

A décréter par l'Assemblée nationale dans ses dernières séances ou dans celle de la prochaine législature.

PRÉAMBULE.

Les mères, les filles, les soeurs, représentantes de la nation, demandent d'être constituées en assemblée nationale. Considérant que l'ignorance, l'oubli ou le mépris des droits de la femme, sont les seules causes des malheurs publics et de la corruption des gouvernemens, ont résolu d'exposer dans une déclaration solennelle, les droits naturels, inaliénables et sacrés de la femme, afin que cette déclaration, constamment présente à tous les membres du corps social, leur rappelle sans cesse leurs droits et leurs devoirs, afin que les actes du pouvoir des

(9)

selon leurs capacités, & sans autres distinctions que celles de leurs vertus et de leurs talens.

V I I.

Nullé femme n'est exceptée; elle est accusée, arrêtée, & détenue dans les cas déterminés par la Loi. Les femmes obéissent comme les hommes à cette Loi rigoureuse.

V I I I.

La loi ne doit établir que des peines strictement & évidemment nécessaires, & nul ne peut être puni qu'en vertu d'une Loi établie et promulguée antérieurement au délit et également appliquée aux femmes.

I X.

Toute femme étant déclarée coupable; toute rigueur est exercée par la Loi.

X.

Nul ne doit être inquiété pour ses opinions mêmes fondamentales, la femme a le droit de monter sur l'échafaud; elle doit avoir également celui de monter à la Tribune; pourvu que ses manifestations ne troublent pas l'ordre public établi par la Loi.

X I.

La libre communication des pensées et des opinions est un des droits les plus précieux

A 5

(8)

essentiellement dans la Nation, qui n'est que la réunion de la Femme et de l'Homme: nul corps, nul individu, ne peut exercer d'autorité qui n'en émane expressément.

I V.

La liberté et la justice consistent à rendre tout ce qui appartient à autrui; ainsi l'exercice des droits naturels de la femme n'a de bornes que la tyrannie perpétuelle que l'homme lui oppose; ces bornes doivent être réformées par les loix de la nature et de la raison.

V.

Les loix de la nature et de la raison défendent toutes actions nuisibles à la société: tout ce qui n'est pas défendu par ces loix, sages et divines, ne peut être empêché, et nul ne peut être contraint à faire ce qu'elles n'ordonnent pas.

V I.

La Loi doit être l'expression de la volonté générale; toutes les Citoyennes et Citoyens doivent concourir personnellement, ou par leurs représentans, à sa formation; elle doit être la même pour tous: toutes les citoyennes et tous les citoyens, étant égaux à ses yeux, doivent être également admissibles à toutes dignités, places et emplois publics,

(11)

non-seulement dans la fortune , mais encore dans l'administration publique , et de déterminer la quotité , l'assiette , le recouvrement et la durée de l'impôt.

X V.

La masse des femmes , coalisée pour la contribution à celle des hommes , a le droit de demander compte , à tout agent public , de son administration.

X V I.

Toute société , dans laquelle la garantie des droits n'est pas assurée , ni la séparation des pouvoirs déterminée , n'a point de constitution ; la constitution est nulle , si la majorité des individus qui composent la Nation , n'a pas coopéré à sa rédaction.

X V I I.

Les propriétés sont à tous les sexes réunis ou séparés ; elles ont pour chacun un droit inviolable et sacré ; nul ne peut en être privé comme vrai patrimoine de la nature , si ce n'est lorsque la nécessité publique , légalement constatée , l'exige évidemment , et sous la condition d'une juste et préalable indemnité.

P O S T A M B U L E .

Femme , réveille-toi ; le tocsin de la raison se fait entendre dans tout l'univers ; recon-

A 6

(10)

ne la femme , puisque cette liberté assure la légitimité des pères envers les enfans. Toute Citoyenne peut donc dire librement , je suis mère d'un enfant qui vous appartient , sans qu'un préjugé barbare la force à dissimuler la vérité ; sauf à répondre de l'abus de cette liberté dans les cas déterminés par la Loi.

X I I.

La garantie des droits de la femme et de la citoyenne nécessite une utilité majeure ; cette garantie doit être instituée pour l'avantage de tous , & non pour l'utilité particulière de celles à qui elle est confiée.

X I I I.

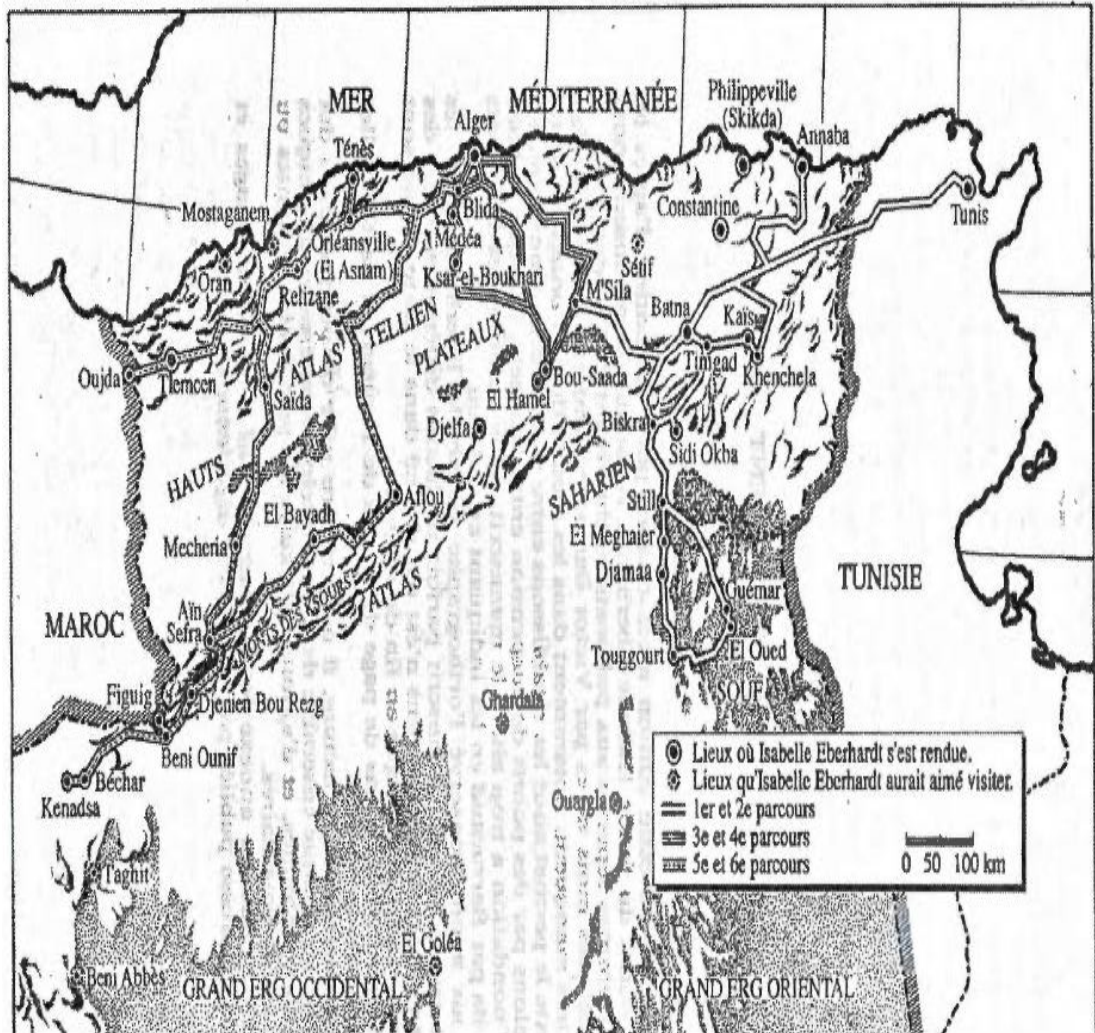
Pour l'entretien de la force publique , & pour les dépenses d'administration , les contributions de la femme et de l'homme sont égales ; elle a part à toutes les corvées , à toutes les tâches pénibles ; elle doit donc avoir de même part à la distribution des places , des emplois , des charges , des dignités et de l'industrie.

X I V.

Les Citoyennes et Citoyens ont le droit de constater par eux-mêmes , ou par leurs représentans , la nécessité de la contribution publique. Les Citoyennes ne peuvent y adhérer que par l'admission d'un partage égal ,

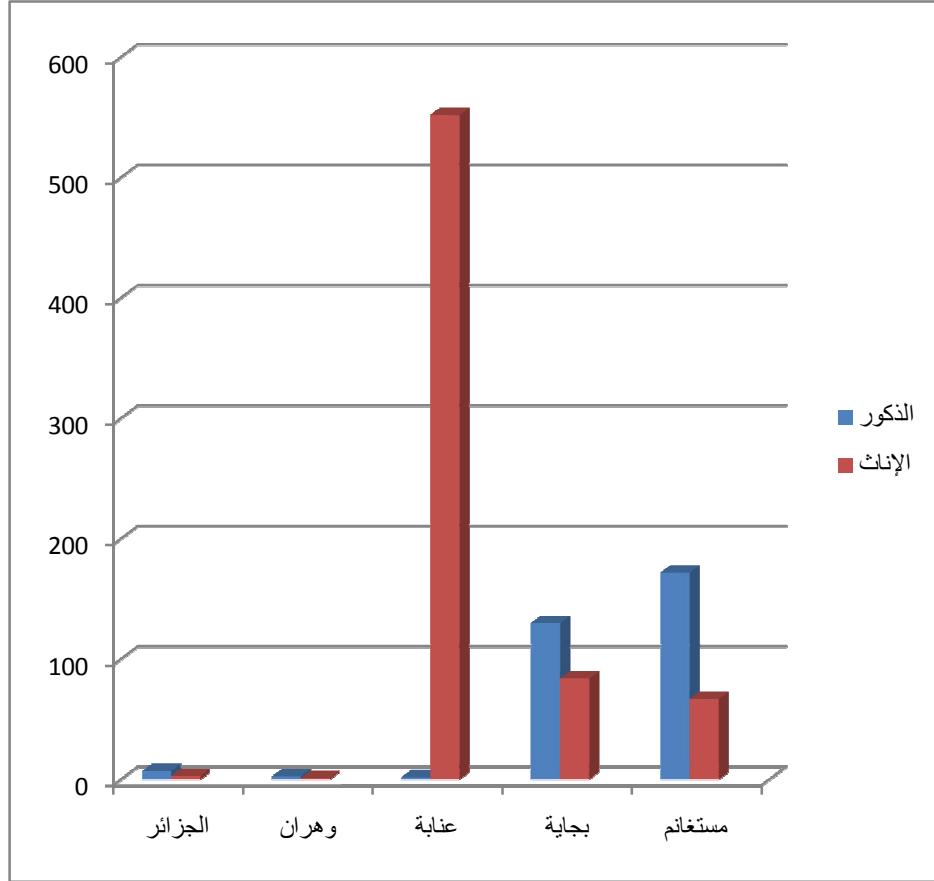
Olympe de Gouges, **Les droits de la femme** . A la Reine, 1791.

الأماكن التي زارتها والتي كانت تنوي زيارتها الرحالة إيزابيل ابهرارت بالجزائر



Myriam Mar Cil-Bergeron, **Une Lecture Géopoétique Des Écrits Sur Le Sable D'Isabelle Eberhardt Et Des Récits De Voyage En Voilier De Bernard Mottessier**, Mémoire Présenté Comme Exigence Partielle De La Maîtrise En Études Littéraires, Service des bibliothèques, Université du Québec À Montréal , Décembre 2012, p106.

توزيع المستوطنين الأوربيين في المدن الكبرى بالجزائر حسب الجنس (1833-1839)



Boude Jean Jacques, op, cit, p118.

ملحق رقم: 05

إحصائيات السكان الأوربيين بالجزائر (1833-1896)

1- إحصائيات السكان الفرنسيين بالجزائر حسب الجنس (1833-1839)

السنة	الذكور	الإناث	الأطفال	المجموع
1833	4.596	1.543	1.671	7.812
1834	5.594	1.901	2.233	9.750
1835	6.237	2.270	2.714	11.221
1836	7.736	3.089	3.736	14.561
1837	9.104	3.418	4.248	16.770
1838	10.549	4.129	5.400	20.078
1839	11.948	4.655	6.420	23.025

Boude Jean Jacque, op, cit, p110.

2- إحصائيات السكان الفرنسيين بالجزائر حسب الجنس (1847-1851)

السنة	الرجال	النساء	الأطفال	ما يقابل 100 امرأة من الرجال
1847	44.850	30.258	28.785	148
1848	48.766	32.748	34.187	150
1849	46.736	32.317	33.554	145
1850	51.007	37.212	37.529	137
1851	53.351	38.047	39.885	140

Rene Ricoux, op, cit, p18.

3- توزيع السكان الأوروبيين بالجزائر حسب الجنس والجنسية والحالة المدنية (1866-1872)

1872		1866		الجنسية الصفة	
إناث	ذكور	إناث	ذكور		
29.727	41.766	28.304	40.680	العزاب	الفرنسيين
6.610	2.523	4.640	2.403	الأرامل	
22.602	23.013	22.656	23.435	المتزوجون	
28.030	37.996	23.285	33.153	العزاب	الأجانب
5.263	1.745	3.972	1.292	الأرامل	
19.870	20.211	17.186	16.683	المتزوجون	
112.102	127.254	100.603	117.646	المجموع	

V. Demontes, op, cit, p63.

4- توزيع السكان الأوروبيين في المدن الكبرى حسب الجنسية والجنس (1886-1896)

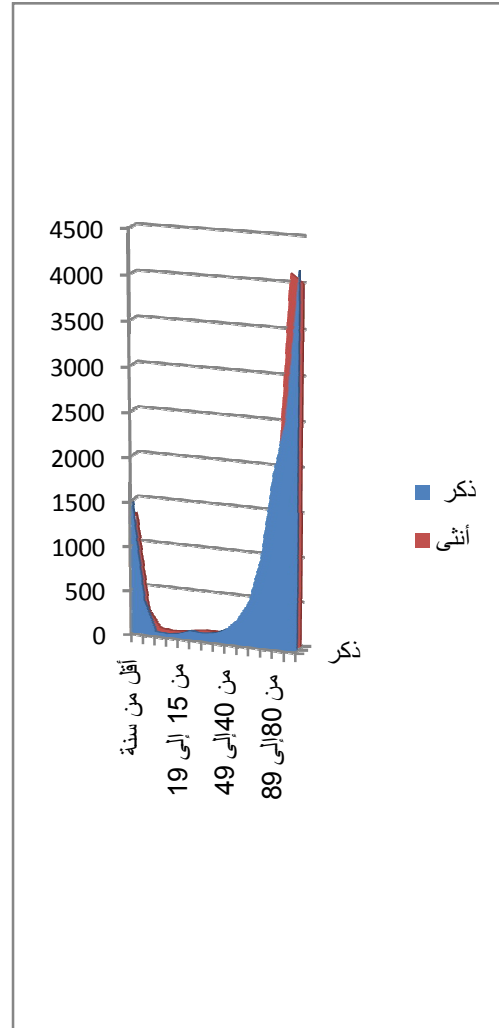
الجنس	المقاطعات والسنوات	الفرنسيين	الأجانب من الجنسيات الأخرى	الأسبان	الإيطاليين	المالطيين	الأوروبيين عامة
ذكور	الجزائر 1886	62.383	38.996	25.097	7.046	2.177	101.276
	1896	81.737	35.247	23.090	6.637	1.692	116.984
	وهران 1886	48.089	71.399	54.318	3.243	295	119.488
	1896	61.092	67.350	51.553	2.186	239	128.442
	قسنطينة 1886	44.788	30.943	2.047	17.721	6.146	75.731
	1896	47.271	21.301	1.411	11.321	5.278	58.572

296.498	8.618	28.010	81.462	141.238	155.260	المجموع 1886	
313.998	7.209	20.634	76.054	123.398	190.100	1896	
77.916	1.972	4.888	23.502	32.699	43.217	الجزائر 1886	إناث
100.436	1.671	4.619	23.145	31.837	68.599	1896	
19.187	278	2.287	37.572	47.615	31.572	وهران 1886	
114.130	154	1.718	56.885	64.378	49.752	1896	
48.052	4.665	9.130	1.594	18.372	29.680	قسنطينة 1886	
55.444	4.952	8.568	1.476	17.025	38.419	1896	
203.155	6.915	16.305	63.068	98.686	104.469	المجموع 1886	
270.010	6.777	14.905	81.506	113.240	156.770	1896	

Ibid, p65.

ملحق رقم: 06

وفيات الأوربيين في المناطق الشمالية لـ 10000 ساكن (1911-1913)



كمال كاتب ، المرجع السابق ، ص 486.

نماذج لنساء أوروبيات مؤثرات بالجزائر

Isabel Eberhardt إيزابيل ايرهارت

(1877-1904)



يزن الحاج ، المرجع السابق، ص13.

P-Vigne d'Octon, Pour Isabelle Eberhardt, **Annales africaines. Revue hebdomadaire de l'Afrique du Nord**, N44, 31/10/190713, p527.

Aurélie Picard أورييلي بيكار

(1850-1933)



Maidi Kasse Nora:op,cit, p13.

Hubertin Auclert هوبرتين أوكلاير



Hubertin Auclert, op, cit, p1.

جوان ديريو j. Derayaux (1886-1914)



الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر نشأتها وتطورها، ج4، المرجع السابق، ص193.

ماري بوجيجا Marie Bugéjà (1887-1933)



Esquirol Edmond, op, cit, p06.

تيريز ريفير Thérèse Rivière (1901-1970)



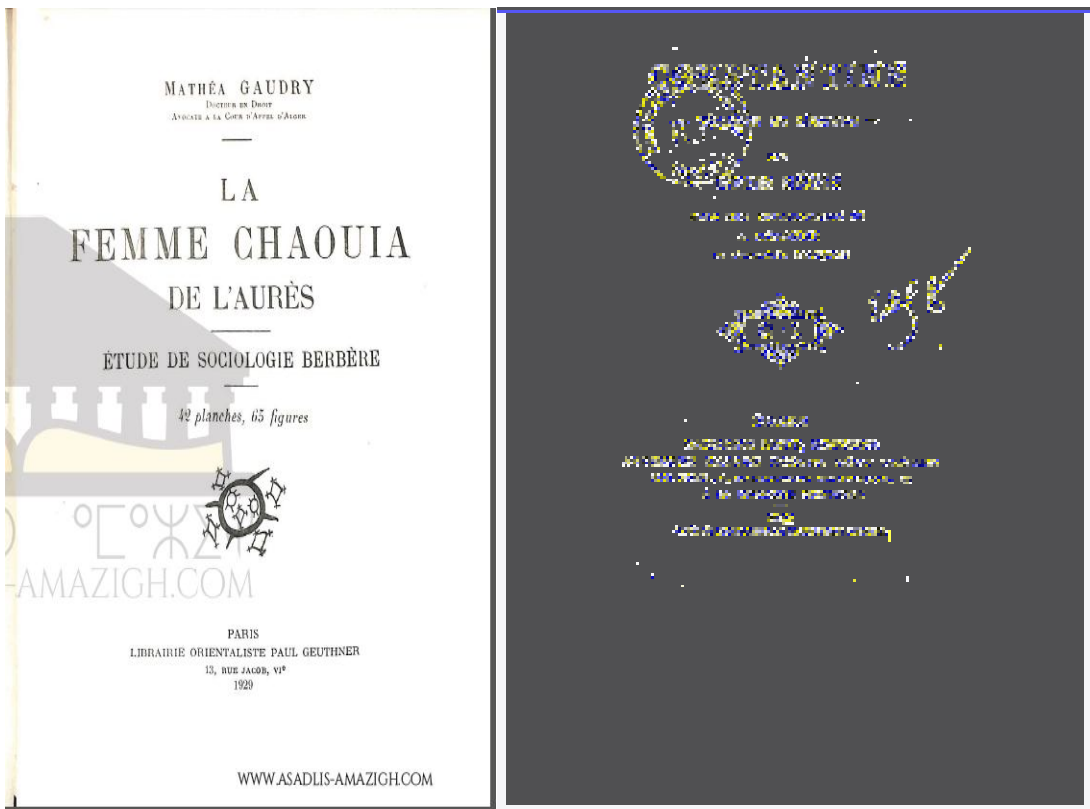
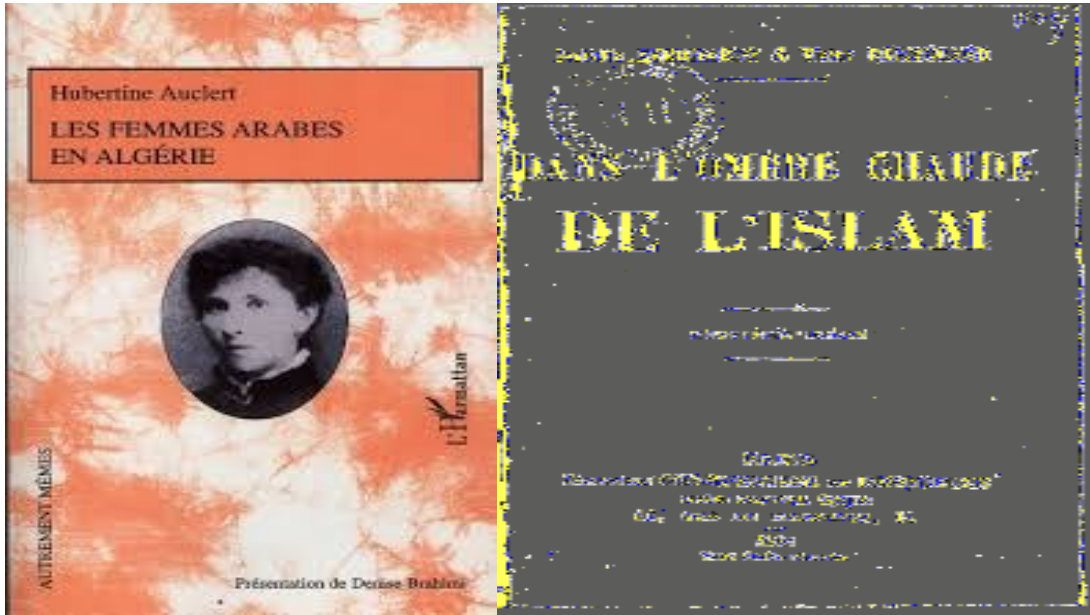
Michèle Coquet, **Un destin contrarié La mission Rivière-Tillion dans l'Aurès (1935-1936)**, op, cit, p31.

جيرمين تيلون Germaine Tillion (1907-2008)

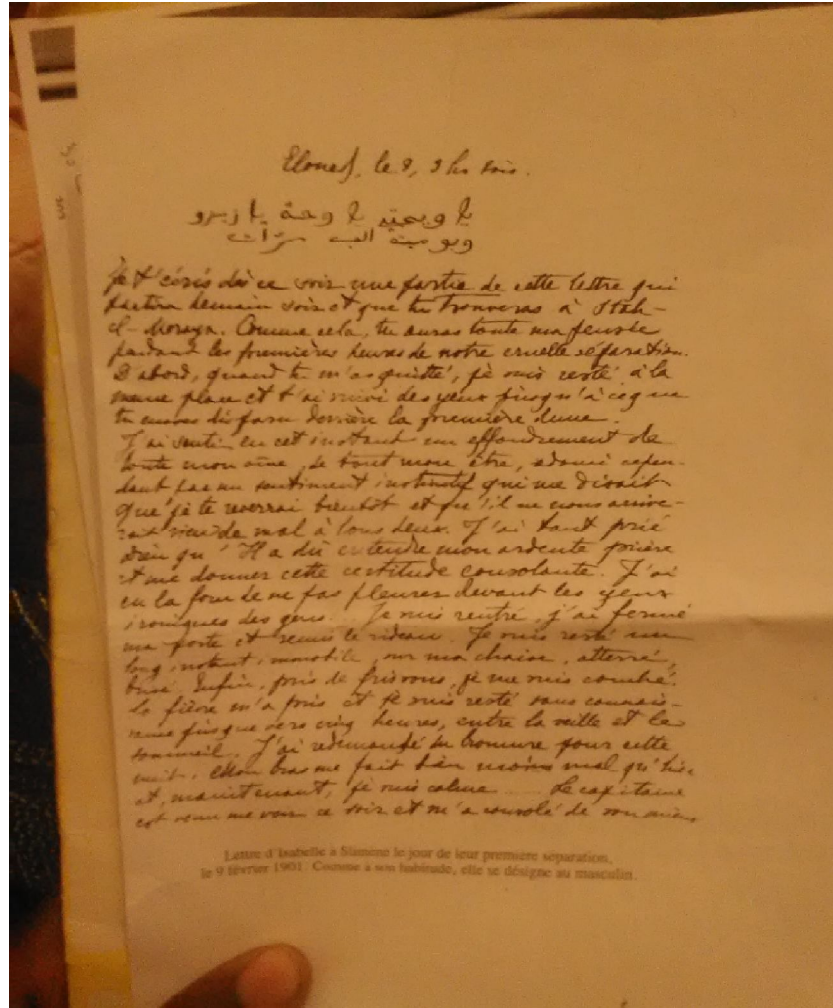


Ibid, p34.

بعض مؤلفات المتقفات الأوربيات عن الجزائر



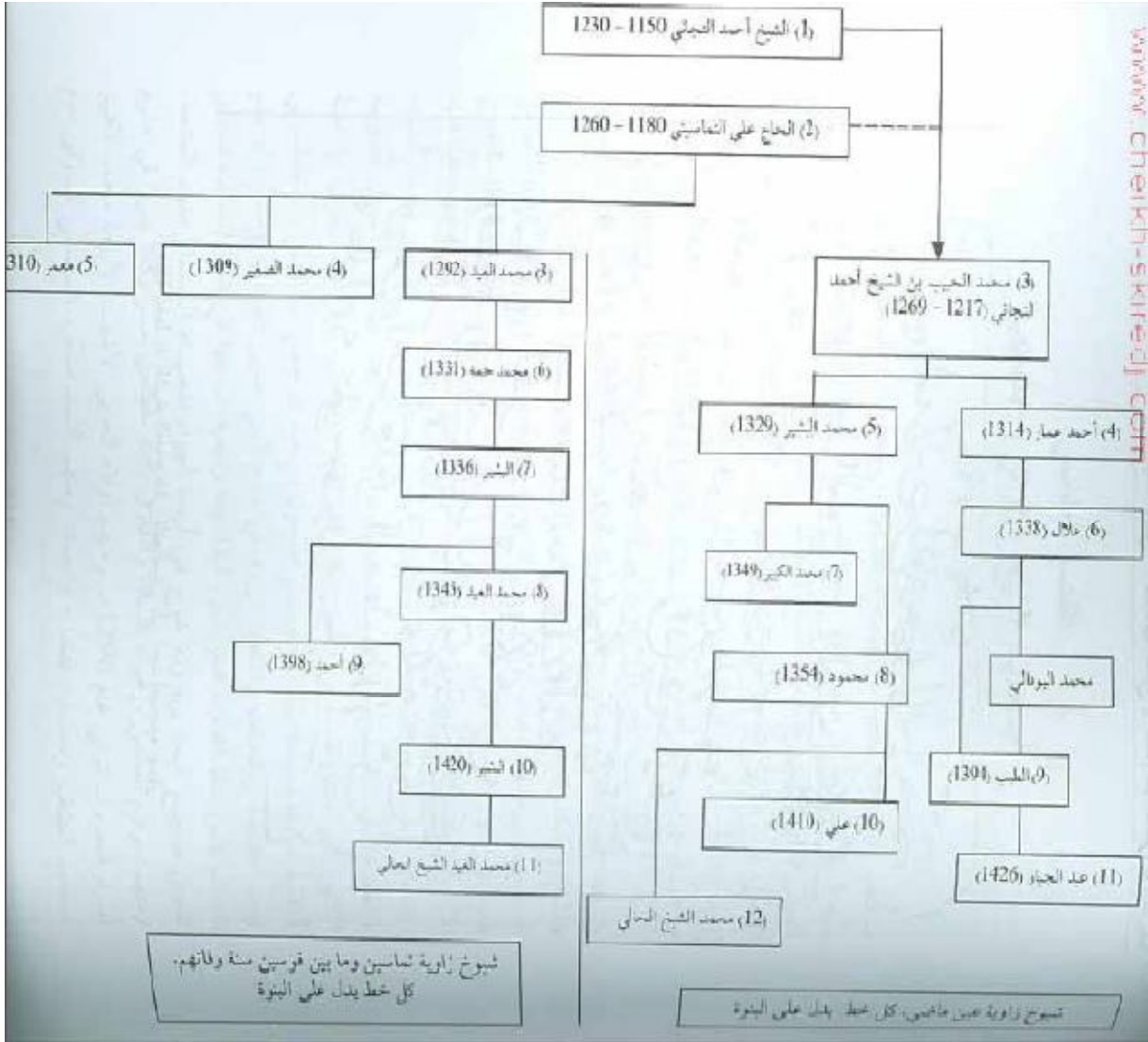
رسالة من ايزابيل ابهرارت إلى سليمان إهني بخط يدها



Marie-Odile Delacour, Jen-Ren huleu, op, cit, p136.

ملحق رقم: 10

شجرة نسب شيوخ الطريقة التيجانية في الأغواط و تماسين



عبد الباقي مفتاح ، أعضاء على الشيخ احمد التيجاني وأتباعه، الوادي، مطبعة الوليد، (د، ت) ، ص 229.

شيخ الطريقة التيجانية أحمد عمار زوج أوريلي بيكار



الغالي بن لباد، المرجع السابق، ص 226.

صورة عقد زواج أحمد عمار مع السيدة أوريلي بيكار



السعيد ديدي ، المرجع السابق، ص 140.

صورة للعقد بالخط النسخ

عزم التسجيل

A.140

A.140

العقد له وحده - وعلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .
 تزوج على بركة الله تعالى وحسن حونه وتوفيقه الخليل - وعلى سبيل التبرع التبرع سيدنا
 أحمد بن محمد بن سيدنا أحمد التهامي - الولية أمه الله أوريلي - حاته كونها برضاها ورضى أيها
 السمس بيكار - على صداق مبارك قدره أربعة مائة موز اترانسوية - منح لأبيها المذكور مائتي
 موز - والصفه الثاني بعل على الزوج المذكور بالدخول عليها وبإرجاء السنور - زوجها سه
 لوموا المذكور - وتسل الزوج السنور جميع الصداق الزمزمي* - وعلى هذا الحواك تراخسوا - وتم
 القناح بينهما تكافؤاً صحيحاً تاماً حايلاً من الواج الشرعية على سنة الإسلام - صاته يورسل
 بينهما لما يئنه ويرضيه - وتعمل بينهما الخير والنساء - وتمع ابن ذكتر تحمضر سبدي على من
 زعموه وإحصاين بن محمد الخلفه وسليمان بن على الرئيس وكاتب المحرقة الحاج محمد
 بالنارزي - تاريخه اليوم الموم مملون من شهر نوط من سنة ١٨٧١ القاب وثمانيه واحده
 وسبعون .

تسله الزوج الإسلام
 بيكار
 تسله الزوج الإسلام
 أوريلي بيكار

أحمد بن محمد بن أحمد التهامي

A.140

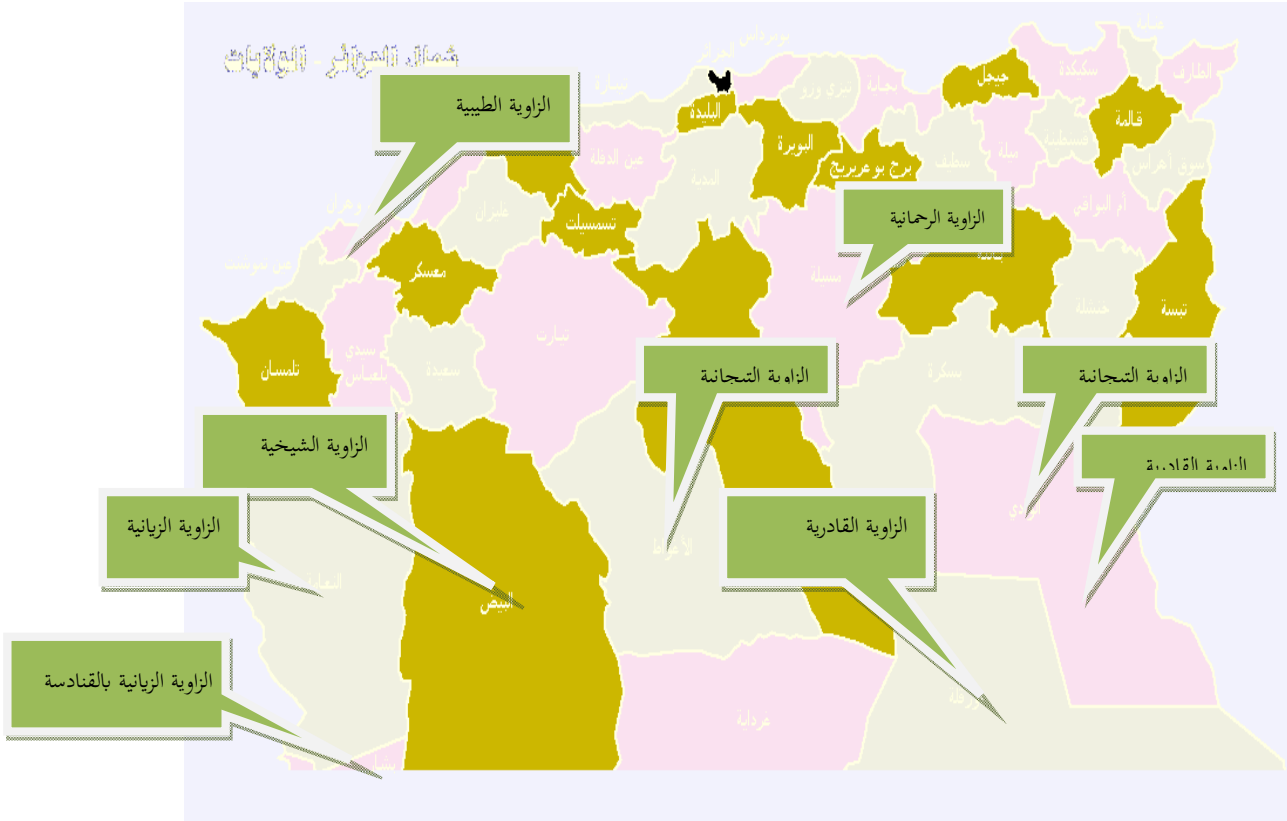
مُجد الحافظ التجاني، المرجع السابق، ص 15.

قصر كوردان



بن لباد الغالي، المرجع السابق، ص ص 223-230.

الزوايا التي تمت زيارتها من طرف نساء أورييات



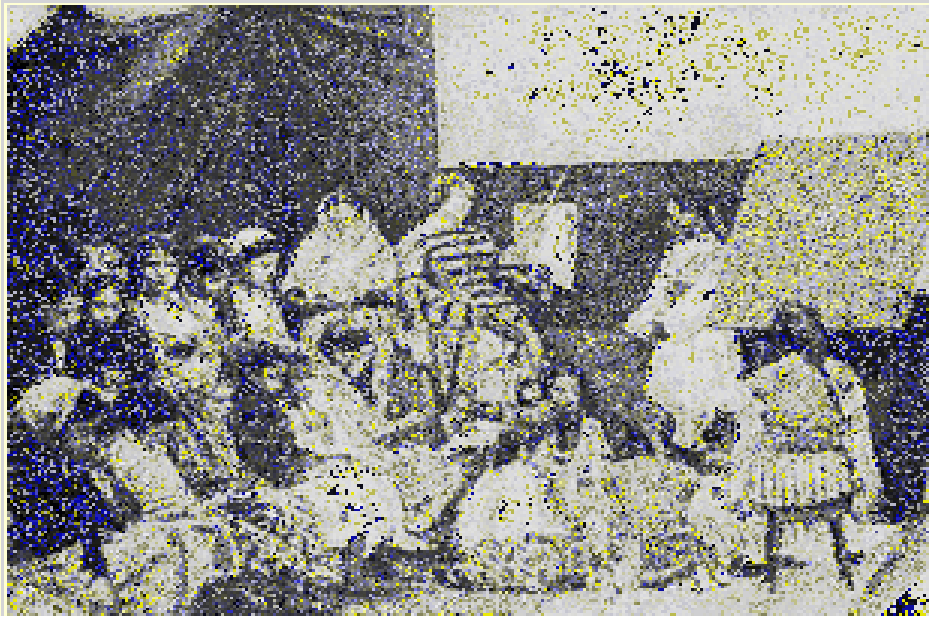
سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص 124 - 125.

سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 103، 312.

حبيب جماتي، المرجع السابق، ص 150.

ورشة لوس أليكس وتلميذتها ابن عابن

ورشة السيدة لوس لتعليم الفتيات سنة 1845



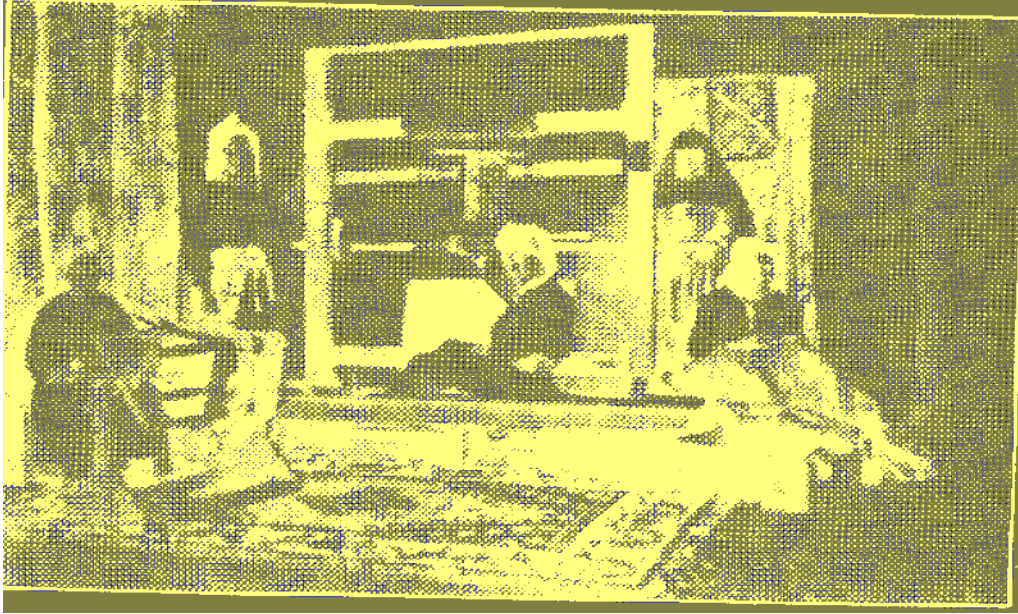
ورشة السيدة بن عابن سنة 1900



Mirante jean, op, cit, p54.

بعض أنشطة الأخوات البيض بالجزائر

ورشة عمل تشرف عليها أخوات بيض



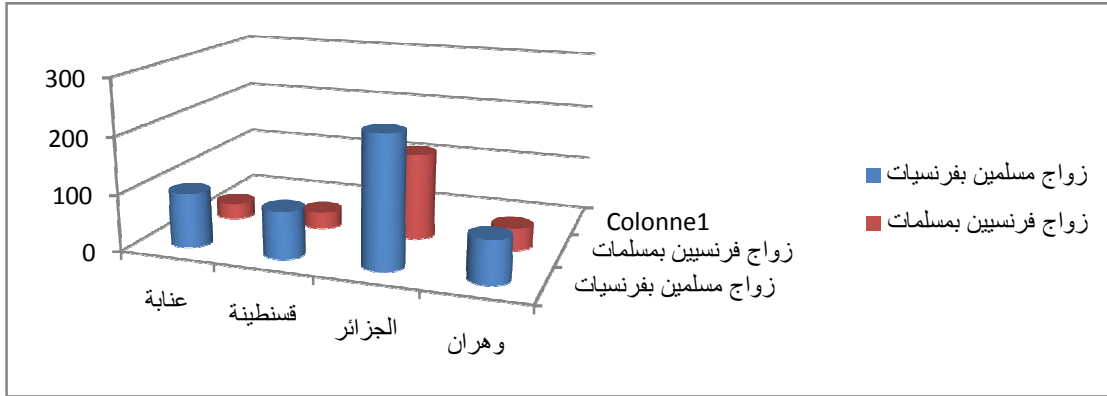
جماعة من المسيحيات بمنطقة آيت واضو - القبائل -



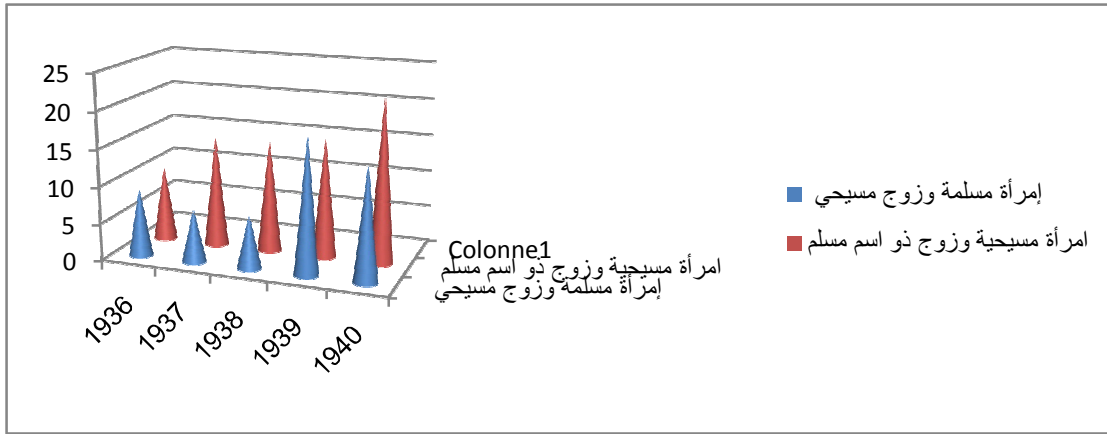
خديجة بقطاش ، المرجع السابق، ص ص 101-104.

ملحق رقم: 17

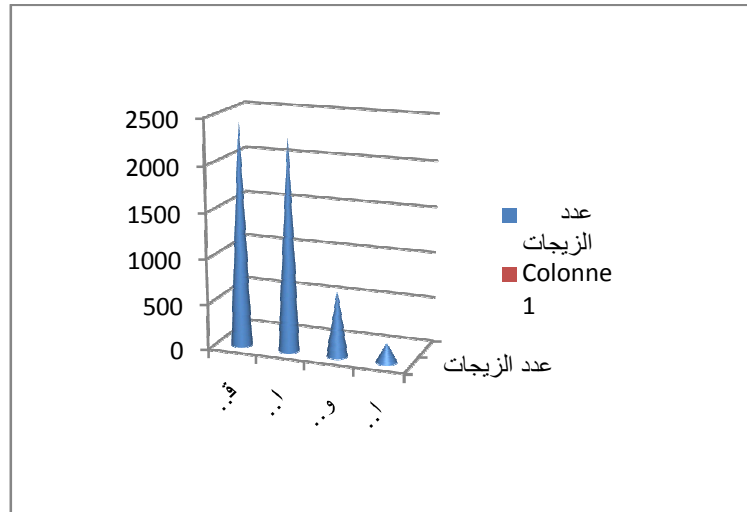
الزيجات المختلطة بالجزائر (الزواج بالاجنبيات) 1830-1948



مسعودة يحيوي مرابط، المرجع السابق، مج 2، ص 156.



G.H. Bousquet, op, cit, 1943, p 274.



بوعزيز يحيى، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص 300.

بعض تأثيرات المرأة الأوربية على الأسرة والمرأة الجزائرية

فتيات جزائريات سافرات



أنيسة وعلي، "حوار مع المجاهدة يمينة شراد"، مجلة أول نوفمبر، ع180، نوفمبر 2015، ص90.
مُجدّ أرزقي فراد، جزائريات صنعن التاريخ، ط3، تيزي وزو، دار الأمل، 2015، ص29.



عائلة مسيحية من منطقة القبائل

أم جزائرية مسيحية وابنتها في هيئة تعبدية

عائشة غطاش، المرجع السابق، ص ص 203-206.

بيلو غرافيا البحث

أولاً: المصادر

1- المصادر باللغة العربية:

- 1-الإبراهيمي أحمد طالب ، آثار مُجدّ البشير الإبراهيمي ، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج3، 1997.
- 2-إبرهاردت إيزابيل، الأعمال الكاملة، تر وتحر: جمال غلاب، ج1، (د، م)، (د، ن)، (د، ت).
- 3-،-،، ياسمينة وقصص أخرى، تر: حسن دواس، مر: عثمان فضل ليلي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، 2012.
- 4-،-،، نقيب اللوز، تر حسن دواس، الجزائر ، مزدوج للنشر والتوزيع ، (د،ت).
- 5-،-،، عودة العاشق المنفي كتابات إيزابيل إبراهيمت عن سوف، تر: ميهي عبد القادر، الجزائر، الوليد للطباعة، 2006.
- 6-،-،، تاعليث، تر: ميهي عبد القادر، ط1، الوادي، مطبعة مزوار، 2009.
- 7-أجعود رشيد، الشاهد الاخير، تر: بوحبيب حميد، الجزائر،(د،ن)، 2012.
- 8-أوزقان عمار، الجهاد الأفضل كلمة حق عند سلطان جائر، تر: سطوف ميشال وآخرون، الجزائر، دار القصة، 2005.
- 9-بن حبيلس شريف، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: حمادي عبد الله وآخرون، (د، م)، المسك، 2012.
- 10-بن نبي مالك، شروط النهضة، تر: مسقاوي عمر كامل، شاهين عبد الصبور، قطر ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، (د،ت).
- 11-،-،، مذكرات شاهد للقرن، ط2، دمشق ، دار الفكر ، 1984.
- 12-،-،، مشكلات الحضارة بين الرشاد والتيه، دمشق، دار الفكر، 2002.
- 13-حماني أحمد، صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، الجزائر، دار البعث، ج1، 1984.
- 14-الطالبي عمار ، آثار ابن باديس، الجزائر ، الشركة الجزائرية، ج2، مج1 ، 1997.

15-المستغامي مُجَّد بن سليمان ، دساتير الهبة رسائل صوفية للشيخ العارف مُجَّد بن سليمان المستغامي، تق وتح: بومدين بوزيد، بيروت -لبنان، دار الكتب العلمية، 1971.

16-مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج 1898-1938، تر: مُجَّد المعراجي، (د، م)، منشورات ANEP، 2007.

17-العوامر إبراهيم، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع: الجيلالي العوامر، الجزائر، منشورات ثالة، 2007.

18-فون مالستان هاينريش ، ثلاث سنوات في غربي شمال افريقيا، تر: أبو العيد دودو، الجزائر، دار الأمة، ج1، 2009.

19-قاسم أمين، المرأة الجديدة، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2011.

20-__،__، تحرير المرأة، مصر، كلمات عربية للترجمة والنشر، 2012.

21-ذبي طرازي فليب ، تاريخ الصحافة العربية ، ج3-4، بيروت، دار صادر ، 1914.

2-المصادر باللغة الأجنبية:

1-2: الأرشيف:

أرشيف ولاية مدينة وهران:

1- A.O, Sérié A, N 5928, Delacour Marie-Odile, Jen-Ren huleu, **Sables la roman de la vie d'Isabelle Eberardt**, Paris, Liana Levi, 1986.

2- A.O, Sérié A, N7694, Eberhardt Isabelle, **Trimadeur**, Tunisie, Cérés Editions, 1997.

3- A.O, Sérié AP, Carton 222-223, N 223, Rogerel, "Syndicat des Sages-femmes de l'Oranie", **Bulletin officiel de L'Association Générale de Prévoyance et de Secours Mutuels et de syndicat Professionnel des Médecin de Département d'Oran**, N37, 1937.

2-2:المصادر الأجنبية

- 1-A. Vincent, V. collardot, **Le Choléra D'après Les Neuf Épidémies qui ont Régné À Alger, depuis 1835 jusqu'en 1865**, Paris, Librairie de la Médecine, de la Chirurgie et de la Pharmacie Militaires, 1867.
- 2-Auclert Hubertin, **Les Femmes Arabes en Algérie**, Paris, Société D'édition Littéraires 1900.
- 3-Buisson Ferdinand, **le droit de vote aux femmes**, imprimerie de la chambre des députés martinet, paris, 1910.
- 4-de Beauvoir Simone, **Le Deuxième Sexe II**, Paris, Gallimard, 1947.
- 5-de Poitias Barreau, **de droit de vote des femmes**, imprimerie G.roy poitiers, 1913.
- 6-Doutté Edmond, **Notes sur L'Islam Maghribin Marabouts**, Paris, Ernest Leraux E'diteur, 1900.
- 7- Eberhardt Isabelle et Barrucand Victor, **Dans L'ombre Chaude de L'slam** , Parise, Librairie Charpentrier et Fasouelle, 1921.
- 8- Eberhardt Isabelle, **page d'islam**, Librairie Charpentrier Et Fasouelle Parise, 1920.
- 9-__,__, **Notes de Route Maroc-Algérie-Tunisie**, Paris, Eugène fasquelle éditeur, 1908.
- 10-__,__, **Yasmina et Autres Nouvelles Algériennes**, France, Liana Levi, 1986.
- 11-Frison-Roche Roger, **Djebel Amour**, France, Arthaud, 2006.
- 12-Gastineau Benjamin, **Ies Femmes et les mœurs de l'Algérie**, Paris, Ietzel librairie de michel lévy, frères, 1861.

- 13-Gaudry Mathéa, **La Femme Chaouia de L'Aurès : Etude de Sociologie Berbère**, Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1929.
- 14- Ismael Hamet, **Les Musulmans français du Nord de L'Afrique**, Paris Librairie Armand Colin, 1906.
- 15- ____, **Mémoire Culturelle Algérienne, Articles Parus dans des Périodiques (1907 – 1924)**, Alger, Université d'Alger, 2012.
- 16-Jacques Boude Jean, **L'Algérie, Meline cans et Compagnie**, Bruxelles et Leipzig, Meline, cans et compagnie, 1841.
- 17-Louis Régis, **Constantine. Voyages et Séjours**, Paris, Libraire Nouvelle, 1880.
- 18-Mirante Jean, **la France et le Oeuvres Indigènes en Algérie**, Algérie, Publications du Comité National Métropolitain du Centenaire de l'Algérie, 1930.
- 19-Pommerol Jean, **Un Femme chez les Sahariennes**, Paris, Ernest Flammarion, Éditeur, 1900.
- 20-Ricoux Rene, **la demographie figurée de l'algérie: etude statistique des population européennesque habitent l'algérie**, paris, G.masson éditeur, 1880.
- 21-Rinn Louis, **Mrabous et khouan étude sur L'Islam en Algérie**, Alger, Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, 1848.
- 22- John Stuart Mill, **De L'assujettissement des Femmes**, Paris, Éditions Avatar, 1992.

23-Tillion Germaine, **le Harem et le Cousins**, Paris, Edition du Seuil, 1966.

24-Tsourikoff Zénaide, **L'enseignement des Filles en Afrique du Nord**, Paris, Edition A.Pedone, 1935.

25- V. Demontes, **Le Peuple Algérien Essais De Démographie Algérienne**, Alger, Imprimerie Algérienne, 1906.

ثانياً: المراجع

1-المراجع باللغة العربية

1-أبو لحية نور الدين، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما دراسة علمية، ط2، (د، م)، دار الأنوار للنشر والتوزيع، 2016 .

2-أجرون شارل رويبر ، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، تر: حاج مسعود.أ.بكلي، الجزائر، دار الرائد للكتاب، ج 1، 2007.

3-،-، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، تر: بلعربي حاج مسعود، الجزائر، ج2، 2007 .

4-،-، المجتمع الجزائري في مخبر الأيديولوجية الكولونيالية-مقاومة القبائل للإندماج والتفكيك وفشل مشاريع التنصير والتجنيس، تر وتع وتق: ولد خليفة مُجدّ العربي، الجزائر، تالة للنشر، 2004 .

5-،-، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، ط1، بيروت، منشورات عويدات، 1982.

6-إدريس محمود إدريس، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، مج3، 2005 .

7-إيدوي بلينيل، من أجل المسلمين، تر: القرشي عبد اللطيف، ط2، باريس، منشورات لاديكوفيرت، 2015 .

8-إيفون تورين، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880، تر: أوزغلة مُجدّ عبد الكريم، الجزائر، دار القصة، 2005 .

9-آر فيلين توماس، الوجودية مقدمة قصيرة جداً، تر: عبد السلام مروة، ط1 ، القاهرة، كلمات للترجمة والنشر، 2013.

10-البهنساوي سالم، مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية، الجزائر ، دار الإرشاد، 1981.

- 11- بوزنان سعيد، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1956، تق: أبو القاسم سعد الله، مُجد الصالح الصديق، الجزائر ، غرناطة للنشر والتوزيع ، 2013 .
- 12- بوعزيز يحيى، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007 .
- 13- __، __، السياسة الإستعمارية من خلال مطبوعات حز الشعب الجزائري (1830-1954)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
- 14- __، __، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، الجزائر ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2001 .
- 15- بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930 وانعكاساتها على المغرب العربي، الجزائر ، دار الحكمة، 2010 .
- 16- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989، الجزائر، دار المعرفة، ج1، 2006 .
- 17- __، __، مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية 1925-1940، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013.
- 18- بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، الجزائر، منشورات وزارة المجاهدين، ج1، ج2، 2008 .
- 19- بنعبد الله عبد العزيز، معطيات الحضارة المغربية، الرباط، دار الكتب العربية للنشر، ج2، 1963.
- 20- بن عمر مصطفى، الطريق الشاق إلى الحرية، الجزائر ، دار هومة، 2003.
- 21- بعلي حنفاوي، أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، دار الغرب الإسلامي، وهران، 2004.
- 22- بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، (د م)، منشورات دحلب، 2007.
- 23- جاماتي حبيب، تحت سماء المغرب، الإسكندرية، الدار القومية للطباعة والنشر ، (د،ت).
- 24- جامبل سارة، النسوية وما بعد النسوية، تر: أحمد الشامي، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة، 2002 .
- 25- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ط4، بيروت، دار الثقافة، ج5، 1980.

- 26-ديدي السعيد، دليل الحائر صور ومواقف من جهاد التيجانيين في الجزائر، ط1، الوادي، مطبعة الأوراس، 2010 .
- 27-ديورانت ول، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي حياة وآراء أعظم رجال الفلسفة في العالم، تر: المشعشع فتح الله مُجّد، ط6، بيروت، منشورات مكتبة المعارف، 1988 .
- 28-درار أنيسة بركات، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985 .
- 29-وعلي مُجّد الطاهر، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1904 دراسة تاريخية تحليلية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 2009.
- 30-وغليسي يوسف، خطاب التآنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري، ط1، الجزائر، جسور للنشر والتوزيع، 2013 .
- 31-الزهراني علي بن بخت، الإنحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة، تق: قطب مُجّد، مكة، دار الرسالة للنشر والتوزيع، 1998 .
- 32-حليمي جيزيل، النساء نصف العالم نصف الحكم، تع ترو عبد الوهاب، بيروت، لبنان، عويدات للنشر والطباعة، 1995.
- 33-حمادي الإدريسي عبد الله، الإستبصار في تاريخ بشار وما جاورها من الأمصار، ط1، (د،م)، إبتكار للنشر والتوزيع، ج3، 2013 .
- 34-، _، _، مختصر المقالة من تاريخ الحاضرة تلبالة، ط1، الجزائر، دار الكتاب الملكي، 2013.
- 35-حنون عبد المجيد، صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغاربية، الجزائر، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2013.
- 36-حسين عقيلة، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف، ط1، الجزائر، دار الوعي للنشر والتوزيع 2012 .
- 37-ياغي إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الرياض، العبيكان للنشر، 1995.
- 38-يزلي عمار، الثقافة في مواجهة الإحتلال، الجزائر، منشورات السهل، 2007.
- 39-يحاوي أعمار، الحقوق السياسية للمرأة في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2003.

- 40- يجاوي مرابط مسعودة، المجتمع المسلم والجماعات الأوربية في جزائر القرن العشرين حقائق وإيديولوجيات وأساطير ونمطيات تر: مُجدّ المعراجي ، الجزائر، دار هومة، مج1، مج 2، 2010.
- 41- كاتب كمال، أوربيون أهالي ويهود بالجزائر 1830- 1962 تمثيل وحقائق السكان، الجزائر، دار المعرفة، 2011.
- 42- كروزويل إديت، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، ط1، الكويت، دار سعاد الصباح، 1993.
- 43- لوبون غوستاف، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.
- 44- لونيسي رابح، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف، ط1، الجزائر، دار كوكب العلوم، 2009.
- 45- المتحف الوطني للمجاهد، الأدباء الشهداء وقائع الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، الجزائر، (د،ت).
- 46- مركز البحوث والدراسات في مجلة البيان، التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد بن باديس ، الرياض، 2014.
- 47- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، كفاح المرأة الجزائرية دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، 1998.
- 48- مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، تر: يحياتن مُجدّ، الجزائر، دار الحكمة، 2007 .
- 49- مفتاح عبد الباقي، أضواء على الشيخ احمد التيجاني وأتباعه، الوادي، مطبعة الوليد، (د، ت).
- 50- مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جم و وتح: حمدي أحمد ، الجزائر، منشورات مفدي زكرياء، 2003 .
- 51- المصري جميل عبد الله، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ط1، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ج1، 1986.
- 52- مطبقاني مازن صلاح، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، ط1، دمشق، دار القلم، 1999.
- 53- منور أحمد، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

- 54- مياسي إبراهيم، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، 1881-1912، الجزائر، منشورات متحف المجاهد، 1996.
- 55-،، مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، الجزائر، غرناطة للنشر، 2010.
- 56- الميلي مُجد ، إن باديس وعروبة الجزائر ، الجزائر، وزارة الثقافة، 2007.
- 57- ناصر مُجد ، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1957، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2007.
- 58-،، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها-تطورها-أعلامها من 1903 إلى 1931، الجزائر ، وزارة الثقافة، ج2، 2007.
- 59-السائي مُجد الأخضر عبد القادر، مُجد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1988.
- 60-السباعي مصطفى ، المرأة بين الفقه والقانون ، بيروت، دار الوراق، 1999.
- 61-سنبل أميرة ، النساء والأسرة وقوانين الطلاق في التاريخ الإسلامي، تق: رؤوف عباس، تر آمال علي مظهر وآخرون ، (د،م)، المجلس الأعلى للثقافة، 1999.
- 62-السويلم علي بن مُجد الدخيل الله ، التجانية دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة، ط3، الرياض ، دار العاصمة للنشر والتوزيع، 2011.
- 63-سيف الإسلام الزبير ، تاريخ الصحافة في الجزائر رواد الصحافة الجزائرية، ط1، القاهرة، مطابع دار الشعب، 1981.
- 64-،، تاريخ الصحافة في الجزائر نشأتها وتطورها، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج4، 1985.
- 65-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (ج3، 4، 6)، 1998 .
- 66-،، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، الجزائر، دار الرائد للكتاب، 2007.
- 67-،، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزائر ، دار الرائد، عالم المعرفة، ج5، 2009.
- 68-،، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ط4، بيروت لبنان، دار الغرب الإسلامي، ج2، 1992.

- 69-__، __، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982 .
- 70-سعيد مزيان ، السياسة الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها 1871-1914، الجزائر، دار سيدي الخير للكتاب، ج2 ، 2012 .
- 71-__، __، النشاط التصيري للكاردينال لافيغيري في الجزائر 1867-1892، ط1، الجزائر، دار الشروق، 2001.
- 72-سرحان عبد الحميد ، الرواية والمجتمع الكولونيالي في جزائر ما بين الحربين، الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2017.
- 73-شيبان عبد الرحمان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجزائر، دار المعرفة، 1882 .
- 74-عباد صالح، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870-1900، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.
- 75-عومر مولود، تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية، تلمسان ، منشورات دار قرطبة، ج3، 2011 .
- 76-علمي سعيد، الاستعمار والعمران السياسات الاستيطانية والعمران في الجزائر، ، تر: نسرين لولي، مُجد رضا بوخالفة، الجزائر، دار خطاب، ج1، 2013.
- 77-عمامرة رايح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، موفم للنشر الجزائر، 2007.
- 78-__، __، التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931- 1956) دراسة تربوية للشخصية الجزائرية ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.
- 79-عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، 1992 .
- 80-عمران محمود سعيد ، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1976.
- 81-عمراوي أحميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844- 1916، الجزائر، دار الهدى، 2009 .
- 82-__، __، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري(1830-1954)، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر، 2007 .

- 83- عمري الطاهر، النخبة الجزائرية وقضايا عصرها من بدايات القرن العشرين إلى ما بين الحربين العالميتين، قسنطينة، الدار الوطنية للكتاب، 2009 .
- 84- العسلي بسام، المجاهدة الجزائرية ، بيروت ، الجزائر، دار النفائس ، دار الرائد ، 2010.
- 85- فراد محمد أرزقي، جزائريات صنعن التاريخ، ط3، تيزي وزو، دار الأمل، 2015.
- 86- الفيلاي عبد الكريم، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ط1، القاهرة، شركة ناس للطباعة، ج9، 2006.
- 87- فركوس صالح وآخرون، التشريعات المنظمة للاستيطان الاستعماري في الجزائر وآثارها على المجتمع الجزائري، مشروع بحث في إطار البرنامج الوطني للبحث (PNR)، مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية، جامعة 8 ماي 1945 بقالة، 2010.
- 88- قنان جمال، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1944، الجزائر، دار هومة ، (د، ت).
- 89- _، _، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994.
- 90- القرشي رياض، النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، ط1، اليمن، دار حضرموت للطباعة والنشر، 2008.
- 91- قرين مولود، عمر بن قنور الجزائري دوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1886-1932 ، الجزائر، دار الخليل، ج، 2013 .
- 92- قرني عزت، الإسلام وحقوق الإنسان، الكويت، المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978.
- 93- رزاق عبد العالي ، ضباط فرنسا في المغرب العربي، الجزائر ، دار الأمة ، 2013.
- 94- ركيبي عبد الله ، الهوية بين الثقافة والديموغرافية دراسات ومقالات، الجزائر ، دار هومة ، 1994.
- 95- رمضان عبد العظيم ، تاريخ أوروبا والعالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 2، 1997.
- 96- شابلن شارلي ، قصة حياتي، تر وتق: كميل داغر، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1994.
- 97- شهبي عبد العزيز ، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007.

98-الشنقيطي مُجدّ الخضر الجكني ، مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، ط2، عمان-الأردن، دار البشير للنشر والتوزيع، 1993.

99-شرف عبد العزيز ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط1، بيروت ، دار الجيل ، 1991.

100-التجاني مُجدّ الحافظ، الإنتصاف في رد الإفتراء على السادة التيجانية، (د،م)، (د،ن)، 1956.

101-خالدي مصطفى، فروخ عمر ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، ط5، بيروت، المكتبة العصرية، 1973.

102-خندوري كمال نور الدين ، مسألة المرأة في ضوء الصراع الفكري، الجزائر، الزيتونة للإعلام والنشر، 1989.

2- المراجع باللغة الأجنبية

1- Bascou Bance Poulette, **La Condition de la Femme en France son évolution**, Lyon, L'institut Pédagogique National, 1964.

2- Bourcillier Patricia, **Isabelle Eberhart un Femme un Rout vers L'Islam**, (s,l), Attilio Baghino, 2012.

3- Coquet Michèle, **Un destin contrarié La mission Rivière-Tillion dans l'Aurès (1935-1936)**, (s,l), Série « Missions, enquêtes et terrains - Années 1930 » coordonnée par Christine Laurière Lahic / Ministère de la Culture et de la Communication, Direction générale des patrimoines, Département du pilotage de la recherche et de la politique scientifique, 1964.

4- de Baudicour Louis, **La colonisation de l'Algérie ses éléments**, Paris, Challamel Ainé, Libraire-éditeur , 1856.

5-Elaine Gubin, **le Femmes-et-revolution**, Bruxelles, cente d'archives pour l'histoire des femmes, (s,d).

6- Faucon Narcisse, **Le Livre D'Or de L'Algérie**, Paris, Éditeurs Librairie Algérienne et Coloniale, 1889.

- 7- Frémeaux Jacques, **Les Bureaux Arabes dans Algérie de la Conquête**, Paris, Denoel aventure Coloniale de France 1993.
- 8- Léopold Lacour, **Les Origines du féminisme contemporain. Trois femmes de la Révolution : Olympe de Gouges, Théroigne de Méricourt, Rose Lacombe**, Paris, Librairie Plon, 1900.
- 9- Marynower Claire, A nos sœurs indigènes le meilleur de notre affection, G&C | Articles, (s, d).
- 10-Melia Jean, **Laghouat ou les Maisons entourees de Jardins**, Paris, Librairie Plon, (s.d).
- 11- Robert-Guiard Claudine, **Des Européennes En Situation Coloniale Algérie 1830-1939**, Presses universitaires de Provence, Aix-en-Provence, 2009.
- 12- Soleillet Paul, **L'Afrique Occident Alealgrle, Mzab, Tildikelt**, Avignon, Imprimerie de f. Seguinainé, 1877.
- 13- Voisin André Roger, **Les Femmes explorent Le Sahara**, Paris, L'Harmattam ,2009.
- 14-Turquan Joseph , **Souveraines et grandes dames La Citoyenne Tallien**, Paris, Librairie Illustrée, 1898.

ثالثاً: المجلات والدوريات

1-المجلات والدوريات باللغة العربية

1-1: الدوريات

الشهاب

1- بن باديس عبد الحميد ، الشهاب، قسنطينة، المطبعة الجزائرية الإسلامية، ج5، مج7، ماي 1931.

2-__،__، الشهاب، ج3، مج11، 3 جوان 1935.

3-__،__، الشهاب، قسنطينة، المطبعة الجزائرية الإسلامية، ج4، مج11، 3 /7/ 1935.

4-__،__، الشهاب، قسنطينة، المطبعة الجزائرية الإسلامية، ج1، مج12، 1936.

5-__، __، الشهاب، قسنطينة، المطبعة الجزائرية الإسلامية، ج3، مح12، 1936.

البصائر

6- أبي ذياب ليلي: "تعليم المرأة"، البصائر، ع93، أكتوبر1949.

7- الشافص عبد المجيد، "بين فتاتين"، البصائر، ع359، 1956/3/23.

8- بن باديس عبد الحميد، "فتوى جمعية العلماء في النجس الكلي والجزئي"، البصائر، ع95، 14جانفي 1938.

الصراط

9- الزاهري مُحمَّد السعيد، "زيارة سيدي عابد) أحاديثنا في القطار"، الصراط، ع6، س1، 1933 /9/11.

1-2: مقالات الدوريات:

1-العريس ابراهيم، "إيزابيل إبرهات: غرقت، أغرقت أم انتحرت"، فضاءات الوسط، ع2421، 23 /4/2009.

2- بن الشيخ عصام، "جودة أداء المؤسسة التشريعية من خلال تمكين المرأة سياسيا -حالة الجزائر-"، دفاتر السياسة والقانون ع12، 2015.

3- برنو اتيان، "الجزائر 1930-1962 فقدان الذاكرة، العفو العام، الذكرى: مرارة الجزائر"، تع: بوغفالة ودان، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع7، ديسمبر 2012.

4- هلايلي حنفي، "إقليم قسنطينة في كتابات الجزائريين خلال الفترة الفرنسية في ضوء المجلة الإفريقية"، عصور الجديدة، ع18، 2015.

5- وافي علي عبد الواحد، "المرأة والأسرة في الإسلام"، مجلة الأصالة، مح18، ع51، نوفمبر 1977.

6- ونيسي زهور، "الزواج بالأجنبيات والأجانب وخطره على الأسرة"، مجلة الأصالة، مح18، ع53، تلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، جانفي1978.

7- الحاج يزن، "الجمل أعادتها إلى الضاد إيزابيل إيبرهات عاشقة الصحراء"، جريدة الأخبار، عدد 2176، 14/12/2013.

8- الحبر يوسف نور الدائم، "قضية المرأة كما أراها"، مجلة الأصالة، مح18، ع52، ديسمبر 1977.

- 9- اليحياوي ياسين ، " البنية الذهنية ونظرية الوظائف الثلاث عند جورج دوميزيل "، **عمران للعلوم الاجتماعية والانسانية**، ع19، 2007.
- 10- يتيم عبد الله عبد الرحمان ، "المدرسة الانتربولوجية الفرنسية: مارسيل ماوس نموذجاً"، **الثقافة الشعبية**، ع7، 2009.
- 11- لونيسي إبراهيم ، " الإستعمار الإستيطاني في الجزائر خلال القرن 19 منطقة سيدي بلعباس نموذجاً"، **مجلة عصور**، ع 6-7، 2005.
- 12- مدلول علي عادل ، علوان نبيل شلال ، "مراحل ثوة بوعمامة 1881-1908، **مجلة أوروك**، ع2، 2017.
- 13- المحرق فهد حسين ، "في كتابها السرد النسائي العربي-مقاربة في المفهوم والخطاب زهور كرام تألف في أركولوجيا النقد والإبداع" **فضاءات الوسط**، ع2820، ماي 2010.
- 14- سعيد نبيل رشاد ، "التحيز والإنصاف في موقف المستشرقين من الفلسفة العربية في الاسلام"، **دراسات عربية**، ع3-4، جانفي-فيفري، 1990.
- 15- عجنك يمينة ، "الكتابة النسائية في الجزائر وإشكالياتها قضية المرأة في كتابات زهور ونيسي نموذجاً"، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، ع9، 2010.
- 16- صافر فتيحة ، "مواقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الاندماجية" **عصور الجديدة**، ع16-17، أبريل 2014-2015.
- 17- صبرينة الواعر ، "يهود مدينة قسنطينة من خلال رحلات الفرنسيين إبان القرن 19م"، **مجلة عصور الجديدة**، ع خاص بقسنطينة عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2015/10/18.
- 18- صحراوي عبد القادر ، مقاومة المقراني والحداد من خلال كتابات لوي رين Louis Renn في ضوء **المجلة الإفريقية، الحوار المتوسطي**، ع11-12، مارس 2016.
- 19- قريتلي حميد ، "أضواء على التنصير والمنصرين في الجزائر 1830-1892"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع15-16، فسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2012-2013.
- 20- ربابعة غازي ، "دور المرأة في المشاركة السياسية"، **مجلة المفكر**، العدد 5، (د، ت).
- 21- رضا عامر ، "الكتابة النسوية العربية من التأسيس إلى إشكالية المصطلح"، **الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية**، ع15، جانفي 2016.

22- خالدي مُجَّد ، "المستشرقين وأثرهم الفكري والفني في الجزائر، مجلة الأثر، ع13، مارس 2012.

2: المجلات والجرائد الأجنبية

1-2: الجرائد الفرنسية

Annales africaines

1- d'Octon P-Vigne, "Pour Isabelle Eberhardt, **Annales africaines. Revue hebdomadaire de l'Afrique du Nord**, N44, 31/10/1913.

2- Randau Robert, "Un témoignage sur la mort d'Isabelle Eberhard", **Annales africaines (Alger)**, N13, 01/07/1936.

France Afrique

3- Esquirol Edmond, "Nos Collaborateurs Marie Bugéja Notice Biographique", **France Afrique**, N 62, 23/2/1934.

4-__,_ "Nos Soeurs Musulmanes par Marie Bujéja", **France Afrique**, N2, 12/01/1932.

journal des Savants

5- Basset André, "Mathéa Gaudry La femme Chaouia de L'Aurès", **journal des Savants**, N6, 1932.

Revue Africaine

6- Allais Yvonne " Les Greniers Publics De Djemila (Cuicul)", **Rev Afr**, N356, V74,1933.

7- __,__, "La(Maison D'Europ à Djmila", **Rev Afr**, N378, V83,1939.

8-__,__, "Djemila Le Quartier AL'Est Du Forum Des Sevères", **Rev Afr**, N434, V97,1953.

9- Alquier Jeanne , "Les Ruines Antiques de la Vallée de l'Oued El Arab (Aurès)", **Rev Afr**, N386-387, V85,1941.

- 10- ____, "Note sur un voyage au Cap de Fer" : September 1935",
N 370, **RevAfr**, V80,1937.
- 11- Balfet Hélène, "La poterie des Aït Smail du Djurdjura: éléments
d'étude esthétique", **Rev. Afr**, N444-445, V99,1955.
- 12- Bourgin G. et Madeleine Dillay, Inventaire du fonds de l'Algérie
aux Archives Nationales, **Rev. Afr**, N335-336, V69,1928.
- 13- Bousquet G. H. et Bousquet -Mirandolle G. W., "Thomas Hees:
Journal d'un voyage à Alger (1675-1676)", **Rev. Afr**, N450-451,
V101, 1957.
- 14- Bousquet G.H, "Les Unions Mixtes À L'état Civil D'alger", **Rev.**
Afr, N° 396-397, Vol 87, 1943.
- 15- Chantreaux Germaine, "Le Tissage sur Métier de haute lisse à Aït-
Hichem et dans le Haut- Sebaou", **Rev.Afr**, N386-387,V85,1941.
- 16- ____, "Le Tissage sur Métier de haute lisse à Aït-Hichem et dans le
Haut- Sebaou", **Rev.Afr**, N390-391, V86,1942.
- 17-Daumas Eugène, "La femme arabe", **Rev. Afr**, N284,V 56, 1912.
- 18- Isaac Madeleine et Batiffol Henri, "Les Règlements des Collèges de
Musiciens de la Légion IIIè Auguste", **Rev. Afr**, N327-328, V67,1926.
- 19-(J.)Despois, "Louis Leschi (1893-1954). Bibliographie par Mlles
Allais et Bailly", **Rev Afr**, N438,V98,1954.
- 20-Jouin Jeanne, "Documents sur les costumes des musulmans
d'Espagne", **Rev. Afr**, , N°358, V75, 1934.
- Revue du Monde Musulman**
- 21- Hamet Ismael, "le Colonel Mohamed Ben Daoud", **Revue du**
Monde Musulman,Paris, T19,1912.

- 1- Ausseur Jean, "Dans L'Aurès, inconnu, par Odette Keun, Société Française D'Edition Littéraires et Techniques, 1930", **La Quinzaine Critique**, des Livres et des Revues, N°33, Mai 1931.
- 2- Chistian Bromberger, "Germaine Tillion (1907-2008)", **Reveu L'Homme**, N°189, éditions de L'E.H.E.S.S, Aix-En-Provence, 2009.
- 3- Coquet Michèle, "l'Album de Indigènes Thérèse Rivère chez les Ath- Abderahman kebèche de L'Aurès(Algérie)", **Gradhive**, N°9, Editeur Musée du quai Branly, 2009.
- 4- Dejeux Jean, "Elissa Rahais, Conteuse Algérienne (1876-1940)", **Revue de L'occident Muslman et de la Méditerranée**, N19, 1984.
- 5-F. Guillermet, "Isabelle Eberhardt De La Légende A La Vérité", **Marges**, N51, 15/07/1914.
- 6- Jean Déjeux , "Isabelle Eberhardt Oeuvres Complètes Ecrites sur le Sable (Récits, Notes et Journaliers)", **Hommes et Migrations**, N1121, avril 1989.
- 7- J-Tramond, "La Femme Chaouia de L'Aurès, Etudes de Sociologie Berbère, par Mathéa Gaudry", **La Quinzaine Critique des Livres et des Revues**, N4, V1, 25/12/1929.
- 8- khodja Djamel Ali, "Isabelle Eberhardt: regards, désirs et création d'un mystique", **Revue Sciences Humain**, N13, 2000.
- 9-Leimdorfer François, "Objets de la sociologie coloniale. L'exemple algérien", **Tiers Monde**, V 23, n°90, Avril Juin 1982.

10-Maidi Kasse Nora, " Djebel Amour de Frison-Roche entre le Roman et L'Oubli, Lalla Yamina Tijani Git, **la Nouvelle République**, N° 5453, 24 /1/ 2016.

11- Marceau Francine Gast, " Dominique Champault, Une oasis du Sahara nord-occidental, Tabelbala". **Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée**, N°8, 1970.

12- Marceau Gast, Lambert Jean, "Francine D, Champault", **Journal des Africanistes**, T72, 2002.

13- Perkins Kenneth J, "Two Ladies of Colonial Algeria: The Lives and Times of Aurelie Picard and Isabelle Eberhardtby Ursula Kingsmill Hart", **The International Journal of African Historical Studies**, N 2, 1988.

14- Soudani Zahia, "Femmes et Marché Foncier dans L'Algérie Colonail", **Revue Sciences Humaines**, N° 28, Universite Mentouri, Costantine, Algérie, December 2007.

15-Temime Emile," La migration européenne en Algérie au XIXe siècle : migration organisée ou migration tolérée", **Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée**, n°43, 1987.

16-Tessa Ahmed, "Si Aurélie Tijani et Kourdane n'étaient Contés", **le Soir D'Algerie**,n° 6958, Edition d'Algerie, 27/8/ 2013.

رابعاً: الإعلانات

1-Nations Unies. **Déclaration universelle des droits de l'homme** : adoptée et proclamée par l'Assemblée générale des Nations Unies le 10 décembre 1948 : texte définitif. 1949.

2- de Gouges Olympe, **Déclaration des droits de la femme**, A la Reine, 1791.

خامساً: المعاجم والقواميس

1- الزركلي خير الدين ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، ج 3، 2002.

2- الحفناوي أبو القاسم مُجَّد ، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، مطبعة بيبير فوتاتنة، 1906.

3- بلقاسمي بوعلام وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، 2007.

4- بن نعيمة عبد المجيد وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954، الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر، 2007.

5- نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، بيروت، لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية، 1980.

6- خدوسي رابع وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، تق: مُجَّد الأمين بلغيت، الجزائر، منشورات الحضارة، 2014.

7- خطاب رشيد ، أصدقاء الخاوة الدعم العالمي لثورة التحرير الوطنية الجزائرية قاموس بيوغرافي، الجزائر، دار خطاب، 2013.

8- _، _، الخاوة والرفاق قاموس بيليوغرافي للجزائريين ذوي الأصل الأوربي واليهودي والحرب التحريرية الجزائرية 1954-1962، تر: مُجَّد بوخالفة وآخرون، الجزائر، دار خطاب ، 2013.

سادساً: الأطروحات الجامعية

1- العربية

1- الزاوي مُجَّد الأمين ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بحث في تطور علاقة الانتاج الروائي بالأيدولوجيا من 1830-1982 (رسالة ماجستير، إشراف الخطيب حسام)، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1983-1984.

- 2- الحمري مُجَّد ، "التشريع الفرنسي في الزائر وأثره على الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية ما بين 1870-1920"، (رسالة ماجستير، تخصص انثروبولوجيا، إشراف مُجَّد سعيدي)، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة تلمسان، 2004-2005.
- 3- الضمور رنا عبد الحميد سلمان ، الرقيب وآليات التعبير في الرواية النسوية العربية، (رسالة دكتوراه، الدراسات الأدبية، إشراف الرواشدة سامح)، عمادة الدراسات العليا، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة 2009.
- 4- بايزيد فطيمة الزهرة ، الكتابة الروائية النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل، (رسالة دكتوراه، تخصص أدب حديث ومعاصر، إشراف بودربالة الطيب)، كلية الآداب واللغات، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012.
- 5- بورايو عبد الحفيظ ، "مدينة قسنطينة في أدب الرحلات"، (رسالة ماجستير، أدب الرحلات، إشراف عبد الله حمادي)، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.
- 6- بوهناف يزيد ، "مشاريع التهدة الفرنسية إبان الثورة التحريرية وانعكاساتها على المسلمين الجزائريين 1954-1962"، (مذكرة ماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف سليمان قريبي)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014.
- 7- بورية حميد ، جهود المستشرقين الفرنسيين في الدراسات اللهجية في الجزائر المجلة الإفريقية نموذجاً، (رسالة ماجستير، تخصص علم اللهجات، إشراف أوشاطر مصطفى)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقائد، تلمسان، 2007-2008.
- 8- بلعجال أحمد ، الخطاب الإصلاحية عند الشيخ مُجَّد السعيد الزاهري، (رسالة ماجستير، تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط إشراف جمعي الحمري)، جامعة منتوري بقسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2005-2006.
- 9- بن لباد الغالي ، الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية دراسة أنثروبولوجية، (أطروحة دكتوراه، تخصص انثروبولوجيا، إشراف مُجَّد سعيدي)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقائد، تلمسان، 2008-2009.

- 10- بن علي زهير ، قضايا المرأة ضمن اهتمامات الحركة الاصلاحية الجزائرية 1925-1954، (رسالة ماجستير، تاريخ حديث ومعاصر إشراف سليمان قيربي)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة الحاج لخضر بباتنة، 2014-2015.
- 11- دبي رابح ، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها 1830-1962 دراسة نظرية تحليلية، (أطروحة دكتوراه، تخصص علوم التربية، إشراف الطيب بلعربي)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2010.
- 12- زقب عثمان ، "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا"، (مذكرة ماجستير، تاريخ حديث ومعاصر، إشراف يوسف مناصرية)، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005-2006.
- 13- معزة عز الدين ، فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899-2000، (أطروحة دكتوراه العلوم، تاريخ حديث ومعاصر، إشراف بوصفصاف عبد الكريم)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.
- 14- مختاري فاطمة ، الكتابة النسائية أسئلة الاختلاف وعلامات التحول مقارنة تحليلية في خصوصية الخطاب الروائي النسائي العربي المعاصر، (رسالة دكتوراه، تخصص أدب حديث ومعاصر، إشراف وذناني بوداود)، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2013-2014.
- 15- علواش علي ، حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية، (أطروحة دكتوراه، الحلقة الثالثة في الفلسفة، إشراف الشيخ أبو عمران)، معهد العلوم الإجتماعية بالخروبة، جامعة الجزائر، 1983-1984.
- 16- صالح توفيق ، المجتمع والعمران في مدينة سكيكدة خلال الحقبة الكولونالية 1838-1962، (مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص تاريخ وحضارات البحر المتوسط، إشراف قشي فاطمة الزهراء) ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009.
- 17- قنون حياة ، اللاجئون السياسيون الاسبان في الغرب الجزائري 1936-1962، (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، إشراف فغور دحو)، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران، 2010-2011.
- 18- قرنا ب عبد الرؤوف ، "جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير ابان الاحتلال الفرنسي 1830-1962"، (رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص مقارنة الأديان، إشراف بلغيث مُجد الأمين بلغيث)، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، بن يوسف بن خدة، 2014-2015.

19- شرايطية عيسى ، الريف الجزائري في السنما الاستعمارية الصورة والإيديولوجيا دراسة سييسولوجية، (رسالة ماجستير، تخصص علوم الاعلام والاتصال، إشراف زهير إحدادن)، معهد علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر، ديسمبر 1993.

20- غنابزية علي ، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300-1374هـ / 1882-1954، (أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، إشراف بن خروف عمر)، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر، 2008-2009.

2-الأجنبية

1- Mar Cil-Bergeron Myriam, **Une Lecture Géo poétique Des Écrits Sur Le Sable D'Isabelle Eberhardt Et Des Récits De Voyage En Voilier De Bernard Mottessier**, Mémoire Présenté Comme Exigence Partielle De La Maîtrise En Études Littéraires, Service des bibliothèques, Université du Québec À Montréal , Décembre, 2012.

2-Soumeya Bader, "**La Question de la rencontre, de L'échange et de L'enrichissement dans Djebel Amour de Roger Frison - Roche**", (Mémoire de Magister, Spécialisation en Langues Étrangères, sous la Supervision de Rachid RAISSI), Université Kasdi Merbah-Ouargla, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, 2008-2009.

سابعاً: المؤتمرات والملتقيات

1- ناصر زهر مُجَد ، "أعمال إيليزابيت هاربرت والأعمال الأدبية المكتوبة عنها"، ملتقى إيزابيل ابرهات، دار الثقافة بالوادي، 6-7 ماي 1998.

2- عبد الرحمان مُجَد إبراهيم ، "مدرسة المنار التفسيرية ملامحها -آثارها- نقدها"، ندوة دولية حول مدرسة المنار ودورها في الإصلاح الإسلامي الحديث، القاهرة، 8-9 أكتوبر 2002.

4-- القاطرجي نهي، "قراءة إسلامية في اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (Cedaw) دراسة حالة لبنان"، مؤتمر أحكام الأسرة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات والإعلانات الدولية، مصر، من 7 إلى 9 أكتوبر 2008.

4- القرضاوي يوسف، "مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، الملتقى الدولي للإمام محمد البشير الإبراهيمي بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته، الجزائر 22-23 ماي 2005.
ثامناً : المجالات الإلكترونية

1- وهي جروة علاوة، "قسنطينة رحلة وإقامة"، صوت الأحرار، 2013/11/10، <https://www.djazairiss.com/alahrar>، تاريخ الإطلاع 2017/11/17.

تاسعاً: المواقع الإلكترونية

2- فراد محمد أرزقي، قراءة الباحثة **Camille Lacoste-Dujardin** للثقافة القبائلية، www.djazairiss.com، تاريخ الاطلاع 2017/10/21.

3-،،، قراءة الباحثة **Camille lacoste-dujardin** للثقافة القبائلية، [www.echoroukonline](http://www.echoroukonline.com)، تاريخ الإطلاع 2017/10/31.

الفهارس

فهرس الأماكن والبلدان:

أ

إبن عكنون: 170.

الأبيار: 180.

احمر خدو: 84، 87، 88.

الأراضي المنخفضة: 26.

أريس: 84، 86، 87، 88.

أزفون: 180.

إسبانيا: 194.

إسبانيا: 39، 44، 70.

الأغواط: 96، 100، 101، 102، 104، 132، 133، 140، 164.

أفريقيا: 74، 86، 107، 140.

أفلو: 124.

أقبو: 180.

الأزاس واللورين: 29، 36، 97، 102، 176.

ألمانيا: 34، 36، 73، 213.

أمريكا: 82.

إنجلترا: 14، 144، 181.

أنغلو: 62.

الأوراس: 66، 84، 87، 88، 139، 149، 152.

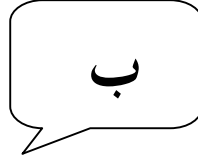
أوربا: 14، 15، 17، 19، 24، 28، 36، 53، 88، 134، 231.

أوفيرنا: 80.

ايت هشام: 89، 133، 193.

إيران: 198، 202.

إيطاليا: 14، 15، 24، 44.



باب الواد: 130.

باتنة: 69، 124.

باريس: 19، 22، 60، 87، 90، 95، 160، 165، 170، 171، 183، 225، 140،

146، 158، 159، 163، 226.

بجاية: 32، 122، 132.

برج منايل: 181.

برقي: 170.

برلين: 34، 86.

بسكرة: 58، 64، 65، 66، 69، 124، 131، 132، 178.

بشار: 60، 61، 62، 63، 64، 90، 190

بلكور: 82.

البليدة: 65، 115، 165.

بني عباس: 90.

بني مزاب: 246.

بني ونيف: 60، 62، 64، 73.

البهيمة: 59، 74، 109، 108.

بوردو: 95، 96، 95، 99.

بورنو: 105.

بوزريعة: 184.

بوسعادة: 60، 73، 111، 124.

بوعياش: 60.

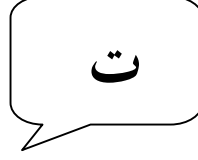
بوفاريك: 30، 170.

بولوغين: 102.

بون: 73.

البويرة: 121.

البيض: 133.



تاغيت: 90، 189، 191.

تافيلالت: 60، 191.

تبسة: 132، 134.

تبلبالة: 90، 91، 92.

تركيا: 62.

تقرت، 58، 148.

تلمسان: 132، 134، 165، 179.

تماسين: 94، 105.

تمبكتو: 100.

تنس: 60، 132.

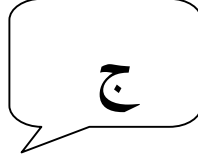
توات: 61، 105.

تولون: 120.

تونس: 57، 58، 62، 172، 173، 196.

تيارت: 124، 174.

تيزي وزو: 89، 180.



الجزائر: 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44،
45، 46، 47، 48، 49، 51، 52، 53، 54، 57، 58، 60، 61، 62، 64، 65، 66،
67، 68، 69، 70، 71، 73، 74، 75، 76، 77، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85،
88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 98، 99، 100، 101، 103، 104،
105، 107، 110، 111، 114، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 123، 124،
125، 127، 129، 130، 132، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141،
142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 153، 154، 156، 157، 162،
165، 166، 167، 168، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178،
179، 180، 181، 183، 187، 189، 190، 191، 192، 194، 195، 197، 201،
202، 205، 206، 208، 210، 212، 215، 216، 217، 219، 221، 227، 228،
230، 234، 238، 229، 240، 242، 243، 244، 245، 246.

الجزيرة الإيبيرية: 39.

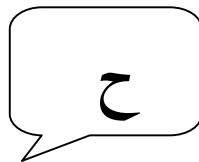
جمعة الصهاريج: 180.

جميلة: 193.

جنيف: 55، 58.

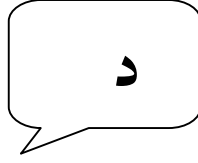
جون ميليا: 99.

جيغل: 165.



الحجاز: 198.

حمر العين: 180.

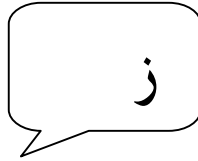


الدار البيضاء: 88.

دالي ابراهيم: 29، 43.



روسيا: 55، 198، 202، 214.



زرالدة: 180.

زواوة: 133.



سانت اتيان: 111، 112.

ستيديا: 121.

سطاوالي: 180.

سطيف: 124.

سعيدة: 61، 73، 174.

سقوطو: 105.

سككدة: 64، 70، 125، 174، 193.

السودان: 106.

سور الغزلان: 121.

سوق اهراس: 116، 121.

سويسرا: 34، 54.

سيدي بلعباس: 174، 179.

سيدي عيش: 153.

سيغ: 52.

السيق، 81.



شرشال: 134، 180.

الشلالة: 124.

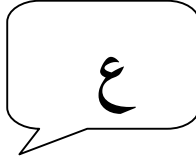
الشلف: 133.



الصحراء الغربية: 102.

الصدوق: 122.

طولون: 102.



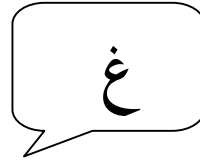
عناية: 32، 57، 60، 116، 117، 120، 152، 156، 171، 174.

عين الصفراء: 60، 61، 62، 65، 73، 133، 190، 194.

عين تموشنت: 52، 174.

عين صالح: 105.

عين ماضي: 94، 96، 99، 100، 101، 102، 104.



غات: 164.

غاو: 100.

غدامس: 164.

غرداية: 132، 133، 134.

غليزان: 174، 179.



فرنسا: 15، 17، 22، 27، 33، 34، 41، 42، 43، 47، 49، 51، 53، 58، 62، 65،

66، 68، 70، 73، 76، 79، 80، 83، 84، 88، 89، 90، 92، 94، 100، 102،

103، 104، 105، 106، 107، 111، 112، 117، 118، 122، 124، 135، 141،

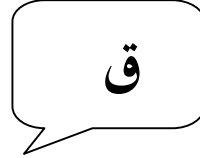
143، 144، 151، 152، 154، 159، 160، 163، 169، 170، 171، 180، 181،

183، 190، 195، 201، 203، 213، 224، 227، 228، 235، 243، 244، 245.

فقيق: 60، 62، 64، 73.

فنلندا: 27.

الفيتنام: 121.



القاهرة: 196.

القبائل: 133، 153.

القبعة: 29، 170، 181، 183.

قسطنطينية: 32، 47، 48، 59، 64، 65، 69، 70، 71، 78، 79، 80، 98، 102،

110، 116، 119، 123، 131، 132، 147، 153، 156، 174، 176، 178، 179،

221، 229، 249.

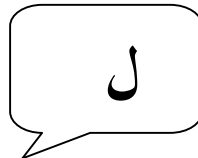
القصبة: 82.

القلعة: 132، 132، 143.

قمار: 108، 109.

قنادسة: 60، 61، 62، 63، 64.

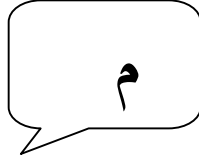
القنطرة: 69، 79.



لندن: 86، 130.

ليبيا: 198.

ليون: 81، 183.



المدية: 65، 132.

مراكش: 106، 164.

مرسيليا: 35، 73، 88، 102، 164.

مستغانم: 32، 103، 116، 121، 173، 179.

مسرغين: 178.

المسيلة: 73.

مصر: 62، 195، 201.

معسكر: 52، 174، 179.

المغرب الأقصى: 72، 24، 106، 174، 178.

مغنية: 174.

مليانة: 77.

المنبوعة: 133.

مونتانيي: 95.

مونتبولي: 77.

ميلة: 65، 69.



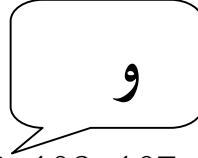
نفطة: 109.

نيويورك: 84.



الهقار: 106.

الهند: 202.



وادي سوف: 58، 59، 71، 73، 76، 107، 108، 109، 124، 134، 138، 148.

واشنطن: 27.

واضية: 186.

ورقلة: 134، 164.

وهران: 32، 43، 44، 48، 51، 52، 73، 88، 112، 116، 117، 119، 120، 132،

152، 153، 156، 174، 176، 178، 179، 229، 242.

فهرس الأسماء والأعلام

أ

أ فنسنت: 34.

إبراهيم العنابي: 112.

إبراهيم بن عبد الجليل: 111.

ابن التهامي: 155.

ابن عابن: 130، 134، 238، 243.

أبو القاسم سعد الله: 98، 249.

أبو يعلى الزاوي: 213.

أتانو: 133.

أحمد التيجاني: 93، 94، 95، 96، 97، 98، 100، 101، 104، 107، 150، 16.

أحمد الكبير: 93، 100.

أحمد بن بلقاسم: 109.

أحمد بن عليوة: 103.

أحمد بوضربة: 155.

أحمد رضا حوحو: 238.

أحمد سعدان: 163، 164.

أدا قويتتي: 24.

إدموند ثيودور : 174.

ادموند دوئي: 100.

إدموند شارل رو: 56.

أرتور رامبو: 55.

آرثر شوينهادر: 16.

أرنست رينان: 17، 200.

أسكوت أكنور: 95.

إسماعيل بوضرية: 164.

إسماعيل حامد: 232، 233، 234، 239.

آسيا جبار: 248.

أعسطين دوفيلار: 171، 172.

أعسطين ايزيرن: 165.

أعسطين: 55.

أغلاي: 176.

إغيري: 131.

أكلي زناقي: 161.

- ألبير كامو: 78.
- ألبيرتيني أنطوانيت: 123.
- ألستير هورن: 84 .
- ألكسندر تريغوموفسكي: 55، 56.
- ألكسندرا فيسينو: 196.
- إما ميزاموتي: 24.
- أمباركة: 139.
- إملي بوسكان: 160.
- الأمير خالد: 51.
- الأمير عبد القادر: 94، 95، 96، 101، 105، 107.
- إميليا دوفيلار: 132، 170، 172، 176، 243.
- إميليا: 171.
- آن ماري غواشون: 149.
- أنابيس ناين: 24.
- أنتونين ليقرييه: 140.
- أندري باسييه: 150.
- أندريان روش: 125.
- أندريه مونتيرو: 122.

انطونيو لويو: 79.

أوتوفون بسمارك: 14.

أودان كون: 66.

أوريلي بيكار: 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105،
106، 107، 108، 153، 208.

أوغست كونت: 16.

أوكتاف دوبون: 136.

أولمب دوغوج: 20، 21.

أولميادين هوج: 21.

إيزابيل ابرهارت: 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 64، 66، 71، 72، 73،
74، 75، 76، 77، 78، 107، 108، 109، 110، 111، 113، 138، 189، 190،
191، 195.

إيف لاکوست: 88.

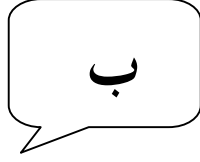
إيفون اللي: 192، 193.

إيفون بانير: 148.

إيمانويل كانط: 16.

إميل در منغام: 103.

إميلين فولدين: 23.



ب بيشار: 158 .

ب. ريفت: 87.

بارنت: 131.

باروال: 129، 131.

باروخ سينوزا: 16.

باري: 133.

بافي: 177، 178، 179.

باية خليفة: 249.

باية عراب: 248.

باية نوار: 248.

بايول: 176.

بايي: 193، 194.

برانسويي: 128.

برت جودار: 211.

برنارد شامبو: 90.

البشير: 96، 97، 101، 103، 104، 106.

بفال كرلوفتش: 54.
بلوسي مارديس: 62، 63، 64، 66.
بلونديل: 128.
بليسي: 174.
بن بوزيان: 73، 74، 76.
بن جامان تسيران: 174.
بن جلول: 161.
بن عصمان: 248.
بنجامين ديزرائيلي: 17.
بنلندجاوي: 123.
بنيامين غاستينو: 136.
بوبكر: 111.
بودلومي: 196.
بوديشون: 130.
بوضرية: 161.
بوعمامة: 60، 77، 190، 191.
بولينياك: 164.
بومعزة علاوة: 248.

بومنجل: 161.

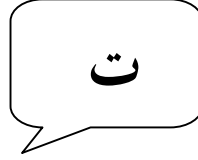
بيار آرنو: 55.

بيجو: 41، 44، 54، 106، 120، 126، 127، 128، 245.

بيربان: 45.

بيربروحر: 165، 192.

بيرين: 133.



تاسعديث: 139.

تاعليث: 139.

تالين: 21، 22.

توماس جيفرسون: 20.

توماس هس: 194.

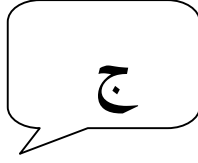
تيراز: 174.

تيريز ريفير: 86، 87، 88.

ج. برال: 40، 45.

ج. بورجين: 194.

ج. كوفي: 76، 107.



ج.هـ. بوسكي: 195، 194، 155.

ج.و.و. بوسكي ميرانديل: 194، 193.

جاك فريده: 113، 112.

جان اليكي: 193، 192.

جان باستوس: 135.

جان بول: 70.

جان جوان: 193.

جان دارك: 229.

جان ديريويو: 205، 202، 201، 200، 199، 198، 197، 196.

جان ستوارت مل: 25، 17.

جان فريده: 112.

جمال الدين الأفغاني: 200، 198.

جمانة رياض: 196، 195.

جميلة ديباش: 248.

جورج دومزيل: 85.

جوزيف زنتان: 165.

جون بومرول: 136.

جون جاك روسو: 16.

جون كامبون: 101، 105.

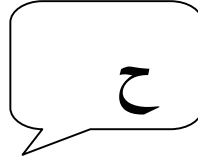
جون كولون: 52.

جونكور: 74.

جيرمين تيلون: 83، 84، 85، 86، 88.

جيرمين شانتررو: 192، 193.

الجيلالي ولد البختي: 60.



حاج الشريف قاضي: 229.

الحاج الصالح: 297.

حبيب جاماتي: 97.

الحداد: 36.

حسام الخطيب: 18.

حسن بن سي عمر: 112.

حسني سي أحمد بن طالب: 104.

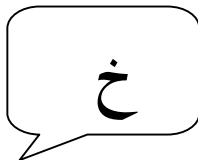
الحسين بن ابراهيم: 59.

حليمة بنت محمد: 242.

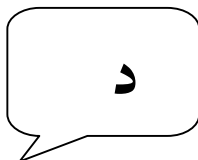
حلیمه: 112.

حمدان بورکایب: 154.

حمزة بن بوبکر: 112.



خوسیه کامبوس: 120.



داتانوکس: 240.

درلون: 170.

درویس لوسینغ: 24.

دریفیس: 57.

دو بارکی: 66.

دوبوش: 172، 173، 174، 175، 176، 177.

دورفیقو: 245.

دوروئی فومات: 152.

دوفرولییر: 78.

دولف: 131، 132.

دولو: 176.

دومنيك شامبو: 90، 91، 92.

دومنيك لوسياتي: 196.

دونيس: 96.

دي بوفري: 34.

دي كوستانزو: 34.

ديدريش ه. فيسترمان: 86.

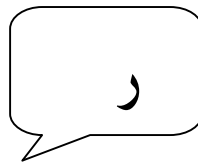
ديلنو: 133.

ديمتري: 73، 74، 76.



ذي غول: 27.

ذي موريس: 58، 59، 107، 108، 110.



رابح زناتي: 161، 238.

راخيل: 139.

رني ريكو: 32، 33.

روجرز: 130.

روجريل: 51.

روزاليا بن ثامي: 148.

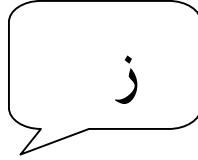
روش: 185.

روم لاندو: 107 .

روني فارغ: 174.

ريان فوت: 18.

رينيه لويس: 74.



زهور ونيسي: 249، 164، 162.

زولي: 191.



سارة جامبل، 18.

ساست: 109.

ستيغاني هوديسون: 18.

ستيناكرز: 95.

سكوبي: 100.

سلكهوسن: 191.

سليمان هني: 190، 112، 74، 62، 60.

سليمة بن حفاف: 248.

سمية: 230.

سوسبيل: 191.

سوسروت: 133.

سوشي: 173.

سي ابراهيم بن العربي: 109.

سيدي ابراهيم: 63، 61.

سيدي الكتاني: 79.

سيرات أنيس: 123.

سيمون ذي بفوار: 25، 24.

سيمون.ل.هنري: 87.



شارل الثامن: 25.

شارل جونار: 107، 132، 189، 203.

شارلمان: 25.

شارلي شابلن: 51.

شرشالي: 248.

الشريف بن حبيلس: 234.

شكري خوجة: 237.

شوبوليف: 120.

شوبير: 133.

الشيخ ابراهيم: 109.

ص

صالح باي: 65.

ط

طاطاني: 73.

الطاهر الحداد التونسي: 214.

الطيب النايب مُجَّد: 59.

الطيب سعدان: 155، 220.

ع

عاشورة: 139.

عامر رضا: 18.

عبد الحفيظ الطولقي: 239.

عبد الحليم بن سماية: 197.

عبد الحميد بن باديس: 212، 213، 214، 217، 218، 219، 221، 222، 223، 224.

عبد الرحمان اليعلاوي: 224.

عبد الرحمان حساني: 210.

عبد القادر الفيلاي: 97.

عبد القادر بن حميدة: 105.

عبد القادر بن سعيد: 108.

عبد القادر مجاوي: 197، 240.

عبد القادر: 34، 35.

عبد الكريم: 107.

عبد الله بن مُجَّد الاخضر: 109، 110.

عبد المجيد الشافص: 242.

عزيزة: 248.

علواني: 197.

علي عبد الوهاب: 55، 71.

عمار أوزقان: 234، 235.

عمر بن قدور: 236.

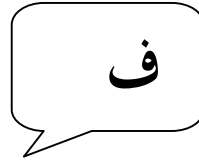
عمر: 222.



غاتي ذي غامون: 80، 81.

غبريال هانوتو: 201.

غويو: 31، 127.



ف. كوليردت: 34.

فاطمة الزهراء خلاف: 167.

فاطمة آيت عمروش: 244.

فالي: 174.

فتيحة كاهية: 247.

فرانسوا ماري أرويه: 15.

فرحات بن الدراجي: 242.

فرحات عباس: 155، 166، 229.

فرنسوا بوغارد: 172.

فرنسوا ميتران: 83.

فرنسيس بيكون: 16.

فريدريك بيار: 74.

فريدريك نتشه: 16.

الفضيل الورتلاني: 225، 226.

فضيلة سعدان: 231.

فلاتير: 105.

فلورات تريستان: 24.

فورو: 106.

فوشاز: 191.

فولوديا: 55.

فيرى: 112.

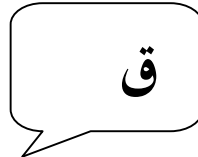
فيكتور باروكان: 57، 72، 73، 189، 191.

فيكتور دورى: 26.

فيكتور هيغو: 17.

فيكتورين بروشيه: 24.

فيلار: 47.



قاسم بن سي عمر: 112.

قیتفیل: 132.



کالیکست: 176.

کامیل لاکوست جاردان: 88.

کروزات: 173.

کلود بولیود: 73.

کلود لیفی: 85.

کلوزیل: 31.

کلیمانین یورجوا: 112.

کولان: 174.

کولینی: 226.

کوندروسیه: 19.

کونستونس: 176.

کونغو: 128.

کویتو: 160، 161.



لاری: 176.

لافیجیری: 97، 99، 104، 123، 179، 180، 181، 182، 183، 186، 187، 206،

246.

- لافيتت: 234.
- لالة زينب: 60، 111.
- لالة زينب: 60.
- لالة فاصمة نسومر: 231.
- لالوي: 81، 82، 83.
- لامورسيار: 81.
- لامي: 107.
- لوييشو: 127.
- لورلو فاير: 149.
- لوس اليكس: 126، 127، 128، 129، 130، 131، 134، 142، 238، 243، 245.
- لوسيان فاير: 45.
- لوموف: 181.
- لويز: 174.
- لويزة قلال: 249.
- لويس التاسع: 25.
- لويس بونايرت: 33.
- لويس ريجيس: 64، 65، 66، 69.
- لويس رين: 96، 192.

لويس فيليب: 12، 33، 171.

لويس ليسشي: 194.

ليبية هاشم: 196.

لييشو: 172.

ليجي: 153.

ليشاني: 239.

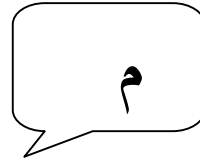
ليفي برول: 87.

ليلي: 248.

ليوتي: 60، 61، 62، 63، 74، 77، 191.

ليوفانيير: 227.

ليون ريشير: 22.



ماتيا غوردي: 149، 150.

مادلين إسحاق: 193.

مادلين ديلايلي: 193، 194.

مادلين: 179، 244.

مارسيل ستوزيل: 166.

مارسيل موس: 85، 87.

مارغريت: 26.

ماري أستيل: 22.

ماري أنطوانيت: 21، 126، 127.

ماري بوجيجا: 145، 146، 147، 149، 195، 211.

ماري ديلي: 74.

ماري كلافر: 246.

ماري وولستويكرافت، 22، 23.

ماريوس: 122.

ماكهمون: 119.

مالك بن نبي: 72، 155، 159، ، 230، 231، 232، 236، 237، 240، 250.

مالك حداد: 78.

مالكة مفتي: 248.

مامية شنتوف: 248.

مبارك جفلول: 159.

مُجَّد الأمين العمودي: 220.

مُجَّد البشير الإبراهيمي: 166، 215، 216، 223، 224.

مُجَّد السعيد الزاهري: 208، 209، 210، 219، 220، 246.

مُجَّد الشاذلي: 98، 99.

- مُجَدِّ الشَّرْقِي العَطَائِي: 112.
- مُجَدِّ الصَّالِح العَمُودِي: 163.
- مُجَدِّ الصَّالِح دَمْبَرِي: 78.
- مُجَدِّ الصَّالِح رَمْضَانَ: 164، 223.
- مُجَدِّ الصَّالِح: 163.
- مُجَدِّ العُرُوسِي: 108.
- مُجَدِّ العِيد التَّمَّاسِينِي: 102.
- مُجَدِّ الكَبِير: 104.
- مُجَدِّ عِبْدِه: 200، 202، 206.
- مُجَدِّ وِلْد الشَّيْخ: 238.
- مُحْمُود السَّعْدِي: 59، 61، 64.
- مَرْجَرِيَّت دُورَاس: 24.
- مَرْسَلِي: 155، 161، 165.
- مَرْيَامَة: 139.
- مَرْزِيرِيْس: 69.
- مَصَالِي الحَاج: 155، 160، 161.
- مَصْطَفَى بِن عَمْر: 155.
- المَقْرَانِي: 36.

ملیكة بن عامر: 249.

موري: 73، 74، 76.

موريس فيوليت: 144، 151.

مولاي ادريس: 191.

مولود معمری: 88.

میرانت: 106، 147.

میشل: 212.

میلد ماي: 180.

میلیسانت فاوسیت: 23.



ناتالي دورتي: 54.

ناتالي: 55.

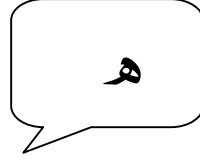
نادر القنة: 18.

نفيسة بنت علي: 130.

نفيسة حمود: 248.

نيكول: 55.

نيكولا بوذنسكي: 57.



هـ. بول: 40.

هـ.ج. هبروسبت: 103.

الهاشمي بن ابراهيم: 59، 108، 109، 110.

هاينريش فون مالتسان: 119.

هنري باتيفول: 194.

هنري غوتيه: 81.

هنري لابوريت: 86.

هنري مارشال: 145.

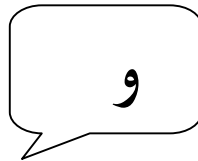
هنريات سيلاربي: 147، 149، 245.

هوبرتين أوكيلرت: 19، 22، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 211.

هيلار: 176.

هيلين بالفى: 192، 193.

هيوليت: 176.



ولد عودية: 165.

وليام مارسي: 151.

وليم سبنسر: 16.

ويير: 34.

ويسبير: 17.

ويلم غلاديسون: 17.



ياسمينة: 138.

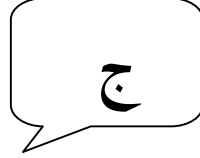
يوجين بيرلو: 126.

يوجين دوماس: 137.

أخوات سان جوزيف دوفانس: 179، 183.

إرسالية الراهبات الثالوثيات: 173، 174.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: 28.



الجمعية التاريخية: 165، 192.

جمعية التربية والتعليم: 221.

جمعية الجغرافيا لمدينة الجزائر وشمال إفريقيا: 195.

الجمعية الجغرافية: 165.

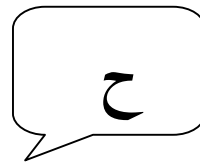
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 208، 210، 211، 217، 223، 224، 225، 226،

227، 250.

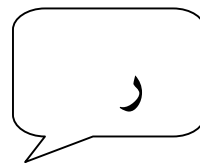
الجمعية العمومية: 21.

الجمعية الوطنية: 21.

جمعية ميلد ماي: 180.

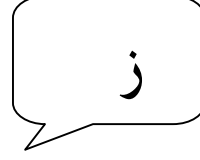


حزب النساء السياسي: 27.



راهبات الباستور الطيب: 175، 178.

راهبات القلب المقدس: 174.



الزاوية التيجانية: 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104،

105، 106، 107، 108، 109، 110، 212، 213.

الزاوية الزيانية: 110.

الزاوية الطيبية: 111.

زاوية بوجملين: 110.

زاوية سيدي عابد: 208.

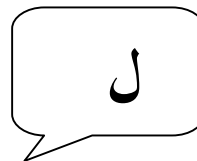


الطريقة الرحمانية: 110.

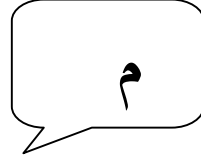
الطريقة الشيخية: 111.

الطريقة العلوية: 103.

الطريقة القادرية: 107، 108، 109، 110.



لجنة مركز المرأة: 28.



المجلس الدولي للنساء: 27.

مجلس الشيوخ: 44.

مجلس النواب البريطاني: 23.

المجلس النيابي: 26.

المجلس الوطني الفرنسي: 109.

المجلس الوطني للنساء الإيطاليات : 23.

المجلس الوطني للنساء الإيطاليات: 24.

المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحديثة والحضارة الإفريقية: 86.

مركز التدريب على البحوث الأنتروبولوجية: 90.

المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا : 90.

المركز الوطني للبحث العلمي: 90.

المعهد الدولي للغات والثقافات الإفريقية : 86.

منظمة العمال الدولية: 50.

منظمة حق المرأة في التصويت: 22.

منظمة حقوق المرأة : 22.



هيئة الامم المتحدة: 28.

فهرس الجداول والرسومات البيانية

الصفحة	العنوان	الرقم
30	أعمدة بيانية لتطور تعداد الفرنسيين حسب الجنس والعمر (1833-1839)	01
32	جدول توزيع المستوطنين الأوربيين في المدن الكبرى بالجزائر حسب الجنس (1833-1839)	02
33	منحنى بياني لإحصائيات السكان الفرنسيين بالجزائر حسب الجنس (1847-1851)	03
34	جدول معدلات الوفاة بداء الكوليرا بالجزائر 1849	04
35-36	أعمدة بيانية لتوزيع السكان الأوربيين بالجزائر حسب الجنس والجنسية والحالة المدنية (1866-1872)	05
37-38	أعمدة بيانية لتوزيع السكان الأوربيين في المدن الكبرى حسب الجنسية والجنس (1886-1896)	06
40	جدول وفيات الأوربيين في المناطق الشمالية لـ 10000 ساكن (1911-1913)	07
41	جدول الأمل في الحياة عند الأوربيين لمختلف الأعمار (1948-1951)	08
41	مخطط بياني يوضح نسب الأمل في الحياة عند الأوربيين لمختلف الأعمار (1948-1951)	09
47	جدول عدد التلاميذ الأوربيين المسجلين في المدارس الابتدائية العمومية للسنة الدراسية 1897-1898	10
48	جدول عدد التلاميذ الأوربيين المسجلين في المدارس الإبتدائية الخاصة 1897-1998	11
48	دائرة بيانية لعدد التلاميذ في المدارس الإبتدائية العامة والخاصة 1897-1898	12
48	جدول أعداد الفرنسيين المسجلين في المدارس الإبتدائية العامة والخاصة في	13

	السنة الدراسية 1898-1899	
49	دائرة بيانية لأعداد الفرنسيين المسجلين في المدارس الإبتدائية العامة والخاصة في السنة الدراسية 1898-1899	14
49	جدول أعداد التلاميذ الأوربيين المسجلين في التعليم الثانوي بين 1920-1938	15
49	أعمدة بيانية لأعداد التلاميذ الأوربيين المسجلين في التعليم الثانوي بين 1920-1938	16
117	جدول يوضح نشاط النساء في فرنسا والجزائر خلال سنوات 1911-1948	17
131	جدول أعداد الفتيات الجزائريات في ورشة السيدة إغيري (Aguiré)	18
156	جدول حالات الزواج المختلط بالمدن الكبرى بالجزائر (1930-1953)	19
156	جدول إحصاءات الزوجات المختلطة بالجزائر (1936 - 1942)	20
157	جدول حالات الزواج المختلط في المدن الجزائرية 1948	21
178	جدول أعداد المبشرين الذين تم استقدامهم إلى الجزائر من قبل الأسقف بافي	22
192	جدول صفوة المثقفات الأوربيات المساهمات في المجلة الإفريقية "Revue Africaine"	23

فهرس الملاحق

رقم الملحق	العنوان	الصفحة
01	نساء أوريبات شاركن في حركة التحرر النسوية بأوربا	259
02	إعلان حقوق المرأة للمناضلة النسوية أوليمب دغوج Olympe de Gouges.	261-260
03	الأماكن التي زارتها والتي كانت تنوي زيارتها الرحالة إيزابيل ابرهات بالجزائر	262
04	توزيع المستوطنين الأوربيين في المدن الكبرى بالجزائر حسب الجنس (1833-1839)	263
05	إحصائيات السكان الأوربيين بالجزائر (1847-1896)	266-264
06	وفيات الأوربيين في الشمال لـ 10000 ساكن (1911-1913)	267
07	نماذج لنساء أوريبات مؤثرات بالجزائر	269-268
08	بعض مؤلفات المثقفات الأوريبات عن الجزائر	270
09	رسالة من إيزابيل ابرهات إلى سليمان إهني بخط يدها	271
10	شجرة نسب شيوخ الطريقة التيجانية في الأغواط وتماسين	272
11	شيخ الطريقة التيجانية أحمد عمار زوج أوريلي بيكار	273
12	صورة عقد زواج أحمد عمار مع السيدة أوريلي بيكار	274
13	قصر كوردان	275
14	الزوايا التي تمت زيارتها من طرف نساء أوريبات	276
15	ورشة لوس أليكس وتلميذتها إين عابن	277
16	بعض أنشطة الأخوات البيض بالجزائر	278
17	الزيجات المختلطة بالجزائر (الزواج بالاجنبيات) 1830-1948	279
18	بعض تأثيرات المرأة الأوربية على المرأة والأسرة الجزائرية	280
19	أهم المناطق التي برز فيها نشاط النساء الأوريبات	281

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	إهداء
	شكر وتقدير
	قائمة المختصرات
6	مقدمة
13	الفصل الأول: واقع المرأة الأوربية خلال القرنين 19 و 20
14	أولاً : وضعية المرأة في أوربا
29	ثانياً: وضعية المرأة الأوربية في الجزائر
54	ثالثاً: المرأة الأوربية والرحلة في الجزائر
67	خلاصة الفصل
68	الفصل الثاني: النشاط السياسي للمرأة الأوربية بالجزائر
69	ولاً : مساهمة المرأة الأوربية في الدراسات الاستعمارية بالجزائر
93	ثانياً: تأثير المرأة الأوربية على القيادات المحلية بالجزائر
114	خلاصة الفصل
115	الفصل الثالث: النشاط الاقتصادي والاجتماعي للمرأة الأوربية بالجزائر
116	أولاً: دور المرأة الأوربية في تنمية الاقتصاد المحلي الفرنسي بالجزائر
136	ثانياً: المرأة الأوربية ومسألة المرأة الجزائرية
155	ثالثاً: مساهمة المرأة الأوربية في تفعيل قضية الزواج المختلط -الزواج بالأجنبيات- بالجزائر.
168	خلاصة الفصل
169	الفصل الرابع: النشاط الديني والإعلامي للمرأة الأوربية بالجزائر
170	أولاً: الإرساليات التنصيرية النسوية بالجزائر
188	ثانياً: النشاط الصحفي للمرأة الأوربية بالجزائر
206	خلاصة الفصل

207	الفصل الخامس: المواقف المختلفة من نشاط المرأة الأوربية بالجزائر
208	أولاً: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
228	ثانياً: مواقف بعض النخب الجزائرية المثقفة
242	ثالثاً: موقف المرأة الجزائرية
250	خلاصة الفصل
251	الخاتمة
258	الملاحق
282	ببليوغرافيا البحث
307	فهارس البحث
308	فهرس الأماكن والبلدان
319	فهرس الأسماء والأعلام
344	فهرس الهيئات والجمعيات
349	فهرس الجداول والرسومات البيانية
351	فهرس الملاحق
352	فهرس المحتويات